

تَعَمُّرُ الْمَسَانِدِ

إِشْبَاتٌ مِمَّا حَبِطَ لَهَا تَرَاهُتُمْ عَلَيْهِ

العلامة المحقق الشيخ

أحمد ابن الشيخ صاحب كتاب الملوك الفطرية

المتوفى سنة ١٠٦٥ هـ

إشاد

في شهر ربيع الثاني

سنة ١٣٠٠

بمكة المكرمة دار المطبوعات

نَعْمَةُ الْبَنَانِ

فِي
إِثْبَاتِ صَاحِبِ الزَّمَانِ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

نِعْمَةُ الْمَنَانِ فِي إثباتِ صَاحِبِ الزَّمَانِ عَلَيْهِ السَّلَامُ

العلامة المحقق الشيخ

أحمد بن الشيخ صالح آل طوق الفطيفي

المتوفى بعد سنة ١٤٤٥هـ

الأوقاف

بإشراف

صطفى آل مرهوت

موقع الأوقاف

Awhad.com

مستورات



مكتبة دار الأوقاف الإسلامية في الكويت

حقوق الطبع محفوظة
لمشرف التحقيق

مُصَافِي آلِ مَرْهُونَ

الطبعة الأولى

١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م

يطلب من:

لبنان - بيروت - جادة السيد هادي - مفرق الرويس - بناية اللؤلؤة ط ١ -

هاتف: ٠٠٩٦١١٥٤٠٦٧٢

سوريا - دمشق - ص.ب: ٧٣٣ - السيلة زينب - عمول: ٠٠٩٦٣٩٤٤٣٥٦٥٨٤

مؤسسة المصطفى: إيران - قم - خ سمية - ١٦ متري عباس آباد بلاك ٢٤

تلفاكس: ٧٧٣٨٨٥٥ - ٠٠٩٨٢٥١

البريد الإلكتروني: E-mail: mnmnm3@hotmail.com

مسنورات



مركز الدراسات والبحوث الإسلامية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المؤسسة

الحمد لله الذي أفاض علينا بجليل نعمه، ومنّ علينا بجميل كرمه،
والصلاة والسلام على البشير النذير والسراج المنير، قدس الرحمة في آية
التطهير، حبيب قلوبنا وشفيع ذنوبنا سيدنا محمد وآله الطاهرين، وعلى ابن
عمه وخليفته أمير المؤمنين وعلى مولاتنا سيدة نساء العالمين، وعلى
الإمامين الشهيدين الحسن والحسين وعلى التسعة المعصومين من ذرية
الحسين عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ
وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ
وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾^(١).

وبعد:

لازلنا نتواصل معك أيها القارئ الكريم فيما ننتجه من تحقيق ونشر
تراث علمائنا الأبرار، وبين يديك الكريمتين (حفظك الله ورعاك) بعض ما
سطره قلم الحجة العلامة المحقق الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طوق
القطيفي تغمّده الله بالرحمة والرضوان وأسكنه فسيح الجنان.

وبعد أن قدمنا لك مجموعةً من رسائله العلمية في أربعة مجلدات تحت عنوان (رسائل آل طوق القطيفي) تقدّم بين يديك هذا الكتاب الموسوم بـ(نعمة المنان في إثبات صاحب الزمان عليه السلام) في ٤٣٢ صفحة، وهو كتاب مهم في موضوعه وأسلوب بحثه ممّا يجعل القارئ يستمتع بقراءته والتزود من فيضه.

نسأل الله العليّ القدير أن نكون قد وفقنا في هذه المجموعة التراثية التي تقدمها لكم تحت عنوان (سلسلة إحياء التراث) كما نتقدم بالشكر الجزيل للأخوة الأفاضل الذين شاركوا في التحقيق.

ونختتم كلمتنا بالدعاء لمولانا صاحب العصر والزمان أن يعجّل الله فرجه ويجعلنا من أنصاره وأعوانه: «اللهم كن لوليك الحجة ابن الحسن في هذه الساعة وفي كل ساعة ولياً وحافظاً وناصرًا ودليلاً وقائداً وعيناً حتى تسكنه أرضك طوعاً وتمتعه فيها طويلاً»^(١).

والحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين.

مؤسسة المصطفى (ص) للتحقيق والنشر

قم المقدسة - ١٤٢٩ هـ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ترجمة المؤلف

إن المصادر المختصّة بفن السير والتراجم قد أهملت التعرض لتفاصيل سيرة هذا الشيخ الجليل، غير أنه بناء على قاعدة «لا يترك الميسور بالمعسور» فإننا نستعين بالله تعالى في كتابة ما يتيسر لنا الحصول عليه منها.

اسمه ونسبته

هو العالم الفاضل الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح بن سالم آل طوق القطيفي.

لم تسعفنا مصادر ترجمته بسنة ولادته ولا سنة وفاته سوى أنه كان حياً عام (١٢٤٥ هـ / ١٨٢٩ م)، كما لم تتطرّق لشيء من تفاصيل حياته وجزئياتها كما ذكرنا قبل قليل.

قال عنه الشيخ محمد علي العصفوري في تاريخه: (الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح آل طوق القطيفي ... تلمذ لجدي العلامة الشيخ حسين).

تلمذ لجماعة من العلماء أبرزهم الشيخ أحمد بن محسن بن منصور آل عمران، والشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي، وله منه إجازة رواية. وذكره الشيخ الآقا بزرگ الطهراني في طبقاته بقوله: (هو الشيخ أحمد

بن صالح ابن سالم بن طوق القطيفي، عالم جليل من مصتفي عصره). وقال: (ورأيت بعض تملّكاته بخطه ذكر فيه نسبه كما مرّ، بينما لم يذكر مترجموه جدّه سالمًا بل ذكروا أنه ابن صالح بن طوق. وتاريخ هذا التملك قبل (١٢٤٥هـ)؛ لأنه^(١) كان في هذا التاريخ ملكاً للشيخ محمد علي العريضي ... وملك (خلاصة الأذكار)، و(تلخيص الشافي)، و(بصائر الدرجات)، و(الدروس) ...).

وذكر أن له (المسائل العويصة)، وهي مسائل بعث بها إلى الشيخ أحمد الأحسائي مذكورة في موضعين من (جوامع الكلم): جاء في الموضوع الأول: (أرسل إليّ الشيخ الأرشد الشيخ أحمد بن الشيخ صالح آل طوق القطيفي مسائل ...)، وفي الموضوع الثاني: (قد وردت إليّ مسائل جليلة بمباحث جميلة من الشيخ أحمد ابن الشيخ صالح بن طوق تدلّ على كثرة خبره، ودقّة فكره ...)^(٢).

والده عليه السلام:

كان والده عالماً فاضلاً مؤمناً صالحاً. وكان من المعاصرين للعلامة الشيخ أحمد ابن زين الدين الأحسائي، وله إليه مسائل مذكورة في جوامع الكلم أيضاً، حيث جاء فيه: (قد بعث إليّ الأكرم المسدد الشيخ صالح بن

(١) كذا في المصدر، دون إشارة إلى مرجع الضمير.

(٢) انظر ترجمته في: أنوار البدرين: ٢٨١ / ٢٤، طبقات أعلام الشيعة (الكرام البررة في القرن الثالث بعد العشرة): ٩٢ - ٩٣، أعيان الشيعة ٢: ٦٠٧ - ٦٠٨، معجم المؤلفين ١: ٢٥١، مجلة الموسم: العدد (٩ - ١٠) لسنة (١٩٩١ م / ١٤١١هـ)، وانظر جوامع الكلم: ١١٤٠، ١٥٥ (حجري).

طوق أصلح الله أحواله، وبلغه آماله... (١).

أولاده:

له من الأولاد الشيخ ضيف الله، وهو من العلماء الأخيار. وهو صاحب شرح على رسالة والده في الأصول الخمسة المطبوعة ضمن رسائل آل طوق، وكان قد جمع فتاوى السيد كاظم الرشتي في الطهارة والصلاة بأمره. توفي في العراق.

مؤلفاته

له من المؤلفات ما يقارب الأربعين مصنفاً أو أكثر، تكفّلت مؤسستنا (دار المصطفى ﷺ لإحياء التراث) بطبع بعض منها، كما أشرنا إليه في محلّه، ونحن نذكر بعضاً منها هنا على نحو الإجمال:

- ١ - أحكام العمرة.
- ٢ - إعراب «صلى الله عليه وآله».
- ٣ - إعراب «وآله» من «صلى الله عليه وآله». وهي كسابقتها، لكنها أخصر منها.
- ٤ - بحث في التيمّم.
- ٥ - بحث في الحبوّة.
- ٦ - بحث في الواجب الكفائي.
- ٧ - بيان حدّ الركعة التي من أدركها أدرك الوقت.
- ٨ - تحديد أول النهار.

(١) انظر جوامع الكلم ٢: ٢٣٧ - ٢٣٩.

- ٩ - جامعة الشتات في أحكام المواريث.
- ١٠ - جوابات مسائل الشيخ محمد بن علي بن محمد بن أحمد آل عصفور البحراني المعروفة بـ (الاسئلة البحرانية).
- ١١ - جوابات مسائل السيد حسين ابن السيد أحمد البحراني.
- ١٢ - الجهر والإخفات بالقراءة في الصلاة.
- ١٣ - حرمة أم وأخت و بنت الملاط به علي اللائط.
- ١٤ - الرجعة.
- ١٥ - روح النسيم في أحكام التسليم.
- ١٦ - شرح حديث «من عرف نفسه فقد عرف ربه». وهو كتاب نفيس جليل، استخرج فيه من هذا الحديث المعارف الخمسة تماماً.
- ١٧ - شرح صحيح زارة المروي في الكافي: «إن الله تبارك وتعالى جعل لآدم في ذريته: من همّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، ومن همّ بحسنة وعملها كتبت له عشرأ، ومن همّ بسيئة لم تكتب عليه، ومن همّ بها وعملها كتبت عليه سيئة».
- ١٨ - صحّة العبادات مع قصد نيل الثواب أو الخلاص من العقاب.
- ١٩ - عدّة المطلقة الحرّة.
- ٢٠ - ما يكفي المكلف من أدلّة الأصول الخمسة بالدليل العقلي.
- ٢١ - مختصر الرسالة الصلالية للشيخ محمد بن عبد علي آل عبد الجبار.
- ٢٢ - مسألة في الرضاع.
- ٢٣ - مناسك الحج .

٢٤ - مواليد النبي ﷺ وآله ﷺ.

٢٥ - موجز في أدلة الأصول الخمسة.

٢٦ - نزهة الألباب ونزل الأحباب.

كما أن له أسئلة بعث بها للشيخ أحمد بن زين الدين الأحسائي وكتب هو جواباتها سنة (١٢٢٣) هـ، وتعرف بـ (جوابات المسائل القطيفية)، وبـ (المسائل العويصة).

الكتاب

بعد أن ألقينا نظرة خاطفة على سيرة هذا العلم، وبيّنا بعض جوانب حياته الشريفة، كان لابدّ من تسليط الضوء بشكل موجز أيضاً على هذا الكتاب، فنقول: إن هذا الكتاب يعد من الكتب المحكمة الدليل، المتينة في إفحام الخصم؛ من حيث كونها تستدل على المخالف بما يرويه هو، ويعتمد المنهج العلمي والادكاديمي العالين في إبهات حجّة الخصم وإثبات مراد المذهب الحقّ. وقد جعله المصنّف على ثلاثة مطالب، كما سيجده القارئ.

المطلب الأول: في أنه تعالى يظهر رجلاً في آخر الزمان.

المطلب الثاني: في أن الحجّة المهدي ﷺ موجود الآن وفي كل آن حتى ظهوره ﷺ.

المطلب الثالث: في كون الحجّة الباقي هو المهدي بن الحسن

العسكري ﷺ.

ثم أدرج ﷺ ضمن المطلب الثالث النص على إمامة الأئمة الاثني عشر ﷺ كلاً في باب مستقل.

منهج التحقيق

إن منهجنا في تحقيق هذا الكتاب الشريف يتمركز حول محورين:

الأول: تحصيل النسخة الخطية للكتاب.

وهي نسخة فريدة موجودة في القطيف.

الثاني: عملنا في المخطوط.

لقد اتبعنا في تحقيق هذا الكتاب منهجاً مبسطاً وواضحاً لا يُثقل على القارئ بكثرة علامات الترقيم والإدخالات، بدءاً من تقطيع الكتاب وانتهاءً بمراقبته اللغوية، فتجاوزنا عما يمكن التجاوز عنه والتسامح فيه مما هو داخل في مباحات علم التحقيق سيما فيما يتعلق بالفروق بين نسخ المخطوطات.

أما الإضافات على المتن، فكانت تارة من المصدر أو لتصحيح ما في النسخ المعتمدة، وقد وضعناها بين معقوفين []، وتارة مما يقتضيه السياق وقد وضعناها بين خطين عموديين | | إلا إضافات العناوين فقد وضعناها بين معقوفتين.

كما قد اعتمدنا في تحقيق هذا الكتاب على أسلوب التحقيق الجماعي، لذا توزعت لجان العمل في تحقيق هذا الكتاب كما يلي:

١- التقطيع الأولي.

٢- الصف والإخراج الفني.

٣- المقابلة بين المطبوع والمخطوط.

٤- تخريج مصادر الكتاب.

٥- تقويم النص.

٦- متابعة التحقيق والمراجعة النهائية.

وكلّ ما أضفناه من عناوين جعلناه بين معقوفتين.

الشكر والتقدير للإخوة الذين ساهموا في إنتاج هذا الكتاب نسأل الله لنا ولهم الموفقية في الدنيا والآخرة إنه على كل شيء قدير. والحمد لله رب العالمين وصلى الله على سيدنا محمد وآله الطاهرين.

﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ (١).

مؤسسة المصطفى (ص) للتحقيق والنشر

قم المقدسة ١٤٢٩ هـ

مصطفى آل مرهون

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم وصلى الله على محمد وآله
الطيبين والحمد لله رب العالمين.

وبعد:

فيقول أقلّ عباد الله عملاً وأكثرهم زللاً أحمد بن صالح بن سالم بن
طوق: اعلم وفقنا الله وإياكم لمرضاته وعصمنا من الزلل والحسد والعناد:
إنّ أمة محمد ﷺ مطبقة على أنّه لا بدّ أن يبعث الله في آخر الزمان رجلاً
من آل محمد ﷺ يملأ الأرض قسطاً كما ملئت ظلماً وفتاواهم ونصوصهم
متّفقة على ذلك في كلّ زمان ومكان.

ثم إنّهم أيضاً مطبقون كذلك على أنّ ذلك الرجل من نسل فاطمة
الزهراء بنت محمد المصطفى - صلى الله عليها وعلى أبيها وبعليها وبنيتها -
عدا الكيسانيّة فإنّهم قالوا: إنّ محمد بن علي أمير المؤمنين^(١). ويكذبهم
الإجماع والنصوص والعقل والنقل، مع أنّهم لم يأتوا على مدّعاهم بشبهة.

(١) الغيبة (الطوسي): ١٨.

فضلاً عن حجة؛ فقولهم في غاية السقوط كما أن قول سائر فرق الأمة القائلين بأنه غير المهدي بن أبي محمد الحسن العسكري من الأئمة الاثني عشر المعروفين كالشمس عند الأمة [كذلك] إذ لا شبهة لهم توهم دعواهم فضلاً عن الدليل.

وبقي الكلام مع السنة؛ فإن مشهور أهل المذاهب الأربعة أنه ليس بموجود الآن وسيوجد حين يريد الله تطهير الأرض من الظلم والجور. وذهب جماعة من فضلائهم، كمحمد بن أبي طلحة الشامي الشافعي^(١)، ومحمد بن الصباغ المالكي^(٢) والحصكفي وجماعة من رؤوساء محدثيهم وحكمائهم وصوفيّتهم إلى القول بمقالة الشيعة الاثني عشرية من أنه ثاني عشر الأئمة المشهورين وهو ابن الحسن بن علي العسكري - سلام الله عليهم أجمعين - وأنه موجود الآن إلا إن الله تعالى أخفى شخصه ومكانه؛ لأمرٍ هو بالغه وحكمةٍ هو أعلم بها حتى يأذن الله له بالخروج.

وكلامنا في هذه العجالة مع مشهور السنة؛ فنقول:

يجب على العاقل المرتاد لنفسه طريق النجاة أن يترك الحسد والعصيان والعناد فيها هلك من هلك من الخلق فإذا وقف على الدليل والبرهان [وجب] أن يدعن له ويقبله ويسلك ما يؤمل به طريق النجاة ويرفض التقليد حينئذٍ.

ونحن ندل أولاً على أنه لا بد أن يبعث الله [في]^(٣) آخر الزمان رجلاً

(١) مطالب السؤل ٢: ١٥٢. (٢) الفصول المهمة: ٢٩١.

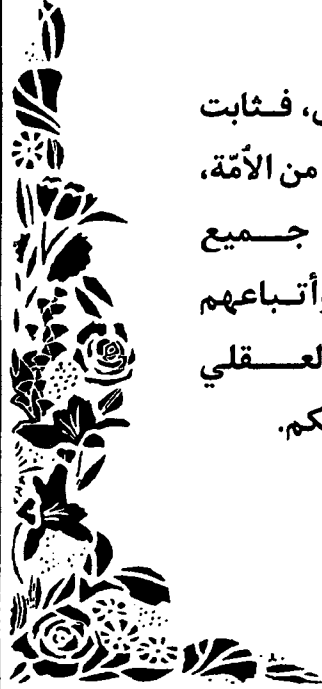
(٣) بياض في مصوِّرة المخطوط، والظاهر ما أثبتناه تساوقاً مع عبارته الواردة في صدر الرسالة.

من ولد البتول - صلى الله عليها - فيملاً الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما
ملئت ظلماً وجوراً. ثم ندل على أنه موجود الآن ثم ندلّ على أنه هو ابن
الحسن بن علي العسكري، وبالله المستعان، فنقول: هنا ثلاثة مطالب:

المطلب الأول:

في أنه تعالى يظهر رجلاً في آخر الزمان

أما المطلب الأول، فثابت
بالنص والإجماع من الأمة،
بل ومن جميع
شرائع الأنبياء وأتباعهم
وبالبرهان العقلي
المتضاعف المحكم.



[البرهان النقلی]

أمّا النصّ فهو مستفيض متواتر المضمون من جميع فرق الأمّة. أمّا الرافضة فنصوصهم معلومة عند الأمّة، متّفقة متطابقة يعرف ذلك من كتبهم وحالهم كلّ طالبٍ لذلك ولا غرض لنا بنقلها فإنّ الحجة على السنّة بما يثبت من طرقهم أوضح وأؤكد فنحن ننقل قليلاً من كثير منها وبها كفاية لطالب الحق إن شاء الله؛ فنقول:

قال ابن حجر المكي في صواعقه - وهو من أعظم السنّة - عند ذكره أبا محمد الحسن العسكري عليه السلام: (مات بـ(سرّ من رأى) ودفن عند أبيه وعمّه وعمره ثمانية وعشرون سنة، ويقال: إنّه سُمّ أيضاً، ولم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجّة وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمّى: القائم المنتظر.

قيل: لأنّه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب [ومرّ في الآية الثانية عشرة]^(١) قول الرافضة فيه: إنّه هو المهدي^(٢).

وسواء قلنا: إنّ هذا هو المهدي أو المهدي غيره؛ فالمهدي من أهل البيت النبوي على كلّ تقدير، فلا بأس بذكر النصوص الواردة فيه:

(١) من المصدر، وفي المخطوط: من. (٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٨.

أخرج أحمد^(١) وأبو داود^(٢) والترمذي^(٣) وابن ماجة^(٤) عن علي عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لبعث الله فيه رجلاً من عترتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

وفي رواية لأحمد^(٥) وأبي داود^(٦) والترمذي^(٧): «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي».

وأخرج أبو داود^(٨) والترمذي^(٩) عن ابن مسعود قال: «قال رسول الله ﷺ: لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وأخرج ابن ماجة عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي جبل الديلم والقسطنطينية»^(١٠).
وأخرج أبو نعيم^(١١) عن أبي سعيد عن النبي ﷺ قال: «منا الذي يصلي عيسى ابن مريم خلفه».

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٩ / ٧٧٥.

(٢) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٣، باختلاف.

(٣) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣٠، باختلاف.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ٩٢٨ - ٩٢٩، باختلاف.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ١: ٦٢٢ / ٣٥٦٢.

(٦) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٢.

(٧) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣٠، وفيه قوله: «ذلك اليوم».

(٨) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٢.

(٩) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣١، وفيه قوله: «ذلك اليوم».

(١٠) سنن ابن ماجة ٢: ٩٢٨ - ٩٢٩ / ٢٧٧٩.

(١١) عنه كنز العمال ١٤: ٢٦٦ / ٣٨٦٧٣.

وأخرج الحارث عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «لتملأن الأرض ظلماً وعدواناً ثم ليخرجن رجل من أهل بيتي حتى يملأها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وعدواناً»^(١).

وأخرج الطبراني^(٢) والبخاري^(٣) عن قرّة^(٤): أن النبي ﷺ قال: «لتملأن الأرض جوراً وظلماً، فإذا ملئت ظلماً وجوراً بعث الله رجلاً من أمتي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملؤها عدلاً وقسطاً كما ملئت جوراً وظلماً فلا تمنع السماء شيئاً من قطرها ولا الأرض شيئاً من نباتها، يمكث فيكم سبعاً أو ثمانياً فإن أكثر فتسعاً». وفي رواية لأبي داود^(٥) والحاكم^(٦): «يملك سبع سنين». وفي أخرى للترمذي: «إن في أمتي المهدي يعيش خمساً أو سبعاً أو تسعاً»^(٧) الحديث.

وأخرج الطبراني عن حامل الصدفى أن رسول الله ﷺ قال: «سيكون بعدي خلفاء ومن بعد الخلفاء أمراء ومن بعد الأمراء ملوك ومن بعد الملوك جبابرة، ثم يخرج رجل من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(٨) الحديث. وأخرج الروياني^(٩) عن حذيفة أن رسول الله ﷺ قال: «المهدي رجل من

(١) عنه كنز العمال ١٤: ٢٦٦٠ / ٣٨٦٧٠.

(٢) المعجم الأوسط ٩: ١٥٠ / ٨٣٢١، وفيه قوله: «كما ملئت جوراً وظلماً»، باختلاف.

(٣) عنه في الصواعق المحرقة: ١٦٣. (٤) في المصدر: معاوية بن قرّة.

(٥) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٥.

(٦) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥١٢ / ٨٤٣٨.

(٧) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٦ / ٢٢٣٢.

(٨) المعجم الكبير ٢٢: ٣٧٤ - ٣٧٥ / ٩٣٧، وفيه (عن قيس بن جابر الصدفى)، بدل:

(٩) عنه كنز العمال ١٤: ٢٦٤ / ٣٨٦٦٦. (حامل الصدفى).

ولدي وجهه كالكوكب الدرّي».

وفي خبر مسلم^(١) وأبي داود^(٢): «من عترتي من ولد فاطمة».

وأخرج أحمد^(٣) وابن ماجة^(٤) عن علي: «أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: المهدي من أهل

البيت يصلحه الله في ليلة».

وأخرج أحمد^(٥) ومسلم^(٦) عن جابر: «يكون في آخر الزمان خليفة يحثي

المال حثياً ولا يعده عدّاً».

وأخرج ابن ماجة عن عبدالله بن الحارث أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «يخرج ناسٌ

من المشرق فيوطنون للمهدي سلطانه»^(٧).

وأخرج ابن ماجة^(٨) والحاكم^(٩) عن ثوبان أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله قال من

جملة حديث: «ثم تطلع الرايات السود من قبل المشرق فيقتلونكم قتلاً لم يقتله قوم،

فاذا رأيتموه فبايعوه ولو حبواً على الثلج فإنه خليفة الله المهدي».

وأخرج ابن ماجة^(١٠) والحاكم^(١١) عن أنس: أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لا يزداد

الأمر إلا شدة ولا الدنيا إلا إداراً ولا الناس إلا شحاً، ولا تقوم الساعة إلا على شرار الناس».

(١) سنن أبي داود ١٤: ١٠٧ / ٤٢٨٤. (٢) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٦ / ٦٤٦، وفيه: «المهدي منا أهل البيت».

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٧ / ٤٠٨٥.

(٥) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٣: ٥، وفيه «يعطي المال ولا يعده عدّاً».

(٦) صحيح مسلم ٤: ١٧٧٠ / ٢٩١٣. (٧) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨ / ٤٠٨٨.

(٨) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٧ / ٤٠٨٤.

(٩) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥١٠ / ٨٤٣٢.

(١٠) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٤٠ - ١٣٤١ / ٤٠٣٩.

(١١) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٤٨٨ / ٨٣٦٢.

وأخرج الحاكم عن ثوبان: أن النبي ﷺ قال: «إذا رأيتم الرايات السود قد جاءت من خراسان فاتبعوها فإن فيها خليفة الله المهدي»^(١).

وأخرج أحمد^(٢) والماوردي^(٣) عن أبي سعيد أن النبي ﷺ قال: «ابشروا بالمهدي رجل من قريش من عترتي يخرج في اختلاف من الناس وزلزال فيملاً الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، ويرضى عنه ساكن السماء وساكن الأرض، ويقسم المال صحاحاً بالسوية، ويملاً قلوب أمة محمد غنى، ويسعهم عدله حتى إنه يأمر منادياً فينادي: من له حاجة فليأت إلي، فما يأتيه إلا رجل واحد» الحديث.

وقال ابن حجر في موضع قبل هذا عند استدلاله بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لَعَلْمٌ لِلسَّاعَةِ﴾^(٤): (قال مقاتل بن سليمان ومن تبعه من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في المهدي وستأتي الأحاديث المصرحة بأنه من أهل البيت النبوي).

إلى أن قال بعد كلام يأتي نقل ملخصه إن شاء الله تعالى: (أخرج أحمد^(٥) وأبو داود^(٦) والترمذي^(٧) وابن ماجه^(٨): «لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله فيه رجلاً من عترتي».

وفي رواية: «رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً».

(١) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥٤٧ / ٨٥٣١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤٢٦ - ٤٢٧ / ١٠٩٣٣، باختلاف، عنه في الصواعق المحرقة: ١٦٦، ولم يذكر أبا سعيد.

(٣) عنه في الصواعق المحرقة: ١٦٦، ولم يذكر أبا سعيد.

(٤) الزخرف: ٦١. (٥) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٩ / ٧٧٥.

(٦) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٣. (٧) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣٠.

(٨) سنن ابن ماجه ٢: ٩٢٨ - ٩٢٩ / ٢٧٧٩.

وفي رواية لمن عدا الأخير: «لا تذهب الدنيا ولا تنقضي حتى يملك رجلٌ من أهل بيتي يوافي اسمه اسمي».

وفي رواية لأبي داود^(١) والترمذي^(٢): «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً من أهل بيتي يوافي اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وأخرج أحمد^(٣) وغيره^(٤): «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».

وللطبراني: «المهدي منا يختم الدنيا بنا كما فتح بنا»^(٥).

وأخرج الحاكم في صحيحه: «يحلُّ بأمّتي في آخر الزمان بلاءٌ شديد من سلطانهم لم يسمع بلاء أشدّ منه حتى لا يجد الرجل ملجأ، فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً يحبّه ساكن الأرض وساكن السماء»^(٦).

الحديث وقد مرّ.

وروى الطبراني والبخاري نحوه.

وفي رواية لأبي داود^(٧) والحاكم^(٨): «يملك سبع سنين».

وفي أخرى للترمذي: «إنّ في أمّتي المهدي»^(٩) الحديث.

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٦-١٠٧ / ٤٢٨٢، باختلاف.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣١، باختلاف.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٦ / ٦٤٦.

(٤) سنن ابن ماجه ٢: ١٣١٧ / ٤٠٨٥.

(٥) المعجم الأوسط ١: ١٣٦ / ١٥٧، باختلاف.

(٦) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥١٢ / ٨٤٣٨، باختلاف.

(٧) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٥.

(٨) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥١٢ / ٨٤٣٨.

(٩) سنن الترمذي ٤: ٥٠٦ / ٢٢٣٢.

وأخرج ابن ماجة | عن عبد الله قال | بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ أقبل فتية من بني هاشم فلما رأهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه قال: فقلت: ما نزال نرى في وجهك شيئاً نكرهه! فقال: «إنا أهل بيتٍ اختار الله تعالى لنا الآخرة على الدنيا وإن أهل بيتي سيلقون بعدي بلاء شديداً وتطريداً حتى يأتي قومٌ من قبل المشرق معهم رايات سود، فيسألون الخير فلا يعطونه فيقاتلون فينصرون، ويعطون ما سألوها، فلا يقبلونه حتى يدفعوها إلى رجل من أهل بيتي فيملأها قسطاً كما ملؤها جوراً»^(١) الخبر.

وأخرج أحمد عن ثوبان مرفوعاً: «إذا رأيتم الرايات السود قد خرجت من خراسان فانتوها ولو حبواً على الثلج فإن فيها خليفة الله المهدي»^(٢).

وأخرج نضير^(٣) بن حمّاد مرفوعاً: «هو رجلٌ من عترتي يقاتل عن سنتي كما قاتلت أنا عن الوحي»^(٤).

وأخرج أبو نعيم: «ليبعثن الله رجلاً من عترتي أفرق الثنايا أجلى الجبهة يملأ الأرض عدلاً» الخبر.

وأخرج الروياني^(٥) والطبراني^(٦) وغيرهما^(٧): «المهدي من ولدي وجهه كالكوكب الدرّي اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً يرضى بخلافته أهل السماء وأهل الأرض والطير في الجو يملك عشرين سنة».

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٦ / ٤٠٨٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٣٧٣ / ٢١٨٨٢.

(٣) في المصدر: نعيم. (٤) الفتن: ٢٢٩.

(٥) عنه في كنز العمال ١٤: ٢٦٤ / ٣٨٦٦٦.

(٦) عنه في ينابيع المودة ٣: ٢٦٣ / ١٢.

(٧) البيان في أخبار صاحب الزمان (ضمن كفاية الطالب): ٥٠١، ٥١٣.

وأخرج الطبراني مرفوعاً: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم عليه السلام، فيقول المهدي: تقدم فصل بالناس. فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلّي خلف رجل من ولدي»^(١) الحديث.

وفي صحيح ابن حبان في إمامة المهدي نحوه^(٢).
وصحّ مرفوعاً: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا. فيقول: لا، إنما بعضكم أئمة على بعض؛ تكرمه الله هذه الأمة»^(٣).
وأخرج ابن عساكر عن علي عليه السلام: «إذا قام قائم آل محمد عليه السلام جمع الله | له | أهل المشرق وأهل المغرب»^(٤) الخبر.
وصحّ أنه عليه السلام قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة»^(٥) الحديث وقد مرّ نقله من كلامه.

وأخرج الطبراني حديثاً طويلاً فيه: إنّ النبي صلى الله عليه وآله قال لفاطمة: «منا سبطا هذه الأمة: الحسن والحسين وهما ابناك ... ومنا المهدي»^(٦).
وأخرج ابن ماجة أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «لوم يبق من الدنيا إلا يوم واحد؛ لطول الله ذلك اليوم حتى يملك رجل من أهل بيتي يملك جبل الديلم والقسطنطينية»^(٧).
وأخرج أحمد^(٨) والماوردي^(٩) أنه صلى الله عليه وآله قال: «ابشروا بالمهدي رجل من

(١) عنه في ينابيع المودة ٣: ٢٦٤ / ١٣.

(٢) صحيح ابن حبان ٦: ٢٢٦ / ٣٨٢٨، بالمعنى.

(٣) صحيح مسلم ١: ١٢٤ / ٢٤٧. (٤) تاريخ مدينة دمشق ١: ٢٩٧.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٢٩٤. (٦) المعجم الأوسط ٧: ٢٧٦ / ٦٥٣٦.

(٧) سنن ابن ماجة ٢: ٩٢٨ - ٩٢٩ / ٢٧٧٩.

(٨) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤٢٦ - ٤٢٧ / ١٠٩٣٣.

(٩) عن كنز العمال ١٤: ٢٦١ / ٣٨٦٥٣، سبل الهدى والرشاد ١٠: ١٧١، وذكر أنه

(البارودي).

قريش من عترتي»^(١) الحديث، وقد مرّ نقله من كلامه أيضاً.
ثم قال ابن حجر في (تنبيهه): (قال أبو الحسن الأزدي^(٢)): قد تواترت الأخبار واستفاضت بكثرة روايتها عن المصطفى ﷺ بخروج المهدي وأنه من أهل بيته وأنه يملك سبع سنين وأنه يملأ الأرض عدلاً وأنه يخرج مع عيسى - على نبينا وعليه أفضل الصلاة والسلام - فيساعده على قتل الدجال بياب له بأرض فلسطين، وأنه يؤمّ هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه)^(٣) انتهى.

هذا أكثر ما نقله ابن حجر في مطلبنا هذا وجميع ذلك قد أخرجه كثير من مشاهير الحفاظ من أكابر أهل الحديث من أهل السنّة كما يظهر بأدنى مراجعة لكتيبهم.

قال الشريف السمهودي في (جواهر العقدين) عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة» أخرجه أبو داود^(٤) والنسائي وابن ماجه^(٥) والبيهقي وآخرون^(٦).

وفي لفظ لابن المناوي في (الملاحم) عنها قالت: ذكرت عند^(٧) رسول الله ﷺ؛ فقال: «نعم هو حق وهو من ولد فاطمة».

وله من حديث قتادة قال: (قلت لسعيد بن المسيب: أحقّ المهدي؟ قال: نعم هو حق قلت: ممّن هو؟ قال: من قريش قلت: من أي قريش؟ قال:

(١) الصواعق المحرقة: ١٦٢ - ١٦٥.

(٢) في المصدر: (أبو الحسين الآجري)، بدل: (أبو الحسن الأزدي).

(٣) الصواعق المحرقة: ١٦٧. (٤) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٤.

(٥) سنن ابن ماجه ٢: ١٣٦٨ / ٤٠٨٦، الدر المنثور ٦: ٥٨، (ط إحياء التراث)، عنه.

(٦) كنز العمال ١٤: ٢٦٤ / ٣٨٦٦٢. (٧) في المصدر: عن.

من بني هاشم قلت: من أيّ بني هاشم؟ قال: من ولد عبد المطلب قلت: من أيّ ولد عبد المطلب؟ قال: من أولاد فاطمة؟ قلت: من أي ولد فاطمة؟ قال: حسبك الآن^(١).

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله قال: «لولم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً». رواه أبو داود^(٢).
ولأحمد^(٣) وابن ماجة^(٤) وغيرهما^(٥) عن علي عليه السلام رفعه: «المهدي منا أهل البيت يصلحه الله في ليلة».

وللطبراني عنه أيضاً رفعه: «المهدي منا يختم الدنيا بنا كما فتح بنا»^(٦).
ولنعيم^(٧) بن حماد عن علي قال: «المهدي يولد بالمدينة من أهل بيت النبي صلى الله عليه وآله اسمه اسم نبي ومهاجره بيت المقدس، كثر اللحية أكحل العينين براق الثنايا في وجهه خال، أقتنى أجلى في كتفه علامة النبي صلى الله عليه وآله، يخرج براية النبي صلى الله عليه وآله من مرط - لم تنشر منذ توفي رسول الله صلى الله عليه وآله ولا تنشر حتى يخرج المهدي - ويمدّه الله بثلاثة آلاف من الملائكة يضربون وجوه من خالفه وأدبارهم يبعث وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين»^(٨).
ولأبي داود في سننه عن علي أنه نظر إلى الحسن عليه السلام وقال: «إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي صلى الله عليه وآله وسيخرج من صلبه رجل يتسمّى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق»، قال: ثم ذكر قصة يملأ الأرض عدلاً^(٩).

(١) المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٤: ٥٥٧، المعجم الكبير ٢٣: ٢٦٧.

(٢) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٣. (٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٦ / ٦٤٦.

(٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٧ / ٤٠٨٥.

(٥) البيان في أخبار صاحب الزمان (ضمن كفاية الطالب): ٤٨٧، كنز العمال ١٤: ٢٦٤ /

٣٨٦٦٤. (٦) المعجم الأوسط ١: ١٣٦ / ١٥٧.

(٨) الفتن: ٢٢٦.

(٧) في المصدر: عن نعيم.

(٩) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ / ٤٢٩٠.

وعن عبدالله بن عمرو بن العاص: (عجل حسين بن علي قدره، لو أدركته ما كان يخرج إلا أن يغلبني، بيني هاشم فتح وبينني هاشم ختم، فإذا رأيت الهاشمي ملك فقد ذهب الزمان)^(١). أخرجه ابن أبي خيثمة في تاريخه من حديث سليم بن حيان عن سعيد بن مينا وهو بمعنى قوله ﷺ في حديث علي السابق: «يختم الدنيا بنا كما فتح بنا»^(٢).

وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي منا أجل الجبهة أقتنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً». أخرجه أبو داود^(٣). وفي لفظ له عند أحمد: «لا تقوم الساعة حتى تملأ الأرض ظلماً وعدواناً ثم يخرج من عترتي - أو من أهل بيتي - من يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤). وفي آخر عند الحاكم في صحيحه: «يحل بأمتي في آخر الزمان بلاء شديد من سلطانهم لم يسمع ببلاء أشد منه؛ حتى لا يجد الرجل ملجأً فيبعث الله رجلاً من عترتي من أهل بيتي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يحبه ساكن السماء وساكن الأرض وترسل السماء قطرها وتخرج الأرض نباتها لا تمسك منه شيئاً، يتمنى الأحياء الأموات ما صنع الله بأهل الأرض من خيره»^(٥).

وعن ابن مسعود عن النبي ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم، لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث الله فيه رجلاً مني - أو من أهل بيتي - يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً».

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٠٣، وفيه (عبد الله بن عمر).

(٢) المعجم الأوسط ١: ١٣٦ / ١٥٧. (٣) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣: ١٧.

(٥) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥١٢ / ٨٤٣٨.

أخرجه أبو داود^(١) والترمذي^(٢) وقال: (حديث حسن صحيح قال: وفي الباب عن علي وأبي سعيد وأمّ سلمة وأبي هريرة) ثم روى حديث أبي هريرة به وقال: (حسن صحيح)^(٣) انتهى.

وفي لفظ لابن مسعود عند ابن ماجه من طريق إبراهيم النخعي عن علقمة عنه قال: (بيننا نحن عند رسول الله ﷺ إذا أقبل فتية من بني هاشم، فلما رأهم النبي ﷺ اغرورقت عيناه وتغير لونه)^(٤) الحديث، وقد مرّ في نقل ابن حجر.

وعن ثوبان مرفوعاً: «إذا رأيتم الرايات السود قد أقبلت من خراسان»^(٥) الحديث، وقد مرّ أيضاً.

وعن عائشة عن النبي ﷺ أنه قال: «هو رجل من عترتي يقاتل عن سنتي كما قاتلت أنا على الوحي»^(٦) أخرجه نضير بن حمّاد.

وعن أبي سلمة بن عبد الرحمن بن عوف عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «ليبعثن الله من عترتي رجلاً أفرق الثنايا أجلي الجبهة يملأ الأرض عدلاً» أخرجه أبو نعيم^(٧).

وعن حذيفة بن اليمان قال: قال: رسول الله ﷺ: «المهدي رجل من ولدي وجهه كالقوكب الدرّي اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي، يملأ الأرض عدلاً كما

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٦-١٠٧ / ٤٢٨٢.

(٢) سنن الترمذي ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣٠.

(٣) سنن الترمذي ٤: ٥٠٥ / ذيل الحديث ٢٢٣٠.

(٤) سنن ابن ماجه ٢: ١٣٦٦ / ٤٠٨٢.

(٥) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٥٤٧ / ٨٥٣١.

(٦) الفتن: ٢٢٩. (٧) الكامل (ابن عدي) ٣: ٤٢٣.

ملئت جوراً» الحديث، وقد مر أيضاً. أخرجه الروياني^(١) والطبراني وأبو نعيم^(٢) والديلمي في مسنده^(٣).

وعن حذيفة رفعه: «يلتفت المهدي وقد نزل عيسى بن مريم... فيقول المهدي: تقدم فصل بالناس. فيقول عيسى: إنما أقيمت الصلاة لك فيصلّي خلف رجل من ولدي» الحديث. أخرجه الطبراني.

وفي صحيح ابن حبان^(٤) من حديث عقبة بن عامر في إمامة المهدي نحوه.

وفي مسند الحارث بن أبي أسامة بسند جيد عن جابر مرفوعاً: «ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم^(٥) المهدي: تعال صل بالناس فيقول: «لا إن بعضهم أئمة عليّ بعض مكرمة^(٦) الله هذه الأمة».

وعن عكرمة بن عمار عن إسحاق بن عبد الله بن أبي طلحة عن أنس بن مالك قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «نحن ولد عبد المطلب سادة أهل الجنة: أنا وحمزة وعلي وجعفر والحسن والحسين والمهدي». أخرجه ابن ماجة^(٧).

وعن عليّ قال: «إذا قام قائم آل محمد ﷺ جمع الله له | أهل المشرق وأهل المغرب فيجتمعون كما يجتمع قزح الخريف»^(٨) الحديث. أخرجه ابن عساكر^(٩).

(١) كنز العمال ١٤: ٢٦٤ / ٣٨٦٦٦. (٢) عنه في كشف الخفاء ٢: ٢٨٨.

(٣) فردوس الأخبار ٢: ٣٥٩ / ٦٩٤٠.

(٤) الإحسان بترتيب صحيح ابن حبان ٦: ٢٢٦ / ٦٨٢٨.

(٥) في المخطوط بعدها: تقدم.

(٦) في المصدر تكرمة، وهو الموافق لما نقله سابقاً.

(٧) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨ / ٤٠٨٧.

(٨) القزح: (قطع السحاب، وهي رقيقة الظل تمر تحت السحاب). كتاب العين ١: ١٣٢ -

(٩) تاريخ مدينة دمشق ١: ٢٩٧.

وعن أم سلمة عن النبي ﷺ قال: «يكون اختلاف عند موت خليفة فيخرج رجل بين الركن والمقام ويبعث إليه بعث من الشام فيخسف لهم بالبيداء بين مكة والمدينة، فإذا رأى الناس ذلك أتاه أبدال أهل الشام وعصائب أهل العراق فيبايعونه، ثم ينشأ رجل من قريش أخواله | من | كلب فيبعث إليهم بعثاً فيظهرون عليهم وذلك بعث كلب والخيبة لمن لم يشهد غنيمة كلب، فيقسم المال ويعمل في الناس بسنة نبيهم ﷺ، ويلقي الإسلام بجرانه إلى الأرض» الحديث.

أخرجه أبو داود في سننه^(١) وأبو يعلى^(٢) والبيهقي وله طرق سُمِّي في بعضها الراوي المبهم عن أم سلمة مجاهداً وفي بعضها: عبدالله بن الحارث وقال ابن القيم: (والحديث حسن ومثله يجوز أن يقال فيه: صحيح) انتهى. وعن عبادة^(٣) بن ربيعي عن أبي أيوب الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «نبيتنا خير الأنبياء وهو أبوك، وشهيدنا خير الشهداء وهو عم أبيك حمزة، ومنا من له جناحان يطير بهما في الجنة حيث شاء وهو ابن عم أبيك جعفر بن أبي طالب، ومنا سبطا هذه الأمة: الحسن والحسين وهما ابناك ومنا المهدي»^(٤).

أخرجه الطبراني أيضاً في (الكبير^(٥))^(٦) بأبسط من هذا وفيه: «وصيتنا خير الأوصياء وهو بعلك يا فاطمة» ولعلنا نقل لفظه.

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٧-١٠٨ / ٤٢٨٦.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي ٦: ٩٣ / ٦٩٠٤.

(٣) في المصدر: عباية.

(٤) المعجم الصغير ١: ٣٧، مجمع الزوائد ٩: ١٦٦.

(٥) في المصدر: الأوسط.

(٦) المعجم الكبير ٣: ٥٧ / ٢٦٧٥، وفيه: «ووصيتي خير الأوصياء وأحبهم إلى الله، وهو بعلك».

ثم قال السهمودي: (والأحاديث في أمر المهدي كثيرة شهيرة وأفردها جماعة^(١))، ويتحصل مما [ثبت]^(٢) في الأحاديث إخباره ﷺ به وأنه من ولد فاطمة^(٣) انتهى ما أردنا نقله في هذا المطلب من كلام السهمودي وسيأتي له مزيد في المطلب الثاني والثالث إن شاء الله تعالى.

وفي كتاب الشيرواني: (قال في (جامع الأصول)^(٤)) في الكتاب التاسع في القيامة) قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدهر إلا يومٌ لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملؤها عدلاً كما ملئت جوراً»...

أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»...

أبو سعيد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي مني أجلي الجبهة أقتني الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً» الخبر. وذكر أخباراً آخر في هذا المعنى.

وقال حسين بن مسعود البغوي في (المصابيح): (عن عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجل من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي»).

وعن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من أولاد فاطمة»^(٥).

(١) في المصدر: غير واحد. (٢) من المصدر، وفي المخطوط: بينت.

(٣) جواهر العقدين: ٣٠٣ - ٣١١.

(٤) جامع الأصول ١٠: ٣٣٠ - ٣٣١ / ٧٨٣٤ - ٧٨٣٦.

(٥) مشكاة المصابيح ٣: ١٧٠ / ٥٤٥٢.

وروي عن أبي سعيد الخدري مثل رواية (جامع الأصول) عنه وعن غيره بطرقٍ متعدّدة هذا المعنى.

وقال السيوطي في تفسيره^(١): (أخرج الترمذي^(٢) وصحّحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم؛ لطول الله ذلك اليوم حتى يلي رجل من أهل بيتي يواطي اسمه اسمي».

وأخرج أبو داود^(٣) وابن ماجة^(٤) والطبراني^(٥) والحاكم^(٦) عن أمّ سلمة: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة».

وأخرج أبو داود؛ عن أبي إسحاق قال: قال علي - ونظر إلى ابنه الحسين -^(٧): «إن ابني هذا سيد كما سمّاه النبي ﷺ وسيخرج من صلبه رجلٌ يستمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً»^(٨). وذكر في هذا المعنى أخباراً كثيرةً بألفاظ مختلفة^(٩) انتهى ما أردنا ذكره من كتاب حيدر علي ابن الميرزا محمد بن الحسن الشيرازي، وقد أهملنا شيئاً كثيراً ممّا نقلناه وما لم نقله^(١٠).

من كتاب العمدة للشيخ ابن البطريق قدس الله روحه ونور ضريحه
وقال ابن بطريق في (العمدة): (ومن (الجمع بين الصحاح الستة) لوزين

(١) شرح السنة ٨: ٣٥٥. (٢) الدر المنثور ٦: ٧٩، باختلاف.

(٣) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٤. (٤) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨ / ٤٠٨٦.

(٥) المعجم الكبير ٢٣: ٢٦٧ / ٥٦٧، باختلاف.

(٦) المستدرک علی الصحیحین ٤: ٦٠١ / ٨٦٧٢.

(٧) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ / ٤٢٩٠. (٨) الدر المنثور ٦: ٣٩.

(٩) في جواهر العقدين وتفسير السيوطي وسنن أبي داود: (الحسن).

(١٠) كذا في المخطوط.

العبدري في آخر الجزء الثاني على حدّ أربعة كراريس من آخره وكان الجزء قد قرأه الغزنوي الواعظ نزيل واسط على مصنّفه، وقد قرأه الوزير يحيى بن هبيرة على الغزنوي وهو أخو المصنف، في باب تغيير الزمان وذكر الأشراف من صحيح أبي داود السجستاني وهو كتاب (السنن)^(١) ومن (صحيح الترمذي)^(٢) أيضاً بالإسناد المتقدم، قال: عن زرّ عن عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «لو لم يبق من الدنيا إلا يوم واحد؛ لطول الله ذلك اليوم حتى يبعث - وفي نسخة: ينبعث - رجل».

قال: وفي حديث أبي هريرة: «حتى يلي رجل».

قال: وفي رواية: «حتى يملك العرب رجل مني ومن أهل بيتي يواطى اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٣).

وبإسناده عن علي: «إن رسول الله ﷺ قال: لو لم يبق من الدهر إلا يوم لبعث الله رجلاً من أهل بيتي يملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً»^(٤).

وبإسناده أيضاً عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٥).

وبإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلّ الجبهة أقرنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٦) الخبير. وبإسناده عن أمّ سلمة وذكر حديث غنيمة كلب^(٧).

(١) سنن أبي داود ٤: ١٠٦ - ٤٢٨٢. (٢) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣١.

(٣) الجامع الصحيح ٤: ٥٠٥ / ٢٢٣٠. (٤) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٢.

(٥) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٥. (٦) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ / ٤٢٨٥.

(٧) سنن أبي داود ٤: ١٠٧ - ١٠٨ / ٤٢٨٦.

وبإسناده أيضاً عن أبي إسحاق قال: قال علي - ونظر إلى ابنه الحسين^(١): فقال: «إن ابني هذا سيد كما سماه رسول الله ﷺ وسيخرج من صلبه رجل يستمى باسم نبيكم يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق يملأ الأرض عدلاً»^(٢).

ومن كتاب (غريب الحديث) من الجزء الأول في حديث النبي ﷺ تأليف أبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري في التناقض بإسناده عن يحيى أو غرزة بن رويم: أن رسول الله ﷺ قال: «خيار أمتي أولها وآخرها، وبين ذلك ثبج أعوج ليسوا مني ولست منهم».

قال ابن قتيبة: الثبج: الوسط، والجمع: أثباج ومثله: جوز وأجواز^(٣). ومن كتاب (المصابيح) تصنيف الحسين بن مسعود البغوي في باب أخبار المهدي على حدّ أربعة كراريس من آخره بإسناده عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «المهدي مني أجلى الجبهة أقرنى الأنف يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً»^(٤).

وبإسناده عنه أيضاً قال: ذكر رسول الله ﷺ بلاء يصيب هذه الأمة: «حتى لا يجد الرجل ملجأ يلجأ إليه من الظلم فيبعث الله رجلاً من عترتي يملأ به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، يرضى عنه ساكن السموات والأرض»^(٥) الحديث، وقد مرّ.

وبإسناده عنه أيضاً: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يملك العرب رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما

(١) في المصدر: الحسن . (٢) سنن أبي داود ٤: ١٠٨ / ٤٢٩٠ .

(٣) تأويل مختلف الحديث: ١٠٧ . (٤) شرح السنة ٨: ٣٥٥ / ٤٢٨٠ .

(٥) شرح السنة ٨: ٣٥٤ / ٤٢٨٠، مشكاة المصابيح ٣: ١٧١ / ٥٤٥٧ .

ملئت جوراً وظلماً»^(١).

وبإسناده عن أم سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ: «المهدي من عترتي من ولد فاطمة»^(٢)(٣) انتهى ما أردنا ذكره من (العمدة).

وبالجملة، فدلالة هذه الأخبار على أن القائم المهدي من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام وأنه لا يقوم إلا من بعد أن تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً فيملأها قسطاً وعدلاً لا يحتاج إلى بيان وهي في غاية مراتب الاستفاضة، بل مضمونها متواتر حيث أطبق الحفاظ الثقات في كل عصر [على]^(٤) روايتها وقبولها، وفيما نقلناه كفاية لطالب الإرشاد.

(١) مشكاة المصابيح ٣: ١٧٠ / ٥٤٥٢. (٢) شرح السنة ٨: ٣٥٤ / ٤٢٨٠.

(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٣٢ - ٤٣٦.

(٤) في المخطوط: في.

دليل الاجماع

وأما الإجماع فأهل البيت عليهم السلام مطبقون عليه في كل عصرٍ ومكان وكفى بإجماعهم حجةً مع أنه مضاف إلى أن جميع فرق الإسلام مطبقون على أن المهدي موجود الآن على اختلاف أقوالهم في تعيين شخصه واسمه واسم أبيه إلا فرقة من أهل المذاهب الأربعة^(١) فخلافهم شاذ لا يلتفت إليه؛ لأن إجماع الأمة بطلان برهانه البتة.

(١) ذكر المصنف آخر الكتاب أنهم قسم من الحنابلة.

[البرهان العقلي]

وأما العقلي فيكفيك أيها المرتاد لنفسه قبل حلول رسمه أنك إذا سرّحت فكرك فيما جرت فيه عادة الله في الآفاق والأنفس وفي سير القرون الأولى من زمن آدم إلى يومنا هذا [وجدت] أنه كلما غلب الظلم والجور بعث الله من لدنه برحمته من تبلغ به حجّته وتتضح به محجّته؛ ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حيّ عن بينة وتقوم الحجة على الخلق. وقد بني عالم الخلط على ظلمة ونور وبرد وحرور ليتم الاختيار ويستحكم الاختبار وقد بلا الله أخبار العباد واستنطق صامت الإمكان بالمتنفيات والمتوافيات والمتناقضات والمتضادات كالعافية والبلاء والشدة والرخاء والفقر والغناء والراحة والعناء والحركة والسكون وقد وجد في هذه الأمة ما تفرّق في الأمم الخالية. ومن تدبّر أحوالهم ظهر عليه شواهد صدق ما تضمنته هذه الأخبار المذكورة. ومعيارها ما استفاض عنه ﷺ من حديث: «خير القرون قرني»^(١) إلى آخره وحديث: «يصيب هذه الأمة بلاء»^(٢) إلى آخره. وحديث: «خير أمتي أولها وآخرها»^(٣).

(١) صحيح البخاري ٢: ٩٣٨ / ٢٥٠٨، وفيه: «خيركم قرني».

(٢) شرح السنة ٨: ٣٥٤ / ٤٢٨٠.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ٧٣٨ / ١٦٣٩٢، كنز العمال ١١: ٥٢٧ / ٣٢٤٥٥.

وحديث: «يكون بعدي خلفاء، وبعد الخلفاء أمراء»^(١) إلى آخره، وجملة مضامين هذه الأخبار التي أمليناها وغيرها وهو كثير جداً. وبالجملة، فأول هذا الخلق، على فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولا بد أن تكون النهاية طبق البداية وهذا الخلق فيه خلطٌ من شر وظلم بالضرورة فلا محلّ له إلا الوسط من هذا العالم لخصوص البداية والنهاية، ولا يكون الصفة إلا بعد التصفية التي تستلزم مصقّي ومصقّي منه. ولو لم يكن شيء من هذا لكان في مضامين ما استفاض عمّن لا ينطق عن الهوى كفاية إن في ذلك حقّ مطابق للعقل ولو لم يظهر وجهه.

تنبيه: في أنه يشبه الرسول صلى الله عليه وآله خلقاً لا خلقاً

قوله في جملة من طرف هذا الحديث: «إن المهدي يشبه رسول الله صلى الله عليه وآله في الخلق ولا يشبهه في الخلق» أثبت بعضهم الأول بفتح الخاء المعجمة والثاني بضمّها ووجهه بأنّه يشبهه في خلقه وصورته ولا يشبهه في خلقه؛ حيث إن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث رحمةً للعالمين وخلقه الرحمة والمهدي عليه السلام يبعث بالسيف نعمة على عامة الخلق؛ إذ لا يقبل من أحد إلا الإسلام أو السيف والرسول صلى الله عليه وآله قبل الجزية من أهل الكتابين وتركهم.

وهنا وجه آخر يلوح لي وهو أنّ صواب الأوّل بضم الخاء والثاني بفتحها حيث إنّ خلقهما (القرآن) والعمل به فهو واحد وقد ورد - كما سمعت في بعض هذه الطرق - في وصف المهدي: أنّ «اللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي»^(٢).

(١) المعجم الكبير ٢٢: ٣٧٤ - ٣٧٥ / ٩٣٧.

(٢) صحيح ابن حبان ٦: ٢٢٦ / ٣٨٢٨.

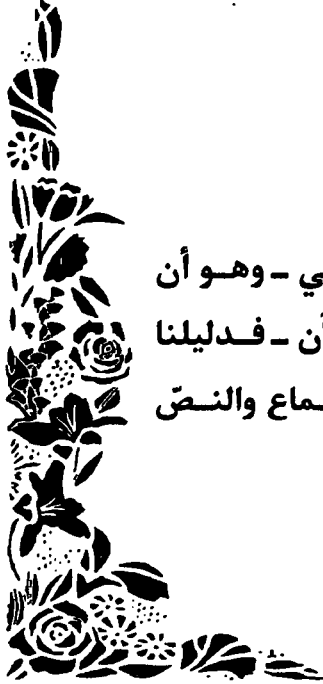
ويمكن ترجيح الأول أيضاً بأن الرسول ﷺ عامل الخلق بالظاهر ومقتضى الرسالة وهو التنزيل والمهدي يعاملهم بالتأويل وباطن الأول؛ فالرسول يحكم بالشاهدين واليمين والمهدي يحكم بعلمه. ويمكن توجيه الفرق بمقام أعلى من ذلك والله العالم.



المطلب الثاني:

في أنّ الحجّة المهدية عليها السلام موجود
الآن وفي كل آن حتى ظهوره عليها السلام

وأما المطلب الثاني - وهو أن
المهدي موجود الآن - فدلينا
عليه أيضاً بالإجماع والنص
والعقل.



دليل الاجماع

وأما الإجماع فأهل البيت عليهم السلام مطبقون عليه في كل عصرٍ ومكان وكفى بإجماعهم حجةً مع أنه مضافٌ إلى أن جميع فرق الإسلام مطبقون على أن المهدي موجود الآن على اختلاف أقوالهم في تعيين شخصه واسمه واسم أبيه إلا فرقة من أهل المذاهب الأربعة^(١) فخلافهم شاذ لا يلتفت إليه؛ لأن إجماع الأمة بطلان برهانه البتة.

(١) ذكر المصنف آخر الكتاب أنهم قسم من الحنابلة.

الدليل النقلى

وأما النص فمثل ما استفاض وبلغ أعلى رتب الاستفاضة بل تواتر مضمونه من حديث: «إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١)... وما دل على هذا المضمون^(٢).

ومن حديث: «أهل بيتي كسفينة نوح؛ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٣).

ومن حديث: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض كما أنّ النجوم أمان لأهل السماء»^(٤).

ومن حديث: «أهل بيتي كباب حطة في إسرائيل»^(٥).

وأمثال هذا ممّا يطول تعداده وسببته عليك بعض طرقه مع وجوه الدلالة إن شاء الله المنان الرحيم؛ فنقول: أخرج الإمام علي السمهودي في (جواهر العقدين) في الذكر الرابع عن زيد بن أرقم قال: (قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا بعدي: كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض وعترتي أهل بيتي، ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٦)).

(١) مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ / ١٤٩٥٨.

(٢) المعجم الكبير ٥: ١٥٤ / ٤٩٢٣، مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ / ١٤٩٥٧.

(٣) المعجم الكبير ٣: ٤٥ / ٢٦٣٦، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.

(٤) ذخائر العقبى: ٧.

(٥) المعجم الكبير ٣: ٤٥ - ٤٦ / ٢٦٣٧، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.

(٦) جواهر العقدين: ٢٣١.

أخرجه الترمذي في جامعه^(١) وحسنه.
وأخرج أحمد في مسنده عن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال:
«إني أوشك أن أدعى فأجيب وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله حبل ممدود من السماء
إلى الأرض وعترتي أهل بيتي وإن اللطيف الخبير أخبرني أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ
الحوض»^(٢) الخبر.

وأخرجه الطبراني في (الأوسط)^(٣) وأبو نعيم^(٤) وغيرهما^(٥)، وسنده لا
بأس به. وأخرجه الحافظ عبد العزيز بن الأخضر في (معالم العترة النبوية)
وفيه: إن النبي ﷺ قال ذلك في حجة الوداع وزاد: «مثلهم كمثل سفينة نوح ﷺ؛
من ركبها نجا، ومثلهم كمثل باب حطة من دخله غفرت له الذنوب»^(٦).

وفي (صحيح مسلم)^(٧) وغيره^(٨) عن زيد بن أرقم قام فينا رسول
الله ﷺ خطيباً بماء يدعى خمّاً بين مكة والمدينة فحمد الله وأثنى عليه
ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد: ألا أيها الناس، فإنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول
ربي فأجيب وإني تارك ثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٩٤ - ٣٩٥ / ١٠٧٥٣.

(٣) لم نعثر عليه في الأوسط، وأورده في المعجم الكبير ٣: ٦٥ - ٦٦ / ٢٦٧٩، وقريب
منه في المعجم الصغير ١: ١٣١. (٤) حلية الأولياء ١: ٣٥٥.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ٢٥٨ / ١٤٩٦٣، كنز العمال ١: ١٨٦ / ٩٤٤.

(٦) عنه في ينابيع المودة ١: ١١٥ - ١١٦.

(٧) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٢ / ٢٤٠٨، و ٢٠٩ / ٢٤٠٩ - ٢٤١٠.

(٨) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٤: ٣٦٧، سنن الدارمي ٢: ٤٣١، فضائل
الصحابة (النسائي): ٢٢، السنن الكبرى (البيهقي) ٢: ١٤٨، و ٧: ٣٠، و ١٠: ١١٤، منتخب
مسند عبد بن حميد: ١١٤ / ٢٦٥، كتاب السنة: ٦٢٩ / ١٥٥٠، السنن الكبرى
(النسائي) ٥: ٨١٧٥ / ٥١، صحيح ابن خزيمة ٤: ٦٢، المعجم الكبير ٥: ١٨٣ / ٥٠٢٨.

واستمسكوا به». فحثّ عليه ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي».

أخرجه مسلم في صحيحه من طرق وأخرجه الحاكم في (المستدرک) من ثلاثة طرق قال في كل منهما: (إنه صحيح على شرط الشيخين).

ولفظ الأول: لما رجع النبي صلى الله عليه وآله من حجّة الوداع ونزل غدیر خم قام فقال: «كأنني قد دعيت فأجبت إنني قد تركت فيكم الثقلين: أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله عزّ وجلّ وعترتي فانظروا كيف تخلفوني فيهما، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١) الخبر.

ولفظ الثاني: نزل رسول الله صلى الله عليه وآله بين مكة والمدينة ثم راح رسول الله صلى الله عليه وآله ... عشية فصلّى ثم قام خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إنني تارك فيكم أمرين لن تضلوا إن اتبعتهما وهما: كتاب الله، وأهل بيتي عترتي»^(٢).

ولفظ الثالث: «إنني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

وأخرجه الطبراني وزاد فيه - بعد قوله: «وانهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» -: «سألت ربي ذلك لهما فلا تتقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»^(٤).

قال الحافظ جمال الدين محمد بن يوسف الزرندي المدني في كتابه

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١١٨ / ٤٥٧٦.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٤: ١١٨ / ٤٥٧٧.

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٦٠ / ٤٧١١.

(٤) المعجم الكبير ٣: ٦٦ / ٢٦٨١.

(نظم درر السمطين): روى زيد بن أرقم قال: أقبل رسول الله صلى الله عليه وآله يوم حجة الوداع، فقال: «إني فرطكم على الحوض وإنكم تبغي وإنكم توشكون أن تردوا علي الحوض فأسألکم عن ثقلی كيف خلفتموني فيهما». فقام رجل من المهاجرين، فقال: ما الثقلان؟ قال: «الأكبر منهما كتاب الله سبب طرفه بيد الله وسبب طرفه بأيديكم فتمسكوا به، والأصغر عترتي فمن استقبل قبلي وأجاب دعوتي فليستوص بهم خيراً فلا تقتلوهم ولا تقهروهم ولا تقصروا عنهم، وإني سألت لهم اللطيف الخبير فأعطاني أن يردا علي الحوض كتين - أو - كهاتين» وأشار بالمسبحتين «ناصرهما لي ناصر وخاذلهما لي خاذل، ووليتهما لي ولي وعدوهما لي عدو».

إلى أن قال الإمام السمهودي: وفي الباب عن زيادة علي عشرين من الصحابة، فعن جابر بن عبد الله قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله يوم عرفة وهو علي ناقته القصواء يخطب فسمعتة يقول: «يا أيها الناس، إني قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي».

أخرجه الترمذي وحسنه^(١)، وابن عقدة في (الموالاتة) إلا إنه قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله في حجة الوداع فلما رجع إلى الجحفة خطب الناس... فقال: «أما بعد: أيها الناس، إني لا أراني إلا موشكاً أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وأنتم مسؤولون فما أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك بلغت ونصحت وأدّيت. قال: «إني لكم فرط وأنتم واردون علي الحوض وإني مخلف فيكم الثقلين»^(٢) الحديث.

وعن حذيفة بن أسيد الغفاري و^(٣) زيد بن أرقم قال: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع نهى أصحابه عن شجرات بالبطحاء متقاربات أن

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٢ / ٣٧٨٦. (٢) كتاب الولاية: ٢١٨.

(٣) في المصدر: أو.

ينزلوا تحتهن ثم بعث إليهن فقَمَّ ما تحتهن من الشوك فصلَّى تحتهن ثم قام فقال: «أيها الناس، إنِّي قد نبأني اللطيف الخبير أنه لم يعمر نبي إلا نصف عمر الذي يليه من قبله وأنِّي لأظنّ أني يوشك أن أدعى فأجيب، وإني مسؤول وأنتم مسؤولون فماذا أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيراً. فقال: «أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وناره حق، وأنّ الموت حق وأنّ البعث حق بعد الموت، وأن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من في القبور؟». قالوا: بلى نشهد بذلك. قال: «اللهم اشهد».

ثمّ قال: «يا أيها الناس، إن الله مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم فمن كنت مولاه فهذا مولاه - يعني: عليّاً - اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

ثم قال: «يا أيها الناس، إنِّي فرطكم، وأنتم واردون على الحوض، حوض أعرض مما بين بصرى إلى صنعاء فيه عدد النجوم قدحان من فضة، وإني سألتكم حين تردون عليّ عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما: الثقل الأكبر كتاب الله عزّ وجلّ سبب طرفه بيد الله وطرفه بأيديكم فاستمسكوا به لا تضلّوا ولا تبدّلوا، وعترتي أهل بيتي، فإنّه قد نبأني اللطيف الخبير أنهما لن ينقضيا حتّى يردا عليّ الحوض»^(١).

أخرجه الطبراني في (الكبير)^(٢) والضياء في (المختارة) من طريق سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل وهما من رجال الصحيح [عنده]^(٣).

وأخرجه أبو نعيم في (الحلية)^(٤) وغيره^(٥) من حديث زيد بن الحسن الأنماطي - وقد حسّنه الترمذي^(٦) - عن معروف بن خربوذ عن أبي

(١) كنز العمال ١: ١٨٨ - ١٨٩ / ٩٥٨. (٢) المعجم الكبير ٣: ١٨٠ - ١٨١ / ٣٠٥٢.

(٣) في المخطوط: عنه. (٤) حلية الأولياء ١: ٣٥٥ / ٥٧.

(٥) المعجم الكبير ٣: ١٨٠ / ٣٠٥٢، مجمع الزوائد ٩: ٢٥٩، ٢٦٠ / ١٤٩٦٦.

(٦) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٨.

الطفيل - وهما من رجال الصحيح - عن حذيفة.

وعن أبي الطفيل: أن علياً قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أنشد الله من شهد يوم غدیر خم إلا قام، ولا يقيم رجل يقول: نبئت أو بلغني إلا رجل سمعت أذناه ووعاه قلبه». فقام سبعة عشر رجلاً منهم خزيمة بن ثابت وسهل بن سعد وعدي بن حاتم وعقبة بن عامر وأبو أيوب الأنصاري وأبو سعيد الخدري وأبو شريح الخزاعي وأبو قدامة الأنصاري وأبو ليلى وأبو الهيثم بن التيهان ورجال من قريش؛ فقال علي: «هاتوا ما سمعتم» فقالوا: نشهد أننا قد أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع حتى إذا كان الظهر خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر بشجرات فسوّين وألقى عليهم ثوباً ثم نادى بالصلاة فخرجنا فصلينا ثم قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، ما أنتم قائلون؟». قالوا: قد بلغت قال: «اللهم اشهد». ثلاث مرات، الحديث.

إلى أن قال: «أيها الناس، إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي أهل بيتي فإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض نبأني بذلك اللطيف الخبير». وذكر الحديث في قوله صلى الله عليه وسلم: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال علي: «صدقتم وأنا على ذلك من الشاهدين»^(١).

أخرجه ابن عقدة من طريق محمد بن كثير عن فطر، وأبي الجارود كليهما عن أبي الطفيل.

وعن زيد بن ثابت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل حبل ممدود ما بين السماء والأرض - أو ما بين السماء إلى الأرض - وعترتي أهل

(١) الصواعق المحرقة: ٤٠ - ٤١.

بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(١).

أخرجه أحمد في مسنده وعبد الرحمن بن حميد بسند جيد ولفظه: «إني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلّوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي»^(٢) الحديث. وأخرجه الطبراني في (الكبير) برجال ثقات ولفظه: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله وأهل بيتي وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٣).

وعن ضمرة الأسلمي قال: لما انصرف رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع أمر بشجرات فقمم بوادي خم وهجر فخطب الناس؛ فقال: «أما بعد أيها الناس، فإني مقبوض أوشك ادعى فأجيب فما أنتم قائلون؟». قالوا: نشهد أنك بلغت ونصحت وأدّيت؛ فقال: «إني تارك فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وإنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض فانظروا كيف تخلفوني فيهما؟»^(٤) أخرجه ابن عقدة في (الموااة).

وعن عامر بن ليل بن ضمرة وحذيفة بن أسيد^(٥) قالوا: لما صدر رسول الله صلى الله عليه وآله من حجة الوداع حتى إذا كان بالجحفة نهى عن سمات متقاربات: «لا تنزلوا تحتهن». حتى إذا نودي للصلاة غدا إليهن فصلّى تحتهن ثم انصرف إلى الناس، وذلك يوم غدير خم - وخم من الجحفة وله بها مسجد معروف - فقال: «أيها الناس، إنني لأظن أن أدعى فأجيب وإني مسؤول وأنتم مسؤولون هل بلغت، فما أنتم قائلون؟». قالوا: نقول: قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله

(١) مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ / ١٤٩٥٧. (٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٨١ - ١٨٢.

(٣) المعجم الكبير ٥: ١٥٣ - ١٥٤ / ٤٩٢١.

(٤) السنن الكبرى (النسائي) ٧: ٣١٠ / ٨٠٩٢.

(٥) المعجم الكبير ٣: ١٨٠ / ٣٠٥٢، كنز العمال ١: ١٨٨ - ١٨٩ / ٩٥٨.

خيراً. قال: «ألستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن جنته حق وأن ناره حق والبعث بعد الموت حق؟». قالوا: بلى نشهد. قال: «اللهم اشهد». ثم قال: «أيها الناس، ألا تسمعون؟ ألا فإن الله مولاي وأنا أولى بكم من أنفسكم، ألا فمن كنت مولاه فهذا مولاه». وأخذ بيد علي فرفعها حتى عرفه القوم أجمعون، ثم قال: «اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». ثم قال: «أيها الناس، أنا فرطكم وأنتم واردون علي الحوض ... ألا وإني سألتكم حين تردون علي عن الثقلين فانظروا كيف تخلفوني فيهما حين تلقوني؟» قالوا: وما الثقلان يا رسول الله؟ قال: «الثقل الأكبر كتاب الله سبب طرفه بيد الله وطرف بأيديكم، فاستمسكوا به لا تضلوا ولا تبدلوا، ألا وعترتي، فإنني قد نبأني اللطيف الخبير أن لا يتفرقا حتى يلقىاني، وسألت الله ربي لهم ذلك فأعطاني، فلا تسبقوهم فتهلكوا ولا تعلموهم فهم أعلم منكم».

أخرجه ابن عقدة في (الموالاة)، وأورده أبو موسى المديني في (الصحابة)^(١) من طريق ابن عقدة^(٢)، والحافظ أبو الفتوح العجلي في كتابه (الموجز في فضائل الخلفاء).

وعن علي عليه السلام: «إن النبي صلى الله عليه وآله قال: قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا؛ كتاب الله ... وأهل بيتي».

أخرجه إسحاق بن راهويه في مسنده^(٣) من طريق كثير بن زيد عن محمد بن عمر بن علي بن أبي طالب عن أبيه عن جدّه علي به وهو سند جيد. وكذا رواه الدولابي في (الذرية الطاهرة). ورواه الجعابي في (الطالبين) من حديث عبدالله بن موسى عن أبيه عن عبدالله بن حسين عن

(١) الظاهر أنه كتاب (تتمّة معرفة الصحابة). انظر هدية العارفين ٦: ١٠٠.

(٢) كتاب الولاية: ٢٣٢. (٣) عنه كنز العمال ١٣: ١٤٠ / ٣٦٤٤١.

أبيه عن جدّه عن علي عليه السلام ولفظه: «إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: إنّي مخلف فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلّوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض». ورواه البزار ولفظه: «إنّي مقبوض وقد تركت فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، وإنكم لن تضلّوا بعدهما»^(١) الحديث.

وعن أبي ذر أنّه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «إنّي تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي فإنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما»^(٢).

أشار إليه الترمذي في جامعه^(٣) وأخرجه ابن عقدة من حديث سعد بن ظريف عن الأصبع بن نباتة عنه.

وعن أبي رافع مولى رسول الله صلى الله عليه وآله قال: لما نزل رسول الله صلى الله عليه وآله غدِير خم مصدره من حجّة الوداع قام خطيباً بالناس بالهاجرة؛ فقال: «أيها الناس، إنّي تركت فيكم الثقلين: الثقل الأكبر والثقل الأصغر، فأما الثقل الأكبر فييد الله طرفه والطرف الآخر بأيديكم وهو كتاب الله إن تمسكتم به لن تضلّوا ولن تذلّوا أبداً، وأما الثقل الأصغر فعترتي أهل بيتي، إن الله هو الخبير أخبرني: أنّهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض وسألته ذلك لهما والله سائلكم كيف خلفتموني في كتابه وأهل بيتي» الحديث. أخرجه ابن عقدة من طريق محمد بن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه^(٤).

(١) عنه في مجمع الزوائد ٩: ٢٥٧ / ١٤٩٥٩.

(٢) كتاب الولاية: ١٩٣، المعارف (ابن قتيبة): ٢٥٢.

(٣) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٢ / ٣٧٨٦، وفيه نص الحديث: «يا أيها الناس إنّي قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلّوا»... (٤) كتاب الولاية: ٢٢٤.

وعن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إني خلفت فيكم اثنين لن تضلوا بعدهما أبداً: كتاب الله ونسبي، ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض» أخرجه البزار في مسنده (١).

وعن أم هاني قالت: رجع رسول الله ﷺ من حجته حتى إذا كان بغدير خم قام خطيباً بالهاجرة؛ فقال: «أما بعد: أيها الناس... قد تركت فيكم مالم تضلوا بعده أبداً: كتاب الله طرف بيد الله وطرف بأيديكم وعترتي أهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي ألا إنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

أخرجه ابن عقدة (٢) من حديث عمرو بن سعيد بن عمرو بن جعدة بن هبيرة عن أبيه أنه سمعها تقول به.

وعن أم سلمة قالت: أخذ رسول الله ﷺ بيد علي بغدير خم؛ فرفعها حتى رأينا بياض إبطه؛ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه» الحديث، وفيه: ثم قال: «يا أيها الناس، إني مخلف فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض».

أخرجه ابن عقدة (٣) من حديث عروة بن خارجه عن فاطمة ابنة علي؛ عنها به. وأخرجه محمد بن جعفر البزاز عنها بلفظ: سمعت رسول الله ﷺ في مرضه الذي قبض فيه يقول وقد امتلأت الحجرة من أصحابه: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي وقد قدمت إليكم القول معذرةً إليكم، إلا إني مخلف فيكم كتاب ربي عز وجل وعترتي أهل بيتي» ثم أخذ بيد علي فرفعها

(١) عنه في مجمع الزوائد ٩: ٢٥٦ / ١٤٠٩٥٨.

(٢) كتاب الولاية: ٢٤٤.

(٣) كتاب الولاية: ٢٤٥.

فقال: «هذا عليّ مع القرآن والقرآن مع عليّ لن يفترقان حتّى يردا عليّ الحوض فأسألهما ما خلفت فيهما».

وروى الحافظ جمال الدين الزرندي في كتابه (درر السمطين) عن إبراهيم بن شيبه^(١) الأنصاري قال: جلست إلى الأصبع بن نباتة فقال: ألا أقرئك ما أملاه عليّ بن أبي طالب سلام الله عليه؟ فأخرج صحيفةً فيها مكتوب: «بسم الله الرحمن الرحيم هذا ما أوصى به محمد صلى الله عليه وآله أهل بيته وأمته، أوصى^(٢) أهل بيته بتقوى الله ولزوم طاعته، وأوصى أمته بلزوم أهل بيته وأهل بيته يأخذون بحجزة نبيهم صلى الله عليه وآله وأن شيعتهم يأخذون بحجزهم يوم القيامة وأنهم لن يدخلوكم باب ضلالة ولن يخرجوكم من باب هدى»^(٣).

وأخرج الملاح حديث: «في كلّ خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف القالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإن أنتمكم وفدكم إلى الله عزّ وجلّ فانظروا من توفدون»^(٤)(٥).

في أنّ جلّ ما نقله السمهودي مذكور في الصواعق المحرقة هذا ما نقله السمهودي في كتابه وهو كتاب صغير الحجم، وقد ذكر جلّ ما ذكرناه العلامة ابن حجر في صواعقه بعدة أسانيد من عدّة كتب من كتب مشاهير أئمة الحديث الحفاظ الذين يعتمد عليهم جميع أهل المذاهب الأربعة.

(١) في المصدر: شبة.

(٢) في المخطوط بعدها: «إلى»، وما أثبتناه وفق المصدر.

(٣) نظم درر السمطين: ٢٤٠. (٤) عنه ينابيع المودة ٢: ٣٦٦ / ٤٤.

(٥) جواهر العقدين: ٢٣٠ - ٢٤٢.

وبالجملة، فنقل هذا المضمون عن أكثر من ثلاثة وعشرين من مشاهير الصحابة وأعيانهم مستفيض في كلِّ عصر بل متواتر المضمون فكلٌّ من صنّف في فضائل أهل البيت أخرج به بعدة طرق من عدة كتب من كتب أئمة الحديث المشاهير فلا نحتاج إلى التطويل بذكرها فإنها غير محصورة.

وممن نقل هذا المضمون ابن بطريق^(١) من (مسند أحمد) بسنده إلى زيد بن أرقم^(٢) وبسنده إلى أبي سعيد الخدري^(٣) وبسنده إلى زيد بن ثابت^(٤) ومن (صحيح مسلم) عن يزيد بن حيان وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم عن زيد بن أرقم^(٥) وغيرهم^(٦).

ومن (تفسير الثعلبي) في تفسير سورة (آل عمران) في قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٧) بإسناده إليه بإسناده إلى أبي سعيد الخدري قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أيها الناس قد تركت فيكم الثقلين خليفتين إن أخذتم بهما لن تضلوا بعدي: كتاب الله وعترتي أهل بيتي ألا وأنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٨).

(١) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٦٨ - ٧٤.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٥٠٠ / ١٨٨٢٦، فضائل الصحابة (النسائي): ١٥.

المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٠٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤٠٨ / ١٠٨٢٧، مسند ابن الجعد: ٣٩٧.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٣٢ / ٢١٠٦٨، المصنف (الكوفي): ٧: ٤١٨ / ٤١.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٢ / ٢٤٠٨.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٥٠٠ / ١٨٨٢٦.

(٧) آل عمران: ١٠٣.

(٨) تفسير الثعلبي ٣: ١٦٣، وليس فيه «الثقلين».

وبسنده إلى ابن المغازلي في مناقبه بسنده إلى أبي سعيد الخدري بعدة طرق^(١)، ومن (الجمع بين الصحاح الستة) لرزين من الجزء الثالث من (صحيح أبي داود) السجستاني وهو كتاب (السنن) ومن (صحيح الترمذي)^(٢) عن زيد بن أرقم ومن كتب^(٣) شتى.

من كتاب حيدر علي الشيرواني، نقلاً عن صحيح مسلم وجامع ابن الأثير والترمذي رحمهم الله:

ونقل حيدر علي الشيرواني في كتابه هذا المضمون من عدّة من الأصول من (صحيح مسلم)^(٤) ومن (جامع الأصول)^(٥) لابن الأثير عن زيد بن أرقم أيضاً، وفي (مسلم) بطريق آخر^(٦)، إلا إن ما في (صحيح مسلم)^(٧): أنه قاله في غدير خم وفي (جامع الأصول)^(٨) عن جابر: أنه يوم عرفة.

ومن (الترمذي) عن زيد بن أرقم بطريقتين و(من الحسان عن جابر^(٩)) وعن زيد بن أرقم^(١٠) ولم يقدح فيهما بغرابة ولا ضعف فهما صحيحان على قاعدته.

وذكرها | البغوي | في مشكاته وقال في الأوّل: (رواه مسلم) وفي

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣٥ - ٢٣٦ / ٢٨٢ - ٢٨٣.

(٢) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٨.

(٣) كتاب السنة ٢: ٦٤٣ / ١٥٥٤، الجمع بين الصحيحين ٣: ٥٥٠ - ٥٥١ / ٤٢٤٧.

(٤) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٢ / ٢٤٠٨. (٥) جامع الأصول ٩: ١٥٨ / ٦٧٠٨.

(٦) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٣ / ذيل الحديث: ٢٤٠٨.

(٧) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٢ / ٢٤٠٨. (٨) جامع الأصول ١: ٢٧٧ / ٦٥.

(٩) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٢ / ٣٧٨٦. (١٠) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٨.

الأخيرين: (رواهما الترمذي)^(١). وروى في (شرح السنن)^(٢) مثل الأخيرة عن أبي سعيد الخدري.

وقال السيوطي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً﴾ - الآية - : أخرج أحمد^(٣) عن زيد بن ثابت قال: قال رسول الله ﷺ: «إني تارك فيكم خليفتين: كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي، وأتھما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض»^(٤).

وأخرج الطبراني عن زيد بن أرقم فذكر قريباً مما تقدّم عنه وفي آخره: «فلا تقدّموهم فتهلكوا ولا تعلموھما فإنھما أعلم منكم»^(٥).

ثم قال: وأخرج ابن سعد^(٦) وأحمد^(٧) والطبراني^(٨) عن أبي سعيد الخدري^(٩) فذكر قريباً مما رواه البغوي عن ابن أرقم في الحسان. وأخرج هذا المضمون ابن الأثير في (جامع الأصول)^(١٠) عن يزيد بن حيان قال: انطلقت أنا وحصين بن سبرة وعمر بن مسلم إلى زيد بن أرقم، وساقا الحديث كما تقدّم، وفيه: إنه قاله في غدیر خم.

وروى هذه الرواية في (شرح السنن)^(١١) بألفاظ مسلم وقال: (هذا الحديث صحيح أخرجه مسلم^(١٢) عن زهير بن حرب عن ابن عليّة عن

(١) مشكاة المصابيح ٣: ٣٦٩ / ٦١٤٠، ٢٧١-٢٧٢ / ٦١٥٢-٦١٥٣.

(٢) شرح السنة ٨: ٨٩ / ٣٩١٣.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٣٢ / ٢١٠٦٨.

(٤) الدر المنثور ٢: ١٠٧. (٥) المعجم الكبير ٣: ٦٦ / ٢٦٨١.

(٦) الطبقات الكبرى ٢: ١٥٠. (٧) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٨٨ / ١٠٧٢.

(٨) المعجم الكبير ٣: ٦٥ / ٢٦٧٨. (٩) الدر المنثور ٢: ١٠٧.

(١٠) جامع الأصول ٩: ١٥٨ / ٦٧٠٨. (١١) شرح السنة ٨: ٨٨ / ٣٩١٢.

(١٢) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٢-١٤٩٣-٢٤٠٨.

أبي حيان. ورواه سعد بن مسروق عن يزيد بن حيان^(١).
 وذكر جملة ممّا أخرجه ابن حجر وقد نقلنا أكثر مضامينها ثم قال:
 (اعلم أنّ لحديث التمسك طرقاً كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابياً
 ومر له طرق مبسوطة وفي بعضها: أنّه قال ذلك بحجّة الوداع بعرفة وفي
 بعضها أنّه قاله بغدير خم وفي بعضها أنّه قاله بالمدينة في مرضه وقد
 امتلأت الحجرة بأصحابه وفي بعضها أنّه قاله بعد انصرافه من الطائف. ولا
 تنافي؛ إذ لا مانع من أنّه عليه السلام كرّر ذلك عليهم في تلك المواطن وغيرها
 اهتماماً بشأن (الكتاب) العزيز والعترة الطاهرة)^(٢) هذا كلّه كلام ابن حجر.
 ثم أخرج بعدة طرق جملةً من عدة كتب منها عن الملائكة في سيرته
 حديث: «في كلّ خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف
 الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ألا وإنّ أئمتكم وفدكم إلى الله فانظروا من
 توفدون»^(٣).

وقال الإمام السهودي في القسم الأول من جواهره: (وقد اشتهر
 حديث: «يحمل هذا العلم من كلّ خلف عدوّ له ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال
 المبطلين وتأويل الجاهلين».

وقد أخرجه ابن عبد البر^(٤) والخطيب البغدادي في (الجامع) مع روايته
 عن عيسى بن صبيح قوله: إنّ صح عن النبي عليه السلام.

(١) شرح السنة ٨: ٨٨ / ذيل الحديث: ٣٩١٢.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٤٩ - ١٥٠.

(٣) ما روته العامّة من مناقب أهل البيت عليهم السلام: ١٦٨ - ١٧٢.

(٤) التمهيد ١: ٥٩ / ثلاثة أحاديث بسندين.

قال الخطيب: (وهذه شهادة من الرسول ﷺ بأنهم أعلام الدين وأئمة المسلمين؛ لحفظهم الشريعة من التحريف والانتحال للباطل وردّ تأويل الجاهل وأنه يجب الرجوع إليهم والمعول في أمر^(١) الدين عليهم)...^(٢) انتهى.

وإطلاق العدالة وما بعدها من الصفات يستلزم العصمة البتّة واستمرارها أبداً.

والذي أخرج هذا المضمون من أكابر العلماء وأئمة أهل السنة وغيرهم كابن الأثير^(٣) ومحمد بن أبي طلحة [الشافعي^(٤)] ^(٥) والزمخشري^(٦) وغيرهم^(٧) ممّا لا يحصى كثير.

وبالجملّة، فقد بلغ هذا المضمون درجة أعلى المتواترات، وطرقه أعلى رتب الاستفاضة بحيث لا يكاد ينكره أحد ممّن دخل تحت دعوة الرسل وهو بصريحه دال على أنّ أهل بيته عليهم السلام لا يفارقون (القرآن) ولا يفارقهم بحال ولا صفة ولا زمان ولا مكان ولا لوجه مطلقاً. فدل هذا بصريحه

(١) في المخطوط عليها علامة أشير إليها في هامشه بكلمة (بلغ)، ولم تذيّل بعلامة تشير إلى كونها سقطاً أو هامشاً، وهي غير موجودة في المصدر.

(٢) جواهر العقدين: ٤٦.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٦٥ - خلف.

(٤) مطالب السؤل ١: ٧٧، ٨٤. (٥) في المخطوط: الشامي.

(٦) الكشاف ١: ٣٦٩ - ٣٧٠.

(٧) السنن الكبرى (البيهقي) ١٠: ٢٠٩، مسند الشاميين ١: ٣٤٤ / ٥٩٩، كنز العمال ١٠:

١٧٦ / ٢٨٩١٨، ٢٨٩١٩، الكامل ١: ١١٨ و ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ٣: ٣١، تاريخ

دمشق ٧: ٣٨، و ٣٩، ٤٣: ٢٣٦، ٥٤: ٢٢٥، ٥٩: ١٠.

على وجوب وجود من هو كذلك من آل بيته حتّى يرث الله الأرض ومن عليها خصوصاً حديث الدولابي الذي أخرجه الإمام ابن حجر^(١) والإمام السمهودي^(٢) وكثير من أئمة الحديث الذي فيه: «إن في كل خلف» إلى آخره. وهذه سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

فكما أنّ (القرآن) خلف محمد صلى الله عليه وآله وهما لا يفترقان أبداً، وذلك بمقتضى حكمة الله تعالى؛ لتكون حجّته البالغة، فلا بد أن يكون في كلّ زمان من أزمنة التكليف من هو كذلك، وإلاّ لزم إضاعة من في الأصلاب والأرحام وإغراؤهم باعتماد كلّ فرد على فهمه وهو قبيح جداً؛ لأنّ به تنتفي فائدة البعثة. فلا معنى لملازمة شخص لـ (القرآن) وملازمة (القرآن) له إلاّ أن (القرآن) وحده غير كافٍ في علوّ الحجّة وكمال الاختيار والاختبار، فلا بدّ من مبين لمعانيه مرشد إلى سبله مأمون من الخطأ لتلازمه مع (القرآن) في كل حال. ومن أمكن عليه الخطأ أو العمد في مجانية أحكام (القرآن) فليس بمتلازم معه على كل حال وقد فرضنا كذلك، هذا خلف، وتعالى الله عن القبيح وهو الحكيم القادر العليم الرؤوف الرحيم.

ولا يُعنى بالمهدي إلاّ من هو كذلك، فإنّ لا بدّ من وجوده في كلّ عصر إلى قيام الساعة، إمّا ظاهراً مشهوراً أو مختفياً مغموراً؛ لأنّ الله تعالى قادر على أن يهدي به الخلق وإنّ لم يعرفوه. فهذا إبليس عدو الله قد أعطي من القدرة على إضلال الخلق وإنّ لم يعرفوه ولم يشاهدوه مالا يخفى على كلّ امرئ في نفسه وغيره.

فإنّ لا بدّ أن يكون بحكمة الله له في كل عصر ما يقابله من الدعاة إلى

(٢) جواهر العقدين: ٢٤١ - ٢٤٢.

(١) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

الله والهداة إلى سبيله ذائداً للخلق عن متابعة الشيطان وخدعه وغروره فإن الله يقذف بالحق على الباطل فيدمغه بمن يشاء من خلقه في كل آن من آتات التكليف ومراتبه. فلو لم يوجد في كل زمان من يقذف بالحق على باطل الشيطان لكان الباطل في اكل آن مقدوفاً على الحق وذلك باطل بالضرورة بل معتقد ذلك أو لازمه كافر بلاشك.

ولعل من أسرار ستر حجة الله في زمان [ما] عن أن يعرفه الخلق تحصيل كمال المطابقة في الوجود وبين العقل وجنوده والجهل وجنوده^(١) فإنه لما اقتضت حكمة الله أن يكون إبليس عدوّه في زمان من أزمنة التكليف ورتبة من رتبه يقوى^(٢) للناس ظاهراً مكشوفاً وفي زمان توريته يضلّهم وهو مغمور مستور فلا بد أن يكون في أولياء الله الدعاة إليه على كل حال كذلك.

فتفتن جداً فإنه معنى لطيف دقيق لم أقف على من تعرّض له والحمد لله رب العالمين؛ فإن الله سبحانه وتعالى كما يحب أن يعبد جهراً ويدعى إليه جهراً كذلك يحب أن يعبد ويدعى إليه سراً وذلك بمقتضى عدله وحكمته ورحمته. فلا بد أن يكون في جنود الجهل أيضاً كذلك لكمال التضادّ بينهما بمقتضى الحكمة ويكمل الاختيار ويقوم العدل.

فقد دلّت هذه المستفيضات على المطلوب من وجوه؛

أحدها؛ إنه عليه السلام أمر بالتمسك بعده بـ(الكتاب) وبأهل بيته جميع أمته إلى يوم القيامة وما أمر أحداً من أهل بيته بالتمسك والاقتران بأحد من أمته

(١) الكافي ١: ٢٠-٢٣ / ١٤. (٢) كذا في الأصل.

وهذا صريح في [أن] (١) من أهل بيته قدوة وهادياً لمن سواه غير مشبّه بمن سواه في كلّ زمان من أزمنة التكليف يجب الاقتداء والتمسك به وأنّ التمسك به مخرج من الضلالة إلى الهدى قطعاً بصريح: «ما إن تمسكتم بهما لن تضلّوا» وأنّه لا يفارق (القرآن) بحال.

فإذا ثبت هذا ثبت أنّ من أمر النبي بالاقتداء به من أهل بيته وأخبر أنّه لا يفارق (القرآن) بحال لا يكون إلّا معصوماً؛ إذ من البين أنّ غير المعصوم محلّ للخطأ والزيغ والضلال والنبي لا يأمر بالاقتداء والتمسك بضال ولا من يمكن ذلك منه بحال في كلّ حال وإلّا لزم أنه أمر بالأخذ بالضلال. فكيف هذا وقد نفى عليه السلام عن المتمسك بأهل بيته الضلال مؤبداً؟ فيجب أن يكون في عصرنا هذا وفي كلّ عصر من يتحقّق به مصاديق هذه المستفيضات وليس إلّا ما نعيه بالمهدي.

الثاني: دلّ قوله عليه السلام في جميع هذه الآثار المستفيضة إن (كتاب الله) حبل ممدود من السماء إلى الأرض أو بين السماء والأرض وأنه طرف بيد الله وطرف بأيدي المكلفين وأنّ فيه النور والهدى ومع ذلك أهل بيته لا يفارقونه ولا يفارقهم على أنّ أهل بيته هم الوساطة بين الحق والخلق طرّاً وأنّ معهم النور والهدى وفيه وبهم ومنهم كما أنّ (القرآن) كذلك وإلّا لفارقوا (القرآن) بحال وقد أخبر عليه السلام أنّهم لا يفارقونه بحال هذا خلف. فلزم من هذا صريحاً بيّناً وجود معصوم من أهل بيته في كلّ زمان من أزمنة التكليف.

(١) في المخطوط: كلمة غير مقروءة.

الثالث: دلّ قوله عليه السلام: «لا تقدّموهما فتهلكوا ولا تأخروا عنهم فتهلكوا ولا تعلّموهم فإنهما أعلم منكم»^(١) على غناء أهل بيته الموصوفين بذلك عن التعلّم من جميع الخلق ولا يكون ذلك إلا بكونهم آخذين جميع علومهم من اللوح المحفوظ و(الكتاب) الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه فهم عالمون بتعليم الله لا بتعليم بشر بحكم الله الحقّ الواقع الأحد^(٢) المطابق لحكمة الله ومشيئته، فلا يكونون إلا معصومين البتة، وإلا لم يكونوا كذلك على كلّ حال، وقد أخبر عليه السلام أنهم كذلك على كلّ حال، هذا خلف.

وأيضاً نهى عن التقدّم عليهم والتأخّر عنهم، وأخبر بأنّ من لم يلزمهم فقد فارق الهدى والنور، ومن فارق هدى الله ولم يستضيئ بنوره فقد هلك البتة. فدلّ هذا أيضاً على عصمتهم بصريح أنّ من تقدّم على ضال حال ضلاله أو مخطئ لحكم الله حال خطئه، أو تأخّر عنه لم يضلّ ولم يهلك، فقد أخبر بذلك ونصّ عليه السلام على عصمتهم، وإلا لم ينة عن التقدّم عليهم والتأخّر عنهم مطلقاً.

الرابع: إخباره عليه السلام بأنّ أهل بيته الأمور بالتمسك بهم أعلم الخلق في كلّ شيء ونهيه عن تعليمهم مطلقاً على كلّ حال دليل على أنّهم معصومون على كلّ حال وأئمة هادون لمن سواهم على كلّ حال ومعلم من دونه على كلّ حال، ومن ادّعى أنّه أعلم منه مطلقاً على كلّ حال مدّعٍ لمقام مولاه وخارج عن طاعته وراذٍ عليه في [كل] حال؛ فهو حينئذ ضالّ مفترٍ مكذّب لله ولرسوله، فهو كافر بلا إشكال.

(١) المعجم الكبير ٣: ٦٦ / ٢٦٨١. (٢) كذا في المخطوط.

الخامس؛ إنّ هذه المضامين المستفيضة المتواترة معني نص في أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد استخلف في أمته عليهم من يسدّ مسدّه بعد موته من كل وجه وكل ما يحتاج إليه الخلق وفي بيان (كتاب الله) كما أراد من غير احتمال خطأ في حكم من أحكام الله، وهم أهل بيته. فكما لا يحتمل في حقّه السهو والخطأ والعمد فيما يخالف (كتاب الله) وحكمة الحق الواقعي لا يحتمل في خليفته [ذلك]؛ بمقتضى ملازمة (الكتاب) على كل حال.

وأن استخلافه عامّ في كل زمان من أزمنة التكليف، وإلاّ للزم تضييع من في الأصلاب والأرحام، وليس بين أحد وبين أمته قرابة إلاّ بالعمل بمقتضى ما يشاء ويحب ولا يكون ذلك إلاّ بوجود معصوم في كل زمان. فالقول بأنّه لم يستخلف ردّ على الله ورسوله الذي لا ينطق عن الهوى، بل قول بإضاعة من في الأصلاب والأرحام وقول بالإغراء بالجهل والفساد لو وكل ذلك إلى أهوية الخلق المتناقضة وشهواتهم المضلّة، فكلّ نفسٍ تشتهي الرئاسة بحسب فطرتها.

السادس؛ إنّها كلّها صريحة في أنه لا بدّ أن يكون مع الإمام الصامت وهو (القرآن) إمام ناطق عالم بجميع معانيه وناسخه ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه مبين منه ما أراد الله من عباده من غير احتمال لمجانبته لحكمه بوجه أصلاً؛ لا عمداً ولا سهواً ولا خطأً، بل قد صرّح في بعضها [وجود] (١) خليفته (٢)، وأنّ (القرآن) غير كافٍ وحده لهداية الخلق لما

(١) سقط في مصوّر المخطوط.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٢٣٢/٢١٠٦٨، المعجم الكبير ٥: ١٥٣/٤٩٢١، مجمع

الزوائد ٩: ٢٥٦/٤٩٥٧.

في لفظه من الاحتمالات والوجوه وعدم المرجح لرجوعي لفهم غيري منه ورجوعه لفهمي إلا أن يكون أحدنا معصوماً أحداً عن الله، فلو كان في أحد الإمامين كفاية وغنى عن الآخر لما كان لكلام الرسول هذا عن الله معنى ولا فائدة أصلاً بل سهو تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

بل لو كان (القرآن) وحده كافياً؛ لرفع الخلاف وبيان الحق بلا شك لما وقع اختلاف في الأمة بوجه مع أنه موجود بالضرورة (والقرآن) موجود كذلك وهذا يلزمه بالضرورة وجود معصوم من عترته في كل زمان ملازم لـ (القرآن) معلّم غير معلّم رئيس غير مرؤوس هادٍ لجميع معاني (الكتاب) بلا ارتياب.

السابع: المعركة العظمى بين فرق المسلمين وهو أنّ هذه الأخبار قليل من كثير من أخبار قوله عليه السلام: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(١) كما لا يخفى على كلّ منتج للحق وصراحة ماتلوناه وما لم نذكره في أنّ علياً هو الخليفة بعد الرسول عليه السلام وأنه معصوم متّصف بكل ما اتّصف به الرسول عليه السلام سوى النبوة، فإنه قال ما سمعت في مواطن متعددة أشهرها يوم غدیر خم بعد نزوله بالخلق الكثير، ومنهم ضعيف وقوي في منزل ليس فيه ماء في يوم شديد الحر بعد أن سألهم عمّا بلغهم من أصول الدين؛ من الإقرار بالشهادتين والعدل والبعث والجنّة والنار فلم يبق إلا الخلافة والإمامة فنصّها بعدها عليها وعيّن الإمام والخليفة بعده بما لا يحتمل غيره، فنصّ عليّ أنّ عليّ عليّ المسلمين وفي نفسه جميع ما ثبت له هو عليه السلام. فكل

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٥ / ٦٤٢، ٥: ٤٩٤ - ٤٩٥ / ١٨٧٩٣، الجامع الصحيح

٥: ٦٣٣ / ٣٠٨٣٠، سنن ابن ماجه ١: ٤٥ / ١٢١.

معنىّ ثبت للمولى بالنسبة لرسول الله صلى الله عليه وآله أثبتته لعليّ على العموم والإطلاق من غير تقييد ولا مغايرة بوجه.

فعليّ - سلام الله عليه - أولى بكلّ أحدٍ من نفسه بعد الرسول كما أنّ الرسول كذلك، فكلّ من كان رسول الله صلى الله عليه وآله أولى به من نفسه فعليّ أولى به من نفسه، وكلّ من كان الرسول ناصره فعليّ ناصره، وكلّ من كان الرسول صديقه وحميمه وقرابته فعليّ صديقه وحميمه وقرابته، وكلّ من كان الرسول سيّده المنعم عليه بالعتق من رقّ العبودية في الدنيا ورقّ الذنوب في الآخرة فعليّ سيّده كذلك، وكلّ من كان الرسول وارثه وراثته علم أو مال فعليّ وارثه، وكلّ من كان الرسول عصبته فعليّ عصبته إلى غير ذلك من معاني المولى اللاتقة بجانب الرسالة. والكلمة مطلقة فيحمل على كلّ ما تقبله.

فدعوى تخصيصها بالناصر أو المحبّ عصبية وعناد محض وتخصيص بلا دليل بل إن أريد تخصيصها ولا بد فحملها - مع خروجها من لسان من لا ينطق عن الهوى - على أكمل معانيها أولى من غيره وهو أنّ كلّ من أنا أولى به من نفسه ووجبت [عليه] طاعتي فعليّ أولى به من نفسه وواجبة طاعته عليه؛ لأنه معنىّ جامع لشتات معانيها. فصرّحت هذه الكلمة بقصده استخلافه وأنه سادّ مسدّه بعد موته في كل ما يحتاج إليه الخلق مطلقاً وأنه متّصف بجميع صفاته العليا إلا النبوة.

وقد أشار الرسول صلى الله عليه وآله إلى هذا المعنى في عدّة مواطن بألفاظ مختلفة وقوالب متعددة وصرّح وكنتى، وخصّص وعمّم، وأجمل وبيّن كلّ ذلك تأكيداً للحجّة عليهم خصوصاً فيما أثبتته لعليّ من أنّه نفسه وأنه منه بمنزلة

الرأس من الجسد إلى غير ذلك مما سَيَتَلَى عليك بعضه إن شاء الله تعالى المنان، فترقّب إني لرحمة ربّي وإيّاك من المترقبين.

وبعض ذلك ينكشف أنه المشار إليه في ذلك الموقف العظيم وغيره بالاستخلاف بعده وملازمة (القرآن) على كلّ حال وببعض ذلك تثبت عصمته أيضاً ويثبت مانحن نعدده من إثبات وجود من هو واسطة إلى الله معصوم من عترته المطهرين في كل زمان ملازم لـ (القرآن)، لا يفارقه على كلّ حال يدور مع الحق ويدور الحق معه بكلّ اعتبار وفي كلّ حال. قال الإمام محمد بن أبي طلحة الشامي الشافعي في كتابه (مطالب السؤل) بعد أن أخرج حديث المؤاخاة عن الترمذي^(١) في صحيحه بسنده عن زيد بن أرقم وفيه: أنه سمع رسول الله ﷺ يقول لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٢)، ثم قال: (وروى الترمذي بسنده أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(٣) هذا اللفظ بمجرّده وزاد عليه غيره ذكر اليوم والموضع؛ فذكر الزمان وهو عند عود رسول الله ﷺ من حجّة الوداع في اليوم الثامن عشر من ذي الحجّة وذكر المكان وهو ما بين مكّة والمدينة بموضع يسمّى: خمّاً في غدير هناك فسمّي ذلك اليوم: يوم غدير خم... وصار ذلك اليوم عيداً وموسماً؛ لكونه كان وقتاً خصّ رسول الله ﷺ فيه علياً بهذه المنزلة العلية وشرفه بها دون الناس.

وعن زاذان قال: سمعت علياً في الرحبة وهو ينشد الناس: «من سمع رسول الله ﷺ

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧٢٠. (٢) مطالب السؤل ١: ٧٩.

(٣) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٣ / ٣٧١٣.

منكم يوم غدير خم وهو يقول ما قال؟». فقام ثلاثة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(١).

فقد اشتملت كلمته على لفظه «من» وهي موضوعة للعموم، فاقضى أن كل إنسان كان رسول الله ﷺ مولاه فعليّ مولاه، ولفظة (المولى) مستعملة بإزاء معاني متعددة قد ورد (القرآن) بها.

ثم أورد الآيات المستعمل فيها لفظه (المولى) ثم قال: (وإذا كانت واردة بهذه المعاني فعليّ أيها حملت؟ أمّا على كونه | أولى ... أو على كونه | ناصرًا أو عصبه أو وارثًا أو صديقًا أو حميمًا،^(٢) | فـ| يكون معنى هذا الحديث: من كنت أولى به أو ناصره أو [وارثه] أو عصبته أو صديقًا أو حميمًا فإنّ علياً منه كذلك. وهذا صريح في تخصيصه ﷺ لعليّ عليه السلام بهذه المنقبة العلية وجعله بنفسه بالنسبة إلى من دخلت عليه كلمة «من» التي للعموم بما لم يجعله لغيره.

وليُعلم أنّ هذا الحديث من أسرار قوله تعالى في آية المباهلة: ﴿قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾^(٣)، والمراد بنفسه: عليّ؛ فإنّ الله تعالى لما قرن بين نفس رسول الله ﷺ وبين نفس عليّ وجعلهما بضمير مضاف إلى النبي أثبت رسول الله ﷺ لنفس عليّ بهذا الحديث ما هو ثابت لنفسه على المؤمنين عموماً فإنه ﷺ أولى بالمؤمنين وناصر المؤمنين وسيّد المؤمنين وكل معنى أمكن إثباته ممّا دلّ عليه لفظ المولى لرسول الله ﷺ فقد جعله لعليّ. وهذه مرتبة سامية ودرجةً عليّة

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٥ / ٦٤٢.

(٢) من المصدر، وفي النسختين: ناصره. (٣) آل عمران: ٦١.

ومكانة رفيعة [خصه] رسول الله ﷺ بها دون غيره؛ فلهذا صار ذلك اليوم يوم عيد وموسم سرور لأوليائه^(١) انتهى ملخصاً.
وقد أطنب في تقرير هذا المعنى بما أجاد ووافق السداد وليته يدين بما قال.

من العمدة لابن البطريق رحمته الله وأرضاه وجعل الجنة مثواه
وقال ابن بطريق في عمدته ما ملخصه - بعد أن أخرج شرطاً صالحاً
من هذا المضمون من الصحاح الستة وغيرها -: (قال يحيى بن
الحسن: فهذه ألفاظ هذه الأخبار الصحاح تنطق بصحة الاستخلاف ومنها
ما ينطق بخليفتين).

وإذا كان النبي ﷺ قد خلف على الأمة ما إن تمسكوا به لن يضلوا، فقد
صار نصاً بالاستخلاف على أهل بيته وكذلك ترويه الشيعة على السواء.
وإذا حصل الإجماع من الخاص والعام صح التمسك به والاستدلال. فهذا
نص صريح يأمر به النبي ﷺ كل من شمله لفظ الإسلام فمن كان من
المسلمين يلزمه الاقتداء بالثقلين: (الكتاب) والعترة ولا يلزم أهل بيته
الاقتداء بأحد؛ لأن الوصية بالتمسك بأهل بيته والأمر بذلك لأُمَّته أمر
بالاقتداء بهم إلى آخر زمن التكليف وانقطاعه؛ لأنه قيد التمسك بهما بالأبد
وجعل مدة اجتماعهما إلى ورود الحوض عليه.

ومطلق الأمر عند جميع الفقهاء وطائفة من المتكلمين يقتضي إيجاب
الفضل على المأمور به وعلى كل مذهب فلا يشك أحد أن المراد به هنا

الوجوب؛ لأنه نص على أن تركه ضلال فيكون قبيحاً مدّة زمن التكليف فالعمل به ووجوب التمسك بهما مدّة الأبد واجب ببيان الرسول صلى الله عليه وآله.
فقد تعيّن بهذا الخبر المجمع على مضمونه: أن الفرقة الناجية من هذه الأمة هي المتمسكة بأهل بيته عليهم السلام (١) انتهى.

والحاصل أنه لا بد من وجود فرقة ناجية من هذه الأمة في كلّ زمان حتى يرث الله الأرض ومن عليها بلا شك بنصّ (الكتاب) المحكم والسنة المجمع عليها وإجماع الأمة وإلا خلت من قائل بالحق بل من موحد وهو ضروري البطلان عقلاً ونقلاً.

وقد حصل اليقين من هذه الأخبار وغيرها أن الفرقة الناجية هي المتمسكة بالثقلين المتلازمين وأن مفارقتهما أو أحدهما بحال ضلال على كل حال ومفارقة أحدهما مفارقة للآخر بلا إشكال وإلا لما كانا ملتزمين. فمن فارق العترة كذب من لا ينطق عن الهوى ووقع في الضلال. فإذا لا بدّ من وجود واحد من عترة النبي صلى الله عليه وآله لا يفارق (القرآن) بحال في كلّ زمان إلى يوم الدين فثبت ما ادّعيناه من وجوب وجود المهدي في هذا الزمان.

نقل الإمام السمهودي لفظ عبارة الصواعق المحرقة

وقال الإمام السمهودي الشافعي - بعد أن نقل ما نقلناه وغيره من الكتب المعتمدة وتكلم بما يطول نقله -: (فالحاصل أن الحث وقع على التمسك بـ(الكتاب) والسنة وبالعلماء وبهما من أهل البيت النبوي ويستفاد

(١) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٧٣ - ٧٤، باختلاف في آخره.

من مجموع ذلك استمرار وجود الثلاثة إلى قيام الساعة^(١) انتهى.
وهو لفظ عبارة ابن حجر في صواعقه^(٢) بحروفها أخذها ولم ينسبها
إليه استحساناً لها وتصديقاً بها وثقةً بقائلها.

وقال السهودي قبل هذا - في هذا الذكر بعد إيراد تلك المضامين - :
(إن ذلك يفهم وجود من يكون أهلاً للتمسك به من أهل البيت والعترة
الطاهرة في كل زمان وجدوا فيه إلى قيام الساعة حتى يتوجه الحث
المذكور إلى التمسك به كما إن (الكتاب) العزيز كذلك؛ ولهذا كانوا أماناً
لأهل الأرض فإذا ذهبوا ذهب أهل الأرض)^(٣) انتهى.

ومعلوم بالضرورة من الدين ونص (الكتاب) المبين أنه لا يخلو زمن
منهم كما قال تعالى: ﴿ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ﴾^(٤).
وبالجملة، فلا يشك في دلالة هذا المضمون على ما قلناه من له أدنى
روية ولا ينكره إلا معاند.

الثامن: أن ممّا لا شك فيه بين الأمة - كما هو ثابت بالنص المتواتر
المتضاعف كتاباً وسنة وبإجماع الأمة الضروري أن (القرآن) العزيز فيه
تبيان كل شيء وأنه مأمون الخطأ فيلزم من هذا إذا ضم إلى هذه
المضامين الصحيحة الصريحة المجمع عليها بين الأمة أن المتلازم معه من
العترة النبوية جامع لكل شيء لا يشدّ عنه حكم من أحكام الله وأنه مأمون
الخطأ والعمد كمالزمه وبهذا تثبت عصمته.

فإذا تثبت عصمة المستخلف من أهل بيته بمقتضى هذا التلازم وغيره

(٢) الصواعق المحرقة: ١٥٠.

(١) جواهر العقدين: ٢٥٧.

(٤) الزخرف: ٢٨.

(٣) جواهر العقدين: ٢٤٤.

ثبت ما ادّعيناه؛ لأنّه لازمه وفرعه كما هو غير خفي على كل ناظر مستبصر.

فإن قلت؛ ورد في بعض الطرق: «إني تركت فيكم^(١)؛ كتاب الله وسنتي»^(٢) بدل: «أهل بيتي» ولم يذكر عترته.

قلت؛ الجواب عن ذلك من ثلاثة وجوه:

أحدها؛ أنه خبر آحاد تفرّد بروايته بعض الأئمّة من السنة فلا يعارض ما قدّمناه ممّا أجمعت عليه الأئمّة ولا يلزمنا العمل به بوجه.

الثاني؛ أنه على فرض تسليم غير منافٍ لما قدّمناه فإنّه لا ريب في أنّ السنة شرح (الكتاب) وبيان تفاصيله فكلّ ما في السنّة في (الكتاب) ولا عكس فكل من تمسّك بالسنّة الثابتة عن الرسول تمسّك بـ(الكتاب) ومن تمسّك بـ(الكتاب) تمسّك بالعترة؛ لتلازمهما كما بيّنه الرسول صلى الله عليه وآله.

الثالث؛ أنّ السنّة الغرّاء قد أمرت وحثّت وخصّصت وعمّت وأكّدت غاية التأكيد على التمسّك بالعترة النبوية فلا بدّ للمتمسّك بها من التمسّك بالعترة على نهج ما قدّمناه وإلّا لم يكن متمسّكاً بها بل قد نطقت مضامين السنة المستفيضة المتواترة معنى كما سمعت قليلاً من كثير منها تصريحاً وتلويحاً ومنطوقاً ومفهوماً خصوصاً بمعونة المقامات وقرائن الأحوال كما في سياق غدِير خم وغيره أن التمسّك بالعترة والإمامة والخلافة أصل من اصول الدين بل هي أصل الإيمان الأعظم كما لا يخفى على ذي لبّ.

(١) في المصدر بعدها: «شيئين لن تضلوا بعدهما».

(٢) المستدرک على الصحيحين ١: ١٧٢ / ٣١٩.

فإن قلت: ورد في بعض الطرق - كما أخرجه البيهقي - : «لا تقدموا قريشاً فتهلكوا ولا تخلفوا عنها فتضلوا ولا تعلموها وتعلموا منها؛ فإنها أعلم منكم»^(١) الحديث. وهذا منافٍ بظاهره لما قدّمت.

قلت: الجواب أيضاً من وجهين:

أحدهما: أنه آحاد شاذ تفرد بروايته الخصم فليس بحجة بوجه أصلاً ولو فرض فهو معارض بما سمعت قليلاً من كثير منه فلا يقاومه فضلاً عن أن يعارضه فالذي دلّ على تخصيص أهل البيت بذلك مجمع على روايته والعمل بها من غير نكير.

الثاني: أنّ هذا عامّ وما خصّ أهل بيت النبوة به خاصّ والقاعدة المسلّمة عند أهل الأصول: أنّ العام يحمل على الخاص خصوصاً هنا فلو فرضنا عدم التنافي بينهما لوجب هنا إرادة هذا الخاصّ من هذا العام؛ إذ من اليقين الذي لا شك فيه بوجه أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لا يثبت ذلك لمطلق قريش وجميعها؛ إذ من اليقين أنّ فيها الجاهل والمجنون والمستضعف والفاسق والمنافق والكافر، ومن المحال البيّن بالضرورة عقلاً وديناً أنّ الرسول صلى الله عليه وآله لا يصف هؤلاء بذلك ولا يأمر باتباعهم فيجب حمله على إرادة أكمل أفراد قريش وهم العترة الطاهرة المطهّرة من كل وصمة بنص (القرآن) ولقد أقام صلى الله عليه وآله الأدلّة الواضحة المتنوعة على أن المخصوصين بالاتّصاف بذلك هم أهل بيته الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً كما سمعت وستسمع قليلاً من كثير منه إن شاء الله تعالى.

(١) كتاب السنّة: ٦٢٢ / ١٥١٧، وفيه: «لا تعلموا قريشاً وتعلموا منها فإنهم...».

تنبيه: في سبب تسمية الكتاب والعترة بالثقلين:

قال السهودي: (سمي الكتاب والعترة: ثقلين؛ لعظمهما وكبر شأنهما كما قاله النووي^(١) وفي (القاموس): (الثقل - محرّكاً - متاع المسافر وكلّ شيء نفيس مصون، ومنه الحديث: «إني تارك فيكم الثقلين»)^(٢).

وقال غيره: (كل خطير نفيس ثقل ومنه: الثقلان: الإنس والجان؛ لأنّهما فضلاً بالتمييز والعقل على سائر الحيوان وهما قُطان الأرض وسكّانها)^(٣). والحاصل أنّه لما كان كلّ من (القرآن) العظيم والعترة الطاهرة معدناً للعلوم الدينيّة والأسرار والحكم النفيسة وكنوز دقائقها واستخراج حقائقها أطلق عليهما عليهما السلام: «الثقلين»؛ ويرشد لذلك حتّه على الاقتداء والتمسك بأهل بيته والتعلّم منهم وقوله في حديث أحمد: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت»^(٤)، ولما سيأتي في بيان معنى كونهم أماناً للأمة.

وقيل: (سمّاهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما والعمل بما يتلقّى عنهما والمحافظة على رعايتهما والقيام بواجب حرمتها ثقيل، ومنه قوله تعالى: ﴿سَأَلْتِي عَيْنِكَ قَوْلًا ثَقِيلًا﴾^(٥) لأن أوامر الله وفرائضه ونواهيه لا تؤدّى إلا بتكلف ما يتثقل.

وقيل: ثقيل: له وزن وقدر خطير، وهذا راجع إلى الأول)^(٦) (...)^(٧)

(١) صحيح مسلم بشرح النووي ١٥: ١٨٠.

(٢) القاموس المحيط ٣: ٥٠٢ - الثقل.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١: ٢١٦ - ٢١٧ - ثقل، لسان العرب ٢: ١١٤ - ثقل.

(٤) عنه في: ذخائر العقبين: ٢٠، الصواعق المحرقة: ١٥١.

(٥) المزمّل: ٥.

(٦) مرقة المفاتيح ١٠: ٥١٦ - ٥١٧، شرح السنة ٨: ٨٩.

(٧) جواهر العقدين: ٢٤٢ - ٢٤٣.

وأقول: الظاهر أنها ثلاثة أوجه ولعلّ المراد بالأخير من باب رجحان حسناتهم فإنّ ثقل الميزان في القيامة بكثرة الحسنات وخصوصها فمعناه: أنّهما حسنةٌ وخيرٌ ووجود بحت ففارق الأوّل بوجه.

وعلى كلّ حال فكل معنى منها محقق فيهما ولكن المتعيّن الثاني. وعليه فمعنى كون العترة الأصغر: أنّ الأخذ منهم وتناول حقائق المعارف والأحكام الدينية والأخلاق المرضية أخفّ وأسهل على الطالب من أخذها من (الكتاب)؛ لاحتتماله الوجوه العديدة دون الإمام الناطق؛ فإنّ الأخذ منه أسهل وكلامه أبين فإنّه مبين (الكتاب) ومترجمه وموضح مشكلاته والذي يقدر على استخراج جميع أحكام الله منه فكان التكليف بالأخذ عنه أخف من التكليف بالأخذ من (القرآن) فكان ثقل (الكتاب) أشد وأعظم.

وعلى تقدير كونه بمعنى: شيء نفيسٍ مصونٍ، أو كنزٍ، فمعنى الأكبر والأصغر فيهما: أنّ حكم (القرآن) وما احتوى عليه من علوم الأصول والفروع والآخرة والأولى أشدّ خفاءً وغموضاً، فلا يعلمها حقيقةً إلا الله والراسخون في العلم، وهم المتعلّمون من الله ورسله وما في نفس الإمام الناطق من ذلك أظهر وأبين؛ فإنّه مكلف بإيصال ذلك إلى مستحقيه وهدايته الخلق إلى الله كلّاً بقدر^(١) وسعه وبما يناسبه. فكان صون الحكم والأسرار واكتنازها في (القرآن) أشدّ، فكان بذلك الاعتبار أكبر. وقس على هذا باقي الوجوه والمعاني المناسبة.

(١) (كلا بقدر)، من هامش المخطوط، وفي المخطوط: (بكل قدر).

على هذا باقي الوجوه والمعاني المناسبة.
 وأيضاً فإنّ طاعة الإمام الناطق أسهل على جميع النفوس من طاعة
 (القرآن) وهو الإمام الصامت ولولا ذلك لما خاطب الله بـ(القرآن) عباده
 على لسان رسل منهم؛ لعدم الفائدة حينئذ في إرسال الرسل، فإنّ الله قادر
 على خطاب الخلق بـ(القرآن) بدون واسطة الرسول، ولكنهم لا يطيقون
 ولا يكمل اختبارهم في الأوامر والنواهي ولا يتم اختبارهم بالتكاليف، ما
 ذاك إلاّ لعسر دركهم ذلك إلاّ على ألسن الرسل الذين هم من جنسهم بشر
 مثلهم يخاطبون كل أحد بقدر وسعه وعقله. فظهر معنى كون (القرآن)
 الثقل الأكبر بكل معنى، أي أنّ ثقله أكبر وأشدّ.

فائدة: في معنى تلازم الثقليين من ورود الحوض

لعلّ الوجه في تعيين تلازم الثقليين بورود الحوض أنّهما قبل ذلك بحكم
 النشأة الأولى ودار التكليف شيئان متلازمان متباينان ظاهراً وبعد ورود
 الحوض تظهر صفة وحدتهما؛ فيكون حينئذ (الكتاب) صفة لموصوف
 والعترة ذاتاً صفتها (الكتاب).

ووجه آخر، هو أنّ ورود الحوض غاية إمكان المزايلة بالإمكان العام،
 فإذا ثبت التلازم إلى تلك الغاية ثبت أبداً. وبهما يظهر وجه تغيي لعنة
 إبليس بيوم الدين وما أشبه ذلك.

ومما ينادي بلسان عربي مبين بثبوت ما ادّعيناه من ذلك المطلب
 الشريف ما شاع وذاع نقله بين الأمة ممّا رواه من لا يحصى من الأئمة من
 قول الرسول صلى الله عليه وآله: «أهل بيتي أمان لأمتي»^(١) وإنّهم «كسفينة نوح»^(٢).

(١) مسند الردياني ٢: ١٦٧ / ١١٥٢. (٢) الصواعق المحرقة: ١٨٦.

قال الإمام السمهودي في جواهره في إثبات هذا المضمون: عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي»^(١). أخرجه مسدّد^(٢) وابن أبي شيبه وأبو يعلى^(٣) في مسانيدهم، والطبراني^(٤)... وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون»^(٥) أخرجه ابن المظفر.

وعن علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «قال رسول الله ﷺ: النجوم أمان لأهل السماء فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وأهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض». أخرجه أحمد في (المناقب)^(٦).

وعن قتادة عن عطاء عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق وأهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف فإذا خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس». أخرجه الحاكم وقال: (صحيح الإسناد)^(٧).

وعن أبي إسحاق السبيعي عن حنش بن المعتمر الصنعاني عن أبي ذر: سمعت رسول الله ﷺ | يقول |: «مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق، ومثل حطة لبني إسرائيل». أخرجه الحاكم من

(١) جواهر العقدين: ٢٥٩.

(٢) عنه في المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية ٤: ٧٤ / ٤٠٠٢.

(٣) مسند أبي يعلى ٦: ٢٢٠ / ٧٢٣٩. (٤) المعجم الكبير ٧: ٢٢ / ٦٢٦٠.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٥٤٣ / ١٩٠٧٢.

(٦) عنه خلاصة عبقات الأنوار ٤: ٩٦.

(٧) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٦٢ / ٤٧١٥.

وجهين عن أبي إسحاق^(١).

هذا لفظ أحدهما، ولفظ الآخر: «ألا إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح في قومه، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق»^(٢). وهكذا رواه أبو يعلى في مسنده^(٣)، وأخرجه الطبراني في الصغير^(٤) والأوسط^(٥) من طريق الأعمش عن أبي إسحاق، ورواه في الأوسط أيضاً من طريق الحسن بن عمرو الفقيمي^(٦) وأبو نعيم عن أبي إسحاق ومن طريق سماك بن حرب عن حنش، وأخرجه أبو يعلى أيضاً من حديث أبي الطفيل عن أبي ذر، ولفظه: «إن مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركب فيها نجا ومن تخلف عنها غرق، وإن مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطّة». وأخرجه البزار من طريق سعيد بن المسيب^(٧) عن أبي ذر نحوه، وكذا أخرجه ابن المغازلي^(٨).

وعن أبي الصهباء عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق». أخرجه الطبراني^(٩) وأبو نعيم في (الحلية)^(١٠) والبزار^(١١) وغيرهم^(١٢).

(١) المستدرک علی الصحیحین ٢: ٣٧٣ / ٣٣١٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٦٣ / ٤٧١٩.

(٣) عنه خلاصة عبقات الأنوار ٤: ٩٦. (٤) المعجم الصغير ١: ١٣٩ / ١٤٠.

(٥) المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٤: ٩، بلفظ «مثل.. قوم».

(٦) المعجم الأوسط ٦: ١٨٦ / ٥٣٨٦.

(٧) عنه في مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥ / ١٤٩٧٨.

(٨) مناقب علي بن أبي طالب ١٣٤ / ١٧٧.

(٩) المعجم الكبير ٣: ٤٦ / ٢٦٣٨. (١٠) حلية الأولياء ٤: ٣٠٦.

(١١) عنه في مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥ / ١٤٩٧٩.

(١٢) ذخائر العقبى: ٢٠، مسند الشهاب ٢: ٢٧٣ / ١٣٤٢، الإنباه على قبائل الرواة: ٤١.

وأخرجه ابن المغازلي في (المناقب) من طريق بشر بن المفضل قال: سمعت الرشيد يقول: سمعت المهدي يقول: سمعت المنصور يقول: حدثني أبي عن أبيه عن ابن عباس بلفظه إلا إنه قال: «ومن تأخر عنها هلك»^(١). وأخرجه أيضاً من طريق إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه قال: «قال رسول الله ﷺ: مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا»^(٢).

وعن عبدالله بن الزبير عن النبي ﷺ قال: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح؛ من ركبها سلم ومن تركها غرق» رواه البزار^(٣).

وعن أبي سعيد الخدري: سمعت النبي ﷺ يقول: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح؛ من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق وإنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له» رواه الطبراني في (الصغير)^(٤) و(الأوسط)^(٥).

وأخرج الحافظ عبد العزيز بن الأخضر حديث الثقلين وزاد: «مثله - يعني: كتاب الله - كمثل سفينة نوح ﷺ؛ من ركبها نجا، ومثلهم - يعني: أهل البيت - كمثل باب حطة من دخله غفر له الذنوب».

وهذه الطرق يقوي بعضها بعضاً^(٦) إلى هنا كلام السهمودي. وفي كتاب الشيرواني: (وفي مشكاة المصابيح)^(٧) للبغوي عن أبي ذر أنه قال وهو آخذ بباب الكعبة: سمعت النبي ﷺ يقول: «ألا إن مثل أهل بيتي

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٣٢ - ١٣٣ / ١٧٤.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ١٣٢ - ١٣٣ / ١٧٤.

(٣) عنه في مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥ / ١٤٩٨٠.

(٤) المعجم الصغير ٢: ٢٢. (٥) المعجم الأوسط ٦: ٤٠٦ / ٥٨٦٦.

(٦) جواهر العقدين: ٢٥٩ - ٢٦١. (٧) مشكاة المصابيح ٣: ٣٧٨ / ٦١٨٣.

فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك». رواه أحمد انتهى.
وفي (النهاية) لابن الأثير بهذا اللفظ: «مثل أهل بيتي مثل سفينة نوح، من تخلف عنها زخ في النار»^(١)، أي دفع ورُمي^(٢) (٣) انتهى كلام الشيرازي.
وقال ابن حجر في صواعقه: (الآية السادسة: قوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَىٰ مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾^(٤) أخرج أبو الحسن بن المغازلي عن الباقر عليه السلام أنه قال في هذه الآية: «نحن الناس والله».

الآية السابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ﴾^(٥) أشار عليه السلام إلى وجود ذلك المعنى في أهل بيته وأنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو عليه السلام أماناً لهم. وفي ذلك أحاديث كثيرة يأتي بعضها، ومنها: «النجوم أمان لأهل السماء وأهل بيتي أمان لأمتي» أخرج جماعته.

وفي رواية: «أهل بيتي أمان لأهل الأرض فإذا هلك أهل بيتي جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون».

وفي أخرى لأحمد: «فإذا ذهب النجوم ذهب أهل السماء وإذا ذهب أهل بيتي ذهب أهل الأرض»^(٦).

وفي رواية صححها الحاكم^(٧) على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل

(١) النهاية في غريب الحديث والأثر ٢: ٢٩٨ - زخ.

(٢) زخه: دفعه من قفاه في وهدة - مختار الصحاح: ٢٧٠ - زخ.

(٣) ما روته العامة من مناقب أهل البيت: ١٧٥ - ١٧٨.

(٤) النساء: ٥٤. (٥) الأنفال: ٣٣.

(٦) الظاهر إنه في الفضائل.

(٧) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٦٢ / ٤٧١٥، وفيه: «أمان لأمتي»، بدل: «أمان لأهل الأرض».

الأرض من الغرق وأهل بيتي أماناً لأهل الأرض من الاختلاف فإذا خالفتها قبيلةً من العرب
اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

وجاء من طرقٍ عديدةٍ يقوِّي بعضها بعضاً: «إن مثل أهل بيتي فيكم كمثل
سفينة نوح؛ من ركبها نجا».

وفي رواية مسلم: «ومن تخلف عنها غرق» وفي رواية: «هلك»، «وإنما مثل
أهل بيتي فيكم كمثل باب حطة في بني إسرائيل من دخله غفر له»، وفي رواية:
«غفرت له الذنوب».

إلى أن قال: (قال بعضهم: يحتمل أن المراد بأهل البيت الذين هم أمان
علمائهم؛ لأنهم الذين يهتدى بهم كالنجوم والذين إذا فقدوا جاء أهل
الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون).

إلى أن قال: (ويحتمل^(١)) - وهو الأظهر عندي - أن المراد بهم: سائر
أهل البيت فإن الله لما خلق الدنيا بأسرها من أجل النبي صلى الله عليه وآله جعل دوامها
بدوامه ودوام أهل بيته؛ لأنهم يساوونه في أشياء مرّ بعضها ولأنه قال في
حقهم: «اللهم إنهم مني وأنا منهم» ولأنهم بضعة منه بواسطة أن فاطمة أمهم
بضعة منه فأقيموا مقامه في الأمان)^(٢) انتهى كلام ابن حجر.

أقول: لا يخفى على أحد أن المراد من أهل بيته في هذه الأحاديث: هم
الذين استخلفهم ونصّ على تلازمهم مع (القرآن) وهم الذين يسدّون مسدّه
من بعده في كل شيء سوى الرسالة؛ فإنها كملت وهم حملتها بعده، وإلا
فهيئات أن يحفظ الأرض والشريعة الغراء بفاسق فضلاً عن كافر أو

(١) الكلام للبعض الذي ينقل عنه ابن حجر.

(٢) الصواعق المحرقة: ١٥٢ - ١٥٣.

منافق، بل بغير المعصوم الذي يأخذ علمه عن الله ورسوله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

وأخرج ابن بطريق في عمدته هذا المضمون بسنده إلى ابن المغازلي بخمسة طرق منها: عن ابن عبّاس ^(١) وعن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه ^(٢)، وعن ابن المعتمر عن أبي ذر ^(٣) وعن سعيد بن جبير عن ابن عبّاس ^(٤) أيضاً وعن سعيد بن المسيب عن أبي ذر ^(٥) أيضاً.

وبالجملة، فهذا المضمون قد اشتهرت روايته عن النبي صلى الله عليه وآله بين الأمة وبلغ نهاية الاستفاضة واتفق عليه فرق الأمة من الشيعة والسنة وغيرهم، كالمضمون الأول فلا ريب في تواتره وحجّيته وتلقّي الأمة له بالقبول وعملها به كالأول.

دلالة حديث السفينة

ولا يخفى على من له أدنى مسكة من فهم وضوح دلالته على المدعى من وجوه:

أحدها: أنه صلى الله عليه وآله حصر سبيل النجاة الذي هو سبيل الخلق طراً إلى الله عن الله في التمسك بأهل بيته ولزوم طاعتهم والأخذ بهداهم والكون معهم حيث كانوا وسبيل الهلكات في مجانبتهم ومخالفتهم والخروج عن

(١) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٥٨ - ٣٥٩ / ٦٩٣.

(٢) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٥٩ / ٦٩٤.

(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٥٩ / ٦٩٥.

(٤) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٦٠ / ٦٩٦.

(٥) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٦٠ / ٦٩٧.

طاعتهم، وأن ذلك الأمر لجميع من شمله وصدق عليه لفظ «مَنْ» المفيدة للعموم إجماعاً فهو أمرٌ شامل لجميع الأمة إلى يوم الدين.

فلا بد أن يوجد في كل زمان من أزمنة التكليف من أهل بيته من يكون كذلك حتى يحصل لسالك سبيله اللازم لطاعته الكائن معه في جميع حالاته يقين السلامة من غضب الله ويقين الأخذ بأوامر الله ومجانبة نواهيه، ولا يحصل ذلك إلا بعد يقين عصمة المتبوع - عمداً وخطأً - من مخالفة حكم الله ومشيتته. فوجه شبههم حينئذٍ بسفينه نوح واضح.

وعنى عليه السلام بأهل بيته هنا من أخبر بأنهم لا يفارقون (القرآن) والحق، ولا يفارقانهم، وهم الذين استخلفهم على الأمة.

الثاني: حكمه عليه السلام وإخباره عن الله بأنهم أمانٌ لأُمَّته إلى يوم ينفخ في الصور من عذاب الاستئصال؛ فقد ساواهم بنفسه المقدسة في أنه أمان لأُمَّته كما قال الله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ ﴾^(١)، وليس أحدٌ من الأمة أولى بذلك من أحدٍ ولا أهل زمان أخصّ به من زمان.

فإذن - بمقتضى حكمة الله ورأفته - لا بد أن يوجد في كل زمان من أهل بيت محمد عليه السلام من يحفظ الله به خلقه من عذاب الاستئصال والآيات الموعود بها.

ومن اليقين أنّ ذلك الشخص لا يكون إلا خليفةً لله قد اختاره الله لذلك واصطفاه، فهو يدور على مشيئة الله وحكمته، فهو معصوم البتة، وإلا فلا رجحان لأحدٍ من غير المعصومين على أحدٍ ولا أولوية إلا بذلك، ولا يجري اختيار الله وحكمته على الاتفاق والإهمال قطعاً.

الثالث: حكمه عليه السلام وإخباره عن الله بأنّ أهل بيته كباب حطّة في أنّ من دخله غفرت له ذنوبه، ولا معنى لذلك إلاّ أنه لا يتحقّق الإيمان إلاّ باتّباع أوامرهم على كل حال واجتناب نواهيهم كذلك وملازمة هديهم والكون معهم؛ فإنّه جعله سبب مغفرة الذنوب ولا يغفر إلاّ لمؤمن بالضرورة. فالإيمان معهم ومنهم وهم الأدلّاء عليه دون غيرهم، فمن جانبهم أو تقدمهم أو تخلف عنهم لا إيمان له بالنص المجمع عليه، وهذا يستلزم عصمتهم؛ إذ لا يحصل يقين ذلك إلاّ في المعصوم بالضرورة. وعموم لفظ «من» وتساوي حاجة الخلق إلى هداية الله يستلزم ألاّ يخلو زمن من أزمنة التكليف عن واحد من أهل البيت النبوي يتحقّق الإيمان قطعاً بمتابعتهم والكون معه، ويتحقّق الكفر قطعاً بمجانبتهم.

الرابع: تشبيهه عليه السلام لأهل بيته بالنجوم، فهم لأهل الأرض كالنجوم لأهل السماء، فكما أنّ النجوم في السماوات بمنزلة القلوب للبشر فهي للسماوات أبواب خزائن الغيب كالقلب للإنسان فإنّ الإمدادات الغيبية لا تصل واردة منها من الحي القيوم إلى الأجرام السماوية إلاّ بجهة غيب الكواكب، ولا إلى الأجسام البشرية إلاّ بجهة القلوب. قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿ عَلَى قَلْبِكَ ﴿ (١) الآية. فكلّ منهما ذو جهتين: غيبية يتلقّى بها الفيض من الجواد الفيّاض وحسّية هي مظهر لتلك الفيض بها على جسمه ويمدّه حتى روح الحياة.

فكم من واردٍ على القلوب كأنه لقاء المحبوب لا يدري صاحبه من أين جاءه حتى تنزل لذّته إلى الجسم. فأهل بيته عليهم السلام جعلهم الله لأُمَّته بتلك

المثابة، فجميع واردات الغيب هم أبوابها وهم المستمدون من الله لا بواسطة بشر غير نبيهم الممدون لمن سواهم، فهم نواب الله وأبوابه وشهداؤهم على خلقه.

فظهر وجه الشبه واتضح لزوم عصمتهم من هذا التشبيه؛ فإنهم أركان الأرض وأمان الله لخلقه وميثاقه الذي واثقهم به حتى إذا نقض الخلق عهد الله فيهم فزايلوهم جاء أهل الأرض من الآيات ما كانوا يوعدون. وهل يكون أمان لأهل الأرض من الله بمن يحتمل منه مجانية أمر الله أو نهيهِ فضلاً عن الفساق فضلاً عن المنافقين والكافرين؟

وبوجه آخر كما أن النجوم يُهتدى بها في ظلمات البر والبحر فهي تهدي البشر ولا تهتدي بهم بل هي غنيّة عنهم وهم مفتقرون إليها كذلك أهل بيته يهدون من سواهم بعد نبيهم وهم أغنياء عن سواهم وهم مهتدون بهم مفتقرون إليهم بعده، فكما كان لأئمة كانوا لهم بعده، فإن حاجة الخلق إلى الإمامة كحاجتهم إلى النبوة، فإنهم مضطرون إلى رانس كذلك واسطة بين الخلق والحق يجمع كلمتهم ويكمل ناقصهم.

وأيضاً كما أن النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق؛ لأنهم يهتدون بها في غمرات البحار إلى النجاة أو لأنها من أسباب دفع مثل الطوفان لوجه خفي كذا أهل بيته أمان لهم عن غرق طوفان الاختلاف إذا رجعوا إليهم ولزموهم فلا يغرقون في ماء الخطايا فيدخلون النار. وحاجة الخلق إلى ذلك متساوية في كل زمان، مستمرة إلى نفتح الصور؛ فلا بد أن يوجد في كل زمان من أهل البيت النبوي من هو كذلك إلى يوم يوعدون بالضرورة. الخامس: حكمه عليه السلام عن الله بأن أهل بيته أمان لأئمة عن الاختلاف فإذا

خالفتهم قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا من حزب إبليس، فإن صريح ذلك ومقتضاه أن قولهم هو الحق المنزل من الله بلا شك وأن خلافه هو الباطل بلا ريب. ومن يكن قوله هو الحق قطعاً لا يكن إلا معصوماً بالضرورة، قوله قول الله ورسوله جزماً، وإلا فالقطع بأن قول غير المعصوم مقطوع بأنه الحق حماقة.

ودلّ عليه السلام بهذا على أن أهل بيته هم وسائط الله إلى خلقه بعده وأن النجاة معهم وأن الهلكة في مخالفتهم. فقسّم الأمر إلى اثنين: إما حزب أهل بيته وهم حزب الله، أو حزب إبليس. ووجه الاختلاف في حزب إبليس عدم أولوية أحد منهم بالرجوع إلى الآخر منهم دون العكس فكلّ منهم راجع إلى الهوى ومقتضيات النفس الأمّارة بالسوء.

فهذا الذي دل عليه عليه السلام من حاجة المكلفين إلى من قوله الحق قطعاً لتجتمع كلمتهم على الحق فيصونهم ذلك عن سخط الله والكون من حزب إبليس شامل لجميع المكلفين فلا بدّ في كل زمان من أزمنة التكليف من وجود شخص من أهل بيته قوله قول الله ورسوله قطعاً ميزان عدل لا يحيف عن الحق لسانه ونور هدى لا يخفى على الطالبين برهانه.

نقل كلام للسهمودي رضوان الله عليه

قال السهمودي: (قوله عليه السلام: «مثل أهل بيتي فيكم» - الحديث - وجهه أن النجاة ثبتت لأهل السفينة وقد سبق حثه عليه السلام على التمسك بالثقلين فإنهما لن يفترقا فاثبت لهم بذلك النجاة وجعلهم وصلةً إليها فتمّ التمسك^(١) المذكور. ومحضه الحثّ على التعلّق بحبلهم وحبّهم وإعظامهم شكراً

(١) في المصدر: التمثيل.

لنعمة مشرفهم عليه السلام والأخذ بهدي علمائهم ومحاسن أخلاقهم وشيمهم؛ فمن أخذ بذلك نجا من ظلمات المخالفة وأدّى شكر النعمة الوافرة، ومن تخلف عنه غرق في بحار الكفران وتيار الطغيان فاستوجب النيران؛ لما ثبت أنّ بغضهم يوجب دخول النار.

يرشد لذلك حديث أبي سعيد: «إن الله عزّ وجلّ ثلاث حرّات، فمن حفظهنّ حفظ الله تعالى دينه ودنياه ومن لم يحفظهنّ لم يحفظ الله له دنياه ولا آخرته». قلت: وما هن؟ قال: «حرمة الإسلام وحرمتي وحرمة رحمي».

قلت: فمن حفظ الحرّات الثلاث فقد ركب سفينة النجاة، ومن لم يحفظهن فقد تخلف عن سفينة النجاة.

وسبق قول جعفر الصادق عليه السلام: «نحن حبل الله الذي قال الله: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(١)»، ويشهد له قوله عليه السلام: «المرء مع من أحب»^(٢).

قوله: «مثل باب حطة» - الحديث - حاصله أن الله تعالى جعل لبني إسرائيل دخولهم الباب متواضعين مستغفرين سبباً للغفران، وجعل لهذه الأمة مودة أهل البيت النبوي وتوليّهم سبباً للغفران ودخول الجنان، كما يشير إليه ما جاء عن ثابت البناني في قوله عزّ وجلّ: ﴿وَإِنِّي لَفَقَّارٌ لِّمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾^(٤) قال: «إلى ولاية أهل بيته عليهم السلام». وكذا جاء عن أبي جعفر الباقر عليه السلام^(٥).

(١) آل عمران: ١٠٣.

(٢) تفسير الثعلبي ٣: ١٦٣، تفسير فرات الكوفي: ٩١ / ٧٣.

(٣) الأمالي (الصدوق): ٢٥٠ / ذيل ح ٢٧٦، علل الشرائع ١: ١٣٩ / ذيل ح ٢.

(٤) طه: ٨٢. (٥) مجمع البيان: ٣٥.

ويشير إليه أيضاً حديث أبي هريرة: «إنما سميت ابنتي فاطمة، لأنّ الله فطمها ومحبيها من النار». أخرجه الديلمي ^(١) وعن جابر نحوه ^(٢).

ولأبي سعيد عن علي: «أخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين» ^(٣) الحديث.

وكذا حديث جابر: «حبّ علي يأكل الذنوب كما تأكل النار الحطب» أخرجه المصنّف ^(٤) ^(٥) انتهى كلام السهمودي ملخصاً وهو عريض الذيل.

ومما يدل على هذا المطلب الشريف ما اشتهر كالشمس في رابعة النهار بين الأمة في سائر الأعصار والأمصاّر وشاع وذاع وملاً الأسماع من حكمه صلى الله عليه وآله وإخباره عن الله من أنّ الفضل والشرف والمنزلة والولاية له صلى الله عليه وآله ولذريته. قال السهمودي في جواهره: (وعن ربيع السعدي قال: أتيت حذيفة فسألته عن أشياء فقال: اسمع مني وعه وأبلغ الناس أنّي رأيت رسول الله صلى الله عليه وآله كما تراني وسمعتَه بأذنيّ هاتين وقد جاء الحسين بن علي - رضي الله عنهما - فجعله عليّ منكبه وجعل الحسين صلى الله عليه وآله يغمز بعقبه في سرّة النبي صلى الله عليه وآله، فرأيت كف رسول الله صلى الله عليه وآله الطيبة وقد وضعها عليّ ظهر قدم الحسين وهو يغمز بها سرّة نفسه؛ لئلاّ ينتهر ولا تنقطع نفسه من الكلام، ثم قال: «أيها الناس، هذا الحسين بن علي خير الناس جدّاً وخير الناس جدّة، جدّه رسول الله صلى الله عليه وآله سيّد ولد آدم، وجدّته خديجة سابقة نساء العالمين إلى الإيمان، وهذا الحسين بن

(١) فردوس الأخبار ١: ٢٠٣ / ١٣٩٥.

(٢) بشارة المصطفى: ١٨٤، كشف الغمة ٢: ٩١.

(٣) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٦٤ / ٤٧٢٣.

(٤) عنه في الرياض النضرة ٣: ١٩٠. (٥) جواهر العقدين: ٢٦٣ - ٢٦٥.

علي خير الناس خالاً وخير الناس خالَةً، خاله القاسم ابن رسول الله ﷺ وخالته زينب بنت رسول الله ﷺ».

ثم وضعه عن منكبه فدرج بين يديه ثم قال ﷺ: «يا أيها الناس، هذا الحسين بن علي جدّاه في الجنة وأبوه في الجنة وأمه في الجنة وعمّه في الجنة وعمته في الجنة وخاله في الجنة وخالته في الجنة وأخوه في الجنة».

ثم قال: «يا أيها الناس، إنه لم يعطَ أحدٌ من ورثة الأنبياء الماضين ما أعطى الحسين بن علي خلا يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم. يا أيها الناس، إنَّ الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله ﷺ وذريته، فلا تذهبن بكم الأباطيل» أخرجهُ أبو الشيخ ابن حبان في كتاب (التنبيه الكبير)، قاله الحافظ جمال الدين الزرندي في درره^(١)(٢) انتهى.

وبالجملة، فإنَّ هذا المضمون مستفيض النقل في كل عصر متواتر المضمون وإن اختلفت عبارته كما يعرف ذلك من ذاق بعض معاني ما أسلفناه وما سيأتي إن شاء الله تعالى، وهو شرح في أنه يجب أن يوجد في كلِّ زمان من ذريته ﷺ من له الفضل والشرف والمنزلة عند الله والولاية على جميع الخلق بعد رسول الله ﷺ كما كان ذلك له ﷺ وهذا ظاهر مكشوف.

تنبيهات:

أحدها: لا يقال: إنَّ علياً - سلام الله عليه - خارج من نصِّ هذا الحديث إذ لم يذكر فيه وليس من ذريّة الرسول ﷺ.

(١) نظم درر السمطين: ٢٠٧ - ٢٠٨. (٢) جواهر العقدين: ٣٦١.

لأننا نقول: علي - سلام الله عليه - نفس الرسول كما دل عليه صريح الكتاب ومحكمه^(١) ومتواتر السنّة^(٢) ومتضاعف البرهان فما يثبت له من صفات الكمال يثبت له بالالتزام والتضمّن بل وبالمطابقة إن كنتم تعقلون. الثاني: ظاهر هذا الحديث الشريف الدلالة على إيمان أبي طالب؛ لقوله عليه السلام: «جذاه في الجنة» فإنّ التغليب مجاز يحتاج إلى قرينة ولا قرينة هنا، والأصل الحقيقة.

الثالث: حكم عليه السلام بأنّ الحسين من ورثة الأنبياء على الإطلاق وهذا صريح في إمامته وعصمته كما أكدّه عليه السلام بقوله: «إنه لم يعط أحد من ورثة الأنبياء» إلى آخره، فدلّ هذا بصريحه على أفضلية الحسين عليه السلام على سائر ورثة الأنبياء سوى يوسف عليه السلام؛ فإنّه شاركه في شرف الآباء وعصمتهم كما أشار إليه عليه السلام بذكر نسب يوسف عليه السلام. فمن هذه الجهة شارك الحسين عليه السلام، وهذا جليّ لمن عقل.

ومما يدل على هذا المطلب الشريف ما لا شكّ في استفاضته في كل عصر وتواتر مضمونه في كل قرن من دعاء النبي عليه السلام للمرتضى والزهراء - سلام الله عليهما - ليلة الزفاف.

من جواهر السمهودي رحمة الله عليه

أخرج السمهودي في جواهره عن أنس أنه قال: (كنت عند رسول الله عليه السلام فغشيه الوحي، فلما أفاق قال لي: «يا أنس أتدري ما جاءني به جبرئيل من عند صاحب العرش عزّ وجلّ؟». قلت: بأبي وأمي، ما جاءك به جبرئيل؟ قال:

(١) كما في الآية: ٦١ من سورة آل عمران، انظر الهامش التالي.

(٢) جامع البيان، المجلد: ٣، ج ٣: ٤٠٨ / ٥٦٦٨ و ٥٦٦٩، الكشاف: ١: ٣٦٨ - ٣٦٩.

«قال: إن الله يأمرك أن تزوج فاطمة من علي عليه السلام، فانطلق فادع لي أبا بكر وعمر وعثمان وطلحة والزبير وبعدهم من الأنصار». فدعوتهم، فلما أخذوا مقاعدهم قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «الحمد لله المحمود بنعمته».

وذكر الخطبة وفي آخرها: «فجمع الله شملها وأطاب نسلها وجعل نسلها مفاتيح الجنة^(١) ومعادن الحكمة وأمن الأمة»^(٢) الحديث. وهو طويل وفيه دعاء منه صلى الله عليه وآله لهما غير هذا. إلى أن قال صلى الله عليه وآله: «بارك الله لكما وبارك فيكما وأسعد جدكما وأخرج منكما الكثير الطيب».

أخرجه أبو يعلي الحسن بن شاذان^(٣) | فيما | نقله عنه الحافظ جمال الدين الزرندي في (نظم درر السمطين)^(٤) والمحب في ذخائره بتغيير يسير، وقال: (أخرجه الحاكم)^(٥) وأورده أيضاً منسوباً إلى جريح الحاكم بزيادات^(٦).

وروى أبو داود السجستاني بسنده عن قتادة عن الحسن عن أنس قال: (أتى أبو بكر النبي صلى الله عليه وآله، فجلس). وساق حديث خطبة القوم واحداً بعد واحدٍ لفاطمة عليها السلام وعدم إجابة النبي صلى الله عليه وآله لهم حتى انتهى لخطبة علي عليه السلام وإجابة النبي صلى الله عليه وآله له وتلقيه بالقبول

(١) في المصدر: الرحمة. (٢) جواهر العقدين: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٣) في المصدر: أبو علي الحسين بن شاذان.

(٤) نظم درر السمطين: ١٨٥ - ١٨٦.

(٥) نص عبارة الذخائر والجواهر: أخرجه أبو الخير القزويني الحاكم، بدل: أخرجه

الحاكم. (٦) ذخائر العقبى: ٣٠ - ٣١.

حتى انتهى إلى وصف ليلة الزفاف، لعظم الذي عمّت بركته الخلائق أجمع، إلى أن قال: (فانطلق النبي صلى الله عليه وآله فأتاهم فقال لأم أيمن: «هاهنا أخي؟» قالت: أخوك وتزوّجه ابنتك! قال: «نعم» فدخل على فاطمة عليها السلام ودعا بماء، فأتيته بقعبٍ فيه ماء، فمخّ فيه ثم نضح على رأسها وبين يديها وقال: «اللهم إني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم».

ثم قال لعلي: «ايتني بماء». فقال علي عليه السلام: «فعلت ما يريد، فملأت القعب فأتيته به فنضح منه على رأسي وبين كتفي وقال: اللهم إني أعيذ بك وذريته من الشيطان الرجيم». ثم قال: «ادخل بأهلك على اسم الله وبركته».

قال أبو داود: (سألت أحمد بن حنبل عن هذا الحديث فقال: هو عن سعيد بن أبي يزيد المدني وأما عبد الوهاب فهو عنده بالشك، قال: أراه عن عكرمة) ^(١) انتهى.

وأخرجه أحمد في (المناقب) من طريق أبي يزيد المدني بنحوه وقال: أرسل النبي صلى الله عليه وآله إلى علي عليه السلام: «لا تقرب امرأتك حتى آتيك». فجاء النبي صلى الله عليه وآله ^(٢) فدعا بماء فقال فيه ما شاء الله أن يقول ثم نضح منه على وجهه ثم دعا فاطمة فقامت إليه تعثر في ثوبها - وربما قال: في مرطها - من الحياء فنضح عليها أيضاً وقال: «إني لم آل أن أنكحك أحب أهلي إلي» ^(٣) الحديث.

(١) نص عبارة الجواهر: وأورده أيضاً منسوباً إلى تخريج الحاكمي بزيادة قصة... بدل: وأورده أيضاً منسوباً إلى جريح الحاكمي بزيادات.

(٢) إلى علي... النبي صلى الله عليه وآله، ليس في المصدر.

(٣) رواه الكوفي بسنده في مناقب أمير المؤمنين ٢: ٢١٣ / ٦٨٢، والطبراني في المعجم الكبير ٢٤: ١٣٧ / ٣٦٥ وابن راهويه في مسند ابن راهويه ٥: ٣٩ / ٢١٤٢، والنسائي بسنده إلى ابن عباس في السنن الكبرى ٥: ١٤٣ / ٨٥١٠، خصائص أمير المؤمنين:

وأخرجه أبو حاتم بنحو رواية أبي داود. وفي رواية ذكرها الجمال الزرندي بغير سند ولا عزو بعد ذكر قصة أسماء ودعائه لها. إلى أن قال عليه السلام: «يا أسماء، اتيني بالمخضب فاملئيه ماء». فأتيته به ملآن فمَج النبي عليه السلام فيه وغسل وجهه وقدميه ثم دعا فاطمة فأخذ كفاً من ماء فضرب به رأسها وكفاً بين يديها ثم رش جلد عليّ وجلدها ثم التزمهما وقال: «اللهم إنهما مني وأنا منهما اللهم كما أذهبت عني الرجس وطهرتني فطهرهما». ثم دعا بمخضب آخر فصنع بعليّ كما صنع بها ثم قال: «قوما إلى بيتكما، جمع الله بينكما وبارك لكما في شجريكما وأصلح بالكما»^(١)^(٢) الحديث.

من الصواعق المحرقة

وأخرج ابن حجر في صواعقه هذا المضمون بطرقٍ قال: (وعن أنس - كما عند ابن أبي حاتم ولأحمد نحوه - قال: جاء أبو بكر وعمر يخطبان فاطمة إلى النبي عليه السلام فسكت ولم يرجع إليهما شيئاً فانطلقا إلى عليّ - كرم الله وجهه - يأمرانه بطلب ذلك). وساق الحديث إلى أن قال: (وجاء رسول الله عليه السلام فقال: «ها هنا أخي؟». قالت أم أيمن: أخوك وقد زوجته ابنتك! قال: «نعم». ودخل عليه السلام وقال لفاطمة: «إيتيني بماء» فقامت إلى قعب في البيت فأتت فيه بماء فأخذه ومجّ فيه ثم قال لها: «تقدمي». فتقدمت فنضح بين تديها وعليّ رأسها وقال: «اللهم إني أعيذا بك وذريتها من الشيطان الرجيم». ثم قال لها: «أدبري». فأدبرت فصبّه بين كتفيها ثم فعل مثل ذلك بعليّ ثم قال:

(٢) جواهر العقدين: ٣٠١ - ٣٠٣.

(١) نظم درر السمطين: ١٨٨.

«ادخل بأهلك باسم الله والبركة».

وفي رواية أخرى عن أنس أيضاً - عند أبي الخير القزويني الحاكم - :
خطبها علي بعد أن خطبها أبو بكر ثم عمر، فقال: «قد أمرني ربي بذلك».
وساق الحديث والخطبة كما مر، إلى أن قال: فدخل علي؛ فتبسم النبي صلى الله عليه وآله
في وجهه، ثم قال: «إن الله عزّ وجلّ أمرني أن أزوّجك فاطمة على أربعمئة مثقال
فضة، أرضيت بذلك؟». قال: «قد رضيت بذلك يارسول الله». فقال صلى الله عليه وآله: «قد جمع الله
شملكما وأعزّ جدكما وبارك عليكما وأخرج منكما كثيراً طيباً».

قال شيخ الإسلام الحافظ ابن حجر في (لسان الميزان): (والخبر
المذكور أسنده عن أنس قال: بينا أنا عند النبي صلى الله عليه وآله؛ إذ غشيه الوحي)،
الحديث وقد مرّ شطره وذكر الخطبة والمهر والدعاء. أخرجه ابن
عساكر^(١) في ترجمته عن أبي القاسم النسيب بسنده.

وبسنده عن محمد بن ظاهر أنه ذكره في (تكملة الكامل)... انتهى
كلام (لسان الميزان)^(٢)...^(٣) انتهى كلام صاحب (الصواعق) باختصار
فيما لا يتعلق غرضنا بنقله.

وبالجملة، فهذا المضمون لا شك في صحّته وثبوته واستفاضته بل تواتر
معناه بألفاظ مختلفة وقوالب متنوعة فإنه مفهوم من جميع ما ذكرنا وما -
إن شاء الله - نذكره وغيره.

[دلالة حديث التزويج على وجود إمام معصوم في كل زمان]

وقد دلّ على مطلبنا من وجوه:

(١) تاريخ مدينة دمشق ٥٢: ٤٤٥ / ٦٣٣٨.

(٢) لسان الميزان ٦: ١٠٦ / ٧٣٩٧. (٣) الصواعق المحرقة: ١٤١ - ١٤٢.

أحدها: دعاء الرسول ﷺ لهما بطيب النسل على العموم والإطلاق
فبالضرورة نقطع بطيبه عن كل رذيلة فلا يمكن أن يثبت له نقص بوجه
أصلاً بمقتضى الإطلاق؛ لوجوب حمله على أكمل الأفراد والمعاني والآ
فلا معنى لدعائه لذينك الحبيين العظمين بطيب النسل بوجه ما فإنه لا
يخلو من ذلك أحد من الخلق.

فإذن لا بد أن يراد به أعلى درجات الطيب والكمال وتلك لا يمكن
تحققها إلا بالعصمة. فإذن أقرب المجازات إلى عموم النسل ألا يخلو زمن
من الأزمان من واحدٍ من نسلهما هو كذلك معصوم طيب من كل وجه.
وهذا مفهوم قول الخليل عليه السلام: ﴿وَاجْتَنِبِي وَبَنِيَّ﴾^(١) - الآية - مع قوله تعالى:
﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾^(٢).

الثاني: دعاؤه ﷺ بأن يجعل الله نسلهما مفاتيح الجنة على العموم
والإطلاق، فهم أبدأ مفاتيحها على كل حال ولا مفتاح لها إلا هم، فهم
المفتاح الجامع لكل مفتاح. ومن هو على كل حال مفتاح الجنة ولا مفتاح
لها سواه؛ فهو إمام - لكل من سواه في كل حال - معصوم حتى عن الغفلة
والسهو؛ لأن الغافل الساهي لا يكون كذلك من حيث هو كذلك، والخلق
مفتقرون لمن هو كذلك، حتى يدلهم على أبواب الرضوان من غير شك في
أمره وهيبته بلا احتمال السهو والغلط فضلاً عن العمد. فلا بد - بمقتضى
هذه الدعوة المجابة التي يستفيد بها الخلق إلى يوم الدين - أن يوجد في
كل عصر من نسلهما واحد هو مصداق الدعوة التي صدرت بأمر الله
تعالى؛ لأنه أقرب المجازات وقد نصب قرينة على إرادته أكثر من

الحسنين؛ حيث عبر بالمفاتيح جمعاً.

الثالث: دعاؤه عليه السلام لنسلهما بأن يجعله الله معادن الحكمة، فنفوسهم الزكية منابتها فلا حكمة إلا ما هي خارجة منهم فهم على كل حال أقوالهم كلها وأفعالهم كلها وعلومهم كلها طبق حكمة الله تعالى. فهم إذن أئمة معصومون لمن سواهم وإلا لنافى إطلاق عبارة سيّد الحكماء عليه السلام وهاديهم إليها وتعبيره بالجمع المضاف في المفعولين، فلا بدّ أن يوجد لدعوته التي لا شك في إيجابتها - لصدورها بأمر الله تعالى - مصداق وموضوع تتحقق به في كلّ زمان، ولا بدّ من حملها على أكمل ما يمكن من الحكمة فلا تكون إلا طبق حكمة الله، ولا يُقطع بذلك إلا من المعصوم.

الرابع: دعاؤه عليه السلام لنسلهما بأن يجعله الله أمن الأمة على الإطلاق، فاقترض أن يكون أمناً من جميع مخاوف الدنيا والآخرة ولا يتيقن ذلك ولا يمكن إلا في المعصوم في جميع حركاته وسكناته حتى من الغلط والسهو، والأمة إلى يوم القيامة^(١)، فلا بد أن يوجد في كلّ زمان من نسلهما - سلام الله عليهما - من هو كذلك حتى يتحقّق عموم دعوته ومصداقها، فليس أحدٌ من أمته أحوج لذلك ولا أولى به من أحد. ومركب بادرة في هذا فتفطن.

الخامس: دعاؤه عليه السلام لهما بأن يخرج الله منهما الكثير الطيب وأطلق، فلا بدّ من حمله على أكمل أفراد الطيب، فمعناه: الطيب من كلّ وجهٍ وعلى كل حال. فلا بدّ إذن من القول بعصمة ذلك النسل الطيب، وإلا لحق دعاؤه - وحاشاه - بدعاء أدنى البشر ولا أقل في تحقّق الكثرة من أن يوجد في

(١) أي باقية موجودة إلى يوم القيامة.

كل زمان من نسلهما - سلام الله عليهما - من هو كذلك، حتى يتحقق مصداق دعوته. ولا يريد الطيب بوجه ما؛ لأن ذلك متحقق في أكثر الخلق وهو ظاهر، فلا اختصاص لهما به، وليس بهم كثير حاجة، فتفظن.

السادس: دعاؤه عليه السلام للبضعة الزكية وللمرتضى بأن يذهب الله عنهما كل رجس ويطهرها على الإطلاق، فاللام للاستغراق، فمعناه: أذهب عنهما كل رجس وطهرهما أكمل تطهير؛ إذ لا يليق بدعائه لهما إلا ذلك، وإلا لشاركهما غيرهما فلا خصوصية لهما في إذهاب رجس ما في الجملة. وشواهد حاله وحال بضعته وأخيه الذي هو بنفسه وهذا المقام تأبى ذلك وتشهد بوجوب إرادة الاستغراق؛ لما يدخل تحت الإطلاق تقديمه التوجه بأنهما منه وأنه منهما.

وأكد ذلك وصرح به في قوله: «كما طهرتني»؛ فإنه سأل الله لهما بأمره طهارةً مثل طهارته، وطهارته في أعلى درجات العصمة؛ فهما بمقتضى دعائه هذا معصومان قطعاً؛ لأنه دعا بأمر الله ودعاؤه مجاب بالضرورة عقلاً ودينياً، فمن لا يعتقد بعد هذا عصمتها فهو منكر لعصمة الرسول عليه السلام ومنكرها كافرٌ البتة.

فإذا ثبتت براءتهما من كل رجس وطهارتهما من كل نقص كرسول الله عليه السلام، ثبتت عصمتها؛ وبذلك يثبت أصل مذهب الاثني عشرية وبه يثبت الدعوى، فإن المعركة العظمى بين الأمة إنما هي في إثبات العصمة لأهل البيت - صلوات الله وسلامه وبركاته عليهم أجمعين - وبثبوتها يثبت أصل المذهب فتيقظ لمعاني كلامهم.

السابع: تعويذه عليه السلام لهما ولذريتهما بالله من الشيطان الرجيم على

الإطلاق، فلا بدّ من أن يريد أعلى مقامات الإعازة، وإلا فلا خصوصيّة لهما بالإعازة بوجه ما. ولا يحمل عليه شفقة النبوة عليّ من حكم بأنّه نفسه وبضعة منه.

فإذن ليس للشيطان فيهما ولا في ذريتهما مغمز بوجه أصلاً، وهذا ظاهر في استلزام العصمة لهما ولذريتهما؛ فإنّ من ليس بمعصوم يمكن منه الغفلة والغلط والسهو، وكلّها من لم الشيطان.

فإذن ثبت بثبوت عصمتها أصل مذهب الإمامية وبه يثبت المطلب وثبت وجوب وجود معصوم من ذريتهما في كل زمان؛ لأنّه أقرب المجازات، ولا بدّ من تحقّق مصدوق دعوته عليه السلام وموضوعها في كل زمان؛ لأنّ نسلهما مستمر الوجود إلى اليوم الموعود، فتنبيه.

الثامن؛ دعاؤه عليه السلام لهما ولنسلهما بالبركة عليّ الإطلاق، فيجب صرف هذه الدعوة العظيمة من ذلك العظيم إلى أكمل أفراد البركة وأعمّها، وهذا يستلزم العصمة؛ لأنّ جميع منافياتها تنافي كمال البركة وعمومها وهو جليّ. فلا بدّ إذن من وجود مصدوق الدعوة وموضوعها في كل زمان، وهو لا يتحقق إلا بوجود إمام هادٍ لمن سواه معصوم، فتدبر.

فإنّه عليه السلام قد دلّ عليّ أنّ الإمامة والعصمة في عليّ ونسله من البضعة الطاهرة بالتصريح والتلويح وبكل دلالة وبعباراتٍ شتى ومقامات متعددة وأجهد وبالغ ونصح وأفصح، فهو عليه السلام ونسله الأئمة القادة والرعاة الذادة ووسيلة الخلق إلى الحق في كلّ شيء.

نقل كلام الإمام السمهودي عليه السلام وغيره من الأئمة الحفاظ رضي الله عنهم ومما يؤيد هذا المطلب العظيم ويقرّره ما أخرجه الإمام السمهودي

وغير واحد^(١) من الأئمة الحفاظ عن (ابن المغازلي^(٢)) من طريق موسى بن القاسم عن علي بن جعفر: سألت الحسن^(٣) عن قول الله تعالى: ﴿كَمْشَكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ قال: «المشكاة فاطمة والشجرة المباركة إبراهيم ﴿لا لا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ﴾ لا يهودية ولا نصرانية ﴿يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَكَلَّوْا لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُورٌ عَلَى نُورٍ﴾ قال: منها إمام بعد إمام ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾^(٤) قال: يهدي الله لولايتنا من يشاء».

قال السهمودي الشافعي - بعد نقله هذا الحديث: (وقوله: «منها إمام بعد إمام» يعني: أئمة يهتدى بهم في الدين ويتمسك بهم فيه ويرجع إليهم. ويشهد له حديث: «في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين» - الحديث - وحديث: «يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين» - الحديث - وقد سبقا)^(٥) انتهى كلام السهمودي.

فانظر صراحة هذه الأخبار المستفيضة في وجوب وجود إمام معصوم من ذريتها - سلام الله عليها وعليهم أجمعين - فإن إطلاق الإمامة - ممن يعلم معنى الإطلاق ولوازمه - وإطلاق العدالة منه وإطلاق نفي التحريف والانتحال والتأويل منه يقتضي أعلى الأفراد وأكملها، ولا يكون إماماً من

(١) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٢٢ - ٤٢٣.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب عليه السلام: ٣١٦ - ٣١٧ / ٣٦١.

(٣) كذا في المخطوط وجواهر العقدين ومناقب المغازلي، والظاهر أنه يريد أبا الحسن الكاظم عليه السلام؛ لأن علي بن جعفر لا ينقل عن أبي الحسن سواه، وقد أضيفت في مناقب ابن المغازلي كلمة (أبا) بين معقوفتين من قبل التحقيق.

(٤) النور: ٣٥. (٥) جواهر العقدين: ٢٤٤.

كلّ وجهٍ وفي كل حين ينفي عن الدين والعلم كلّ تحريف وكل انتحال وكل تأويل باطل بمقتضى الإطلاق من معلّم الناس معنى الإطلاق إلاّ معصوماً. وذريّة الزهراء لا تنقطع، وشدة حاجة الخلق طرّاً في كل زمن إلى من هو كذلك مستمرة باستمرار التكليف، وليس أحدٌ أولى بذلك من أحدٍ؛ فجميع الخلق مفتقرون بالذات للرسول أو من يسدّ مسدّه لهم من كل وجهٍ.

فإذن لا بدّ أن يكون في كلّ زمن من أهل بيته من هو كذلك ويجب أن يعلم أنّ المراد من عدول كلّ خلف - كما في الحديث الأخير -: أئمة أهل بيته عليهم السلام بشهادة الخبر الذي قبله بلا فصل، وغيره من الأخبار التي ذكرت وغيرهما ممّا لا يحصى، فإنهم المخصوصون منه بالوصف بالإمامة الكاملة والولاية الشاملة والعدالة التامة والهداية العامة؛ فسقط ما قال بعض أهل العناد: إنّ أهل بيته فرد من المراد، وخرج بقوله من الرشاد فارباً بنفسك أن ترعى مع الهمل.

حول دعاء السجادة عليها السلام عند قوله: ﴿وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾

وممّا يصرّح بهذا المطلب الشريف الأثر الذي أخرجه السمهودي^(١) وغير واحد^(٢) عن الحافظ عبد العزيز بن الأخضر من طريق أبي الطفيل عامر بن واثلة قال: (كان عليّ بن الحسين بن علي إذا تلا هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾^(٣) يقول: «اللهم ارفعني في...») وذكر الدعاء وبقية ما كان يقوله، وفيه ما يشتمل على وصف

(١) جواهر العقدين: ٢٤٤ - ٢٤٥.. (٢) ينابيع المودة ٢: ٣٦٧.

(٣) التوبة: ١١٩.

المحن وما انتحلته طوائف من هذه الأمة بعد مفارقة الدين والشجرة النبوية.

إلى أن قال: («وذهب آخرون إلى التقصير في أمرنا واحتجوا بمتشابه القرآن، فتأولوا بارآئهم واتهموا مآثور الخبر».

إلى أن قال: «فإلى من يفرع خلف هذه الأمة، وقد درست أعلام الملة، ودانت الأمة بالفرقة والاختلاف، يكفر بعضهم بعضاً، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾^(١). فمن الموثوق به على إبلاغ الحجّة وتأويل الحكمة، إلا أهل الكتاب وأبناء أئمة الهدى ومصايح الدجى الذين احتج الله بهم على عباده ولم يدع الخلق سدياً من غير حجّة هل تعرفونهم أو تجدونهم إلا من فروع الشجرة المباركة وبقايا الصفوة الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم وبزأهم من الآفات وافترض مودّتهم في الكتاب».

هم العروة الوثقى وهم معدن التقى وخير جبال العالمين وثيقها^(٢) انتهى، ومن عبارة السمهودي نقلت.

وأقول: دلّ هذا الأثر الشريف المشتهر نقله عن قائله:

على أن العترة الطاهرة النبوية هم المؤمنون على إبلاغ حجج الله لعباده، وعلى بيان الحكمة التي قام بها نظام الوجود دون جميع الخلق؛ فهم لا غيرهم الأئمة المعصومون حتى عن السهو والغلط، وإلا لم يكونوا مأمونين على الإطلاق على إبلاغ حجّة الله البالغة وبيان الوجود، ومنه جميع أحكام الشريعة والرسالة في كلّ زمان دون غيرهم، وعلى أنّهم أهل

(٢) كشف الغمة ٢: ٣١١.

(١) آل عمران: ١٠٥.

الكتاب - أي العالمون بحقائقه وأحكامه ومعانيه على اليقين - وذلك لا يكون إلا فيض ربّاني، وتعليم إلهي سبحاني، وعلى أنهم كآبائهم أئمة كل هدىً على الإطلاق؛ فهم معصومون البتة وجميع آبائهم إلى آدم فجميع آباء النبي وأبي طالب مؤمنون.

وعلى أنهم مصايح الدجى - أي الذي يستبين بهم الحق من الباطل - وتتنور بهم البصائر حتى تكون مبصرة؛ فهم لا غيرهم الهداة في كلّ خير والذادة عن كل شرّ كآبائهم طراً في كلّ زمان من أزمنة التكليف.

وعلى أنّهم حجج الله على عباده أجمع وحجّة الله على خلقه مطلقاً لا يكون إلا معصوماً والخلق من بدئه إلى انتهائه مضطر إلى وجود حجّة الله في كل شيء، والله الحجّة البالغة على جميع خلقه في كل شيء، وهم حجج الله فلا يجوز خلوّ زمان من حجّة الله هو إمام معصوم مطلقاً؛ فإن الله تعالى وتقدّس عن أن يدع الخلق سدىً من غير حجّة له عليهم. فلو فقد الحجّة المشار إليه، للزم الإهمال والعبث وما لا يحصى من المفاسد التي بأدناها يفسد نظام الوجود وينسدّ باب الجود.

وعلى أنّ أولئك المشار إليهم لا يوجدون إلا من فروع الشجرة المباركة النبويّة، فهم الشجرة المباركة النبويّة؛ لأنّ إطلاق الشجرة يعم الأصول والفروع.

وعلى أنّهم بقايا صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته، فهم صفوة الله من خلقه وخيرته من بريته، والله لا يصطفي لرسالاته وأحكامه ومظاهر مشيئته وخزانة علمه إلا معصوماً من كل وجه والله صفوة وخيرة في كل زمان ومن كل صنف.

وعلى أنهم قد أذهب الله عنهم كل رجس، وطهرهم أكمل تطهير، وبرأهم من كل آفةٍ وافترض مودتهم، فهم إذن معصومون. وقد مر التقريب في ذلك.

وعلى أنهم دون من سواهم العروة الوثقى التي من تمسك بها نجا على اليقين، فلا يكونون إلا معصومين.

وعلى أنهم معدن كل تقىٍ فما في العالم من التقى، فمنهم بدأ وإليهم يعود، وهم معالمه وأعلامه.

وعلى أنهم مفزع جميع خلق هذه الأمة في إحقاق كل حق وإبطال كل باطل على اليقين، فلا يكونون إلا معصومين، ولا يجوز خلوّ زمان يتحقق فيه خلف منها من واحدٍ منهم كذلك، خصوصاً إذا درست الملة.

إلى آخر ما ذكر، إلى غير ذلك من الوجوه التي دل عليها هذا الأثر الذي دل على كل معنى منه صراحُ الصحاح المستفيضة، ومحكم البرهان والقرآن.

وتنبّه لتلاوته عليه السلام لهذا الدعاء وهذا الكلام والبيان بعد تلاوته للآية الشريفة المحكمة الصريحة في الدلالة على جميع ما قال وزيادة حيث صرّحت بالأمر بالتقوى على الإطلاق وبالكون مع الصادقين، وخطابها عام لجميع المكلفين؛ فلا بدّ من وجود صادقٍ في كل شيء على اليقين. فلا بدّ من كونه إماماً معصوماً؛ ليتحقق اليقين بصدقه، والأمر عام لجميع المكلفين، فلا بدّ من استمرار وجود فرد كذلك ما بقي التكليف. وقد عيّنت السنة المجمع عليها كون ذلك الشخص من أهل البيت النبوي الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً.

وقد دلّ الله عباده على من أمر بالكون معهم بنصّه على قوم أذهب عنهم كلّ رجس وطهرهم أكمل تطهير. وعليك بملاحظة تعقيب الأمر بالتقوى بالكون مع الصادقين^(١) من كل وجه وفي كل شيء، فقد أشار تعالى إلى أن التقوى لا تتحقّق ولا تعرف إلّا بذلك الكون. فأولئك الصادقون هم معدن التقى وباب الهدى وأئمة الورى والعروة الوثقى على كل حال، فلا بدّ من وجود من لا تتحقّق التقوى إلّا بالكون معه في كلّ زمان.

ومما يؤيد ذلك المضمون ما أخرجه السمهودي^(٢) وابن حجر^(٣) وغير واحد^(٤) من الأئمة الحفاظ عن الثعلبي في تفسيره^(٥) عن جعفر الصادق عليه السلام - سلام الله عليه - أنه قال: «نحن حبل الله الذي قال: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا﴾^(٦)».

فانظر إلى القرآن كيف صرّحت محكماته بوجوب الاعتصام والتمسك بحبل الله وبابه الذي يؤتى منه ووسيلة جميع خلقه إليه على الدوام وبالاجتماع والإجماع على ذلك ونهت عن التفرّق في أمره ومفارقتة، فلا بدّ من وجود ذلك الحبل الذي من اعتصم به نجا على اليقين في كلّ زمان ولا يحصل يقين النجاة إلّا بالتمسك بمعصوم. وإلى هذا الإمام^(٧) كيف خصّ تفسيره بهم - سلام الله عليهم - فأبّتهم

(١) في قوله تعالى: ﴿اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ﴾.

(٢) جواهر العقدين: ٢٤٥.

(٣) الصواعق المحرقة لابن حجر ومن اتبع طرقة: ١٥١.

(٤) ينابيع المودة ٢: ٣٦٨. (٥) تفسير الثعلبي ٣: ١٦٣.

(٦) آل عمران: ١٠٣. (٧) أي وانظر إلى هذا الإمام.

المستخلفون من الرسول ﷺ مع القرآن الذي لا يفارقهم ولا يفارقونه أبداً
وإنهم سفينة النجاة وباب حطة وأمن الأمة مطلقاً وإنهم المطهرون من الله
إلى غير ذلك من صراح الصحاح المجمع عليها الناصة كلها على أنهم هم
المعنيون بهذه الآية الكريمة وأمثالها.

وبالجملة، فالأدلة على هذا المطلب من الكتاب والسنة لا تحصى كثرة،
وهذه ظاهرة لمن قبل الهداية العامة فضلاً عمّن قبلها فزاده الوهاب هدىً.
فكل ما دل من الكتاب والسنة على وجوب بعثة الرسل وعلى وجوب
استمرار ثبوت الحجّة البالغة لله تعالى على جميع المكلفين، وعلى وجوب
وحدانيّة الباري - جلّ مجده وعلا - تنزيهه عن مباشرة الخلق ومعاينتهم
وعن إحاطتهم به وعلى سعة رحمته بخلقه ولطفه، وعلى أن التكليف لم
يقع من المكلف المختار - جلّ قدسه - إلا على سبيل الاختيار والاختبار،
وغير ذلك مما يطول ذكره ولا تسعه هذه العجالة، فتأمل ذلك كلّه ترشد إن
شاء الله بمنّه.

الاعتبار العقلي

وأما الاعتبار العقلي فجميع ما دلّ على ما ذكرناه من الدليل العقلي على وحدانية الله تعالى ورحمته وعدله وأنّ المكلف مختار، وليس في فعل الله وصنعه وأمره جبر أصلاً، وعلى وجوب بعثة الرسل وحاجة الخلق واضطرار وجود العالم ونظامه إلى ذلك، مع ما يرى من حال المكلف في أوّل وجوده وأنه لا يتم إلا تدريجاً، وافتقاره إلى مُخرج له من القوة إلى الفعل تدريجاً، وأنّ الخلق إنما خلقوا للعبادة، وأنّ الله الحجّة البالغة العالية الكاملة على جميع الخلق.

وعلى^(١) سرّ كون الرسول والحجّة من جنس المرسل إليهم وأنّ الخلق لا يخلو من حجّة لله يحتاج به على عباد هو نائبه وعينه ولسانه وجنبه وسبيل خلقه إليه وبابه الذي يؤتى منه^(٢) وأنّ الحجّة قبل الخلق ومع الخلق وبعد الخلق.

وبالجملة، جميع ما دلّ على المعاد والحساب وسائر أحوال الآخرة وأصول الشريعة يدلّ على وجوب إمام معصوم هادٍ هو حجّة الله على خلقه ودليلهم عليه وسبيلهم إليه في كلّ زمان ورتبة من رتب الخلق،

(١) أي وجميع ما دلّ على.

(٢) انظر الاختصاص (المفيد): ٢٤٨، الخرائج والجرائح: ١: ٢٨٧-٢٨٨ / ٢١.

وبيان ذلك ممّا يطول فليطلب من زبر الحكماء بعضه، وإلاّ فجميع الخلق بحقائقها وصفاتها بل الكتب الثلاثة تدل عليه بالدلالة الواضحة، فكن ممن ألقى السمع وهو شهيدٌ.

ويكفيك أن تتأمل في أن جميع المكلفين من الثقلين غير معصومين، مع أنهم مكلفون بأوامر الله ونواهيه، وقد خرجوا من بطون أمّتهم لا يعلمون شيئاً مع اختلاف طباعهم ودواعيهم وشهواتهم وفطرتهم. وقد علمت أنّ الكتاب الصامت غير كافٍ وحده بلا ناطق في إقامة أودهم وتكميل نفوسهم وجذبها عن مراتع الهلكات مع ما هم عليه من اختلاف دواعيهم وفهومهم وعقولهم وكونهم في البداية بالقوة وقد علم كلّ ذي عقل أنه ليس أحد أولى باللطف والرحمة والهداية إلى السبيلين من أحد، فكيف يجمع الله لأقوام بين الكتاب والقيّم به العالم بمراد الله تعالى منه وهو الرسول ويترك آخرين وما يفهمون ويشتهون؟ هذا بهتانٌ عظيم.

وممّا يدل على عدم كفاية وجود الإمام الصامت بدون الإمام الناطق القيم به ما رواه الطبراني^(١) وغير واحد^(٢) من أكابر المحدثين بأسانيدهم المتصلة عن زياد بن ليبيد الأنصاري قال: أتيت النبي صلى الله عليه وآله وهو يحدث أصحابه ويقول: «كيف بكم وقد ذهب أوان العلم؟». قلت: بأبي وأمي، كيف يذهب أوان العلم ونحن نقرأ القرآن ونعلّمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا أبناءهم إلى أن تقوم الساعة؟ قال: «ثكلتك أمك يابن ليبيد، إن كنت لأراك من أفته | أهل |

(١) المعجم الكبير ٥: ٢٦٤ - ٢٦٥ / ٥٢٩٠، وتتمّة الحديث: «إن الله ليس يذهب بالعلم رفعاً يرفعه، ولكن يذهب بحملته أحسبه، ولا يذهب عالم من هذه الأُمَّة إلاّ كان ثغرة في الإسلام لا تسدّ إلى يوم القيامة». (٢) مجمع الزوائد ١: ٤٧٠ / ٩٧٧.

المدينة، أو ليس اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل ثم لا ينتفعون منها بشيء؟». وأخرج الطبراني أيضاً بسندٍ آخر عنه قال: ذكر رسول الله صلى الله عليه وآله شيئاً فقال: «ذلك عند أوان ذهاب العلم». قلت: يارسول الله، وكيف يذهب العلم ونحن نقرأ القرآن وتقرّيه أبناءنا، وتقرّيه أبناءنا، وتقرّيه أبناءنا؟ قال: «ثكلتك أمك إن كنت لأراك من أफقه رجل بالمدينة أو ليس هذه اليهود والنصارى يقرؤون التوراة والإنجيل لا ينتفعون منها بشيء؟»^(١).

وبسنده عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «هذا أوان ذهاب العلم». قلت: وكيف، وفينا كتاب الله نعلّمه أبناءنا ويعلمه أبناءنا أبناءنا؟ قال: «ثكلتك أمك ما كنت أحسبك إلّا من أعقل أهل المدينة، أليس اليهود والنصارى فيهم كتاب الله التوراة والإنجيل ولم ينتفعوا منه بشيء؟»^(٢).

وبسنده عنه قال: قلت: يارسول الله، كيف يقبض العلم ونحن نقرأ القرآن ونعلّم أبناءنا ونساءنا وأرقّاءنا؟ قال: «والله، إن كنت لأحسبك من فقهاء البلد، ألسنت تعلم أن التوراة والإنجيل أنزلت على اليهود والنصارى فما نفعهم، إذ لم يعملوا به؟»^(٣).

فانظر صراحة هذه الأخبار، ومثلها كثير في أنّه لا يكفي وجود الكتاب وحده بدون إمام معصوم يعلم معانيه من الله ورسوله حتى يحصل الجزم بقوله وحكمه، فأهل الكتابين لمّا عرضوا عن الحجّة الناطق لم ينفعهم ذلك، بل درس العلم، والرسول أخبر بإعراض أمّته عن خليفته وأنّه يندرس العلم بسبب ذلك فإنّه قد أخبر على المنابر أنّ من تمسك بالثقلين

(١) المعجم الكبير ٥: ٢٦٥ / ٥٢٩١. (٢) المعجم الكبير ٥: ٢٦٥ / ٥٢٩٢.

(٣) المعجم الكبير ٥: ٢٦٥ / ٥٢٩٣.

لن يضل؛ فهذا بيان هذا، فتأمل؛ فإنه من إعلامه لو لم يكن الله تعالى حجة في كل زمان يأخذ الخلق عنه معاني القرآن على اليقين لا يُحتمل عليه الزيف والغلط والسهو أخذ عن الله، لكان أهل الزمن الخالي منه كل واحد منهم مخاطب من الله بالكتاب بلا واسطة، هذا ضروري الفساد مع استلزامه تعدد جهات في الواحد الحقي الحقيقي. وفيه من التكليف بالمحال ما لا يخفى، سبحان من هو كل يوم في شأن.

اقرا - أيها المرتاد لنفسه قبل حلول رسمه - آيات من حم وسورة القدر، وتدبر في متواترات مضامين ما ورد في معنى ليلة القدر وأحكامها وما أجمع عليه الأمة من استمرارها؛ تجد أن الله تعالى بحكمته البالغة ورحمته الواسعة ينزل فيها في كل سنة أحكام السنة من الإحياء والإماتة والخلق والرزق وما يلزم هذه الأربعة الأركان التي دار عليها نظام الوجود وما يتفرع عليها، وهل تنزل هكذا إلا على من هو مستودع سره وخزانه علمه ومصدر أمره ونهيه وبابه الذي يؤتى منه ومطرح إشارة سلام الملائكة المقرّبين وفروعهم وأعاونهم؟ هل يكون هذا وشبهه إلا باستمرار وجود إمام معصوم هادٍ لمن سواه هو مظهر مشيئة الله التي تقوم به هذه الصفات؟ إذ لا بدّ للصفة من موصوف تقوم به وموضوع تتحقق به في الوجود تنفذ أحكام الله في بريته بواسطته؛ ليتم اللطف والرحمة ويكمل الاختيار وتبلغ الحجة وتتضح المحجة.

وبالجملة، فبسط الأدلة العقلية على ذلك مما لا تسعه هذه العجالة، وبعضه كافٍ لطالب الهداية، ليس القرآن بميت ولا منقطع بل هو غض طري متجدد ما دار الفلك وسيح الملك، فلا بدّ له من قيم يبين أحكام كل

زمان ويمضيها في أهله. | و | لو تفكر العاقل في كلّ فرد من الخلق، لوجده مفتقراً في وجوده وقوامه وصفاته وأحكامه وتكاليفه إلى وجود واسطةٍ بينه وبين الواجب تعالى وتقدّس حتى يصل له الفيض من الواحد الحقّ وإمداده.

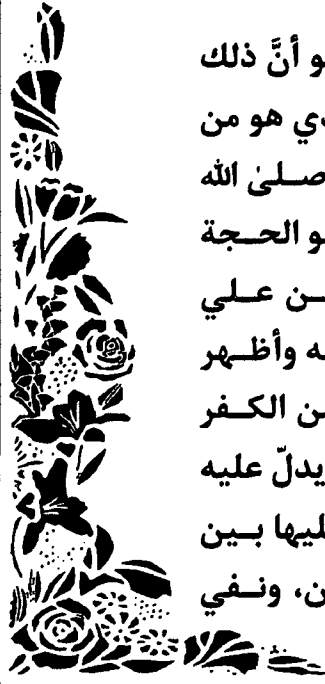


المطلب الثالث:

في كون الحجّة الباقي هو

المهدي بن الحسن العسكري عليه السلام

وأما المطلب الثالث، وهو أنّ ذلك
الإمام الهادي المعصوم الذي هو من
نسل علي وفاطمة - صلى الله
عليهما - الموجود الآن هو الحجّة
المنتظر بن الحسن بن علي
العسكري - عجل الله فرجه وأظهر
به دينه وطهر به الأرض من الكفر
والشرك والنفاق - فنقول: يدلّ عليه
صحيح الأخبار المجمع عليها بين
الأمّة المتواترة المضمون، ونفي
الاعتبار:



دليل الأخبار

فمن الأول كما قد استفاض، بل تواتر مضمونه بين فرق المسلمين في سائر الأعصار والأمصار أن الرسول ﷺ [قال]: «الأمة بعدي اثنا عشر كلهم من قريش»، رواه الطبراني في قطعة من الكبير وقعت في يدي نحواً من ربع الكتاب بعدة طرق منها عن الأسود بن سعد الهمداني عن جابر بن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال هذه الأمة مستقيم أمرها، ظاهرة على عدوها حتى يمضي منهم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

ومنها عن النظر بن صالح عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تبرحون بخير ما قام عليكم اثنا عشر أميراً كلهم من قريش».

ومنها عن زياد بن علاقة عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تزال أمتي على الحق ظاهرين حتى يكون عليهم اثنا عشر أميراً كلهم من قريش».

ومنها عن زياد بن علاقة وعبد الملك بن عمير عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش».

ومنها عن زياد بن علاقة وحصين عنه قال: قال رسول الله ﷺ مثله. وعن إبراهيم بن محمد الهمداني عنه مثله.

ومنها عن حصين بن عبد الرحمن عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يقوم من بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش».

وبطريق آخر عنه عن ابن سمرة أنه عليه السلام قال: «يقوم من بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش».

وبسنده عن حصين بن عبد الرحمن عنه أنه عليه السلام قال: «إن هذا الأمر لن يمضي ولن ينقضي حتى ينقضي اثنا عشر خليفة كلهم من قريش».

وأخرج عنه أيضاً بطريق آخر مثله.

وأخرج عن أبي بكر بن أبي موسى عن جابر بن سمرة بطريقتين أنه عليه السلام قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش».

ومنها بسنده عن عطا بن أبي ميمونة عن جابر بن سمرة: سمعت رسول الله عليه السلام وهو يخطب على المنبر وهو يقول: «اثنا عشر قتيماً من قريش لا يضرهم عداوة من عاداهم». قال: والتفت خلفي فإذا بعمر بن الخطاب وأبي في ناسٍ فأتبتوا لي الحديث كما سمعت (١).

وبسنده عن سماك بن حرب عن جابر بن سمرة أنه عليه السلام قال: «سيقوم بعدي اثنا عشر أميراً كلهم من قريش» (٢).

ومنها ما أخرجه بسنده عن الشعبي عن جابر بن سمرة أنه عليه السلام قال: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً إلى اثني عشر خليفة كلهم من قريش».

وبسنده عنه عن ابن سمرة أنه عليه السلام قال: «لا يزال الإسلام عزيزاً إلى اثني عشر خليفة».

وعنه بسندٍ آخر أيضاً عن ابن سمرة مثله.

وعنه بسندٍ آخر أيضاً أنه عليه السلام قال: «يكون لهذه الأمة اثنا عشر قتيماً لا يضرهم

(١) انظر المعجم الكبير ٢: ٢٥٣-٢٥٦ / ٢٠٥٩-٢٠٧٣.

(٢) المعجم الكبير ٢: ٢٤٠-٢٤١ / ٢٠٠٧.

من خذلهم، كلهم من قريش».

وعنه بسندٍ آخر عنه عن ابن سمرة قال: خطبنا رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «لا يزال هذا الدين عزيزاً منيعاً ظاهراً على من ناواه، حتى يملك اثنا عشر كلهم»، ثم لفظ الناس وتكلم، فلم أفهم قوله بعد: «كلهم» فقلت لأبي: ما بعد قوله: «كلهم»؟ فقال: «كلهم من قريش».

وبسند آخر عنه عن ابن سمرة قال: سمعت النبي ﷺ في حجة الوداع يقول: «لا يزال هذا الأمر ظاهراً على من ناواه لا يضره مخالف ولا مفارق حتى يمضي اثنا عشر خليفة من قريش».

وعنه بسندٍ آخر عن ابن سمرة قال: كنت عند رسول الله ﷺ فسمعته يقول: «لا يزال أمر هذه الأمة ظاهراً حتى يقوم اثنا عشر»، وقال كلمة خفيت وكان أبي أدنى مني مجلساً فقلت: ما قال؟ قال: قال: «كلهم من قريش». وعنه بسند آخر عن ابن سمرة أنه سمعه يقول وهو يخطب: «يكون من بعدي اثنا عشر خليفة» الحديث.

وعنه بسندٍ آخر عن ابن سمرة أنه سمعه يقول: «لا تزال هذه الأمة مستقيماً أمرها حتى يكون اثنا عشر خليفة» الحديث.

وعنه بسندٍ آخر عن ابن سمرة أنه سمع النبي ﷺ يقول في حجة الوداع: «لا يزال أمر هذه الأمة هادياً على من ناواها حتى يكون عليهم اثنا عشر أميراً» الحديث.

وعنه بسندٍ آخر عن ابن سمرة أنه ﷺ قال: «لا يزال هذا الأمر قائماً حتى يمضي اثنا عشر أميراً»^(١).

(١) انظر المعجم الكبير ٢: ١٩٥ - ١٩٧ / ١٧٩١ - ١٨٠١

وبسندٍ آخر عن ابن سمرة أنه دخل على النبي ﷺ؛ فقال: «لا يزال الإسلام ظاهراً حتى يكون اثنا عشر أميراً - أو خليفة - كلهم من قريش»^(١).

ومنها بسنده عن أبي خالد الوالبي عن ابن سمرة أنه ﷺ قال: «لا يزال هذا الدين قائماً حتى يقوم اثنا عشر خليفة»^(٢) الحديث.

وأخرج عنه أيضاً عن ابن سمرة مثله بطريقتين آخرين^(٣).

وعنه بسندٍ آخر عن ابن سمرة أن النبي ﷺ قال: «لا يضر هذا الدين من ناواه حتى يقوم اثنا عشر خليفة كلهم من قريش»^(٤).

ومنها بسنده عن عبد الملك بن عمير عن ابن سمرة أيضاً أنه ﷺ قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً» الحديث، كما مرّ من سؤاله أباه عن كلمة خفية، وأنه ﷺ قال: «كلهم من قريش»^(٥).

وبسندٍ آخر عنه عن ابن سمرة أن رسول الله ﷺ قال: «لا يزال هذا الأمر قائماً حتى يكون اثنا عشر خليفة»^(٦).

ومنها بسنده عن المسيّب بن رافع عن ابن سمرة: أن رسول الله ﷺ قال: «إن هذا الأمر لا يزال ظاهراً لا يضرّه من خلفه، حتى يقوم اثنا عشر أميراً كلهم من قريش»^(٧).

وبسنده عن سماك بن حرب عن ابن سمرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يبرح هذا الدين قائماً يقاتل عليه عصابة من المسلمين حتى تقوم الساعة»^(٨).

(١) المعجم الكبير ٢: ٢٠٦ / ١٨٤١. (٢) المعجم الكبير ٢: ٢٠٧ - ٢٠٨ / ١٨٤٩.

(٣) المعجم الكبير ٢: ٢٠٨ / ١٨٥٠ - ١٨٥١.

(٤) المعجم الكبير ٢: ٢٠٨ / ١٨٥٢. (٥) المعجم الكبير ٢: ٢٥٣ / ٢٠٦٢.

(٦) المعجم الكبير ٢: ٢١٤ / ١٨٧٦. (٧) المعجم الكبير ٢: ٢١٥ / ١٨٨٣.

(٨) المعجم الكبير ٢: ٢١٧ / ١٨٩١.

وبسندٍ آخر عن سماك عنه مثله إلا إنه قال: «عصابة من الناس»^(١) ولا منافاة.

وبسندٍ آخر عن سماك عنه عليه السلام أنه عليه السلام قال: «يكون بعدي اثنا عشر أميراً»^(٢) الحديث كما مرّ.

وبسند آخر عن سماك عنه مثله^(٣).

وقد أخرج هذا المضمون ابن بطريق في عمدته^(٤) بسنده المتصل إلى الصحاح الستة؛ فمن البخاري بطريقين إلا إن أحدهما بلفظه: «اثنا عشر أميراً»^(٥)، والآخر بلفظ: «اثنا عشر رجلاً».

ومن صحيح مسلم بعشرة طرق منها: سبعة بلفظ: «اثنا عشر خليفة»^(٦) وفي بعضها: «رجلاً»^(٧) وفي بعضها: «أميراً».

ومن الجمع بين الصحيحين للحميدي من (المتفق عليه من البخاري ومسلم) بأكثر من ثلاثة طرق ومن (مسلم) بخمسة طرق كما نقلناه من الألفاظ.

ومن الجمع بين الصحاح الستة من صحيح أبي داود بثلاثة طرق^(٨)

(١) المعجم الكبير ٢: ٢٢٣ / ١٩٢٢، وفيه: «المسلمين»، بدل: «الناس».

(٢) المعجم الكبير ٢: ٢٥٥ / ٢٠٧٠. (٣) المعجم الكبير ٢: ٢٥٤ / ٢٠٦٣.

(٤) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤١٦ - ٤٢٢.

(٥) صحيح البخاري ٦: ٢٦٤ / ٦٧٩٦.

(٦) صحيح مسلم ٣: ١١٥٤ - ١١٥٥ / ١٨٢١ وفيه خمسة أحاديث، ١٨٢٢ وفيه حديثان.

(٧) صحيح مسلم ٣: ١١٥٥ / ١٨٢١ - ٦، وفيه حديثان.

(٨) سنن أبي داود ٤: ١٠٦ / ٤٢٧٩ - ٤٢٨١.

بألفاظ نحو ما مرّ.

وبالجملة، فهذا المضمون مستفيض النقل في عامة الأعصار بين علماء الأمة، وقد صرّح وأوضح أن الإمارة والخلافة منحصرة في اثني عشر رجلاً كلهم من قريش دون غيرهم من أهل الأرض، وأن استقامة الدنيا والدين والإسلام والمسلمين مشروط بإمارتهم وخلافتهم إلى يوم القيامة. ونحن نعلم بالضرورة والعيان أن الأمر والإسلام والدين مستقيم الأود، ظاهر على من ناواه، مستنير الدلالة والأعلام، واضح المنار أبداً؛ فلا بدّ إذن من وجود أحد الاثني عشر المعيّنين المعيّنين؛ إذ لا يمكن أن يكونوا من الأفراد الشائعة والتكرات المبهمة؛ لأنّ ذلك لا فائدة في ذكره ولا يقع لمكّلف فيه، بل هو إغراء بالجهل والعمل بالشهرة والظنون وكلّ قبيح، كما يظهر بأدنى تأمل.

فقد تبين بهذا أنّ مدار الوجود والتكليف وعزّ الاسلام واستقامته يدور على اثني عشر خليفة، هم خلفاء الله ونوّابه وأبوابه وسبيل الخلق إلى الله وحكام الخلائق وشهداء الخالق، لكلّ زمن منهم إمام يدعون به يوم تقوم الأشهاد كما صرّح به محكم القرآن، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾^(١).

فدلّ على أن كلّ إنسان محجوج بإمام من الله، وهذا عام إلى يوم القيامة، وهذا مؤيّد بوثيق البرهان وصحاح الأخبار المجمع على روايتها؛ ففي تفسير الثعلبي^(٢) بسنده المتّصل إلى علي بن موسى الرضا عن أبيه الكاظم عن أبيه الصادق عن أبيه زين العابدين عن أبيه الشهيد عن أبيه

(٢) تفسير الثعلبي ٦: ١١٥.

(١) الإسراء: ٧١.

علي بن أبي طالب، أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال في قوله عزّ وجلّ: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾: «كل قوم يُدعون بإمام زمانهم وكتاب ربهم وسنة نبيهم»^(١).
ومثله ما استفاض نقله بين الأمة أجمع، وأجمعوا على صحّته وروايته؛ فهو متواتر من قول الرسول صلى الله عليه وآله: «من مات ولم يعرف إمام زمانه مات ميتة جاهلية»^(٢)، فقد وجب أن يكون لكلّ زمان إمام تجب معرفته بكل معنى وصفة، وأنه من الله، وأنه معصوم، وإلا فمحال أن يجب على الخلق أن يعرفوا من تقع عليه خيرة الملائ وأهل الدول والقبائل، أو أن يعرفوا من لا يؤمن منه الخطأ فضلاً عن الفاسق، وهما محالان عقلاً ونقلاً.

فإذا ثبت انحصار الإمارة والخلافة في اثني عشر بهم قوام الدين وعزّه وأنه يجب ألا يخلو زمن من واحد منهم نفي الكلام في تعيينهم من هم وقد علمت تضافر النصوص المجمع عليها على أن الرسول صلى الله عليه وآله قد صرح في مواطن شتى وموارد متفرقة أنّ الخلافة التي لا يضل من تمسك بها مختصة بأهل بيته الذين لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم بحال أصلاً؛ فوجب أن يكون عنى صلى الله عليه وآله باثني عشر المشار إليهم هم أهل بيته المستخلفين على أمته بأمر الله.

[عدد الأئمة:]

ومما يناسب نقله في هذا المقام ما ذكره الإمام محمد بن أبي طلحة الشامي - من أئمة الشافعية - وهو من القائلين بإمامة عليّ وبنيه الأحد

(١) مجمع البيان ٥: ٥٥٥.

(٢) المحاسن ١: ٢٥١ / ٤٧٤، بحار الأنوار ٢٣: ٧٦ / ١، المعجم الكبير ١٠: ٢٨٩ /

٦٨٧، ١٩: ٣٨٨ / ٩١٠.

عشر المشهورين، وبوجود المهدي ابن الحسن الآن وأنه إمام الزمان من الوجوه الاعتبارية على وجوب انحصار الإمامة في اثني عشر وهي ستة: (الأول: أن الإيمان والإسلام [بنياً] ^(١) على أصليين: لا إله إلا الله، محمد رسول الله وكلّ منهما مركّب من اثني عشر حرفاً، والإمامة فرع الإيمان المتأصل والإسلام المتقرّر فتكون عدة القائمين بها اثني عشر كعدة كلّ واحدٍ من الأصليين) ^(٢).

أقول: بل هم ذاك الأصلان لقوله عليه السلام: «إن الله اتخذني ولياً قبل أن يتخذني نبياً» ^(٣) الحديث.

ولأن الله تعالى سمّى علياً عليه السلام نفس الرسول عليه السلام؛ لأنه حامل لواء الولاية المطلقة ومظهر ولاية محمد عليه السلام والنصوص الدالة على هذا لا تحصى.

قال محمد بن طلحة: (الثاني: قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً﴾ ^(٤)، فجعل عدة القائمين بهذه الفضيلة والتقدمة والنقبية التي هي النقابة مختصة بهذه العدة، فيكون عدة القائمين بفضيلة الإمامة والتقدمة بها مختصة به؛ ولهذا لما بايع رسول الله عليه السلام الأنصار ليلة العقبة قال: «أخرجوا إلي منكم اثني عشر نقيباً كنعباء بني إسرائيل» ^(٥)، ففعلوا فصار ذلك طريقاً متبعاً وعدداً مطلوباً.

الثالث: قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ قَوْمٍ مُوسَى أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾

(١) من المصدر، وفي المخطوط: بينى. (٢) مطالب السؤل ١: ٢٦.

(٣) نوادير الراوندي: ١٢٥ / ١٤٣، بحار الأنوار ٢٥: ٢٦٨ / ٥، المعجم الكبير ٣: ١٢٨ /

٢٨٩٠، المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٩٦ / ٤٨٢٥، وفي الجمیع: «عبداً»، بدل:

«ولياً». (٤) المائدة: ١٢.

(٥) دلائل النبوة ٢: ٤٤٨، السيرة النبوية ٢: ٩٠.

وَقَطَّعْنَاَهُمْ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا ﴿١﴾ فجعل الأسباط الهداة إلى الحق في بني إسرائيل اثني عشر؛ فتكون الأئمة الهداة في الإسلام اثني عشر (٢).
أقول: وجه المناسبة والملازمة قوله عليه السلام: «تحذو أمتي حذو بني إسرائيل» (٣) الحديث؛ فإنه عام في كل شيء.

قال محمد بن طلحة: (الرابع: أن مصالح العالم في تصرفاتهم (٤) لما كانت في حصولها مفتقرة إلى الزمان...، وكان الزمان عبارة عن الليل والنهار، وكل واحدٍ منهما حال الاعتدال مركّب من اثني عشر جزءاً تسمى ساعات، فكانت مصالح العالم مفتقرة إلى ما هو بهذه العدة، فكانت مصالح الأنام مفتقرة إلى الأئمة وإرشادها لها فجعل عددهم عدد أجزاء كل واحد من جزئي الزمان؛ للافتقار إليه) (٥).

أقول: ويرشد إلى هذا ما رواه أصحابنا عن أهل البيت من قولهم عليهم السلام: «نحن الأيام فلا تعادوها» (٦)، وهذا ظاهرٌ لأرباب القلوب وبسطه من المعقول لا يناسب المقام.

قال محمد بن أبي طلحة: (الخامس: أن نور الإمامة يهدي القلوب والعقول إلى سلوك طريق الحق والنجاة كما يهدي نور الشمس والقمر أبصار الخلائق إلى سلوك الطريق (٧) ويوضح لهم المناهج السهلة ليسلكوها والمسالك الوعرة ليتركوها؛ فهما نوران هاديان أحدهما يهدي

(١) الأعراف: ١٥٩ - ١٦٠. (٢) مطالب السؤل: ٣٠.

(٣) تأويل الآيات الظاهرة: ١٦٥. (٤) في تصرفاتهم، ليس في المصدر.

(٥) مطالب السؤل: ٣٠.

(٦) الخصال: ٣٩٤ - ٣٩٦ / ١٠٢، عنه في بحار الأنوار ٥٦: ٢٠ / ٣ نقلاً بالمضمون.

(٧) كما يهدي نور الشمس... الطريق، ليس في المصدر.

البصائر وهو نور الإمامة، والآخر يهدي الأبصار وهو نور الشمس والقمر ولكل واحد من النورين مجال يتناقله فمجال النور الهادي للأبصار البروج الاثنا عشر أولها الحمل وآخرها الحوت فينتقل من واحد إلى آخر، فيكون مجال النور الهادي للبصائر وهو نور الإمامة منحصرًا في اثني عشر أيضاً^(١).

أقول: وجه التلازم لا يخفى على أرباب العقول وأئمة المنقول؛ فإنّ البروج الفلكية أحد مظاهر البروج الملكية، فالأئمة عدّة الشهور الاثني عشر قبل خلق السماوات والأرض، فتفتن.

قال محمد بن أبي طلحة: (تنبيه: ورد في الحديث النبوي: «إن الأرض بما عليها محمولة على الحوت»^(٢)) وفي هذه إشارة لطيفة وحكمة شريفة، وهي أن مجال ذلك النور لما كان آخره الحوت والحوت حامل لأثقال هذه الوجوه ومقرّ العالم في الدنيا، فأخر مجال نور الإمامة أيضاً حامل أثقال مصالح أديانهم وهو المهدي وسنين ذلك عند ظهوره^(٣).

وأقول: أظنّه قال ما لا يعلم حقيقته وهو حقّ، كما هو غير خفي على أرباب القلوب، بل ليس لمعنى الحوت الوارد في الحديث إلاّ وتد الأرض الأعظم حافظ الشريعة الغراء والحق المطابق للواقع من صفة الوجود؛ فبه قوام السماوات والأرض، فالأئمة أعمدة السماء وجبال الأرض التي لا تميد ماداموا عليها لحفظهم للحق في أهله، فتفتن.

قال محمد بن أبي طلحة: (الوجه السادس: أن النبي صلى الله عليه وآله لما قال: «الأئمة من

(٢) الكافي ٨: ٧٥ / ٥٥.

(١) مطالب السؤل: ٣١.

(٣) مطالب السؤل: ٣١.

قريش»، ذكر ذلك حاصراً به كون الأئمة من قريش، فلا يجوز أن تكون الإمامة في غير قرشي وإن كان عربياً، ومتى عقدت الإمامة لغير قرشي فإنها | لا تنعقد لصريح الحديث.

فقد صار هذا الوصف - وهو كون محل الإمامة من قريش في درجة الاعتبار نازلة منزلة التعليل بالعلّة المنصوص عليها^(١)، وكون الإنسان قرشياً - صفة شرف يتقدّم صاحبها على غيره. وقد أوماً رسول الله ﷺ إلى ذلك بقوله: «قدّموا قريشاً ولا تقدّموها»^(٢).

والذي عليه محققو علماء النسب أنّ كل من ولده النضر بن كنانة فهو قرشي، فمرد كل قرشي إلى النضر بن كنانة، فالنضر هو دوحه تفرع صفة الشرف عليها وتنبعث منها وترجع إليها. وهذه القبيلة الشريفة كمل شرفها وعظم قدرها واشتهر ذكرها واستحققت التقدّم على بقية القبائل وسائر البطون من العرب وغيرها برسول الله ﷺ، فنسب قريش انحدر من النضر بن كنانة إلى رسول الله وشرف قريش [ارتقى لها]^(٣) من رسول الله ﷺ؛ فرسول الله ﷺ في الشرف بمنزلة مركز الدائرة بالنسبة إلى محيطها، فمنه يرقى الشرف. فإذا فرضت الشرف خطأ متصاعداً متراقباً متصلاً إلى المحيط، مركباً من نقط هي آباؤه أباً فأباً، وجدته ﷺ: محمد بن عبدالله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر.

(١) في المخطوط بعدها: المتحدة، وليست في المصدر.

(٢) كتاب المسند (الشافعي): ٢٨٧ - معرفة السنن والآثار (البيهقي) ٢: ٢٩٨.

(٣) من المصدر، وفي المخطوط: ارتقاها.

فالمركز الذي انبعث منه الشرف متصاعداً هو رسول الله صلى الله عليه وآله ووجدت المحيط التي تنتهي الصفة الشرفية القرشية إليه هو انضر بن كنانة، فالخط المتصاعد الذي بين المركز وبين المنتهى المحيط أجزاءه اثنا عشر جزءاً. فإذا كانت درجات الشرف المعدودة متصاعداً اثني عشر يلزم أن تكون درجات الشرف متنازلة عن المركز اثني عشر؛ لاستحالة أن يكون الخطان الخارجان من المركز إلى المحيط متفاوتين.

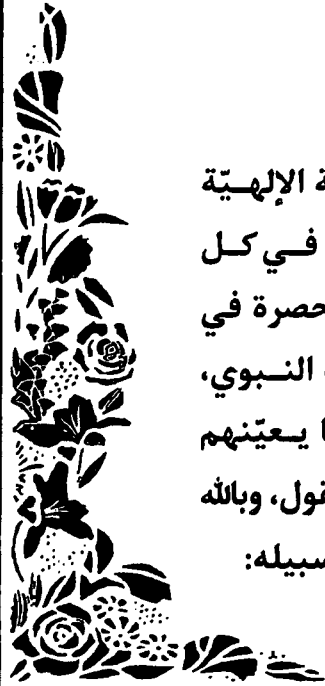
فالنبي صلى الله عليه وآله منبع الشرف الذي هو محل الإمامة متنازلاً؛ فيلزم أن يكون الأئمة اثني عشر. فكما أن الخط المتصاعد اثنا عشر فالخط المتنازل اثنا عشر وهم: علي والحسن والحسين وعلي ومحمد وجعفر وموسى وعلي ومحمد وعلي والحسن ومحمد | صلوات الله عليهم أجمعين |.

فأول من ثبتت له الصفة بأنه من قريش مالك بن النضر ولا يتعداه صاعداً وهو الثاني عشر فكذلك منتهى من ثبتت له الإمامة ولا تتعداه نازلاً واستقرت فيه محمد بن الحسن المهدي، وهو الثاني عشر^(١) انتهى كلام ابن طلحة ببعض الاختصار.



النص على إمامة
الأئمة الاثني عشر عليهم السلام

فإذا تيقنت أن الخلافة الإلهية
والرئاسة العامة لكل شيء في كل
شيء والإمامة الربانية منحصرة في
اثني عشر من أهل البيت النبوي،
بقي علينا بيان ما يعينهم
بأشخاصهم وأسمائهم، فنقول، وبالله
العصمة ومنه الهداية إلى سبيله:



النص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام

إنّ أولهم وإمامهم وأفضلهم علي بن أبي طالب زوج البضعة البتول ونفس الرسول وباب مدينة علمه، يدلّ على ذلك النصوص المجمع على صحتها وقبولها بين فرق الإسلام في كل مكانٍ وزمان.

منها ما مرّ من خبر الغدير، فرواياته لا يحصر ناقلها، وقد مرّ شرطٌ منها. وهو مشهّدٌ عظيم نصب فيه الرسول ابن عمّه وزوج بضعته الطاهرة وأبا ولده بأمر الله تعالى علماً وخليفةً على أمته، وأخذ له البيعة بإمرة المؤمنين وخلافة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله على جميع أهل الإسلام: الخاص منهم والعام ومن شهد ومن لم يشهد ومن وجد ومن لم يوجد ومن في الأرحام والأصلاب، ونص على أنه خليفة الله وحجّته على عباده بعده، وأكد وشدّد كما هو سنّة الله في الذين خلوا من قبله من الرسل ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وقد أخذ الله على جميع الخلق العهد بالإقرار له تعالى بالربوبية ولمحمد بالرسالة ولعلي بالولاية والإمامة وإمرة المؤمنين، وأخذ على كلّ رسول أن يأخذ العهد على أمته بذلك كما يتّضح ذلك بأدنى ملاحظة للنصوص الواردة في شأنه، سلام الله عليه. فولايته الأصل الأعظم الذي لا يوجد الإيمان بالله وبرسوله إلاّ بها.

أخرج أبو نعيم - وهو من أكابر المحدثين - في كتابه الذي استخرجه من كتاب (الاستيعاب) ^(١) لابن عبد البر الأندلسي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا﴾ ^(٢) أن النبي صلى الله عليه وآله ليلة أسري به جمع الله بينه وبين الأنبياء ثم قال له: «يا محمد سلمهم: على ماذا بعثتم؟» فقالوا: «بعثنا على شهادة ألا إله إلا الله وعلى الإقرار بنبوتك والولاية لعلي بن أبي طالب» ^(٣).

وفي تفسير الثعلبي - وهو الثقة الجليل كما نصّ عليه أئمة الجرح والتعديل ^(٤) - بسنده المتصل المكرّر عن بعض رجاله المنتهي إلى ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني ملك؛ فقال: يا محمد، سل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب» ^(٥).

فهذا المضمون مجمع على روايته بين الأمة، وولايته هي كمال الدين في كل ملّة، وبها تتم نعمة الله على الخلق أجمعين.

فنبينا محمد صلى الله عليه وآله لما أدّى رسالات ربه وصدع بأمره وكابد المحن في إبلاغ الشريعة واحتمل الأذى من الأمة وحن أوان انتقاله إلى جوار الله بعد تبليغه أصول الدين وفروعه ولم يبق إلا أمر الإمامة والخلافة الربانيّة بعد انقطاع الرسالة، أمره الله تعالى بإبلاغ الأمة إياها وأن ينص على حامل لوائها وينصبه علماً للناس؛ لتكمل الحجة وتتم النعمة ولا يبقى الناس بعد

(١) كما ذكره الحافظ ابن البطريق، عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٥٢ / ٦٨٠.

(٢) الزخرف: ٤٥.

(٣) شواهد التنزيل ٢: ٢٢٢، فرائد السمطين ١: ٨١.

(٤) وفيات الأعيان ١: ٧٩، الوافي بالوفيات ٧: ٣٠٧.

(٥) تفسير الثعلبي ٨: ٣٣٨.

الرسول ﷺ يعبد كل هواه وطبعه وشهوته، فيفسد نظام الوجود بانسداد باب الجود، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً. وهو ﷺ يخشى قومه؛ لما فيهم من النفاق والعداوة لعلّي وتمني رؤسائهم منصب الإمارة والاستيلاء على الخلق. فلما بلغ الإبان وضاق نطاق الزمان عن تأخير ذلك أمره الله به أمراً لم يرخص له في تأخيره إلى أن يتجاوز غدیر خم.

قال خاتمة الحفاظ السيوطي في تفسيره: (أخرج أبو الشيخ عن الحسن أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله بعثني برسالة فضقت بها ذرعاً وعرفت أن الناس مكذبي فوعدني لأبلغن أو ليعذبني فأنزلت: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ (١)».

وأخرج عبد الحميد وابن جرير (٢) وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن مجاهد قال: لما نزلت: ﴿بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ قال: «يارب إنما أنا واحد كيف أصنع ليجتمع علي الناس؟». فنزلت: ﴿وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ﴾. وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه (٣) وابن عساكر (٤) عن أبي سعيد الخدري قال: نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ على رسول الله ﷺ يوم غدیر خم في علي بن أبي طالب.

وأخرج ابن مردويه عن ابن مسعود قال: كنا نقرأ على عهد رسول الله ﷺ: (يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك أن علياً مولى المؤمنين

(١) المائدة: ٦٧.

(٢) جامع البيان المجلد ٤ ج ٦: ٤١٤ / ٩٥٧٧.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣٩ / ٣٤٥.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٣٧.

وإن لم تفعل فما بلغت رسالته، والله يعصمك من الناس»^(١).
 وروى عن أبي سعيد الخدري قال: لما نصب رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم
 غدیر خم فنادى له بالولاية هبط جبرئيل عليه السلام بهذه الآية: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ
 دِينَكُمْ﴾.

قال: (أخرجه ابن مردويه^(٢) وابن عساكر^(٣))^(٤).

وعن أبي هريرة قال: لما كان يوم غدیر خم وهو يوم ثمانی عشر من
 ذي الحجة قال النبي صلى الله عليه وآله: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ
 لَكُمْ دِينَكُمْ﴾. أخرجه ابن مردويه^(٥) والخطيب^(٦) وابن عساكر^(٧).

فظهر بهذا - كما ساعده البرهان الجلي المتضاعف - أنّ ولاية عليّ
 وإمامته هي ولاية الله ورسوله العظمى التي عليّ حامل لوائها: لواء الحمد
 في الدنيا والآخرة على آدم فمن دونه تحته وأنها سرّ الله في خلقه وأن
 أكثر نفوس البشر لكونها أمانة تأبى الانقياد والإذعان لها ويثقل حملها
 عليها فإنها أمانة الله العظمى؛ فقد علّق الله تبليغ جميع الرسالة على تبليغها،
 فجميع أحكام الرسالة كالجسد وهي كالروح؛ فلا يتحقّق الإيمان إلا بها.
 وفي مسند أحمد بن حنبل بسنده إلى البراء بن عازب قال: كنّا مع
 رسول الله صلى الله عليه وآله في غدیر خم ونودي فينا: الصلاة جامعة، فصلّى الظهر وأخذ
 بيد عليّ؛ فقال: «أستم تعلمون بأني أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: بلى. قال:

(١) الدر المنثور ٢: ٥٢٨. (٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣١ / ٣٣٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٣٧. (٤) الدر المنثور ٢: ٢٥٨.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣١ / ٣٣١.

(٦) تاريخ بغداد ٨: ٢٩٠. (٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٣٤.

«ألستم تعلمون أنني أولي بكل مؤمن من نفسه؟». قالوا: بلى. فأخذ بيد علي فقال لهم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فلقبه عمر؛ فقال: هنيئاً يا ابن أبي طالب؛ أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة^(١).
وبسنده عن زيد بن أرقم: نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله بوادٍ يقال له غدِير خَم، فأمر بالصلاة فصلّي، فخطبنا وظلّل لرسول الله صلى الله عليه وآله بثوب على شجرة من الشمس؛ فقال صلى الله عليه وآله: «أو لستم تعلمون أو لستم تشهدون أنني أولي بكل مؤمن من نفسه؟». قالوا: بلى. قال: «فمن كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

وبالسند المتصل عن عبدالله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بسنده المتصل إلى الطفيل قال: جمع عليّ عليه السلام الناس بالرحبة ثم قال: «أنشد الله كل امرئ مسلم سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدِير خَم ما سمع لَمّا قام». فقام ثلاثون من الناس - وقال أبو نعيم: فقام أناس كثير - فشهدوا حين أخذ بيده، فقال للناس: «أتعلمون أنني أولي بالمؤمنين من أنفسهم؟». قالوا: نعم يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٣).

وعنه عن أبيه بسنده عن رباح بن الحارث قال: جاء رهطٌ إلى علي عليه السلام بالرحبة؛ فقالوا: السلام عليك يا مولانا. قال: «وكيف أكون مولاكم وأنتم قوم عرب؟». قالوا: سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدِير خَم: «من كنت مولاه فهذا مولاه». قال رباح: فلما مضوا سألت: من هم؟ قالوا: نفرٌ من الأنصار فيهم

(١) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٤: ٤٨١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٥٠١ / ١٨٨٣٨.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٩٨ / ١٨٨١٥.

أبو أيوب الأنصاري^(١).

وبالإسناد المتّصل إلى عبد الله بن أحمد بن حنبل عن أبيه بسنده إلى زاذان قال: سمعت علياً عليه السلام في الرحبة وهو ينشد الناس: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وآله وهو يقول ما قال؟». فقام: ثلاثة عشر رجلاً، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).
وبالسند المتّصل عنه عن أبيه بسنده عن زيد بن أرقم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعليّ: «هذا مولى من أنا مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». فلقبه عمر؛ فقال: هنيئاً لك يا بن أبي طالب أصبحت وأمست مولى كل مؤمن ومؤمنة.

وعن أحمد بن حنبل أيضاً بسنده إلى بريدة قال: غزوت مع عليّ اليمنى فرأيت منه جفوةً، فلما قدمت على رسول الله صلى الله عليه وآله ذكرت علياً فتنقصته فرأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتغيّر، فقال: «يا بريدة ألت أولى بالمؤمنين من أنفسهم؟». قلت: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه»^(٣).
ومن تفسير الثعلبي في تفسير قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ بإسناده المتّصل قال: قال أبو جعفر محمد بن علي: «معناه: بلِّغ ما أنزل إليك في فضل علي بن أبي طالب»^(٤).

وفي نسخة أخرى أنه صلى الله عليه وآله قال: «يا أيها الرسول بلِّغ ما أنزل إليك من ربك في

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٥٨٣ / ٥١ / ٢٣٠٥١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٣٥ / ٦٤٢.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٤٧٦ / ٢٢٤٣٦.

(٤) تفسير الثعلبي ٤: ٩٢.

عليّ»، وقال: «هكذا أنزلت». رواه جعفر بن محمد فلمّا نزلت هذه الآية أخذ رسول الله ﷺ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»^(١).

ومن تفسير الثعلبي أيضاً بسنده عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ - الآية -: نزلت في علي بن أبي طالب أمر النبي ﷺ أن يبلغ فيه فأخذ رسول الله ﷺ بيد علي؛ فقال: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

ومن تفسيره أيضاً في تفسير قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾^(٣) قال: وسئل سفيان بن عيينة عن قول الله عزّ وجلّ: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ - الآية - فيمن نزلت؟ قال: سألتني عن مسألة ما سألتني عنها أحد قبلك، حدثني جعفر بن محمد عن آبائه قال: «لما كان رسول الله ﷺ بغدير خم نادى الناس فاجتمعوا، فأخذ بيد علي؛ فقال: من كنت مولاه فعليّ مولاه». فشاع ذلك وطار في البلاد، فبلغ ذلك الحارث بن النعمان الفهري، فأتى رسول الله ﷺ على ناقته حتى أتى الأبطح، فنزل عن ناقته فأناخها وعقلها، ثم أتى النبي ﷺ وهو في ملاء من أصحابه؛ فقال: يا محمد أمرتنا أن نشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصلّي خمساً فقبلناه منك، وأمرتنا أن نصوم شهراً فقبلناه، وأمرتنا أن نحج البيت فقبلناه، ثم لم ترض بهذا حتى رفعت بضبعي ابن عمك تفضّله علينا وقلت: «من كنت مولاه فعليّ مولاه»، وهذا شيء منك أم من الله؟ فقال: «والله الذي لا إله إلا هو إنّه من أمر الله».

(١) تفسير الثعلبي ٤: ٢٠، وليس فيه «هكذا أنزلت».

(٢) تفسير الثعلبي ٤: ٩٢، عنه في الطرائف في مذاهب الطوائف ١: ٢٦٦ / ٢٣٤.

(٣) المعارج: ١.

فولى الحارث بن النعمان يريد راحلته وهو يقول: اللهم إن كان ما يقول محمد حقاً فأمطر علينا حجارةً من السماء أو ائتنا بعذابٍ أليم. فما وصل إليها حتى رماه الله بحجر فسقط على هامته وخرج من دبره؛ فقتله، وأنزل الله قوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ﴾ الآية.

ومن مناقب ابن المغازلي الشافعي بسنده إلى زيد بن أرقم قال: أقبل نبي الله من مكة في حجة الوداع حتى نزل بغدير الجحفة، ثم نادى بالصلاة جامعة، فخرجنا إلى رسول الله ﷺ في يوم شديد الحر حتى انتهينا إليه، فصلّى بنا الظهر ثم انصرف إلينا فقال: «الحمد لله نحمده ونستعينه».

وذكر الخطبة إلى أن قال: «أستم تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وأن الجنة حق والنار حق، وتؤمنون بالكتاب كله؟». قالوا: بلى، الحديث.

إلى أن قال: «يوشك أن تردوا علي الحوض، فأسألكم عن الثقلين كيف خلفتموني فيهما»... فقال رجل من المهاجرين: يا رسول الله، ما الثقلان؟ قال: «الأكبر منهما: كتاب الله سبب طرف بيد الله وطرف بأيديكم فتمسكوا به ولا تزلوا ولا تضلوا، والأصغر منهما: عترتي... فلا تقتلوهم ولا تقدّموهم ولا تقصروا عنهم؛ فإني سألت لهم اللطيف الخبير ألا يفترقا حتى يردا علي الحوض، فأعطاني: ناصرهما لي ناصر، وخاذلها لي خاذل، ووليها لي ولي، وعدوها لي عدو. ألا فإنها لم تهلك أمة قبلكم حتى تدين بأهوائها وتظاهر على نبوتها وتقتل من قام بالقسط منها». ثم أخذ بيد علي بن أبي طالب فرفعها وقال: «من كنت وليه فهذا وليه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه».

قالها ثلاثاً والحديث مختصر^(١).

ومنه أيضاً بسنده المتصل عن أبي هريرة قال: من صام يوم الثامن عشر

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧ / ٢٣.

من ذي الحجة كتب له صيام ستين شهراً، وهو يوم غدیر خم لَمَّا أخذ النبي ﷺ بيد علي بن أبي طالب؛ فقال: «ألست أولي بالمومنين من أنفسهم؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه». فقال عمر بن الخطاب: بخ بخ لك يا أبا الحسن يا بن أبي طالب؛ أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة. قال: فأنزل الله: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ الآية (١).

ومنه بسنده عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ نزل بخم فتنحى الناس عنه، وأمر علياً فجمعهم، فقام فيهم خطيباً فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «أيها الناس، إني قد كرهت تخلفكم عني حتى خيل إلي أنه ليس شجرة أبغض إليكم من شجرة تليني، لكن علي بن أبي طالب أنزله الله مني منزلة هارون من موسى (٢)، فرضي الله عنه كما أنا راضٍ عنه فإنه لا يختار علي قربي ومحبتي شيء». ثم رفع يديه؛ فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (٣) الحديث.

وبسنده عن عمير بن سعد قال: شهدت علياً على المنبر ناشداً أصحاب رسول الله ﷺ: «من سمع رسول الله ﷺ يقول: | ما قال | فليشهد». فقام اثنا عشر رجلاً منهم أبو سعيد الخدري وأبو هريرة، فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله ﷺ يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه» (٤).

قال ابن المغازلي: راوي هذا الحديث: (قال أبو القاسم الفضل بن محمد: هذا حديث صحيح عن رسول الله ﷺ).

وقد روى حديث غدیر خم عن رسول الله ﷺ نحو مائة نفس منهم؛

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٩ / ٢٤.

(٢) في المصدر: «بمنزلي منه»، بدل: «منزلة هارون من موسى».

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٥ / ٣٧. (٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦ / ٣٨.

العشرة. وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرّد عليّ بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد^(١).

وبسنده أيضاً إلى حبة العرني وعبد خير وعمرو ذي مرة؛ قالوا: سمعنا علي بن أبي طالب ينشد الناس في الرحبة بذكر يوم الغدير، فقام اثنا عشر رجلاً من أهل بدر منهم زيد بن أرقم فقالوا: نشهد أننا سمعنا رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعليّ مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(٢).

وبسنده إلى زيد بن أرقم قال: نشد عليّ الناس في المسجد: «أنشد الله رجلاً سمع النبي صلى الله عليه وآله يقول: من كنت مولاه فعليّ مولاه» وكنت أنا فيمن كتم الشهادة فذهب بصري^(٣).

وبسنده عن ابن بريدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من كنت وليه فعليّ وليه»^(٤).

ومما أخرجه الطبراني في (الكبير) عن أبي الطفيل عامر بن واثلة عن زيد بن أرقم بسنده المتصل قال - يعني ابن أرقم -: إن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من كنت وليه فعليّ وليه»^(٥).

وبسنده عنه عن زيد بن أرقم قال: نزل النبي صلى الله عليه وآله يوم الجحفة، ثم أقبل على الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إني لا أجد نبيّ إلا نصف عمر الذي كان قبله، وإني أوشك أن أدعى فأجيب، فما أنتم قائلون؟». قالوا: نصحت. قال:

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٧ / ٣٩. (٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٠ / ٢٧.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣ / ٣٣. (٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٤ / ٣٥.

(٥) المعجم الكبير ٥: ١٦٥ - ١٦٦ / ٤٩٦٨.

«أليس تشهدون أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله، وأن الجنة حق وأن النار حق؟». قالوا: نشهد. قال: «وأن البعث بعد الموت حق؟». قالوا: نشهد. فرفع يده ووضعها على صدره ثم قال: «وأنا أشهد معكم»، ثم قال: «ألا هل تسمعون؟». قالوا: نعم. قال: «فإني فرطكم على الحوض، وأنتم واردون علي الحوض وإن عرضة أبعد ما بين صنعاء إلى بصرى، فيه أقداح عدد النجوم من فضةٍ فانظروا كيف تخلفوني في الثقلين؟». فنادى منادٍ: وما الثقلان يارسول الله؟ قال: «كتاب الله طرفٌ بيد الله وطرفٌ بأيديكم فاستمسكوا به لا تفلتوا، والآخر: عترتي، وإن اللطيف الخبير أنبأني: أنها لمن يفترقا حتى يردا علي الحوض فسألت ذلك لهما ربي، ولا تتقدّموهما فتهلكوا، ولا تقصروا عنها فتهلكوا، ولا تعلموهم، فإنهم أعلم منكم». ثم أخذ بيد علي فقال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١).

وبسنده عن زيد بن وهب عن زيد بن أرقم: قال ناشد علي الناس في الرحبة: «من سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه؟». فقام ستة عشر رجلاً فشهدوا أنهم سمعوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه». قال زيد بن أرقم: فكنت ممن كتم فذهب بصري، وكان عليّ دعا علي من كتم^(٢).

قال ابن حجر في صواعقه: (زعم الشيعة أنّ من النص التفصيلي المصرّح بخلافة علي قوله صلى الله عليه وسلم يوم غدير خم مرجعه من حجّة الوداع بعد أن جمع الصحابة، وكرّر عليهم: «ألست أولى بكم من أنفسكم» ثلاث مرّات، وهم يجيبون بالتصديق والاعتراف ثم رفع يد علي فقال: «من كنت مولاه

(١) المعجم الكبير ٥: ١٦٦-١٦٧ / ٤٩٧١.

(٢) المعجم الكبير ٥: ١٧١ / ٤٩٨٥.

فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وأحب من أحبه وأبغض من أبغضه وانصر من نصره واخذل من خذله وأدر الحق معه حيث دار».

قالوا: فمعنى المولى الأولى: فلعليّ عليهم من الولاء ماله عليه السلام منه بدليل قوله: «ألست أولى بكم» لا الناصر، وإلا لما احتاج إلى جمعهم كذلك مع الدعاء له؛ لأنّ ذلك يعرفه كل أحد.

قالوا: ولا يكون هذا الدعاء إلا لإمام معصوم مفترض الطاعة، فهذا نصّ صريح صحيح على خلفته^(١) انتهى.

أقول: كل من اعتقد عصمة محمد عليه السلام وإجابة دعائه وأنه لا ينطق عن الهوى لا يشك في إفادة هذا الدعاء الشريف لعصمة المدعوّ له؛ فإنه من سها أو غلط لا يكون حينئذ، ومن حيث هو كذلك مع الحق قطعاً فلا يتحقق مصدوق للدعاء ولا مزية أصلاً إلا بكونه كلياً شاملاً لجميع حركاته وسكناته؛ إذ لا يخلو من جزئية خلق مع أنه مؤيد بكونه لا يفترق عن الكتاب ولا يفارقه الكتاب؛ بدعاء النبي عليه السلام له بذلك^(٢)، وإخباره عن الله تعالى. ومن يصدر منه سهو أو غلط فضلاً عن المعصية ليس هو حينئذ مع الحق ولا مع القرآن بالضرورة، والأمر أيضاً كلياً.

ثم قال ابن حجر بعد إيراد ذلك الحديث: (إنّ هذا حديث صحيح لا مرية فيه، وقد أخرجه جماعة كالترمذي والنسائي وأحمد، وطرقه كثيرة جداً ومن ثم رواه ستة عشر صحابياً. وفي رواية لأحمد أنه سمعه من النبي عليه السلام ثلاثون صحابياً وشهدوا به لعلّيّ لما نوزع أيام خلافته، وكثير من أسانيدنا صحاح وحسان، ولا التفات لمن قدح في صحته ولا لمن ردّه بأنّ علياً كان باليمن؛ لثبوت رجوعه منها وإدراكه الحج مع النبي عليه السلام.

(١) الصواعق المحرقة: ٤٢.

(٢) بحار الأنوار: ٣٨: ٣٥ / ١٠.

وقول بعضهم: إن زيادة: «اللهم والٍ من والاه...» إلى آخره موضوعة مردودة؛ فقد أوردوا ذلك من طرق وصحح الذهبي كثيراً منها).

ثم قال - بعد أن حكم بأن من معاني المولى: الأولي المتصرف -: (وإنما جعلنا من معانيها: المتصرف في الأمور؛ نظراً إلى رواية: «من كنت وليه فعلي وليه». ويرشد إليه أيضاً... هذا الحديث. ولفظه عند الطبراني وغيره بسندٍ صحيح أنه عليه السلام خطب بغدير خم^(١) وساق الحديث الذي قدّمنا ذكر مضمونه وفيه: «من كنت وليه فهذا وليه» يعني: علياً.

وفيه ذكر الحثّ على التمسك بالثقلين وأن من تمسك بهما لن يضل وأنهما لن يفترقا وأنه سأل ربه ذلك لهم.

وفيه: النهي عن تقدّمهم والتقصير عنهم وعن تعليمهم؛ فإنّهم أعلم منكم وفيه وفيه.

وبالجملة، فحديث غدير خم وقول الرسول فيه: «من كنت مولاه فعلي مولاه» وحثّه على التمسك بالخليفتين - وهما الثقلان - وإخباره عن تلازمهما وعدم افتراقهما بحالٍ أشهر من الشمس في رائعة النهار ليس دونها غبار؛ فقد أجمع فرق الأمة على روايته وتصحيحه في كل زمان ومكان، فقد رواه أصحاب الصحاح الستة وجامع الصحيحين وجامع الستة وأصحاب المسانيد كأحمد بن حنبل في مسنده^(٢) وفي غيره^(٣) والحاكم^(٤) والبيهقي

(١) المعجم الكبير ٥: ١٦٥ - ١٦٦ / ٤٩٦٨.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٤٦ / ١٣١٣.

(٣) فضائل الصحابة (النسائي): ١٥، المصنف (الكوفي) ٧: ٥٠٣، كتاب السنة: ٦٣٠ /

١٥٥٥، السنن الكبرى (النسائي) ٥: ٤٥ / ٨١٤٨.

(٤) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٤٤ / ٤٦٥٢.

والترمذي^(١) وابن ماجة^(٢) وأبو داود وأصحاب السير أجمع^(٣) والمؤرخون^(٤) وابن عبد البر^(٥) ومن صنّف في فضائل الصحابة^(٦) ومن صنّف في فضائل العترة وفي فضائل أهل البيت^(٧) والطبراني في الثلاثة^(٨) ومن لا يمكن حصرهم من مصنّفي أهل السنة وجميع الشيعة كل واحد بطرق شتى متعدّدة متنوّعة متكرّرة؛ فلا شك ولا ريب في استفاضة الحديث، بل تواتر مضمونه عند كل من جانب العناد.

وممن صنّف في حديث الغدير أبو سعد مسعود بن ناصر السجستاني من أئمة السنّة المشاهير، بل قال بعض الثقات: إنّ أهل المعرفة به قد اتفقوا على صحة ما يرويه فقد صنّف كتاباً سمّاه (الدراية في حديث الولاية)، وهو سبعة عشر جزءاً روى فيه نصّ النبي صلى الله عليه وآله على عليّ بتلك المناقب والمراتب عن مائة وعشرين من الصحابة^(٩).

وممن صنّف فيه محمد بن جرير الطبراني صاحب (التاريخ الكبير)، صنّف كتاباً سمّاه (كتاب الرد على الحرقوصية) روى فيه حديث الغدير من خمسة وسبعين طريقاً^(١٠).

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٣ / ٣٧١٣. (٢) سنن ابن ماجة ١: ٤٣ / ١١٦.

(٣) التاريخ الكبير ١: ٣٧٥، شرح نهج البلاغة (ابن أبي الحديد) ٢: ٢٨٩.

(٤) تاريخ خليفة بن خياط: ٢٩٣ / البداية والنهاية ٥: ٢٢٨.

(٥) الاستيعاب ٣: ٢٠٣. (٦) الرياض النضرة ٣ - ٤: ١٢٦ - ١٢٨.

(٧) نزل الأبرار: ٥٥.

(٨) المعجم الصغير ١: ٦٥، المعجم الأوسط ١: ٢٢٩ / ٣٤٨، المعجم الكبير ٣: ١٧٩ /

٣٠٤٩. (٩) فتح الملك العلي: ١٤ / ٧.

(١٠) عنه في معجم الأدباء ١٨: ٨٤ / ٨٥، ولم يشر إلى اسم الكتاب ولا إلى عدد طرقه.

وممن أخرجهُ أبو القاسم عبيدالله بن عبدالله الحسكاني في كتابه (دعاء الهداة)^(١).

ومنهم الإمام الذي لم يكن في زمانه مثله أحمد بن سعيد بن عقدة؛ فقد أثنى عليه الخطيب^(٢)، فقد صنّف كتاباً سمّاه (حديث الولاية) روى فيه نص النبي صلى الله عليه وآله على علي عليه السلام بالولاية من مائة وخمسة طرق.

وبالجملة، فمن رواه غير محصور، ولا ريب لمن جانب العناد في أنه نصّ صريح في أنّ علياً هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله، وأنّه إمام الخلق بعده، وأنه معصوم مفترض الطاعة على الخلق بعده، وأنه أولى بكل مؤمن ومؤمنة من نفسه كما أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك في كل حال وبكل معنى، كما فهمه كبار الصحابة وجميع من حضر وجميع من بلغه من العرب؛ فقد استفاض أنّ أبا بكر وعمر قالوا لعلي: أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، وأن عمر قال: بخ بخ لك يا علي أصبحت وأمسيت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة ومهنيّاً له بذلك كما رواه ابن حجر^(٣) وجم غفير^(٤) ممن روى حديث الغدير وغيره.

وسمعت حديث الحارث بن النعمان وفهمه الاستخلاف لعلي، وأنّ له كل ما لرسول الله صلى الله عليه وآله بعده من الإمامة والولاية، وكذا إنّما كتم من كتم الشهادة بذلك؛ ليقينه بأنّ المراد من المولى: الأولى كأولوية الرسول، وأنّ

(١) فتح الملك العلي: ٩/١٥، وسماه (دعاة الهداة إلى أداء حق الموالاة).

(٢) فتح الملك العلي: ٥/١٤، وسماه (حديث الموالاة).

(٣) الصواعق المحرقة: ٤٣ - ٤٤.

(٤) تذكرة الخواص: ٢٨ - ٣٠، الفصول المهمة: ٤٠، نزل الأبرار: ٥٢ - ٥٤، وفيها عن

الشهادة به تنافي طباع الولاية وأتباعهم، وكذا شأن القصة والموقف وكيفية الحال من ردّ الجَمِّ الغفير، والنزول بهم في المنزل الصعب في يوم شديد الحرّ.

ولم يزد في خطبته وتبليغه ذلك اليوم على ما سبق منه من التعليم والتبليغ سوى استخلافه علياً والنصّ عليه بالخلافة والإمامة، وأنه وبنيه لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم في حال، ولأنّ يبيّن بأوضح الدلالة والبيان بأنّ المراد من المولى: الأولي بهم من أنفسهم كما كان هو عليه السلام كما يدلّ عليه أيضاً كيفية تعبيره: «ألمست أولي بكم من أنفسكم؟» مكرراً ثم تفريع: «من كنت مولاه فعلي مولاه عليه»، وعطفه عليه وبنائه عليه؛ إذ لا يجد عاقل من نفسه أنّ مراد الرسول في ذلك الحال بذلك المقال بعد ذلك السؤال: (من كنت ناصره فعلي ناصره)؛ إذ لا مزية له ولا تشريف ولا فضيلة ولا اختصاص له بذلك؛ فكلّ مسلم كذلك. فلم يبق إلاّ أنّه أراد بالمولى: الأولي بهم من أنفسهم، وأن ذلك ثابتٌ لعلي كما كان لرسول الله عليه السلام؛ لأنه نفسه بنصّ الكتاب المحكم وإجماع الأمة.

ويدلّ على ذلك أيضاً ما في كثير من طرق الحديث أنّه قال: «من كنت أولي به فعلي أولي به»^(١)، وقد سمعت بعضه.

ويدل عليه أيضاً ما رواه جمعٌ من أئمة الحديث^(٢) والتفسير^(٣) من أنّ

(١) كنز الفوائد ٢: ٩٤، تفسير نور الثقلين ١: ٦٤٥.

(٢) عمدة القاري ١٨: ٢٠٦، عن الواحدي، شواهد التنزيل ١: ٢٤٩ / ٢٤٤، ٢٥١ / ٤٥،

٢٥٢ / ٢٤٧، ٢٥٣ / ٢٤٨، الخ.

(٣) مجمع البيان ٣: ٢٧٨، تفسير غريب القرآن ٢: ٦١٦، التفسير الكبير ١٢: ٤٢، أسباب

النزول: ١٧٠، تفسير ابن أبي حاتم ٤: ١١٧٢ / ٦٦٠٩، تفسير الثعلبي ٤: ٩٢.

سبب نزوله عليه السلام وخطبته في ذلك الموقف وقوله في عليّ ذلك ما جاءه من الأمر المضيّق ولم يرخص له جبرئيل في تأخيره بقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ - الآية - ولم يبلغ في ذلك الموقف زيادة عليّ ما بلغ قبله من الأصول والفروع إلا ذلك النصّ على عليّ بل سمعت في بعضها أنّها نزلت: (بَلِّغْ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ فِي عَلِيٍّ) الآية. أفيرضى عاقل أن الله تعالى يأمر سيّد الخلق أمراً مضيقاً ويهدّده بهذا الوعيد الشديد على تأخيره ذلك، ومراده: أنّك بلّغ الناس أنّ من كنت ناصره فعلي ناصره؟

ومّا يدل على ذلك ما رواه أيضاً غير واحد من أكابر المحدثين والمفسرين وكتب الفضائل أنه عليه السلام بعد أن خطب تلك الخطبة المباركة أنزل الله عليه: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ - الآية - ولم يتجدّد فيها غير النصّ على عليّ بذلك المقام بما قال فيه، أفىكون إكمال الدين وإتمام النعمة بإخبارهم أنّ من كنت ناصره فعلي ناصره؟ ما القول به إلا من خرافات زيغ العناد. كيف يرضى غير المعاند أن يقول: إنّ عليّاً استشهد أكابر الصحابة ويناشدهم الله أن يشهدوا بأنهم سمعوا رسول الله عليه السلام يقول: من كنت ناصره فعلي ناصره؟ ما هذا إلا من زخرف العناد المغسول أربعين صباحاً من السداد والرشاد.

وبالجملة؛ فالأمر أوضح من أن يحتاج سامعه إلى البيان، فقد ثبت به عند جميع الأمة إلا جماعة من متعصبة السنّة أنّه استخلفه ونصّ على إمامته وعصمته فتدبّر.

وقال الغزالي في (سر العالمين): (اختلف العلماء في ترتيب الخلافة وتحصيلها لمن أمرها إليه فمنهم من زعم أنّها بالنص؛ لقوله تعالى: ﴿قُلْ

لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعُونَ ﴿١﴾ الآية، وقد دعاهم أبو بكر إلى الطاعة بعد الرسول ﷺ؛ فأجابوا.

وقال بعض المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسْرَأَ النَّبِيُّ﴾ (٢) - الآية - قال في الحديث أن أبا بكر هو الخليفة بعدي يا حميراء (٣)، وقول امرأته (٤): إذا فقدناك لمن نرجع؟ فأشار إلى أبي بكر وعمر (٥) ولأنه أمّ المسلمين على بقاء النبي ﷺ، والإمامة عماد الخلافة: هذا جملة ما تعلق به القائلون بالنص.

والذين عدلوا عن هذه الطريقة زعموا أن هذا تعلق فاسد وتأويل بارد جاء على أهويتكم وقد وقع الميراث في الخلافة والأحكام مثل داود وسليمان ويحيى وزكريا، قالوا: كان لأزواجه ثمن الخلافة (٦) وبهذا تعلقوا. وهذا باطل؛ إذ لو كان ميراثاً لكان العباس أولى لكن أسفرت الحجة عن وجهها، وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته يوم الغدير باتفاق الجميع وهو يقول: «من كنت مولاه فعلي مولاه»، فقال عمر: يخ يا أبا الحسن لقد أصبحت مولاي ومولى كل مؤمن ومؤمنة، فهذا تسليم ورضاً وتحكيم.

ثم بعد هذا غلب الهوى لحب الرئاسة وحمل عمود الخلافة وعقود

(١) الفتح: ١٦. (٢) التحريم: ٣.

(٣) ليست في المصدر.

(٤) في المصدر: وقالت امرأة، بدل: وقول امرأته.

(٥) ليست في المصدر.

(٦) في المصدر: قالوا لأزواجه: لمن الخلافة (كذا في طبعة دار الحكمة / دمشق - ط ١، وطبعة دار الكتب العلمية / بيروت - ط ١).

البنود وخفقان الهوى في قعقة الرايات واشتباك ازدحام الخيول وفتح
الأمصار وسقاهاهم كأس الهوى، فعادوا إلى الخلاف الأوّل: فنبدوه وراء
ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون.

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وقت وفاته: «ايتوا بدواةٍ وبيضاء لأزيل عنكم إشكال الأمر
واذكركم من المستحق لها بعدي»^(١) فقال عمر: دعوا الرجل فإنه يهجر وقيل:
يهدر.

فبطل تعلقكم بتأويل النصوص فغدوتم إلى الإجماع وهذا منقوض
أيضاً فإن العباس وأولاده وعلياً وزوجته لم يحضروا حلقة البيعة
وخالفكم أصحاب السقيفة في مبايعة الخزرج^(٢) هذا ملخص عبارته.
ثم أخذ بعده في بيان عدم أهلية الأول للخلافة وعدم تحقق الإجماع
على واحد في عصر من الأعصار، وأن من تأمر بعد عليّ عليه السلام كلهم غاصبٌ
للملك وليس بخليفةٍ بعبارة يطول نقلها من أرادها يرجع إلى (سر
العالمين)^(٣).

قول ابن البطريق

وقال ابن بطريق: (اعلم أن لفظة: (مولي) في اللغة على عشرة أوجه:
أولها: الأولي وهو الأصل والعماد الذي ترجع إليه باقي المعاني. وأعلم
أن أئمة اللغة فسروها بذلك، قال أبو عبيدة عمر بن المثنى - وهو مقدّم في
علم العربيّة غير مطعون عليه في معرفتها في كتابه المعروف بـ(المجاز)
في قوله تعالى: ﴿مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ﴾^(٤): (يريد جلّ اسمه: هي أولي

(١) صحيح البخاري ٥: ٢١٤٦ / ٥٣٤٥، صحيح مسلم ٣: ١٠١٨ / ١٦٣٧.

(٢) سر العالمين: ١٠ - ١١. (٣) سر العالمين: ٢٣ - ٢٥.

(٤) الحديد: ١٥.

بكم على ما جاء في التفسير) واستشهد بقول لييد:

فغدت كلا الفرخين^(١) يحسب أنه مولى المخافة خلفها وأمامها

ومعناه: أولى بالمخافة يريد أن هذه الظبية تحيَّرت فلم تدر أخلفها
أولى بالمخافة أم أمامها.

وبقول الأخطل في عبد الملك بن مروان:

فما وجدت فيها قريش لأمرها أعف وأولى من أبيك وأمجدا
وأورى بزنديه ولو كان غيره غداة اختلاف الناس أكدئ وأصلدا
فأصبحت مولاها من الناس كلهم وأحرئ قريش أن تهاب وتحمدا

فخاطبه بلفظ: مولى وهو الخليفة المطاع.

وليس أبو عبيدة متَّهماً بالتقصير في علم اللغة ولا مظنوناً به الميل إلى
أمير المؤمنين - سلام الله عليه - بل هو معدود من جملة الخوارج. وقد
شاركه في مثل ذلك التفسير ابن قتيبة، وهو أيضاً لا ميل له إلى أمير
المؤمنين إلا إنه قال بما يعلم من الحق^(٢).

وقال الفراء في كتابه (معاني القرآن) في تفسير هذه الآية الكريمة: (إنَّ

(١) في المصدر: فغدت كلا الفرخين، وفي شرح المعلقات السبع: فغدت كلا الفرجين،
وقد عرّف الشارح الزوزني بأنّ الفرج هنا: موضع المخافة. انظر شرح المعلقات السبع:

١٠٢.

(٢) انظر أيضاً الكشاف ٤: ٦٤، تنزيل الآيات على الشواهد: ٥٤٢، معاني القرآن
(النحاس) ١: ٣٣٦، تفسير السمرقندي ٣: ٣٨٤، تفسير ابن زنين ٤: ٣٥١، تفسير
النسفي ٤: ٢١٧، تفسير البيضاوي ٥: ٣٠٠، التسهيل لعلوم التنزيل ٤: ٩٧، تفسير ابن
كثير ٤: ٣٣٢، تفسير الثعلبي ٥: ٣٨٥.

الأولى والمولى في لغة العرب واحد).

وقال أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري في كتابه (تفسير مشكل القرآن): (إنَّ الولي والمولى: الأولى بالشيء) واستشهد بالآية المتقدمة وببيت لبيد وأنشد لغير^(١) لبيد أيضاً:

كانوا موالى حق يطلبون بها فأدر كوه ولا ملّوا ولا تعبوا

وقد روي أنّ في قراءة عبدالله بن مسعود^(٢): (إنّما مولاكم الله ورسوله) مكان ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾^(٣).

وفي الحديث: «أيما امرأة تزوجت - ويروي: نكحت - بغير إذن مولاها فنكاحها باطل»^(٤).

ومن المعلوم أنّ المراد به: الولي الذي هو أولى بها من الناس. والأخطل أحد شعراء العرب وممن لا يطعن عليه في معرفة ولا ميل له إلى مذهب الإسلام بل هو من المبرزين في علم اللغة، وقد حكى عن أبي العباس المبرد أنه قال: (الولي: الذي هو الأحق والأولى ومثله المولى)^(٥). فجعل الثلاث بمعنى واحد ومن له أدنى أنس بالعربيّة وكلام أهلها لا يخفى عليه ذلك.

الثاني: من أقسام المولى: مالك الرق قال تعالى: ﴿ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ

(١) في المخطوط: ولغير، وفي المصدر: غير بيت لبيد.

(٢) انظر الكشاف ١: ٦٤٨. (٣) الكشاف ١: ٦٤٨، البحر المحيط ٤: ٣٠٠.

(٤) المعجم الكبير ١١: ١٦١ / ١١٤٩٤.

(٥) الرسائل العشر (الطوسي): ١٣٥، مجمع البيان ٣: ٢٦١، الأربعون حديثاً (المحوزي): ١٥٨ / شرح الحديث: ١٥.

مَوْلَاهُ ﴿١﴾ أي: مالكة.

الثالث: المعتق.

الرابع: المعتق.

الخامس: ابن العم.

السادس: الناصر.

السابع: المتولّي لضمان الجريرة.

الثامن: الحليف.

التاسع: الجار.

العاشر: الإمام المطاع.

وإذا تأملت المعاني التسعة وجدتها راجعة إلى معنى الأول).

وبعد أن استشهد لكل معنى بآية قرآنية أو بيت شعر عربي وأخذ في بيان رجوع المعاني التسعة إلى معنى (الأولى) قال: والدليل على أن الرسول ﷺ أراد بالمولى يوم الغدير: الأولى لأولى (مقدمة الكلام التي أخذ على الأمة الإقرار بها من قوله: «ألست أولى بكم من أنفسكم» ثم عطف عليها | بلفظ يحتملها ويحتمل غيرها |): «من كنت مولاة فعلي مولاة».

فدل بالأول على أنه لم يرد بها غير المعنى الذي قرّره عليه من سائر معاني المولى وأنه إنما قصد باللفظ الآخر ما قصد بالأول، ولا يجوز أن يرد من الحكم تقرير بلفظ مقصور على معنى مخصوص ثم يعطف عليه بلفظ يحتمله إلا ومراده منه المعنى الذي ذكره وقرّره دون ما عداه.

ثم أخذ في بيان هذا الدليل وإيضاحه بوجوه اعتبارية وأمثلة عربية

ونظائر فقهية ثم قال: (فإذا كان الأمر كذلك ثبت أن مراد النبي صلى الله عليه وآله بقوله: «من كنت مولاه فعلي مولاه» هو المعنى الذي قدمه وقرّر عليه، ولم يجز إرادة غيره ممّا يحتمله لفظ (مولي)، وهذا يوجب أن علياً عليه السلام أولى بالناس من أنفسهم بما ثبت أنه مولاهم كما أثبت النبي صلى الله عليه وآله لنفسه أنه مولاهم وأثبت له القديم تعالى أنه أولى بهم من أنفسهم فثبت أنه أولى بنصّ الكتاب العزيز وثبت أنه مولى بلفظ نفسه. فلو لم يكن المعنى واحداً لما تجاوز ما حدّ له في لفظ الكتاب العزيز إلى لفظ غيره، فثبت لعلي ما ثبت له في هذا المعنى من غير عدول إلى معنى سواه.

ويزيده بيانا أننا تصفحنا جميع ما يحتمله لفظ (مولي) من المعاني ونظير ما يصحّ أن يكون مختصاً بالنبي صلى الله عليه وآله منها وما لا يصح اختصاصه به، وما يجوز أن يوجه لغيره في تلك الحال ممّا يخصّه وما لا يجوز؛ فلم نجد فيها ما يصح أن يوجه لأمير المؤمنين - عليه سلام الله - إلا الأولى والإمام والسيد المطاع، فنقول: أمّا مالك الرق والمعتق والحليف والجار وضامن الجريرة، فواضح أنّ علياً - سلام الله عليه - لم يكن مالك رق أرقاء النبي صلى الله عليه وآله، ولا معتقاً لمن أعتقه النبي صلى الله عليه وآله، ولا حليفاً لمن النبي صلى الله عليه وآله حليفه؛ لأنّ الرسول لم يكن حليفاً لأحدٍ ولا جاراً لكل من هو جاره؛ لمجاورة النبي صلى الله عليه وآله أناساً قبل مولد علي أو مجاورة علي - عليه سلام الله - بعد الرسول من لم يجاوره الرسول، ولا ضامن جريرة من كان النبي صلى الله عليه وآله ضامن جريرته. على أنه لم يثبت وقوع ضمانه جريرة أحد.

وأما ابن العم والناصر: فواضح عدم إرادتهما؛ لأنه [معلوم بالضرورة] (١)

(١) في المخطوط: علم بالصورة، ولم ترد هذه العبارة في المصدر، بل فيه: للعلم المشترك من الكافة. ولم تثبت ما في المصدر؛ لأن العبارة منقولة عنه بالمعنى.

لجميع أهل ذلك الموقف بل ولجميع الخلق فلا يجوز على الرسول ﷺ أن يجمع الناس في مثل ذلك المقام المعظم الكبير ويوقفهم على الرضاء في الحر الشديد؛ ليعلمهم ما هم متيقنوه).

أقول: بل ولا يمكن أيضاً أن يكون منه ذلك؛ ليعلمهم بأن علياً عليه السلام جار من هو جاره، أو حليف من هو حليفه، أو ضامن جريرة من هو ضامن جريرته، أو مالك رق من هو مالك رقه، أو معتق من هو معتقه؛ لأن الحكمة ومنصب الرسالة تأبى ذلك كله. على أن ذلك الجم الغفير لم يكن أكثرهم متصفاً بشيء من تلك المعاني حتى يقرّهم به ويشبته لابن عمه علي - صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما - . هذا مع تعقيبته لتلك الخطابة الواردة منه بأمر الله تعالى بقوله ﷺ: «ألا فليبلغ الشاهد الغائب». فمحال بالضرورة أن يريد شيئاً من تلك المعاني.

قال ابن بطريق: (وأما المعتق فمحال عليه، وإذا لم يصح أن يكون مراده شيئاً من الأقسام علمنا أن مراده ما بقي منها مما هو واجب له على العباد ويصح أن يوجبه لمن أراد، ولم يبق إلا الأولى والسيد المطاع، ولو لم يكونا أو أحدهما مراده خرج كلامه عن أن يتضمن معنى يستفاد.

حديث الثقلين

ويزيده إيضاحاً ما قدّمنا ذكره من (صحيح مسلم)^(١) و(الجمع بين الصحيحين) للحميدي و(الجمع بين الصحاح الستة) لرزين العبدري ذكر من (صحيح أبي داود) وصحيح الترمذي^(٢)، وهو ما رووه عن زيد بن

(١) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٢ / ٢٤٠٨ . (٢) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣ / ٣٧٨٧ .

أرقم أنه قال: قام رسول الله ﷺ خطيباً فينا بماء يدعى خمأً، فحمد الله وأثنى عليه ووعظ وذكر ثم قال: «أما بعد أيها الناس، إنما أنا بشرٌ يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب وأنا تاركٌ فيكم الثقلين: أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به».

فحثّ على كتاب الله ورغب فيه ثم قال: «وأهل بيتي أذكركم الله في أهل بيتي» ثلاثاً فأوصى بكتاب الله دفعة وبأهل بيته ثلاثاً، ولم يرد في التأكيد في الوصاية بهم إلا أنهم هم حفظة الكتاب والمترجمين عنه بما لا يعلمه غيرهم، فثبتت الوصاية بهم وبالكتاب.

ثم قال ﷺ: «هما حبلان ممدودان لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض».

ويدل على أنّ ذلك كان منه وصيةً أنه نعى إليهم نفسه، ثم وعظ وذكر. وقال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ ﴾^(١)، وإن كان الراوي لخبر الغدير قصد الإعراض عن ذكر لفظة مولى في الخبر فقد أتى بما يسدّ مسدّها وهو الوصية باتّباع عليّ ولزوم طاعته ووصيته واجبة الاتّباع.

ومّا يدل على أنه ما أراد بلفظ (مولى) إلا استحقاق الإمامة وولاء الأمة ما ذكرناه من قول عمر بن الخطاب: (هنيئاً لك يا ابن أبي طالب أصبحت مولى كل مؤمن ومؤمنة). فدل بالتهنئة له على استحقاق الإمامة^(٢) فمن كان مؤمناً فعليّ مولاة^(٣) انتهى ملخص كلام ابن بطريق. قلت: الوصية منه ﷺ في ذلك المشهد العظيم باتّباع الثقلين على كل

(١) البقرة: ١٨٠.

(٢) نسخة: الولاية: (هامش المخطوط).

(٣) عمدة عيون صحاح الأخبار: ١١٢ - ١١٨.

حال، وإيجابه لأهل بيته عليّ أمته ما أوجبه الله لرسوله عليهم بلغ نهاية مراتب الاستفاضة، ورواه مستفيضاً السنّة والشيعّة؛ فهو مجمع عليّ روايته، فلا شك فيه إلا لمنافق مكابر يقول بخلاف ما يعلمه عناداً.

واقعة التصديق بالخاتم

ومّا يدل عليّ أنّه أراد بلفظ: (المولّي) الأولي بكلّ ما كان الرسول صلى الله عليه وآله أولي به من جميع الخلق، وعليّ أنّ علياً - سلام الله عليه - هو الإمام والخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ ^(١). فحصر ولاية الخلق بعده تعالى في رسوله وفي المؤمن المتصدّق وهو راع، فهذه خاصّة لوليّ الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله ميّزه تعالى بها من كافة المؤمنين؛ لأنها بالضرورة لم توجد في كل مؤمن، فلا بد أن يختص بها واحد؛ لوجوب وحدة الإمام المولّي من الله في كل زمن؛ فلكلّ أناس إمام يدعون به في المحشر.

وقد استفاضت الأخبار من الصحاح والحسان وغيرها يشهد بعضها لبعض ويثبت بعضها بعضاً أن المعنى به في الآية الكريمة هو علي بن أبي طالب ^(٢)؛ إذ لا يقوم مقام الرسول في ذلك ولا يصلح له إلا من هو نفسه ^(٣) ومن هو منه بمنزلة هارون من موسى ^(٤) من هو منه بمنزلة الرأس من

(١) المائدة: ٥٥.

(٢) الأمالي (الصدوق): ١٨٦ / ١٩٣، جامع البيان، المجلد ١٤، ج ٦: ٣٨٩ / ٩٥٢٢، المعجم الأوسط ٧: ١٢٩ - ١٣٠ / ٦٢٢٨، مجمع الزوائد ٧: ١٧، تذكرة الخواص: ١٥، الصواعق المحرقة: ٤١.

(٣) المصنف (ابن أبي شيبة) ٧: ٤٩٩ / ٣٠، خصائص أمير المؤمنين: ١٠٤ / ٧١.

(٤) المعجم الكبير ٢٤: ١٤٧ / ٣٨٩.

الجسد^(١) ومن هو باب مدينة علمه^(٢) ولا يودي عنه إلا هو أو رجلٌ منه^(٣)، يعني: علياً كما استفاض.

وكل هذه المضامين تدلّ على عصمة علي عليه السلام وإمامته وخلافته، وتبيّن أنّ مراده بالمولى: الأولي فإنه جعل له ما له من معنى الولاية والمولى والأولي صريحاً من غير احتمال تأويل.

انظر إلى هذه الآية الكريمة حيث حصر فيها ولاية الخلق في الله ورسوله صلى الله عليه وآله وفي المؤمن الموصوف بذلك فدل بهذا العطف على أنّ ولاية الرسول صلى الله عليه وآله هي ولاية الله حقيقة وأنّ ولاية المؤمن المعين بتلك الخاصّة الشريفة هي ولاية الله ورسوله حقيقة. فمظهر ولاية الله العظمى وحامل لوائها الرسول صلى الله عليه وآله وبعده المؤمن الذي أقام الصلاة وآتى الزكاة وهو راعٍ. فهو إذن خليفة الله ورسوله، وله على الخلق ما لهما، وهذا يستلزم عصمته حتى عن السهو والغلط بالضرورة كما هو جلي.

قال الثعلبي: (وقال السدي وعتبة بن أبي حكيم وغالب بن عبيدالله: إنما عنى بقوله سبحانه وتعالى: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾: علي بن أبي طالب عليه السلام؛ لأنه مرّ به سائل وهو راعٍ في المسجد فأعطاه خاتمه)^(٤).

وأخرج الثعلبي أيضاً بسندٍ متصلٍ إلى الربيعي قال: بينا ابن عباس

(١) الرياض النضرة ٣: ١١٧.

(٢) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٧٨ - ٣٨٢، ٣٨٤.

(٣) خصائص أمير المؤمنين: ١٠٩ - ١١٠ / ٧٦، كتاب السنة: ٥٩٥ / ١٣٢٠.

(٤) تفسير الثعلبي ٤: ٨٠، عنه في تذكرة الخواص: ١٥.

جالساً على شفير زمزم يقول: قال رسول الله ﷺ، إذ أقبل رجلٌ معتمٌ بعمامةٍ فجعل ابن عباس لا يقول: قال رسول الله ﷺ إلا وقال الرجل: قال رسول الله؛ فقال له ابن عباس: سألتك بالله، من أنت؟ فكشف العمامة عن وجهه وقال: يا أيها الناس من عرفني فقد عرفني، من لم يعرفني فأنا جندب بن جنادة البديري أبو ذر الغفاري، سمعت رسول الله ﷺ بهاتين وإلا فصمتاً ورأيت بهاتين وإلا فعميتا يقول: «علي قائد البررة وقاتل الكفرة، منصور من نصره مخذول من خذله». أما إني صليت مع رسول الله ﷺ يوماً من الأيام صلاة الظهر، فسأل سائلٌ في المسجد فلم يعطه أحدٌ فرفع السائل يده إلى السماء وقال: اللهم اشهد أنني سألت في مسجد رسول الله ﷺ فلم يعطني أحدٌ شيئاً.

وكان علي راکعاً فأوماً إليه بخنصره اليمنى وكان يتختم فيها، فأقبل السائل حتى أخذ الخاتم من خنصره، وذلك بعين النبي ﷺ. فلما فرغ من صلاته رفع رأسه إلى السماء وقال: «اللهم إن موسى سألَكَ فقال: ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي * وَيَسِّرْ لِي أَمْرِي * وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي * يَفْقَهُوا قَوْلِي * وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي * هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي ﴾ (١) فأنزلت عليه قرآناً ناطقاً: ﴿ قَالَ سَتَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَتَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِآيٰتِنَا ﴾ (٢)، اللهم وأنا محمد نبيك وصفيك اللهم فاشرح لي صدري ويسر لي أمري واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به أمري». قال أبو ذر: فما استتم رسول الله ﷺ الكلمة حتى نزل جبرئيل عليه السلام من عند الله فقال:

«يا محمد اقرأ: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾ (١)» (٢).

ورواه عنه البزاز في تفسيره وغير واحد ومن الجزء الثالث من (الجمع بين الصحاح الستة) لرزين من صحيح النسائي عن ابن سلام قال: أتيت رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقلت: إن قومنا حادونا لما صدقنا الله ورسوله وأقسموا أن لا يكلمونا فأنزل الله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ الآية ثم أذن بلال لصلاة الظهر؛ فقام الناس يصلون فمن بين راکع وساجد وسائل؛ إذ سأل سائل فأعطاه عليّ خاتمه وهو راکع فأخبر السائل رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقرأ علينا رسول الله صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا ﴾ الآية إلى ﴿ هُمْ الْغَالِبُونَ ﴾.

ورواه الرازي أيضاً في تفسيره (٣) وغيره (٤).

ومن مناقب ابن المغازلي بعدة أسانيد تزيد على خمسة عن ابن عباس وغيره: أن الآية الكريمة نزلت في علي بن أبي طالب ولفظ بعضها: عن ابن عباس أنه قال: مرّ سائلٌ بالنبِيِّ صلى الله عليه وآله وفي يده خاتم فقال: «من أعطاك هذا الخاتم؟» فقال: ذاك الراكع وكان عليّ يصلي، فقال النبي صلى الله عليه وآله: «الحمد لله الذي جعلها في وفي أهل بيتي: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾».

وكان عليّ خاتمه الذي تصدق به: «سبحان من فخري بأنّي له عبد».

(١) المائدة: ٥٥. (٢) تفسير الثعلبي ٤: ٨٠.

(٣) تفسير الرازي ١٢: ٢٥.

(٤) تفسير مقاتل ١: ٣٠٧، تفسير السمرقندي ١: ٤٢٣، تفسير البغوي ٢: ٤٧، زاد المسير

٢: ٢٩٢، تفسير الآلوسي ٦: ١٦٧.

ومنها: عن علي بن عباس قال: دخلت أنا وأبو مريم علي بن عبد الله بن عطاء؛ فقال أبو مريم: حدث علياً بالحديث الذي حدثتني عن أبي جعفر قال: كنت عند أبي جعفر جالساً؛ إذ مرّ عليه ابن عبد الله بن سلام قلت: جعلني الله فداك، هذا ابن الذي عنده علم من الكتاب؟ قال: «لا ولكن صاحبكم علي بن أبي طالب الذي نزلت فيه آيات من كتاب الله عز وجل: ﴿وَمَنْ عِنْدَهُ عِلْمُ الْكِتَابِ﴾^(١) ﴿أَقَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ﴾^(٢) - الآية - ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٣) الآية»^(٤).

وقال البغوي في (معالم التنزيل): (قال السدي: قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ﴾، أراد به: علي بن أبي طالب، مرّ به سائل وهو راكع في المسجد، فأعطاه خاتمه^(٥). وفي (الكشاف): (قيل: إنها نزلت في علي حين سأله سائل وهو راكع فطرح له خاتمه وهو راكع^(٦)).

ورواه البيضاوي أيضاً في تفسيره^(٧) وجملته صالحة من المفسرين^(٨). وقال الرازي في تفسيره: (روى عكرمة^(٩) عن ابن عباس أنها في علي، وعن عبد الله بن سلام قال: لما نزلت هذه الآية قلت: يا رسول الله، أنا رأيت

(١) الرعد: ٤٣. (٢) محمد: ١٤.

(٣) المائدة: ٥٥.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٣١٣ - ٣١٤ / ٣٥٨، وفيه: (علي بن عباس)، بدل: (علي بن عباس).

(٥) تفسير البغوي ٢: ٤٧.

(٦) الكشاف ١: ٦٤٩. (٧) تفسير البيضاوي ١: ٢٧٢.

(٨) تفسير النسفي ١: ٢٨٩، التبيان ٣: ٥٥٩، مجمع البيان ٣: ٢٦٣.

(٩) في المصدر: عطاء.

علياً تصدّق بخاتمه عليّ محتاج وهو راعٍ، فنحن نتوالاه^(١).
وقال السيوطي: (قوله تعالى: ﴿ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴾ - الآيات -
أخرج ابن مردويه^(٢) الخطيب وابن عساكر^(٣) عن أسماء بنت عميس قالت:
رأيت رسول الله بإزاء ثبير وهو يقول: «أشرق ثبير أشرق ثبير، اللهم إني أسألك
بما سألك أخي موسى: أن تشرح لي صدري وأن تيسر لي أمري وأن تحلل عقدةً من
لساني؛ يفقهوا قولي واجعل لي وزيراً من أهلي علياً أخي اشدد به أزري وأشركه في
أمري» الآيات إلى ﴿ بِصِيرًا ﴾^(٤).

وأخرج السلفي بسندٍ رواه عن أبي جعفر محمد بن علي قال: «لما نزلت:
﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ هَارُونَ أَخِي * اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي * كان رسول الله ﷺ
على جبل ثم دعا ربه وقال: اللهم اشدد أزري بأخي علي» فأجابه إلى ذلك^(٥).

قال في (جامع الأصول) في جملة خبر: (ثم أذن بلال لصلاة الظهر فقام
الناس يصلّون فمن ساجدٍ وراكعٍ وسائلٍ إذ سأل سائلٌ فأعطاه عليّ
خاتمه وهو راعٍ فأخبر السائل رسول الله ﷺ، فقرأ علينا رسول الله ﷺ:
﴿ إِنَّمَا وَرِثَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ الآيات إلى ﴿ هُمُ الْغَالِبُونَ ﴾^(٦).

وروى السيوطي في تفسيره^(٧) نزولها في أمير المؤمنين - صلوات الله
عليه - عن ابن عباس بعدة طرق، وفي بعضها: فكبر رسول الله ﷺ عند
ذلك وهو يقول: ﴿ وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾^(٨) الآية.

وعن عمار بن ياسر، وفي آخره: فقرأها رسول الله ﷺ على أصحابه ثم

(١) التفسير الكبير ١٢: ٢٣. (٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٧٨ / ٤٣٣.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٥٢. (٤) الدر المنثور ٤: ٥٢٨.

(٥) عنه في المصدر نفسه. (٦) جامع الأصول ٨: ٦٦٤ / ٦٥١٥.

(٧) الدر المنثور ٢: ٥١٩ - ٥٢١. (٨) المائدة: ٥٦.

قال: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه»^(١).

وعن علي - صلوات الله عليه - وعن سلمة بن كهيل وعن مجاهد وعن السدي وعن ابن أبي حكيم وعن أبي رافع، وفي آخره - بعد ذكره لقراءة النبي ﷺ الآية عليه أنه ﷺ قال: «الحمد لله الذي أتم لعلتي نعمته وهنيتاً لعلتي لفضل الله إياه»^(٢).

وذكر فيما رواه عن ابن عباس أنه أخرجه عبد الرزاق وابن حميد وابن جرير وأبو الشيخ وابن مردويه، وفيما رواه عن عمار أخرجه الطبراني وابن مردويه وفيما رواه عن أمير المؤمنين - سلام الله عليه - أخرجه أبو الشيخ وابن مردويه وابن عساكر^(٣)، وفيما رواه عن سلمة أخرجه ابن حاتم وأبو الشيخ وابن عساكر^(٤).

وفيما رواه عن أبي رافع أخرجه الطبراني^(٥) وابن مردويه وأبو نعيم. فانظر إلى استفاضة هذا الحديث الشريف، فالشيعة والسنة مطبقون على روايته؛ فهو متواتر المضمون، صريح الدلالة في حصر ولاية الخلق بعد الرسول في علي، فهو ولي الخلق وأولى بهم من أنفسهم، حكم من الله ورسوله ﷺ. وهذا يستلزم عصمته أيضاً؛ لأنه لا يمكن ثبوت صفة الرسول وولايته التي هي ولاية الله حقيقة لغير معصوم بالضرورة فتدبر. فإن قلت: كيف يعني بها علياً - سلام الله عليه - وهو مفرد، ﴿الَّذِينَ

(١) الدر المنثور ٢: ٥١٩. (٢) الدر المنثور ٢: ٥٢٠.

(٣) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢١٢-٢١٣.

(٤) أورد ابن عساكر هذا الحديث في أكثر من تسعين مورداً في ج ١٣، و١٨، و٢٥،

و٣٨، و٤٢، و٤٥، و٦٥، انظر تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٦٩، ٦٥: ٣٢٤.

(٥) المعجم الصغير ١: ٦٥، المعجم الكبير ٣: ١٧٦ / ٣٠٤٩.

آمَنُوا ﴿ جمع؟

قلت: ليس بغريب استعمال صيغة الجمع في المفرد تعظيماً في لغة العرب بل هو من البلاغة، وثبوته أشهر من أن يحتاج إلى البيان، بل هو مطلوب في مثل هذا المقام؛ لما فيه من الدلالة على عظم شأن علي عليه السلام عند الله ورسوله إتماماً للحجّة وإيضاحاً للمحجّة، وفيه من الدلالة على كمال إيمانه وإقامته الصلاة ما لا يخفى. فمن اتّصف بذلك اتّصف بالعصمة؛ لأنّ من أقام الصلاة حقيقة ومن كل وجه لزم انتهاؤه عن كل فحشاء ومنكر.

وبوجه آخر عبّر بالجمع ليدل على أن من ذريّته من هو كذلك، فالمعنى: المؤمن المتصدّق راعياً وبعض من في صلبه وهم الاثنا عشر إماماً الذين أخبر عنهم الرسول صلى الله عليه وآله بأنّ بهم قوام الدّين وعزّ الإسلام والمسلمين، وهم سفينة النجاة وأمان أهل الأرض، فهذا وجه التجوّز. وفيه الإدلال على أنّ الولاية والإمامة والعصمة فيه وفي نسله؛ إذ لا يمكن القول بعمومها لغير عليّ والأئمة من بنيّه بعدما سمعت من الأخبار الصحاح المستفيضة. وما ذكرناه أقرب المجازات فيجب حملها عليه.

قال ابن بطريق: (لا نعلم من لدن آدم عليه السلام إلى يومنا هذا أحداً تصدّق بالخاتم وهو راعع ونزلت فيه آية غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - سلام الله عليه - فيجب تخصيصها بها ونفيها عن غيره. وجاز أن يكون للتعظيم، وقد عبّر الله عنه صلى الله عليه وآله في آية المباهلة بـ ﴿أَنْفُسَنَا﴾ وهو واحد، وعن الزهراء - سلام الله عليها - بـ ﴿نِسَاءَنَا﴾^(١) وهي واحدة^(٢) انتهى

(١) آل عمران: ٦١.

(٢) عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٢٤ - ١٢٥.

حاصل كلام العمدة.

وأقول: انظر لما في التعبير عن أمير المؤمنين في آية المباهلة بلفظ الجمع وعن البتول من وجوه التعظيم وضروبه والإشارة الي أنه مقام الرسول صلى الله عليه وآله في جميع كمالاته وما يجب له على الخلق وسيأتي له مزيد بسط إن شاء الله تعالى بمنه.

في كونه عليه السلام الشاهد

ومن الأدلة الواضحة على إمامته وعصمته وأنه القائم مقام الرسالة دون من سواه قوله تعالى: ﴿ أَقَمَّنْ كَانَ عَلَى بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ ﴾ (١)، فقد استفاض أن المراد بها: محمد وعليّ - صلوات الله عليهما وآلهما - قال البغوي في تفسير الآية: قيل: هو علي بن أبي طالب وقال علي: إنها نزلت فيه (٢).

وروى ابن أبي الحديد بسنده عن علي - سلام الله عليه - أنها نزلت فيه، وأنه قال: «الذي على بيته من ربه محمد صلى الله عليه وآله والشاهد الذي يتلوه أنا» (٣). ورواه السيوطي في تفسيره (٤) وقال: أخرجه ابن أبي حاتم وابن مردويه وابن عساكر (٥)، ثم رواه عن النبي صلى الله عليه وآله أنه علي، وقال: أخرجه ابن مردويه (٦).

وطبق قول الرسول صلى الله عليه وآله: «لا يؤدي عني إلا أنا أو علي» (٧)، وفي آخر: «إلا أنا أو

(١) هود: ١٧. (٢) تفسير البغوي ٢: ٣٧٧.

(٣) شرح نهج البلاغة ٢: ٢٨٧. (٤) الدر المنثور ٣: ٥٨٦.

(٥) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢: ٣٦٠.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦١ - ٢٦٤ / ٣٩٦ - ٤٠٠.

(٧) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢: ٣٤٥.

رجلٌ مني»^(١)، وقول جبرئيل عليه السلام: «لا يؤذي عنك إلا أنت أو رجلٌ منك»^(٢). وبالجملة، من تتبّع التفاسير وكتب الفضائل وجده فيها مستفيضاً، فقد صرحت الآية والسنة أنّ علياً - سلام الله عليه - هو الذي يتلو رسول الله صلى الله عليه وآله في كونه على بينة من ربه، وأنه منه شاهدٌ على الخلق وشهيدٌ لله تعالى؛ فهو من الأشهاد القائمين يوم يقوم الأشهاد، فهو إمام الخلق بعد محمد صلى الله عليه وآله. [فهو]^(٣) منه نصٌّ من الله ورسوله، فيجب بهذا أن يكون معصوماً؛ لأنّه على بينة من ربه على كلّ حال وشاهده كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله فما كان رسول الله صلى الله عليه وآله كذلك إلاّ بجهة العصمة من كل وصمة فقد ثبت لعليّ ما ثبت له من هذه الخاصّة صلى الله عليهما وسلم.

ومما يصرح بتمام القول بعصمته وإمامته العامّة بعد الرسول صلى الله عليه وآله ما رواه الثعلبي بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني ملك، فقال: يا محمد واسأل من أرسلنا قبلك من رسلنا على ما بعثوا؟ قال: قلت: على ما بعثوا؟ قال: على ولايتك وولاية علي بن أبي طالب».

وقد مرّ ذكره بطريقتين وهو صريحٌ فيما نقلناه من أنّ ولاية علي - سلام الله عليه - هي ولاية الله ورسوله العظمى ولا يأخذ الله عهد الرسول إلاّ على ولاية مظهر ولايته وحامل لوائها فهي الجامعة لكلّ ولاية فكل كمال فمنها بدأ وإليها يعود، ومن الضروري أنّ حاملها ومظهرها الكلّي لا يكون إلاّ معصوماً فعلي هو الإمام بعد الرسول وأولى بكلّ أحدٍ من نفسه؛ لأنّه أعلم بمصالحه منه بها لأن علمه من الله ورسوله صلى الله عليه وآله وكل خير فمنه بدأ؛

(٢) تاريخ مدينة دمشق: ٤٢: ٣٤٨.

(١) المصدر نفسه.

(٣) في المخطوط: فأما.

لأنه الباب الأعظم لمدينة العلم فتدبره جيداً.

ومنها ما أخرجه السيوطي في تفسيره عن أبي نعيم في حليته عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أنزل الله آيةً فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا عليّ رأسها وأميرها»^(١).

وهذا رواه غير واحدٍ وهو صريحٌ في أنه أمير كل مؤمن بعد الرسول ﷺ، فلا أمير عليه بل هو - سلام الله عليه - إمام الخلق ولسان الحق بعد رسول الله ﷺ.

ومنها ما أخرج ابن مردويه وغيره عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ أنها نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب التجار المذكور في يس، وعلي بن أبي طالب وكلّ رجلٍ منهم سابق أمته وعليّ أفضلهم سبقاً^(٢)، وهو من أدل دليل عليّ أن ما سواه من أمة محمد ﷺ تابع له فهو إمامهم عليّ الإطلاق.

وروي أيضاً من طريق ابن أبي حاتم^(٣) وابن مردويه^(٤): أن السابقين يوشع ومؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب - سلام الله عليه^(٥) - فهو مؤمن آل محمد أكملهم إيماناً فكان الإيمان خصّ به؛ لأنّ إيمانه أكمل إيمان وآل محمد أكمل الخلق إيماناً؛ لما سمعت وستسمع إن شاء الله تعالى فهو إذن معصوم وإمام لمن سواه.

(١) الدر المنثور (ط دار المعرفة) ١: ١٠٤. (٢) مناقب أمير المؤمنين: ٣٣٠ / ٥٥٣.

(٣) تفسير ابن أبي حاتم ١٠: ٣٣٢٩ / ١٨٧٧٣.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٣٠ / ٥٥٢.

(٥) الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٦: ١٥٤.

ومنها ما استفاض نقله بين الأمة من أن الرسول ﷺ لما نزل عليه قوله تعالى: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(١) أمر علياً - سلام الله عليه - أن يصنع طعاماً إلى عشيرته ويدعوهم إليه فدعاهم وهم نحواً من أربعين رجلاً فيهم أعمامه وكان كل رجل منهم يأكل ما صنعه ويشرب ما أحضره من اللبن، فطعموا وشربوا وشبعوا كلهم؛ فقال أبو لهب: سحركم فسكت رسول الله ﷺ ثم أمر علياً - سلام الله عليه - أن يصنع مثله من الطعام والشراب فدعاهم في اليوم الثاني فطعموا اللحم وشربوا اللبن فشبعوا ورووا ثم تكلم رسول الله ﷺ وقال: «يا بني عبد المطلب، والله ما أعلم شاباً في العرب جاء قومه بأفضل مما قد جنتكم به، إني قد جنتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله أن أدعوكم إليه، فأيتكم يؤازرنني على هذا الأمر على أن يكون أخي ووصيتي وخليفتي؟»، فبكم القوم عنها جميعاً وسكتوا قال علي: «فقلت - وإني لأحدتهم ستاً - : أنا يارسول الله أكون وزيرك عليه» فأعادها ثلاثاً في كلها يسكت القوم ويقول علي: «أنا يارسول الله»، فأخذ برقبة علي ثم قال: «إن هذا أخي ووصيتي وخليفتي فاسمعوا له وأطيعوا»، فقام القوم يضحكون ويقولون لأبي طالب: أمرك أن تسمع لابنك وتطيع.

رواه ابن الأثير في كامله^(٢) عن أمير المؤمنين - سلام الله عليه - والطبراني في تاريخه كما نقله ابن الأثير وابن أبي الحديد في الشرح^(٣) عنه بسنده إلى ابن عباس عن علي.

وقال ابن أبي الحديد: وروي أبو جعفر الطبري^(٤) أيضاً في التاريخ: أن

(١) الشعراء: ٢١٤. (٢) الكامل في التاريخ ٢: ٦٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢١١. (٤) تاريخ الطبري ٢: ٦٣.

رجلاً قال لعلي: يا أمير المؤمنين، بما ورثت ابن عمك دون عمك؟ فقال أمير المؤمنين: «جمع رسول الله صلى الله عليه وآله بني عبد المطلب بمكة...» الحديث إلى أن قال في آخره: «فبذلك ورثت ابن عمي»^(١).

وروى ابن أبي الحديد^(٢) عن شيخه أبي جعفر الإسكافي أنه قال: ورد في الخبر الصحيح أنه كلفه في مبدأ الدعوة أن يصنع طعاماً ويدعو بني عبد المطلب الحديث إلى أن قال: تم دعاهم إلى الدين ودعاه معهم، ثم ضمن لمن يؤازره وينصره على قوله أن يجعله أخاه في الدين ووصيه وخليفته من بعده، فأمسكوا كلهم وأجابوه وحده؛ فقال: «أنا أنصرك وأوازرك على ما جئت به»، فلما رأى منه النصر والطاعة ومنهم الخذلان والمعصية قال: «هذا أخي ووصيي وخليفتي من بعدي».

ورواه ابن كثير في تفسيره بعدة طرق لا يحضر لي حصرها وفي بعضها: أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي في ذلك المقام أيضاً: «وأنت مني بمنزلة هارون من موسى».

وأحمد في مسنده بعدة طرق منها: عن ابن عباس ومنها: عن عباد الأسدي عن علي بطريقين وفي أحدهما: أنه لما خاطب القوم قال لهم: «من يضمن عني ديني ومواعيدي ويكون معي في الجنة ويكون خليفتي في أهل ديني؟» فقال علي: «أنا»^(٣) الحديث.

والتعليبي عن البراء ولفظه: أنه قال لهم: «من يؤاخيني ويؤازرني ويكون وليي ووصيي بعدي وخليفتي في أهل ديني؟» فسكت القوم فأعاد ثلاثاً في كلها

(١) شرح نهج البلاغة ١٣: ١٢. (٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٤٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ١: ١١١.

يسكت القوم ويقول عليّ: «أنا» فقال عليه السلام: «أنت»^(١).

وبالجملة: فهو مستفيض لا شك في صحته وثبوتة وهو كما ترى صريح في الدلالة بالطرق الثلاثة على أن علياً - سلام الله عليه - هو الخليفة بعده دون من سواه، وأنه إمام الخلق طراً، والوصي الوارث لمواريث الأنبياء وكتب الله المنزلة. فهو معصوم إذن بلا شك؛ فإنه أمين الله ورسوله عليه السلام على وحيه ودينه وعباده، ومستودع سرّه؛ إذ هو معنى الخلافة عند من عقلها، ولم يعاند.

تا الله ما جهل الأقوام موضعها لكنهم ستروا وجه الذي علموا^(٢)

أفلا ترى إلى كفار قريش كيف فهموا من مقالة الرسول عليه السلام إرادة وجوب الطاعة والائتمام به والإمارة له، وأن منصبه من بعده له حيث قالوا لأبي طالب: اسمع وأطع لابنك فقد أمره عليك. فتعساً لمن أنكر دلالاته على ذلك؛ فإنه عنادٌ في مقابلة مقتضى العقل والحس.

حديث اختيار الله علياً عليه السلام للولاية

ومنها ما أخرجه الطبراني في (الكبير) بسنده إلى سفيان بن عيينة عن علي بن علي المكي عن أبيه قال: دخلت على رسول الله عليه السلام في شكايته التي قبض فيها، فإذا فاطمة عند رأسه فبكت حتى ارتفع صوتها، فرفع رسول الله عليه السلام طرفه إليها فقال: «حبيبتي فاطمة، ما الذي يبكيك؟». فقالت: «أخشى الضيعة من بعدك». فقال: «يا حبيبتي، أما علمت أن الله عز وجل أطلع إلى الأرض

(١) تفسير الثعلبي ٧: ١٨٢.

(٢) لأبي فراس: عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٢٥.

اطَّلَاعَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا أَبَاكَ فَبَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ، ثُمَّ اطَّلَعَ اطَّلَاعَةً فَاخْتَارَ مِنْهَا بَعْلَكَ، وَأَوْحَى إِلَيَّ أَنْ أَنْكَحَكَ إِيَّاهُ؟ يَا فَاطِمَةُ وَنَحْنُ أَهْلُ بَيْتٍ قَدْ أَعْطَانَا اللَّهُ سَبِيحَ خِصَالٍ لَمْ يُعْطَ أَحَدٌ قَبْلَنَا وَلَا يُعْطَى أَحَدٌ بَعْدَنَا:

أَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ وَأَكْرَمُ النَّبِيِّينَ عَلَى اللَّهِ وَأَحَبُّ الْمَخْلُوقِينَ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَأَنَا أَبُوكَ. وَوَصِيِّي خَيْرَ الْأَوْصِيَاءِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ بَعْلُكَ. وَشَهِيدُنَا خَيْرَ الشَّهَدَاءِ وَأَحَبَّهُمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمَطْلُبِ عَمَّ أَبِيكَ وَعَمَّ بَعْلُكَ.

وَمِنَّا مَنْ لَهُ جَنَاحَانِ أَخْضِرَانِ يَطِيرُ فِي الْجَنَّةِ مَعَ الْمَلَائِكَةِ حَيْثُ يَشَاءُ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ أَبِيكَ وَأَخُو بَعْلُكَ.

وَمِنَّا سَبْطَا هَذِهِ الْأُمَّةِ وَهُمَا ابْنَاكَ الْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ، وَهُمَا سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ. وَأَبُوهُمَا - وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ - خَيْرٌ مِنْهُمَا.

يَا فَاطِمَةُ، وَالَّذِي بَعَثَنِي بِالْحَقِّ أَنْ مِنْهُمَا مَهْدِيَّ هَذِهِ الْأُمَّةِ، إِذَا صَارَتِ الدُّنْيَا هَرَجًا وَمَرْجًا وَتَظَاهَرَتِ الْفِتْنُ وَتَقَطَّعَتِ السُّبُلُ وَأَغَارَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ، فَلَا كَبِيرَ يَرْحَمُ صَغِيرًا وَلَا صَغِيرَ يُوَقِّرُ كَبِيرًا؛ فَيُبْعَثُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عِنْدَ ذَلِكَ مِنْهُمَا مَنْ يَفْتَحُ حِصُونَ الضَّلَالَةِ وَقُلُوبًا غُلْفًا، يَقُومُ بِالذِّينِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ كَمَا قَمْتُ بِهِ فِي أَوَّلِ الزَّمَانِ يَمْلَأُ الدُّنْيَا عَدْلًا كَمَا مَلَأْتُ جُورًا.

يَا فَاطِمَةُ، لَا تَحْزَنِي وَلَا تَبْكِي فَإِنَّ اللَّهَ أَرْحَمُ بِكَ وَأَرْأَفُ عَلَيْكَ مِنِّي؛ وَذَلِكَ لِمَكَانِكَ مِنِّي وَمَوْضِعِكَ مِنْ قَلْبِي، وَزَوْجِكَ اللَّهُ زَوْجُكَ وَهُوَ أَشْرَفُ أَهْلِ بَيْتِكَ حَسَبًا وَأَكْرَمُهُمْ مَنْصَبًا وَأَرْحَمُهُمْ بِالرَّعِيَّةِ وَأَعْدَلُهُمْ بِالسُّوِيَّةِ وَأَبْصَرُهُمْ بِالْقَضِيَّةِ، وَقَدْ سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ أَنْ تَكُونِي أَوَّلَ مَنْ يُلْحِقُنِي مِنْ أَهْلِ بَيْتِي».

قَالَ عَلِيٌّ: «فَلَمَّا قَبِضَ النَّبِيُّ ﷺ لَمْ تَبْقَ فَاطِمَةُ - سَلَامُ اللَّهِ عَلَيْهَا - بَعْدَهُ إِلَّا خَمْسَةٌ وَسَبْعِينَ يَوْمًا حَتَّى أَلْحَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى بِهِ ﷺ»^(١).

وأخرج هذا الحديث - بألفاظه - أبو نعيم في (الأربعين) التي جمعها في أمر المهدي عليه السلام وأخرجه أيضاً أبو المظفر السمعاني في كتاب (فضائل الصحابة) بسنده عن أبي هارون العبدى عن أبي سعيد الخدرى. فانظر إلى صراحة هذا الخبر الصحيح في أن علياً - عليه من صلوات الله أزكاها - هو وصي رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأنه خير الأوصياء وأحبهم إلى الله، فعمّ الأولين والآخرين ومن الأوصياء مثل وصي آدم ووصي نوح ووصي إبراهيم ووصي موسى ووصي عيسى عليه السلام؛ فيكون علي عليه السلام معصوماً بالضرورة؛ إذ غير المعصوم لا يكون خيراً من هؤلاء وأحبّ منهم إلى الله بالضرورة. ولأنّه وصي أفضل الخلق من كل وجه فلا يكون إلا كذلك وإلا لم يكن أفضل الخلق مطلقاً كذلك، هذا خلف.

وفي (١) أنه صفوة الحكيم العليم من خلقه بعد محمد صلى الله عليه وسلم، فهو سيّد الخلق بعده وإمامهم وأولى بهم من أنفسهم، ومعصوم بمقتضى خيرة الله، وفي أنه أشرف أهل البيت النبوي - وهم سفينة النجاة الذين لا يفارقون القرآن حسباً، أي علماً وفضلاً - وأكرمهم منصباً - فهو منصوب الله ورسوله في خلافة النبوة إلى غير ذلك من الفضائل التي صرح بها الحديث ولوّح ممّا لا يخفى على المتأمل لا بقلب معاند.

في أنه مخلوق قبل آدم عليه السلام

ومنها ما رواه أحمد بن حنبل بسنده عن سلمان قال: سمعت حبيبي رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم قسم ذلك النور جزأين فجزء أنا وجزء علي» (٢).

(١) أي صراحة هذا الخبر في

(٢) عنه نهج الحق وكشف الصدق: ٢١٢. وانظر بلفظ أوفى: تاريخ مدينة دمشق ٤٢:

٦٧، المناقب للخوارزمي (ط مؤسسة النشر): ١٤٥ / ١٦٩.

ومن مناقب ابن المغازلي الشافعي بسنده عن سلمان قال: سمعت حبيبي محمداً رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وعلي نوراً بين يدي الله عز وجل، يستبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بألف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففي النبوة وفي علي الخلافة»^(١).

ومنه بسنده أيضاً إلى أبي ذر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «كنت أنا وعلي نوراً عن يمين العرش يستبح الله ذلك النور ويقدسه قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلم أزل أنا وعلي في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب»^(٢).
ومنه أيضاً بسنده إلى جابر بن عبد الله أن النبي ﷺ قال: «إن الله عز وجل أنزل قطعة من نور فأسكنها في صلب آدم ﷺ فساقتها حتى قسمها جزأين، فجعل جزءاً في صلب عبد الله وجزءاً في صلب أبي طالب فأخرجني نبياً وأخرج علياً وصياً»^(٣).

ومن كتاب (الفردوس) لابن شيرويه الديلمي بإسناده إلى سلمان قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقت أنا وعلي من نور واحد قبل أن يخلق الله آدم بأربعة عشر ألف عام، فلما خلق الله آدم ركب ذلك النور في صلبه فلم نزل في شيء واحد حتى افترقنا في صلب عبد المطلب ففي النبوة وفي علي الخلافة»^(٤).

[حديث انقضا الكوكب]

ومن مناقب ابن المغازلي^(٥) أيضاً بسنده إلى أنس قال: انقضَّ كوكب

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٧ - ٨٨ / ١٣٠.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٨ - ٨٩ / ١٣٠.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٩ / ١٣٢.

(٤) فردوس الأخبار ١: ٣٧٤ / ٢٧٧٦. (٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦٦ / ٣١٣.

على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «انظروا إلى هذا الكوكب، فمن انقض في داره فهو الخليفة من بعدي». فنظروا فإذا هو قد انقض في منزل علي، فأنزل الله تعالى: ﴿والنجم إذا هوى * ما ضل صاحبكم وما غوى * إن هو إلا وحي يوحى﴾ (١).

[حديث جزاء من ناصب علياً عليه السلام الخلافة]

ومنه أيضاً بسنده المتصل إلى أبي ذر الغفاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من ناصب علياً الخلافة بعدي فهو كافر وقد حارب الله ورسوله، ومن شك في علي فهو كافر» (٢).

فانظر إلى استفاضة هذا المضمون وصراحته في أن علياً عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول، وأنه معصوم؛ لأنه خلق ممّا خلق منه الرسول. ومنه يظهر معنى: «أنا من عليّ وعليّ مني» (٣)، ويظهر السر في اصطفايته لمؤاخاة الرسول صلى الله عليه وسلم دون غيره، وأنه لا يؤدي عنه إلا عليّ، وأنه الشاهد منه؛ فهو قد عبد الله قبل عبادة العابدين، فمحال أن يبعد هواه بحال. والسر في كونه نفس الرسول، فهما في بدء الخلق نور واحد من نور عظمة الله وهما علماً الخلق عبادة الحق وتوحيده، فما أمر الله ملائكته بالسجود لآدم إلا تعظيماً لذلك النور فهو وجه الله الذي لا يهلك أبداً. فويل لمن أنكر حقّه وجحد رقه؛ فإنه من نسل من استكبر عن السجود له هناك ومن سنخه (٤).

(١) النجم: ١ - ٣. (٢) مناقب ابن المغازلي ٤٥ - ٤٦ / ٦٨.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٨ - ١٥٩ / ٧٧٢، الجامع الصحيح ٥: ٦٣٢ / ٣٧١٢، باختلاف فيهما.

(٤) السنخ - بالخاء المعجمة - : أصل المادة بكسر السين وإسكان النون: الأصل [لسان العرب ٦: ٣٨٦ - سنخ].

فلله ما أعمى رجالاً عن الهدى! ولله ما أقسى قلوباً وما أحفى! فعلي وزير محمد وخليفته وأخوه في كل نشأة وطبقة من طبقات الوجود.

[تنبيه: على إيمان آباء النبي عليه السلام وأبي طالب عليه السلام]

دلّت هذه الأخبار المصحّحة المستفيضة المتواترة المضمون المؤيّدّة بالمعقول والمنقول على إيمان آباء النبي عليه السلام وأبي طالب فإن ذلك النور المنبجس من نور عظمة الله، العابد له قبل كل عابد هو أمانة الله الكبرى وسرّه المصون عن الأغيار فلا يُسكنه صلب كافر ولا رحم كافرة بالضرورة.

[في أنه ولي كل مؤمن بعد الرسول عليه السلام]

ومنها مارواه ابن عبد البرّ في (الاستيعاب) عن أبي داود الطيالسي ^(١) بسنده عن ابن عباس أن رسول الله عليه السلام قال لعلي: «أنت ولي كل مؤمن بعدي». ثم قال: هذا إسناد لا مطعن فيه لأحد؛ لصحّته وثقة نقلته ^(٢).

وفي (جامع الأصول) عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله عليه السلام جيشاً واستعمل عليهم علياً، فأصاب جارية فأنكر عليه أربعة منهم، فلما قدموا قام أحد الأربعة فقال: يارسول الله ألا ترى إلى علي بن أبي طالب صنع كذا وكذا؟ فأعرض عنه، ثم قام الثاني فقال مثل مقالته فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثلها فأعرض عنه، ثم قام الرابع فقال مثلما قالوا فأقبل إليهم رسول الله عليه السلام والغضب يعرف في وجهه فقال: «ما تريدون من

(١) مسند أبي داود الطيالسي: ٣٦٠ / ٢٧٥٢.

(٢) الاستيعاب ٣: ١٩٨ / ١٨٧٥.

علي؟ ما تريد من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وإنه هو ولي كل مؤمن بعدي»^(١).

وبسند آخر عن حبشي بن جنادة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»^(٢).

وفي (المصابيح) عن عمران بن حصين أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي»^(٣).

قال: وعن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»^(٤).

ذكر هاتين الروايتين في الحسان ولم يقيدهما بالضعف ولا الغرابة فهما عنده من الصحاح.

وفي (صحيح البخاري) في باب مناقب علي: وقال النبي صلى الله عليه وآله لعلي: «أنت مني وأنا منك»^(٥).

وقال - فيما رواه من اختصام علي وزيد وجعفر: أنه قال لعلي: «أنت مني وأنا منك»^(٦).

وفي (المصابيح) من الصحاح: عن البراء: أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي: «أنت مني وأنا منك»^(٧).

وفي شرح ابن أبي الحديد: (بعث رسول الله صلى الله عليه وآله علياً في سرية وخالد

(١) جامع الأصول ٨: ٦٥٢ / ٦٤٩٢. (٢) جامع الأصول ٨: ٦٥٢ / ٦٤٩٣.

(٣) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٦ / ٦٠٩٠. (٤) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٦ / ٦٠٩٢.

(٥) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٧.

(٦) صحيح البخاري ٢: ٩٦٠ / ٢٥٥٢، ٤: ١٥٥٢ / ٤٠٠٥.

(٧) مشكاة المصابيح ٣: ٢٥٥ / ذيل الحديث: ٦٠٨٩.

بن الوليد في أخرى، وكلاهما إلى اليمن وقال: «إن اجتمعنا فعلي علي الناس». فاجتمعوا فغاروا وأخذ عليّ جارية فاختصّها لنفسه، فقال خالد لأربعة منهم بريدة الأسلمي: اسبقوا إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فاذكروا له كذا وكذا - أموراً عدّدها عليّ عليّ - فسبقوا إليه؛ فجاء واحدٌ من جانبه فقال: إن علياً فعل كذا فأعرض عنه، فجاء بريدة فقال: يا رسول الله، إن علياً فعل كذا؛ فغضب صلى الله عليه وآله حتى احمرّ وجهه وقال: «ادعوا إليّ علياً» يكرّرها «إن علياً مني وأنا من علي، وأن حظّه من الخمس أكثر مما أخذ، وهو وليّ كلّ مؤمن بعدي». ورواه أحمد في (المسند) ^(١) غير مرّة، وفي الفضائل ورواه أكثر المحدثين ^(٢) ^(٣) انتهى كلام ابن أبي الحديد.

وقال ابن حجر في صواعقه: وقع لبريدة أنه كان مع علي في اليمن؛ فقدم مغضباً عليه وأراد شكايته بجارية أخذها عليّ من الخمس، فقبل له: أخبره يسقط عليّ من عينه - ورسول الله صلى الله عليه وآله يسمع من وراء الباب - فخرج مغضباً فقال: «ما بال أقوام يبغضون علياً؟ من أبغض علياً فقد أبغضني، ومن فارق علياً فقد فارقني، إن علياً مني وأنا منه، خلق من طينتي وخلقت من طينة إبراهيم، وأنا أفضل من إبراهيم ﴿ذُرِّيَّةٌ بَغْضُهَا مِنْ بَغْضِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾» ^(٤) يابريدة، أما علمت أن لعليّ أكثر من الجارية؟». الحديث، أخرجه الطبراني ^(٥).

فانظر إلى صراحتة في أنّ علياً إمام معصوم حيث خلق من سنخ طينة

(١) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٦٤، ١٦٥.

(٢) خصائص أمير المؤمنين (النسائي): ١٣١ / ٨٩، مجمع الزوائد ٩: ١٧٢ / ١٤٧٣٢.

(٣) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٠ - ١٧١. باختلاف.

(٤) آل عمران: ٣٤. (٥) المعجم الأوسط ٧: ٤٩ / ٦٠٨١.

أكابر الرسل عليهم السلام، فمن آذاه أو أبغضه فقد آذى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومن أحبّه فقد أحبّه حقيقة؛ لأنه منه ونفسه ومظهر ولايته المطلقة. إلى غير ذلك من صفاته المشتقة من نبعة الرسالة، فهو إمام الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال ابن حجر في صواعقه: أخرج الترمذي ^(١) والحاكم ^(٢) عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن بعدي» ^(٣).

وأخرج ابن أبي الحديد بسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أدلكم على ما إن تساءتم عليه لن تهلكوا؟ إن وليكم وإمامكم علي بن أبي طالب، فناصره وصدقوه، فإن جبرئيل عليه السلام أخبرني بذلك» ^(٤).

فانظر إلى صراحته مع صحته في أن علياً هو الخليفة والإمام وأن إمامته وخلافته أمرٌ من الحكيم العليم.

ثم أخذ ابن أبي الحديد يؤول هذا الحديث بما هو أبعد من الثريا من يد المتناول ويروم ستر الشمس صاحبة بالكفّ، ولم يطعن في سنده؛ وهو دليلٌ على صحته عنده.

وأخرج ابن حجر عن أحمد ^(٥) والترمذي ^(٦) والنسائي ^(٧) وابن ماجة ^(٨)

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٢ / ١٧١٢.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١١٩ / ٤٥٧٩.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٢٤. (٤) شرح نهج البلاغة ٣: ٩٨.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧١ / ١٧٠٥٦.

(٦) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧١٩.

(٧) خصائص أمير المؤمنين: ٩٩ / ٦٧، وفيه: «علي مني وأنا منه».

(٨) سنن ابن ماجة ١: ٤٤ / ١١٩.

عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله ﷺ: «عليّ منّي وأنا من علي، ولا يؤدّي عني إلا علي»^(١).

وأخرج ابن أبي الحديد أيضاً عن جعفر بن محمد الصادق قال: كان علي يرى مع رسول الله ﷺ قبل الرسالة الضوء ويسمع الصوت، وقال له: «لولا أنّي خاتم الأنبياء لكنت شريكاً لي في النبوة، وإلا تكن نبياً فأنت وصي نبي ووارثه، بل أنت سيّد الأوصياء وإمام الأتقياء»^(٢). ولا يخفى صراحة هذا الأثر في المطلوب ومن إثبات عصمته وإمامته وخلافته.

وفي (روضة الأحباب) عن النبي ﷺ أنه قال لَمَّا وَجّه أمير المؤمنين إلى مبارزة عمرو بن عبد ودّ في دعائه: «وهذا أخي عليّ وابن عمي، فلا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين»^(٣).

فإذن هو وارث علمه؛ لأنه باب مدينته؛ فهو الإمام المعصوم بعده؛ إذ لا يحتمل الله علم نبيّه غير المعصوم؛ فإنّه تكليف ما لا يطاق.

وأخرج ابن حجر عن الحاكم^(٤) عن جابر أن النبي ﷺ قال: «عليّ إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله»^(٥).

فإذن هو قدوة كل برّ تقويّ وإمامه، والبررة قد نهوا عن الركون إلى الظالمين وأمروا بالكون مع الصادقين على الإطلاق فيهما، فإمامهم معصوم؛ لوجوب اتّباعه عليهم في كلّ حال، وهم المأمورون بالثبوت.

(١) الصواعق المحرقة: ١٢٢. (٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢١٠.

(٣) عنه مناقب أهل البيت: ١١٣، تأويل الآيات الظاهرة ١: ٣٢٩ / ١٣.

(٤) المستدرک على الصحيحين ٣: ١٤٠ / ٤٦٤٤.

(٥) الصواعق المحرقة: ١٢٥.

وفي (المشكاة) عن حبشي بن جنادة قال: قال النبي ﷺ: «علي مني وأنا من علي ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»^(١). رواه الترمذي^(٢) وأحمد^(٣).
 وفي (الحلية) أنه ﷺ قال لعلي: «مرحباً بسيد المؤمنين وإمام المتقين»^(٤).
 نقله ابن أبي الحديد وقال: (وأنا أذكر من ذلك شيئاً يسيراً ممّا رواه علماء الحديث الذين لا يتهمون فيه، وجلّهم قائلون بتفضيل غيره عليه؛ فروايتهم فضائله توجب سكون النفس ما لا يُوجبه رواية غيرهم).

[في كونه ﷺ مبتليّ ومبتلىّ به]

إلى أن قال: (الخبر الثالث قال ﷺ: «إن الله عهد إليّ في عليّ عهداً فقلت: يارب بينه لي. قال: اسمع، إنّ علياً راية الهدى وإمام أوليائي ونور من أطاعني، وهو الكلمة التي ألزمتها المتقين، من أحبّه فقد أحبّني ومن أطاعه فقد أطاعني، فبشره بذلك. فقلت: قد بشرته يارب فقال: أنا عبدالله وفي قبضته فإن يعذبني فبذنوبي لم يظلمني شيئاً وإن يتم لي ما وعدني فهو أولى. وقد دعوت له، فقلت: اللهم أجلّ قلبه واجعل ربيعه الإيمان بك. قال: قد فعلت ذلك غير أنّي مختصّه بشيء من البلاء لم أختصّ به أحداً من أوليائي. فقلت: رب أخي وصاحبي. قال: إنّه سبق في عليّ أنه لمبتلىّ ومبتلىّ به».

رواه أبو نعيم في حليته عن أبي برزة الأسلمي^(٥)، وبإسناد آخر عن أنس بن مالك ولفظه: «إنّ ربّ العالمين عهد إليّ في عليّ عهداً أنه راية الهدى ومنار الايمان وإمام أوليائي ونور جميع من أطاعني، إنّ علياً أميني غداً في القيامة، رايتي بيد علي وخزائن مفاتيح رحمة ربي»^(٦).

(١) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٦ / ٦٠٩٢. (٢) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧١٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧١ / ١٧٠٥٦.

(٤) حلية الأولياء ١: ٦٦ - ٦٧. (٥) حلية الأولياء ١: ٦٦ - ٦٧.

(٦) المصدر نفسه.

[في دلالة حديث الابتلاء على عصمته عليه السلام]

فانظر ما دلّ عليه منطوق هذا الخبر من عصمته وإمامته من وجوه:
 منها: أنه إمام الأئمة؛ لأنهم سادات المتقين بعهد من الله، فهو خليفة الله
 في بريته فيكون أيضاً معصوماً؛ فإنّ تلك الإمامة عهد الله الذي اصطفى له
 من خلقه الصفة، فلا يناله ظالم على حال في حال.

ومنها أنّه راية الهدى على العموم والإطلاق، فالهدى في اتّباعه والكون
 تحت ظلاله، والخروج عنه خروج عن الهدى؛ فإنه الهدى وآية الهدى
 ودليل الهدى على كل حال. فاتّباعه على كل حال هدًى، ومجانبته ضلال،
 فالحق معه على كلّ حال؛ فهو إمام القادة الأبدال وخليفة الله على كل
 حال.

ومنها أنّه نور المطيعين، فهو مظهر كل طاعة ومعلمها، وبه تبصر بصائر
 المطيعين؛ فإنه نور الله المنبجس من عظمته كما عرفت، فهو الهدى
 والهادي، فهو نور لا ظلمة فيه بوجه ما؛ فهو معصوم بالضرورة.

ومنها أنّه الكلمة التي ألزمها الله كلّ تقي، وهي سرّ الله ونوره وأمانته
 العظمى - أعني: حقيقة التوحيد والإيمان - فهو صفته وهو معلمه والكلمة
 التي أنزجر لها العمق الأكبر^(١) التي خاطب الله بها أصفياه في كل مقام
 عيناً وشهادةً، وسبيل الخلق إلى الحقّ.

ومنها أنّ طاعته طاعة الله حقيقة ومحبّته محبّته حقيقة؛ فإنّه لسان الله

(١) الواردة في دعاء السمات المروي عن العمري بقوله: «وعزّتك وجبروتك التي لم
 تستقلّها الأرض وانخفضت لها السماوات وانزجر لها العمق الأكبر». انظر مصباح
 المتهجّد: ٣٧٦، البلد الأمين: ١٣٩.

الناطق بالحق أبداً المعبر عنه إلى خلقه، فهو لا يقول إلا حقاً وصدقاً؛ فهو معصوم على كل حال، وإمامٌ يقتدى به جميع الأبدال.
ومنها دعاء الأمين على وحي الله له، وهو يستلزم عصمته لأنه يستلزم أنه لا يقول ولا يفعل إلا حقاً وإيماناً كما هو ظاهر لمن أنصف.
ومنها أن الله تعالى أتخفه بما لم يختص به غيره من الأولياء كافة، فهو سيّد الأولياء كافة، وأقربهم إلى الله تعالى).

ثم قال: (الخبر التاسع: قال عليه السلام: «يا أنس اسكب لي وضوءاً»). ثم قام فصلين ركعتين وقال: «أول من يدخل عليك من هذا الباب إمام المتقين، وسيّد المسلمين، ويعسوب المؤمنين، وخاتم الوصيين، وقائد الغر المحجلين». فجاء علي، فقال عليه السلام: «من جاء يا أنس؟». فقلت: علي. فقام إليه مستبشراً فاعتنقه ثم جعل يمسح عرق وجهه، فقال علي: «يارسول الله، لقد رأيتك صنعت شيئاً ما صنعته بي قبل؟». قال: «ما يمنعني وأنت تؤذي عني، وتسمعهم صوتي، وتبين لهم ما اختلفوا فيه بعدي؟». رواه أبو نعيم في حليته^(١).

فانظر صراحته في المطلوب وأنه إمام الخلق وسيّدهم ورافع الاختلاف عنهم، فإن الله تعالى لا بدّ أن ينصب في كل زمن خليفةً مأموناً حتى من الخطأ والنسيان، به يرتفع الاختلاف عند الرجوع إليه، هو حجة الله على خلقه).

[في كون المتمسك به عليه السلام لا يضل]

وقال ابن أبي الحديد: (العاشر: أنه عليه السلام قال: «ادعوا لي سيّد العرب عليّاً». فقالت عائشة: ألسنت سيّد العرب؟ قال: «أنا سيّد ولد آدم، وعليّ سيّد العرب».

(١) حلية الأولياء ١: ٦٣.

فلما جاء أرسل إلى الأنصار فأتوه؛ فقال لهم: «يا معاشر الأنصار، ألا أدلكم على ما إن تمسكتم به لن تضلوا أبداً؟». قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «هذا علي فأحبوه بحبي وأكرموه بكرامتي؛ فإن جبرئيل أمرني بالذي قلت لكم عن الله عز وجل»^(١).

رواه أبو نعيم في حليته^(٢) وهو مطابق لحديث الغدير وقد دلّ على أن التمسك به رشد على كل حال فمخالفته ضلال على كل حال؛ فهو معصوم؛ لأن غير المعصوم التمسك به في حال نسيانه وخطئه ضلال فضلاً عن عمدته، والتمسك بعليّ هدىً على كل حال، فهو مع الحق على كل حال، وهو معصوم بلا إشكال وإمام المهتدين مطلقاً في كل حال، ومعلمهم وهاديتهم.

وروى أيضاً أنه قال لعائشة: «أنا سيد البشر وعليّ سيد العرب»^(٣). وأخرج ابن حجر عن البيهقي^(٤) أنه عليه السلام قال لها: «أنا سيد العالمين، وعليّ سيد العرب»^(٥).

وروى الحاكم عن ابن عباس أنه قال لها: «أنا سيد ولد آدم، وعليّ سيد العرب»^(٦).

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٦ - ١٧٠. (٢) حلية الأولياء ١: ٦٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ١١: ٦٦.

(٤) عنه في ينابيع المودة ٢: ٤٠٤ / ٦١. انظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين (الكوفي) ٢:

١٠١٦ / ٥١٤، «وهذا سيد العرب»، المستدرك على الصحيحين (تحقيق المرعشلي)

٣: ١٢٤، بثلاثة طرق، وفي واحد منها «... السيد العرب»، المعجم الأوسط (ط دار

الحرمين) ٢: ١٢٧، المعجم الكبير ٣: ٨٨ / ٢٧٤٩.

(٥) الصواعق المحرقة: ١٢٢.

(٦) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٣ / ٤٦٢٥.

وأخرج ابن الأثير في (الكامل) أن علياً لما فرّق الكتائب في أحد قال جبرئيل: «إنّ هذه لهي المواساة». فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنه مني وأنا منه». فقال جبرئيل: «وأنا منكما»^(١).

وأخرجه ابن أبي الحديد عن محمد بن حبيب في أماليه، وفيهما: أنهم سمعوا صوتاً من السماء ينادي:

«لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي»

فُسئِل رسول الله صلى الله عليه وآله؛ فقال: «هذا جبرئيل»^(٢).

وقال ابن أبي الحديد: (وقد روى هذا الحديث جماعة من المحدّثين وهو من الأخبار المشهورة، وسألت شيخي عبد الوهاب بن سكينه عنه فقال: هذا خبرٌ صحيح)^(٣).

ومن مسند أحمد بن حنبل بسنده إلى عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف: «لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني» - أو قال: مثل نفسي - «فليضربن أعناقكم، وليسيّبن ذرايكم، وليأخذن أموالكم». فالتفت إلى علي فأخذ بيده ثم قال: «هو هذا، هو هذا» مرتين^(٤).

وعنه بسنده إلى عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله بعثين: عليّ أحدهما علي بن أبي طالب وعليّ الآخر خالد بن الوليد، فقال: «إذا التقيتم فعليّ على الناس، وإذا افترقتم فكُل واحدٍ منكما على جنده». قال:

(١) الكامل في التاريخ ٢: ١٥٤. (٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٩٣.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٤: ٢٥١.

(٤) عنه في شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٧، وانظر: المصنف (الصنعاني) ١١: ٢٢٦ /

٢٠٣٨٩، الاستيعاب ٣: ١١٠٩.

فلقينا بني زيد من أهل اليمن؛ فظفر المسلمون واصطفى علي عليه السلام من السبي امرأة لنفسه. قال بريدة: وكتب خالد بن الوليد إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بذلك؛ فلما أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم دفعت الكتاب إليه فقري عليه، فرأيت الغضب في وجه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فقلت: يارسول الله، هذا مكان العائد بك، بعثتني مع رجل وأمرتني أن أطيعه. قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تقع في علي، فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي»^(١).

وبسنده عن عمران بن حصين قال: بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم سرية فأمر علياً، فأحدث شيئاً، فتعاقد أربعة أن يذكروا أمره إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قدموا دخلوا^(٢) عليه فقام رجل منهم فقال: يارسول الله، إن علياً فعل كذا وكذا. فأعرض عنه ثم قام الثاني فقال مثله فأعرض عنه، ثم قام الثالث فقال مثلهما، ثم قام الرابع فقال مثل مقالتهم قال: فأقبل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على الرابع وقد تغير وجهه فقال: «دعوا علياً؛ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي»^(٣).

وعنه بسنده إلى حبشي بن جنادة السلولي قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «علي مني وأنا منه، ولا يؤذي عني إلا أنا أو علي»^(٤).

وعنه بسنده عن ابن آدم السلولي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع: «علي مني وأنا منه، ولا يقضي ديني إلا أنا أو علي»^(٥).

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٤٨٩ / ٢٢٥٠٣.

(٢) في المخطوط: ودخلوا، وفي المصدر: قال: فدخلوا.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٦٠٦ / ١٩٤٢٦.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧١ / ١٧٠٥٦.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧٠ / ١٧٠٥١.

قلت: «ديني» بكسر الدال؛ ليتطابق مع المستفيضات: «لا يؤدي عني» على العموم؛ لأنه نكرة^(١) منفية^(٢) والدين - بفتح الدال - : بعض ما يؤدي عنه عليه السلام.

وبسنده عن محمد بن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه عن جدّه قال: لمّا قتل علي - سلام الله عليه - أصحاب الألوية يوم أحد قال جبرئيل عليه السلام: «يارسول الله، إن هذه لهي المواساة». قال النبي صلى الله عليه وآله: «إنه مني وأنا منه». قال جبرئيل عليه السلام: «وأنا منكما»^(٣).

وبسنده عنه أيضاً مثله^(٤).

ومن (صحيح البخاري) بسنده أن النبي صلى الله عليه وآله قال لعلي عليه السلام: «أنت مني وأنا منك»^(٥).

ومنه بسنده في حديث التخاصم في ابنة حمزة أنه قال لعلي: «أنت مني وأنا منك»^(٦).

ومن مناقب ابن المغازلي الشافعي بسنده إلى حبشي بن جنادة قال: سمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «علي مني وأنا منه، ولا يؤدي عني إلا أنا أو علي»^(٧). وبسندٍ آخر عنه مثله^(٨).

(١) كذا في المخطوط، وهي ليست نكرة بل هي مضافة إلى ياء المتكلم.

(٢) في المخطوط: المتقية، والظاهر ما أثبتناه.

(٣) فضائل الصحابة ٢: ٦٥٦ / ١١١٩، وانظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين (الكوفي) ١: ٤٧٧ / ٣٨٢، و ٤٩١ / ٣٩٨، الخ، المعجم الكبير ١: ٣١٨ / ٩٤١.

(٤) فضائل الصحابة ٢: ٦٥٦ / ١١٢٠. (٥) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٧ / ٣٤٩٧.

(٦) صحيح البخاري ٢: ٩٦٠ / ٢٥٥٢، ٤: ١٥٥٢ / ٤٠٠٥.

(٧) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢١ - ٢٢٢ / ٢٦٧.

(٨) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٢ / ٢٦٨.

ومنه بسنده عن محمد بن نباتة بن يزيد عن أبيه: أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «أما أنت يا علي فحبيبي وأبو ولدي، وأنت مني وأنا منك»^(١).

وبسنده عن عمران بن حصين أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «ما تريدون من علي؟ ما تريدون من علي؟ إن علياً مني وأنا منه، وهو ولي كل مؤمنٍ بعدي»^(٢).

ومنه بسنده إلى بريدة أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «يا بريدة لا تبغض علياً، فإن علياً مني وأنا منه»^(٣).

ومنه بسنده عن حبشي قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤدي عني إلا علي»^(٤).

وبالجمله، فقول من لا ينطق عن الهوى صلى الله عليه وآله: «علي مني وأنا من علي»، وقوله: «لا يؤدي عني إلا أنا أو علي»، وقوله: «إن علياً ولي كل مؤمن ومؤمنة بعدي» في نهاية علو الاستفاضة، بل هو متواتر المضمون بلا شك؛ فقد أجمع على روايته الشيعة والسنة بطرق لا تحصى كما سمعت قليلاً من كثير منها. وفيه من صراحة النص على علي عليه السلام بأنه إمام الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ووليهم وأولى بهم من أنفسهم ما لا يخفى وعلى أنه عليه السلام معصوم؛ فإنه من كان الرسول المعصوم - بل سيّد الرسل - منه وهو منه - أي خلقاً من أصل واحدٍ وطينة واحدة ونورٍ واحدٍ ينبجس من نور العظمة كما ينفصل شعاع الشمس من الشمس - لا يمكن أن يخالطه شوب الظلم والظلمات بوجه أصلاً؛ ولذلك لا يؤدي عن المؤدّي عن الله إلا هو، ولذلك كان نفسه

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٤ / ٢٦٩، وفيه: (محمد بن أسامة بن زيد).

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٤ / ٢٧٠.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٥ / ٢٧١.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٧ / ٢٧٣.

وأخاه، ولذلك كانت زوجته البضعة الطاهرة الزكية.
 فلو لم يكن علي لم يكن لها كفؤ؛ آدم فمن دونه؛ فلا يصلح لمقام
 خلافة الله ورسوله صلى الله عليه وآله التي هي خلافة الله وولايته العظمى إلا هو؛ ولذلك
 كان ولي كل مؤمن ومؤمنة ومولاهم وأولى بهم من أنفسهم بعد
 الرسول صلى الله عليه وآله. والعصمة لازم بين ذلك كله، والأمر فيه أظهر من أن يحتاج
 إلى البيان.

[ما نقله ابن حجر من فضائله عليه السلام]

قال ابن حجر في صواقه - في الفصل الذي عقده لفضائل علي عليه السلام - :
 (فضائله كثيرة عظيمة شهيرة حتى قال أحمد^(١)) : (ما جاء في أحد من
 الفضائل ما جاء لعلي).

وقال إسماعيل القاضي والنسائي وأبو علي النيسابوري: لم يرد في
 حق أحد من الصحابة بالأسانيد الحسان أكثر مما جاء في علي^(٢).
 واقتصر هنا على أربعين حديثاً:

الأول: أخرج الشيخان^(٣) عن سعد بن أبي وقاص، وأحمد^(٤) والبزار^(٥)
 عن أبي سعيد الخدري، والطبراني^(٦) عن أسماء بنت عميس وأم سلمة

(١) عنه تفسير الثعلبي ٤: ٨١، شواهد التنزيل ١: ٢٧ / ٨.

(٢) عنه ينابيع المودة ٣: ٣٧١.

(٣) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٩ / ٣٥٠٣، صحيح مسلم ٤: ١٤٨٩ - ١٤٩٠ / ٢٤٠٤.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٤١٧ / ١٠٨٧٩.

(٥) عنه في مجمع الزوائد ٩: ١٣٨ - ١٤٥ / ب ٣٧ ق ١، ٢.

(٦) المعجم الكبير ٥: ٢٠٣ / ٥٠٩٤، عن البراء وزيد، ١١: ٦٢ - ٦٣ / ١١٠٩٢، عن ابن
 عامر، وفيه الحديث هنا في مؤاخاة الرسول صلى الله عليه وآله لعلي عليه السلام، ٢٣: ٣٧٧ / ٨٩٢، عن أم

وحبشي بن جنادة وابن عمر وابن عباس وجابر بن سمرة وعلي والبراء بن عازب وزيد بن أرقم أن رسول الله ﷺ خلف علي بن أبي طالب في غزوة تبوك؛ فقال: «يارسول الله، تخلفني في النساء والصبيان؟». فقال: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه لا نبي بعدي؟».

الثاني: أخرج الشيخان ^(١) أيضاً عن سهل بن سعد، والطبراني ^(٢) عن ابن عمر وابن أبي ليلى وعمران بن حصين، والبزار ^(٣) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال يوم خيبر: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله، ويحبه الله ورسوله يفتح الله على يديه»، وأعطاهما علياً. اختصرنا الحديث لشهرته وقد ذكره ابن حجر بصورته.

(الثالث: أخرج مسلم عن سعد بن أبي وقاص: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿ تَدْعُ أبنَاءَنَا وَأبنَاءَكُمْ ﴾ - الآية - دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي ^(٤)» ^(٥).

الحديث الرابع: قال ﷺ يوم غدير خم: «من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال

■ سلمة - رحمها الله -، المعجم الأوسط ٢: ٢٧٧ / ١٤٨٨، عن ابن عمر، ٥: ١٣٦ / ٤٢٦٠، عن أمير المؤمنين عليه السلام.

(١) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٧ / ٣٤٩٨، صحيح مسلم ٤: ١٤٩١ / ٢٤٠٦.
(٢) المعجم الكبير ٧: ٧٧ / ٦٤٢١، عن ابن أبي ليلى، ١٨: ٢٣٨ / ٥٩٧، عن عمران بن حصين. وذكر رواية ابن عمر وسعد وسهل وأبي هريرة وأبو سعيد وعمران وسلمة: ابن عبد البر في الاستيعاب ٣: ١١٠٠، ورواية ابن عمر ذكرها الزرندي: نظم درر السطّين: ٩٩.

(٣) عنه في مجمع الزوائد ٩: ١٦٥ - ١٦٦ / ١٤٧١٧.

(٤) نسخة بدل: أهلي. (هامش المخطوط)، وهو الموافق للمصدر.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٠ - ١٤٩١ / ٢٤٠٤.

من والاه وعاد من عاداه» الحديث. رواه عن النبي صلى الله عليه وآله ثلاثون صحابياً وكثير من طرفه صحيح أو حسن.

السادس؛ أخرج أحمد^(١) والترمذي^(٢) والنسائي^(٣) وابن ماجة^(٤) عن حبشي بن جنادة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «علي مني وأنا من علي، ولا يؤذي عني إلا علي»^(٥).

السابع؛ أخرج الترمذي عن ابن عمر قال: أخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه فجاء عليّ تدمع عيناه؛ فقال: «يارسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحد؟». فقال صلى الله عليه وآله: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٦).

التاسع؛ أخرج البزاز والطبراني في (الأوسط) عن جابر بن عبد الله، والطبراني^(٧) والعقيلي في (الضعفاء) |^(٨) والحاكم^(٩) وابن عدي عن ابن عمر والترمذي والحاكم^(١٠) عن علي قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا مدينة العلم

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧٠ / ١٧٠٧١.

(٢) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧١٩.

(٣) خصائص أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: ١٠٦ / ٧٣.

(٤) سنن ابن ماجة ١: ٤٤ / ١١٩.

(٥) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧٢٠، أيضاً مناقب الإمام أمير المؤمنين (الكوفي) ١:

٣١٩ / ٢٤١، المستدرك على الصحيحين (تحقيق المرعشي) ٣: ١٤، الكامل ٢: ١٦٦.

(٦) مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٤٧٤ / ٣٧٧، و ٤٩٨ / ٤١٤، سنن الترمذي (ط دار

الفكر) ٥: ٢٩٩ / ٣٨٠٣، الآحاد والمثاني ٣: ١٨٣ / ١٥١٤، كتاب السنة: ٥٥٢ / ١١٨٩.

(٧) المعجم الكبير ١١: ٥٥ / ١١٠٦١، وفيه (عن ابن عباس).

(٨) كتاب الضعفاء الكبير ٣: ١٥٠، وفيه (عن ابن عباس).

(٩) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٧ / ٢٦٣٧، وفيه (عن ابن عباس).

(١٠) المستدرك على الصحيحين ٣: ١٣٨ / ٢٦٣٩.

وعليّ بابها». وفي رواية: «فمن أراد العلم فليأت الباب». وفي أخرى عن الترمذي عن علي: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها»^(١). وفي أخرى عن ابن عدي: «عليّ باب علمي»^(٢). وقال الحاكم: (إن الحديث صحيح^(٣)، وصوّب بعض محققي المتأخرين أنه حسن).

الثاني عشر: أخرج الطبراني في (الأوسط) عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله ﷺ: «الناس من شجر شتى، وأنا وعلي من شجرة واحدة»^(٤). التاسع عشر: أخرج أحمد^(٥) والحاكم^(٦) بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري: أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «إنك تقاتل عليّ تأويل القرآن كما قاتلت عليّ تنزيله».

الحادي والعشرون: أخرج الطبراني في (الأوسط) عن أمّ سلمة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «علي مع القرآن والقرآن مع علي، لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٧).

الثامن والعشرون: أخرج الديلمي عن عائشة: أن النبي ﷺ قال: «خير إخواني علي».

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٧ / ٣٧٢٣.

(٢) الكامل في ضعفاء الرجال ٤: ١٠١، وفيه: «عيبة».

(٣) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٣٧ / ذیل الحدیث: ٤٦٣٧.

(٤) المعجم الأوسط ٥: ٨٩ / ٤١٦٢.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٥٠١ / ١١٣٦٤.

(٦) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٣٢ / ٤٦٢١.

(٧) المعجم الأوسط ٥: ٤٥٥ / ٤٨٧٧.

التاسع والعشرون؛ أخرج الديلمي أيضاً عن عائشة، والطبراني ^(١) وابن مردويه ^(٢) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «السابقون ثلاثة: فالسابق إلى موسى يوشع بن نون، والسابق إلى عيسى صاحب يس، والسابق إلى محمد علي بن أبي طالب». الثلاثون؛ أخرج ابن النجار عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «الصديقون ثلاثة: حزقيل مؤمن آل فرعون، وحبیب النجار صاحب آل يس، وعلي بن أبي طالب» ^(٣).

الحادي والثلاثون؛ أخرج أبو نعیم وابن عساکر ^(٤) عن أبي لیلی عن النبي ﷺ مثله.

الثاني والثلاثون؛ أخرج الخطيب عن أنس: أن النبي ﷺ قال: «عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب» ^(٥).

الثالث والثلاثون؛ أخرج الحاكم عن جابر: أن النبي ﷺ قال: «علي إمام البررة، وقاتل الفجرة، منصور من نصره، مخذول من خذله» ^(٦).

الرابع والثلاثون؛ أخرج الدارقطني عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «علي باب حطة من دخل منه كان مؤمناً ومن خرج منه كان كافراً» ^(٧).

(١) المعجم الكبير ١١: ٧٧ / ١١١٥٢.

(٢) عنه في كنز العمال ١١: ٦٠١ / ٣٢٨٩٦، وأيضاً بألفاظ أخرى: الآحاد والمثاني ١:

١٥٠ / ١٨٢، ورواه الثعلبي بهذا اللفظ «سباق الأمم ثلاثة، لم يكفروا بالله طرفة

عين: ... فهم الصديقون وعلي أفضلهم». تفسير الثعلبي ٨: ١٢٦. وبدون ذيله: تفسير

ابن عربي ٢: ١٦٥. (٣) عنه فيض القدير ٤: ٣١٣ / ٥١٤٨.

(٤) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣١٣. (٥) تاريخ بغداد ٤: ٤١٠ / ٢٣١٤.

(٦) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٤٠ / ٤٦٤٤.

(٧) عنه في سبيل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٧، كنز العمال ١١: ٦٠٣ / ٣٢٩١٠.

الخامس والثلاثون: أخرج الخطيب^(١) عن البراء، والديلمي^(٢) عن ابن عباس: أن النبي ﷺ قال: «علي مني بمنزلة رأسي من بدني».

السابع والثلاثون: أخرج ابن عدي عن علي: أن النبي ﷺ قال: «علي يعسوب المؤمنين، والمال يعسوب المنافقين»^(٣).

الثامن والثلاثون: أخرج البزار عن أنس أن النبي ﷺ قال: «علي يقضي ديني»^(٤).

وأخرج ابن أبي شيبه عن عبد الرحمن بن عوف أن النبي ﷺ لما حاصر الطائف قام خطيباً فحمد الله واثنى عليه، ثم قال: «أوصيكم بعترتي خيراً، وإن مودعكم الحوض. والذي نفسي بيده لتقيمُن الصلاة وتؤتِن الزكاة، أو لأبعثن إليكم رجلاً مني أو كنفاً يضرب أعناقكم». ثم أخذ بيد علي ثم قال: «هو هذا»^(٥).

والخبر صحيح. وفي رواية أنه ﷺ قال في مرض موته: «أيها الناس يوشك أن أقبض قبضاً سريعاً فينطلق بي، وقد قدمت إليكم القول، معذرةً إليكم، ألا إنني مخلفٌ فيكم كتاب الله عز وجل وعترتي أهل بيتي». ثم أخذ بيد علي فرفعها؛ فقال: «هذا علي مع القرآن والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فأسألها ما خلقت فيهما»^(٦).

وأخرج أحمد في (المناقب) عن علي قال: «جلس النبي ﷺ في حائطٍ ف ضربني برجله وقال: قم، فوالله لأرضينك: أنت أخي وأبو ولدي تقا تل علي سنتي»^(٧).

(١) تاريخ بغداد ٧: ١١ - ١٢ / ٣٤٧٥. (٢) فردوس الأخبار ٢: ٧٧ / ٣٩٩٣.

(٣) الكامل في ضعفاء الرجال ٥: ٢٤٤.

(٤) عنه في مجمع الزوائد ٩: ١٤٧ / ١٤٦٦٧.

(٥) المصنّف ٧: ٤٩٨ / ٢٣.

(٦) عن الدارقطني في الأفراد: مناقب أهل البيت: ١٧٤.

(٧) عنه ذخائر العقبى: ٦٦، ينابيع المودة ١: ٢٧٤ / ٣، عن المسند.

الحديث.

وأخرج الدارقطني أن علياً عليه السلام قال للسته الذين جعل عمر الأمر شورى بينهم: «أنشدكم الله هل فيكم أحد قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: يا علي أنت قسيم الجنة والنار يوم القيامة غيري؟». قالوا: اللهم لا^(١).

ومعناه: ما رواه عشرة عن عليّ الرضا عليه السلام أنه صلى الله عليه وسلم قال لعلي: «أنت قسم الجنة والنار؛ فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك».

وروى ابن السمان أن أبا بكر قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «لا يجوز الصراط إلا من كتب له علي الجواز»^(٢). انتهى ما أردنا نقله من كلام ابن حجر في هذا الفصل وكله صريح في أن علياً عليه السلام هو الخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وسلم وأنه إمام الخلق بعده وأنه معصوم.

[حول حديث المنزلة]

فأما الحديث الأول - وهو قول النبي صلى الله عليه وسلم لعلي - عليه سلام الله - : «أنت مني بمنزلة هارون من موسى» - فقد قال ابن حجر نفسه: (إن هذا الحديث ضعفه الآمدي وصححه أئمة الحديث، والمعول في ذلك ليس إلا عليهم، كيف؟ وهو في الصحيحين انتهى؟)^(٣).

وأخرجه أحمد في مسنده عن سعد بن أبي وقاص بخمسة طرق^(٤) وعن أبي سعيد الخدري بطريق^(٥) وعن أسماء بنت عميس بطريقتين^(٦)

(١) عنه يبايع المودة ٢: ٤٠٣ / ٥٦. (٢) الصواعق المحرقة: ١٢٠ - ١٢٦.

(٣) الصواعق المحرقة: ٤٩.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢٧٧ / ١٤٦٦، ٢٨٤ - ٢٨٥ / ٢٩٨، ١٥٠٨ / ٢٩٨، ١٥٨٧.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٢.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٥٩١ / ٢٦٩٢١، ٥٩١ / ٢٦٩٢٢.

وعن سعيد بن المسيّب بطريقين: أحدهما عن سعد أيضاً^(١) وعن سعيد بن زيد^(٢).

وأخرجه البخاري في نصف الجزء الخامس عن سعد بطريقين^(٣) وفي الجزء الرابع على حدّ ربه الأخير عن سعد أيضاً^(٤).

وأخرجه مسلم في الجزء الرابع على حدّ نحو كراسة من آخره عن ابن المسيّب عن سعد أيضاً^(٥) وعن ابن سعد عن سعد بطريقين^(٦)، وفي أوّل الجزء الرابع عن سعد أيضاً بثلاثة طرق^(٧).

وأخرجه رزين في (الجمع بين الصحاح الستة) من (صحيح أبي داود)^(٨) ومن صحيح الترمذي عن سعد أيضاً^(٩).

وأخرجه ابن المغازلي عن سعد أيضاً بأحد عشر طريقاً^(١٠) وعن جابر^(١١) وعن أنس بن مالك^(١٢) وعن ابن عباس^(١٣)، وعن أبي سعيد الخدري بطريقين: أحدهما عنه عن سعد ولفظه: قال: قال النبي ﷺ لعليّ: «أقم بالمدينة». فقال له عليّ: «يارسول الله، إنك ما خرجت في غزاة فخلفتني؟».

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٧٩.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ١: ١٧٣.

(٣) صحيح البخاري ٤: ١٦٠٢ / ٤١٥٤. (٤) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٩ / ٣٥٠٣.

(٥) صحيح مسلم ٤: ١٤٩ / ١٤٠٤. (٦) صحيح مسلم ٤: ١٤٩١ / ٢٤٠٤.

(٧) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٠ - ١٤٩١ / ١٤٠٤ - ٣٠، ٣١، ٣٢.

(٨) مسند أبي داود: ٢٨.

(٩) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٨ / ٣٧٢٤، ٦٤١ / ٣٧٣١.

(١٠) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٧ - ٣٦ / ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٠ - ٥١، ٥٣.

(١١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٩ / ٤٣. ٥٥، ٥٤.

(١٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٠ / ٤٤.

(١٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٠ - ٣١ / ٤٦.

فقال النبي صلى الله عليه وآله لعلّي: «إن المدينة لا تصلح إلا بي أو بك وأنت مني بمنزلة هارون من موسى». فقال سعيد: فقلت لسعد بن أبي وقاص: أنت سمعت هذا من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قال: نعم لا مرّة ولا مرّتين يقول ذلك لعلّي^(١).
وعن عبدالله بن مسعود^(٢).

وبالجملة، فرواة هذا الخبر غير محصورين من المفسرين والمؤرخين وكتب الفضائل والسير؛ فهو في غاية الاستفاضة بل متواتر المضمون وقد قاله النبي صلى الله عليه وآله في عدة مواطن كما قد عرفت بعضها مما تلي عليك.
وروى ابن كثير أنه قال ذلك له أيضاً في مكة حين نزل: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٣) وجمع بني هاشم وقال ما قال^(٤). وهو صريح في أنه أثبت صلى الله عليه وآله لعلّي - سلام الله عليه - من نفسه ما ثبت لهارون من موسى عليه السلام وهي أمور:

أحدها: أنه خليفته في أمته مع عصمته ووزيره ووصيه ومعينه وعضده وشريكه في تبليغ رسالات ربه وإبانة حجج الله وآياته وفي السفارة بين الحق والخلق وكونه حجة الله على خلقه ووسيلتهم وسبيلهم إليه. وكل هذه تستلزم العصمة من كلّ وصمة.

ومنها أن ذلك الاستخلاف والوزارة والوصاية وتحمل أعباء الولاية والرسالة كان بأمر الله لا بشهوة بشر وخيرته.

ومنها أنه أفضل الخلق بعده وسيدهم وإمامهم.

ومنها أنه أحب الخلق إلى موسى وأقربهم إلى قلبه وقالبه وسرّه؛ بلازم

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٢ - ٣٣ / ٤٩.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٦ / ٥٦. (٣) الشعراء: ٢١٤.

(٤) تفسير ابن كثير ٣: ٣٣٨.

ما ذكره. وكل ما ذكرناه في شأن هارون ثابت بنص الكتاب كما هو ظاهر لمن تدبره.

ومنها أنه أخوه لأُمّه وأبيه؛ فأُمّهما الحقيقية الرحمة وأبوهما النور؛ فهما من أصل واحدٍ وطينةٍ واحدة. وقد عرفت أن محمداً وعلياً - صلوات الله عليه وتسليماته عليهما وآلهما - خُلقا نوراً واحداً من نور عظمة الله كأنفصال شعاع الشمس من الشمس.

أما الأخوة الصورية اللحمية وإن تعذرت فليست بمدار الشرف ولا محتده^(١) فكم جمعت مقابر الأصلاب والأرحام من متناقضين فضلاً عن المتباينين فكلّ نسبة شرفٍ لهارون واتّصال إلهي بينه وبين موسى - سلام الله عليهما - فقد أثبتته هذا الخبر الصحيح بين علي ومحمد - صلوات الله وسلامه عليهما وآلهما - في حياة الرسول وبعده كما تبيّنتك له نذر الأخبار المستفيضات المتبوعات ويدلّك على عموم النص لحال حياة الرسول صلى الله عليه وآله وحال موته قوله صلى الله عليه وآله في حال مبارزة علي لعمره: ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢)، وصريح قوله صلى الله عليه وآله في هذا الحديث أيضاً: «إلا إنه لا نبي بعدي»، فصرّح بأن تلك المنزلة ثابتة لك يا علي بعدي إلا النبوة. فلو أراد: أنك مني بتلك المنزلة حال حياتي خاصّة، لقال: أنت مني بتلك المنزلة حال حياتي إلا إنك لست بنبي كما كان هارون.

فلو قيل: إن هارون عليه السلام إنما كانت له تلك الخلافة والأوصاف حال حياة موسى عليه السلام خاصّة؛ فكمال المشابهة يقتضي تخصيصها بحال حياة

(١) المحتد: الأصل. الصحاح: ١: ٣٩٧ - حنّ.

(٢) الأنبياء: ٨٩.

الرسول صلى الله عليه وآله.

لكان مدفوعاً بما قلنا وبأنّ اتّصاف هارون عليه السلام بتلك الصفات لازمة لحقيقته وخلقته وطيبته؛ فإنه خيرة الله لكليمه فلو بقي بعده لم تتغيّر ولم تزل عنه ولما كان مولى الخلائق. وخيرة الخالق علي بن أبي طالب قد ثبتت له تلك النسبة والمنزلة من سيّد الخلق في حياته وبقي بعده فكانت باقية له وثابته فيه أبداً حتى مات وورثها وارثه.

وأيضاً إذا سلّم السائل أنّه استخلفه كهارون طالبناه بدليل عزله وأتّى له به بل مقتضى مشابهة استخلاف هارون لاستخلاف علي أنّ استخلاف علي مستمر؛ لأن هارون لم يعزل فعليّ لم يعزل.

نعم، موت هارون عليه السلام كشف عن اختصاص خلافته بحياة موسى عليه السلام وبقاء عليّ عليه السلام بعد الرسول صلى الله عليه وآله كشف عن استمرار استخلافه. على أن ما ذكرناه وما سنذكر من خصائص علي ونصوص النبي صلى الله عليه وآله عليه دفعت هذا الوهم وصرّحت باستمرار استخلافه وحديث المنزلة صرّح بأصل المشابهة في الاستخلاف فالرسول صلى الله عليه وآله أثبت له الاستخلاف بكل طريق ونفى عنه الأوهام بكل طريق.

وبالجمله، فجميع منازل هارون من موسى عليه السلام ثابتة لعليّ عليه السلام بحسب فطرته وذلك بمقتضى حكمة الله وإرادته فدالاتها على عصمته وإمامته العامة وخلافته التامة غنيّة عن البيان لا يمكن سترها وإطفاء نورها بالأفواه.

حول حديث الراية

وأما الحديث الثاني - وهو قوله صلى الله عليه وآله: «لأعطين الراية» إلى آخره - فهو من

أشهر المستفيضات بل من المضامين المتواترة بلا شبهة فقد أخرجه أحمد في مسنده عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن أبيه عن علي^(١) وعن سعيد بن المسيب وعن بريدة^(٢) وعن أبي هريرة^(٣) وعن بريدة أيضاً^(٤) وعن سهل بن سعد عن أبيه^(٥) وعن أبي هريرة أيضاً^(٦) وعنه أيضاً بسند آخر^(٧) وعن أبي ليلى عن أبيه عن علي بسند آخر^(٨) وعن سعد بن أبي وقاص^(٩) وعن أبي هريرة أيضاً بسند آخر.

وأخرجه البخاري عن سلمة بن الأكوخ^(١٠) وعن سهل^(١١) وعن سلمة بن الأكوخ بسند آخر أيضاً^(١٢) وعنه أيضاً بسند آخر^(١٣) وبسند آخر أيضاً عنه

-
- (١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٦٠ / ٧٨٠.
(٢) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٨٥ / ٢٢٤٨٤.
(٣) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٨٦ / ٨٧٦٤.
(٤) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٩٢ / ٢٢٥٢٢.
(٥) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٤٥٥ / ٢٢٣١٤، سنن النسائي الكبرى (ط دار الكتب العلمية) ٥: ١٧٩ / ٦٠٣، وفيه (عن سهيل).
(٦) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٢: ٣٨٤، وانظر: صحيح ابن حبان ١٥: ٣٧٩، سنن النسائي الكبرى (ط دار الكتب العلمية) ٥: ١١٠ / ٨٤٠٥، وفيهم (سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة) بدل (سهيل).
(٧) من خصائص أمير المؤمنين: ٥٧، وفيه (عن سهيل عن أبيه، عن أبي هريرة).
(٨) مسند أحمد بن حنبل ١: ٢١٥ / ١١٢٠.
(٩) مسند أحمد بن حنبل ١: ٣٠١ - ٣٠٢ / ١٦١١.
(١٠) صحيح البخاري ٣: ١٣٥٧ - ١٣٥٨ / ٣٤٩٩.
(١١) صحيح البخاري ٤: ١٥٤٢ / ٣٩٧٣.
(١٢) صحيح البخاري ٤: ١٥٤٢ / ٣٩٧٢.
(١٣) صحيح البخاري ٣: ١٠٨٦ / ٢٨١٢.

وبسند آخر عن سهل بن سعد أيضاً^(١).
وأخرجه مسلم عن عمر بن الخطاب وعن ابن عباس وعن أبي
هريرة^(٢) وعن سهل بن سعد بطريقين^(٣) وعن سلمة بن الأكوع^(٤).
وأخرجه الثعلبي في تفسيره^(٥) أيضاً.
وأخرجه ابن المغازلي بسنده إلى إياس بن سلمة عن أبيه^(٦) وبسنده
إلى سعد بن أبي وقاص^(٧)، وبسنده إلى أبي سعيد الخدري^(٨) وبسنده
إلى أبي هريرة^(٩) وبسنده إلى بريدة^(١٠) وبسنده إلى سعد بن أبي
وقاص^(١١).
وأخرجه رزين في (الجمع بين الصحاح الستة) - من (صحيح الترمذي)
- بسنده عن سلمة بن الأكوع وبسنده عن سهل بن سعد عن أبيه.
وأخرجه في (جامع الأصول) عن سهل^(١٢).
أخرجه البغوي في (المصابيح) في فصل [الصحابة]^(١٣) عن سهل بن
سعد^(١٤).

(١) صحيح البخاري ٣: ١٠٧٧ / ٢٧٨٣. (٢) صحيح مسلم ٤: ١٤٩١ / ٢٤٠٥.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٤٩١ / ٢٤٠٦. (٤) صحيح مسلم ٤: ١٤٩١ / ٢٤٠٧.

(٥) تفسير الثعلبي ٩: ٥٠. (٦) مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٢ / ٢١٨.

(٧) مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٨ / ٢٢٣.

(٨) مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٤ - ١٨٥ / ٢٢٠.

(٩) مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٦ / ٢٢١.

(١٠) مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٨ - ١٨٩ / ٢٢٤.

(١١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٨٨ / ٢٢٣.

(١٢) جامع الأصول ٨: ٦٥٤ / ٦٤٩٦. (١٣) في المخطوط: الصحاح.

(١٤) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٥ / ٦٠٨٩.

وأخرجه ابن عبد البر في (الاستيعاب)^(١) عن سعد بن أبي وقاص وأبي هريرة وسهل بن سعد وبريدة وأبي سعيد الخدري وابن عمر وعمران بن حصين وسلمة بن الأكوع.

وأخرجه ابن الأثير في (النهاية)^(٢) وفي (الكامل)^(٣) عن بريدة. وفي (روضة الأحباب) ورد في الأخبار الصحيحة وساق الخبر وقصة خبير.

وأخرجه الثعلبي أيضاً^(٤).

وأخرجه ابن الصباغ المالكي في فصوله من عدة طرق عن عدّة من كتب مشاهير أئمة الحديث^(٥).

وحصر من رواه خارج عن وسعي فضلاً عن هذه العجالة فهو في غاية الاستفاضة بل متواتر المضمون قطعاً.

وقد صرح بأنّ علياً عليه السلام يحب الله ورسوله حباً لم يحبهما به أحد من الصحابة^(٦) وأهل ذلك الموقف واختصّ هو - سلام الله عليه - من الله تعالى ورسوله بحبّ غير ما [كان] منهما: لسائر الصحابة والمؤمنين؛ فإن جميع الصحابة أهل الموقف يحبّون الله ورسوله ويحبّانهما ماعدا المنافقين فلو لم يكن حبّ عليّ لهما وحبّهما له حباً خاصاً لما كان لكلام من لا ينطق عن الهوى معنى أو أنه ليس لأحدٍ غيره حباً لله ولرسوله ولا لهما

(١) انظر الحديث بتلك الأسانيد في الاستيعاب ٣: ٢٠٣ / ١٨٧٥.

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٩١ - ريا.

(٣) الكامل في التاريخ ٢: ٢١٩. (٤) مرّت هذه العبارة قبل أسطر قليلة.

(٥) الفصول المهمة: ٣٧. (٦) الفصول المهمة: ٣٧.

حباً له وهذا يستلزم كفر من سواه.

فثبت أنه شارك من سواه في حبه ورسوله وحب الله ورسوله له واختص من ذلك بحب خاص وليس إلا مرتبة العصمة والإمامة العامة والخلافة المطلقة كما يشير إليه قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾ (١) الآية؛ فقد روى الثعلبي أنها نزلت في علي عليه السلام خاصة (٢).

ولا غرو فقد اتصف - عليه سلام الله - بما ذكره الله تعالى فيها من الصفات على الحقيقة بالذات دون غيره من الصحابة في جميع أحواله طول عمره الشريف بجميع معاني تلك الصفات بحسب القلب والقالب والغيب والشهادة والظاهر والباطن كما يعلم من تدبر أحواله وسيرته وأقواله وأفعاله وحكمه وأحكامه وخواصه وأخلاقه وصفاته ومزاياه ومن كيفية صحبته لابن عمه، صلى الله عليهما. وبيان ما يدل عليه من النصوص مما يطول لكنه لا يخفى على متيقن غير معاند.

ومما يدل على إرادة محبة الولاية العامة المطلقة التي لا يكون مظهرها في كل زمان إلا واحداً يدل الله تعالى عليه خلقه بما يظهره على يده من الكرامات وخوارق العادات ما ظهر منه - سلام الله عليه - في هذه الواقعة التي كشف تعالى فيها حال كل من يطمع في الخلافة والإمارة بنكوصهم على أعقابهم سواه؛ ففي رواية ابن الأثير في (الكامل) أنه كان على رأس مرحب حجر قد نقبه مثل البيضة وأنّ علياً - سلام الله عليه - لما ضربه قدّ

الحجر والمغفر ورأسه.

وفيهما أن أبا رافع - مولى رسول الله صلى الله عليه وآله - قال: إن علياً لَمَّا دنا من الحصن خرج إليه أهله فقاتلهم، فضربه يهودي فطرح ترسه من يده، فتناول - سلام الله عليه - باباً كان عند الحصن فتترس به فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه. ولقد رأيتني في نفر سبعة أنا ثامنهم جهدنا في أن نقلب ذلك الباب فلم نقلبه^(١).

وفي حديث (روضة الأحياب) أن مرحباً كان متعمماً على رأسه إماماً وعمامتين وعليهما البيضة فضربه عليّ - سلام الله عليه - فقدّ الترس والبيضة والعمامتين ورأسه إلى قربوس سرجه نصفين.

وفي صواعق ابن حجر أن علياً - سلام الله عليه - حمل يوم خيبر باب حصنها على ظهره حتى صعّد المسلمون عليه ففتحوها وأنهم جرّوه بعد ذلك فلم يحمله إلا أربعون رجلاً. قال: وفي رواية أنه تترس بباب الحصن عن نفسه فلم يزل في يده وهو يقاتل حتى فتح الله عليه ثم ألقاه فأراد ثمانية أن يقلبوه فما استطاعوا^(٢).

وفي (روضة الأحياب) أنه - سلام الله عليه - تترس بباب الحصن وكان من حديد ثم ألقاه إلى خلفه ثمانين شبراً فأراد سبعة أن يقلبوه مجتمعين فما استطاعوا وأراد أربعون رجلاً أن يقلبوه فعجزوا.

وفي بعض ما أشرنا له من الأخبار أن ضربة عليّ مرحباً سمعها الجيش كله^(٣).

(١) الكامل في التاريخ ٢: ٢٢٠. (٢) الصواعق المحرقة: ١٢٠.

(٣) الرياض النضرة ٣ - ٤: ١٤٩ - ١٥٢٠.

فانظر إلى هذه المعاجز التي أظهرها الله تعالى على يده؛ ففيها من الدلالة على معنى ذلك الحب الذي وصفه به رسول الله صلى الله عليه وآله ما لا يخفى. ولا ينافيه التعبير في الآية الكريمة بلفظ الجمع؛ فقد عرفت وجهه فيما سبق في: ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﴾ (١) الآية.

فكم عبر الله تعالى عنه بلفظ الجمع فيما لا يحتمل غيره بإجماع الأمة كآية المباهلة (٢) وغيرها؛ ليدل خلقه على عظمته عنده ولأنه - باعتبار ما اشتمل عليه صلبه الطاهر من كل دنس على العموم والأطلاق من أنوار الأئمة الهداة البررة - جمع. فدل تعظيمه تعالى له على تعظيمهم أيضاً وأنه موضع (٣) شرفهم وفضلهم.

حول آية المباهلة

وأما الحديث الثالث - وهو حديث المباهلة وما قال الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وآله في أهل البيت عليهم السلام - فقد استفاضت صحاح الأخبار أنه لما نزل قوله تعالى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ﴾ (٤) - الآية - عدا رسول الله صلى الله عليه وآله لمباهلة نصارى نجران وخرج معه بالحسنين وبأبيهما عليّ وأمهما البضعة الطاهرة، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» (٥) وأبان بذلك أنهم المخصوصون بهذه الآية.

أخرج مسلم في صحيحه بسنده إلى سعد بن أبي وقاص أنه قال لمعاوية: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لعليّ: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة

(١) المائدة: ٥٥. (٢) آل عمران: ٦١.

(٣) نسخه بدل: منبع. (هامش المخطوط). (٤) آل عمران: ٦١.

(٥) السنن الكبرى (البيهقي) ٧: ١٠١/١٣٣٩٢، وفيه: «هؤلاء أهلي»، الكشاف ١: ٣٦٨.

هارون من موسى؟». وسمعتة يوم خيبر يقول: «لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله»، فاعطاها علياً. ولما نزلت: ﴿فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ﴾ - الآية - دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»، ولأن تكون لي واحدة منهمن أحب إلي من حمر النعم.

أخرجه عنه مسلم بطريقين^(١) وأخرجهما عنه عدة من المشاهير منهم صاحب (جامع الأصول)^(٢)، وأخرج هذا المضمون أيضاً في (الكشاف) في تفسير هذه الآية وقال: وعن عائشة: أن رسول الله ﷺ خرج وعليه مرط مرجل من شعر أسود فجاء الحسن فأدخله ثم جاء الحسين فأدخله ثم فاطمة ثم علياً ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾^(٣)،^(٤).

وأخرجه في موضع آخر حكى فيها صورة حال النصارى مع رسول الله ﷺ وأنه غدا محتضناً الحسين آخذاً بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعليّ خلفها وهو يقول: «إذا أنا دعوت فأمّوا»^(٥) الحديث.

وأخرجه مبارك بن محمد بن الأثير الجزري في كتابه (جامع الأصول) عن سعد بن أبي وقاص قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ﴾ - الآية - دعا رسول الله ﷺ علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً، فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي»^(٦).

(١) صحيح مسلم ٤: ١٤٩٠ / ٢٤٠٤. (٢) جامع الأصول ٨: ٦٥٠ - ٦٥١ / ٦٤٩١.

(٣) الأحزاب: ٣٣. (٤) الكشاف ١: ٣٦٨، ٣٦٩.

(٥) الكشاف ١: ٣٦٨. (٦) جامع الأصول ٨: ٦٥٠ - ٦٥١ / ٦٤٩١.

ورواه ابن الأثير في (الكامل)^(١) والبغوي في (المصابيح) عن سعد بن أبي وقاص بلفظ: «اللهم أهل بيتي».

وأخرجها في (المشكاة)^(٢) من صحيح مسلم بهذه العبارة. قال بعض أهل الفضل: (إن النسخة التي عندي من (صحيح مسلم) صحيحة مقروءة على الشيوخ وفيها لفظ: «أهل بيتي»).

وأخرجه البيضاوي في تفسيره^(٣) وابن الصبّاح المالكي في (الفصول المهمة) ثم قال: (قال جابر بن عبد الله: ﴿أنفسنا﴾: محمد وعلي - صلى الله عليهما - و﴿أبناءنا﴾: الحسن والحسين و﴿نساءنا﴾: فاطمة. قال: (وهكذا رواه الحاكم في مستدركه وقال: (صحيح على شرط مسلم)^(٤)...)^(٥).

ورواه أبو داود عن الشعبي ورواه عن ابن عباس.

وروى الترمذي نحوه^(٦).

وبالجمله، كل من ذكر حديث المباهلة؛ من مفسر أو محدث أو كتاب سيرة، ذكره.

وقد أجمعت الأمة على أن المراد بالأبناء: الحسنان وبالنساء: البضعة الطاهرة وبالأنفس: علياً سلام الله عليهم أجمعين. ولم تُبق هذه الآية الكريمة المحكمة لذي عناد مقالاً ولا لصاحب شبهة مجالاً ولا لذي فضل غير المرتضى فضلاً؛ فبعد أن يسميه الله نفس رسوله صلى الله عليه وآله فقد حكم له بكلّ

(١) الكامل في التاريخ ٢: ٢٩٣. (٢) مشكاة المصابيح ٣: ٣٦٨ / ٦١٣٥.

(٣) تفسير البيضاوي ١٤: ١٦٣.

(٤) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٦٣ / ٤٧١٩.

(٥) الفصول المهمة: ٢٤. (٦) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٣ / ٣٧٢٤.

فضلٍ من الله أفاضه على رسوله وكمالاً ألبسه إياه من الرئاسة العامة والولاية المطلقة والإمامة الكلية والعصمة الحقيقية؛ إذ لو وقع منه سهو أو غلط فضلاً عن غيرهما لم يكن حينئذ من تلك الجهة نفس الرسول صلى الله عليه وآله وسلم فلم يكن نفسه مطلقاً من كل وجه وهو نفسه كذلك هذا خلف.

وكذا لو لم يكن رئيساً عاماً وإماماً على كل حال وأولى بالمؤمنين من أنفسهم لم يكن نفس الرسول كذلك وهو نفسه كذلك، هذا خلف.

ثم انظر إلى ما دلت عليه الواقعة من بيان فضيلة أولئك الأربعة الذين قال فيهم كبير النصارى لما رآهم: (إني لأرى وجوهاً لو أقسموا على الله أن يزيل جبلاً لأزاله). حيث خرج بهم سيّد الخلق ليقسم على الله بهم في مباهلتهم النصارى. وما ذاك إلا لعلمه صلى الله عليه وآله وسلم بأن ليس على وجه الأرض أكرم على الله منهم بعده فأراد بيان هذا لجميع الخلق.

وفي كثير من أخبار الواقعة ^(١) أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما خرج بهم جمعهم في كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي» فنزلت ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ ﴾ ^(٢) الآية.

ولا إشكال في كونه نفس الرسول وهما اثنان بالضرورة؛ لأننا نقول: إنه كنفسه الزاكية في جميع ما أفاضه الله عليه ^(٣) من حلال الكمال ولا بد من إرادة العموم من الإطلاق فهو كالرسول صلى الله عليه وآله وسلم في كل كمال وخير؛ لأنه الفرد الأكمل، فيجب صرف الإطلاق إليه وإلا خلا الكتاب والسنة من معنى صحيح يليق بهما؛ فإنّ المشابهة بوجه ما لا يخلو منها فرد وكلام الله عزّ

(١) الكشاف ١: ٣٦٩، الجامع الصحيح ٥: ٦٣٨ / ٣٧٢٤.

(٢) المائدة: ٥٥. (٣) كذا، والأولى كونها: عليه.

وجلّ وكلام رسوله صلى الله عليه وآله منزّهان عن الهذر^(١) بل عن مساواة كلام أبلغ البلقاء وإلا لما كان معجز سيّد الرسل.

فإذن، علي - سلام الله عليه - كالرسول صلى الله عليه وآله في كونه سيّد الخلق بعده وسيدهم على الإطلاق وواسطة الخلق طرّاً في جميع الكمالات وباب الله وسبيله الذي لا يؤتى إلاّ منه وحبّة الله على جميع خلقه وإمامهم وأولى بهم من أنفسهم بعده ومعصوماً مطلقاً وهادياً ودليلاً ونوراً وبرهاناً وحافظاً للحق والشريعة والكتاب وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً.

ومقتضى هذا أنّه أفضل من جميع الرسل السابقة على محمد صلى الله عليه وآله؛ فإنّ محمداً صلى الله عليه وآله سيدهم وأفضلهم وعليّ نفسه مطلقاً فهو أفضل منهم مطلقاً. وهذا أقرب المجازات إلى الحقيقة عند تعذّرها.

ويدل على ارادة هذه المشابهة في الآية ما مرّ من قوله صلى الله عليه وآله: «أبعث إليكم رجلاً مني أو كنفي» كما مر^(٢).

وأخرجه أيضاً في (الكشاف) في سورة (الحجرات) في قصّة بعث الرسول صلى الله عليه وآله الوليد بن عقبة لبني المصطلق ليأخذ الزكاة فرجع وأخبره أنهم منعوها فاتّهمهم صلى الله عليه وآله وقال: «لتنتهن أو لأبعثن إليكم رجلاً هو عندي كنفي يقاتل مقاتلتكم ويسبي ذراريكم»، ثم ضرب بيده على كتف علي^(٣).

وأخرج في (الاستيعاب) بسنده عن المطّلب بن عبد الله بن حنطب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لوفد ثقيف حين جاؤوه: «تسلمن أو لأبعثن رجلاً مني - أو

(١) الهذر: الهذيان. مختار الصحاح: ٦٩٣ - هذر.

(٢) المصنف (الصنعاني) ١١: ٢٢٦ / ٢٠٣٨٩، الاستيعاب ٣: ٢١٠.

(٣) الكشاف ٤: ٣٥٩ - ٣٦٠.

قال: مثل نفسي - فليضربن أعناقكم وليسيتن ذراريكم، وليأخذن أموالكم». فالتفت إلى عليّ فأخذ بيده ثم قال: «هو هذا هو هذا» الحديث^(١).

وأخرجه ابن أبي الحديد في (شرح النهج) ولفظه: «لتسلمن أو لأبعثن إليكم رجلاً مني - أو قال: - عديل نفسي» - الحديث - إلى أن قال: فالتفت إلى علي فأخذ بيده وقال: «هو هذا»^(٢) مرتين.

رواه أحمد في (المسند) وفي كتاب (فضائل علي) ^(٣) ولفظه: أنه قال: «لتنتهن يابني وليعة أو لأبعثن إليكم رجلاً كنفي يُمضي فيكم أمري» - الحديث - إلى أن قال: وإنما يعني خاصف النعل بالبيت وأنه قال: «هو هذا».

وأخرجه ابن أبي الحديد في موضع آخر ولفظه: كان الخبر المشهور عن رسول الله ﷺ أنه قال: «لتنتهن يابني وليعة أو لأبعثن إليكم رجلاً عديل نفسي» الخبر إلى أن قال: فأخذ بيد علي وقال: «هو هذا»^(٤).

ورواة هذه القصّة كثيرون مخرجة في الكتب المعتمدة وقد مرت الإشارة إلى بعضها أيضاً. فبان بذلك وجه التجوّز المذكور وأنه أراد كمال المشابهة من كل وجه كما يشير إليه قوله ﷺ في بعض الطرق: «عديل نفسي»^(٥) وأطلق فيجب حمل إطلاقه على أكمل المعادلة وأتمّها. فهو عديله من كلّ وجه وفي كلّ شيء عدا النبوة وقد استثنيت خاصّة ولو كان غيرها مستثنى أيضاً لذكره الرسول ﷺ وأبانه للخلق؛ لئلا يلزم الإغراء بالجهل تعالى الله ورسوله عن ذلك.

(١) الاستيعاب ٣: ٢١٠. (٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٧.

(٣) عنهما في مناقب أهل البيت: ٨٨. (٤) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٧.

(٥) شرح نهج البلاغة ١: ٢٩٤، عنه مناقب أهل البيت: ٨٨.

هذا كله بحسب النظر الجليل، وأما بوجه آخر وبالنظر الدقيق فهو نفسه حقيقة - أي مظهر سرّ ولايته التي هي ولاية الله الكبرى المطلقة الشاملة لمن عدا الرسول - فإن علياً - سلام الله عليه - هو حامل لواء الحمد المختصّ بالرسول صلى الله عليه وآله الجامع لجميع الكمالات والمحامد وهما أيضاً - كما عرفت - خلقا من نور واحد بل نور واحد منبجس من نور عظمة الله، وإنما تمايزت الخلافة والرسالة وافترقا في صلب عبد المطلب، كما قد عرفت.

ولا أقول: وحدة شخصيّة من كل وجه وفي كل مقام؛ لاستحالة اتّحاد الاثنين بالبرهان المتضاعف ولكنها نوعيّة صنفية بوجه أو بوجه أعلى من التصانف والتناوع هو من طور ما وراء العقل لا يعرفه إلا الله والراسخون في العلم، والأصل في الكتاب والسنة الحقيقة حتى يقوم البرهان على التجوّز فتأمّل جدّاً جيداً.

وأما الحديث الرابع وهو غدير خم فقد عرفت دلالة وقد مر الكلام فيه في مقامين.

وأما الحديث السادس ^(١) وهو قوله صلى الله عليه وآله: «عليّ مني وأنا من علي...» ^(٢) إلى آخره فقد مرّ الكلام فيه أيضاً.

حول حديث المؤاخاة

وأما السابع وهو حديث المؤاخاة فهو أيضاً من المستفيضات جدّاً بل

(١) كذا لم يذكر الحديث الخامس.

(٢) سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣٠٠، المصنف (الكوفي) ٧: ٥٠٤ / ٥٨، كتاب السنة: ٥٥٢ / ذيل ١١٨٩، الجامع الصغير ٢: ١٧٧ / ٥٥٩٥.

هو من متواتر المضمون فقد أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن سعيد بن المسيّب أنّ رسول الله ﷺ آخى بين الصحابة وبقي رسول الله وأبو بكر وعمر وعلي فأخى بين أبي بكر وعمر وقال لعلي: «أنت أخي» (١). وبسنده عن عمر بن عبد الله عن أبيه عن جدّه: أن النبي ﷺ آخى بين الناس وترك علياً حتى بقي آخرهم لا يرى له أخاً، فقال: «يارسول الله، أخيت بين الناس وتركتني!». قال: «ولمن تراني تركتك؟ إنما تركتك لنفسي أنت أخي وأنا أخوك فإن ناداك أحدٌ فقل: أنا عبد الله وأخو رسول الله لا يدعيها بعدك إلا كذاب» (٢). وبسنده عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله ﷺ في مسجده. وذكر قصة مؤاخاة رسول الله ﷺ بين الصحابة إلى أن قال: فقال عليّ للنبي ﷺ: «لقد ذهب روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري فإن كان هذا من سخط عليّ فلك العتبي والكرامة». فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق ما آخرتك إلا لنفسي، فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا إنه لا نبيّ بعدي وأنت أخي ووارثي». قال: فقال: «وما أرث منك يارسول الله؟». قال: «ما ورث الأنبياء قبلي». قال: «وما ورث الأنبياء قبلك؟». قال: «كتاب الله وسنة نبيّهم وأنت معي في قصري في الجنة مع بنتي فاطمة وأنت أخي ورفيقي». ثم تلا رسول الله ﷺ: «﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾» (٣) المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض» (٤).

(١) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١٧ / ١٧٠٥، الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧١٩،

المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٤.

(٢) انظر تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٦١. (٣) الحجر: ٤٧.

(٤) عنه كنز العمال ٩: ١٦٧ / ٢٥٥٥٤ و ١٣: ١٠٥ / ٣٦٣٤٥ عن (المناقب)، عنه في

عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٧ / ٢٥٧ جزء بقي بن مخلد: ١٢٦، نظم درر

السمطين: ٩٤، الثقات ١: ١٤٢.

وبسنده عن ابن عباس أن علياً - سلام الله عليه - كان يقول في حياة رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: ﴿أَقَانُ مَاتَ أَوْ قُتِلَ﴾^(١)، لأَقَاتَنَّ عَلِيَّ مَا قَاتَلَ عَلَيْهِ حَتَّى أَمُوتَ وَاللَّهِ أَنِي لِأَخُوهِ وَوَلِيِّهِ وَابْنِ عَمَّتِهِ وَوَارِثِهِ وَمَنْ أَحَقُّ بِهِ مِنِّي؟»^(٢).

وبسنده عن أبي المغيرة عن علي بن أبي طالب - سلام الله عليه - قال: «طلبني رسول الله ﷺ؛ فوجدني في حائط نائماً فضربني برجله وقال: قم والله لأرضينك أنت أخي وأبو ولدي تقاتل علي سنتي. من مات علي عهدٍ فهو في كنف الله ومن مات علي عهدك فقد قضى نحبه ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والإيمان ما طلعت شمس أو غربت»^(٣).

وبسنده عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ فذكر الحديث وقال في آخره: «عليّ أخي وصاحب لوائي»^(٤).

وبسنده عن علي - سلام الله عليه - قال: «جمع رسول الله ﷺ بني عبد المطلب» وذكر الحديث إلى أن قال: «فقال: يا بني عبد المطلب إنني بعثت إليكم خاصة وإلى الناس عامة فقد رأيتم من هذه الآية ما رأيتم - يعني: ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾^(٥) - فأيتكم بيا يعني علي أن يكون أخي وصاحبي؟ فلم يقم إليه أحد | فقامت

(١) آل عمران: ١٤٤.

(٢) عنه ذخائر العقبي: ١٠٠، وعنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٧ - ١٦٨ / ٢٥٨، المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی ٣٢: ١٢٦، سنن النسائي الكبرى (ط دار الكتب العلمية) ٥: ٢٢٥ / ٨٤٥٠، خصائص أمير المؤمنين: ٨٥، أمالي المحاملي: ١٦٣ / ١٣٤، المعجم الكبير ١: ١٠٧ / ١٧٦.

(٣) عنه ذخائر العقبي: ٦٦، وعنه ينابيع المودة ١: ٣٧٤ / ٣، وعنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٨ / ٢٥٩، مسند أبي يعلى ١: ٤٠٢ / ٥٢٨.

(٤) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٨ / ٢٦٠.

(٥) الشعراء: ٢١٤.

إليه وكنت أصغر القوم فقال: اجلس | فلما قالها ثالثة ضرب بيده على يدي»^(١).
وأخرجه ابن المغازلي بسنده عن أنس قال: لما كان يوم المباهلة
وأخى النبي ﷺ بين المهاجرين والأنصار وعليّ واقف يراه ويعرف مكانه
ولم يؤاخ بينه وبين أحد فانصرف علي باكي العين، فافتقده النبي ﷺ فقال:
«ما فعل أبو الحسن؟». قالوا: انصرف باكي العين يا رسول الله. قال: «يا بلال
إذهب فأتني به». فمضى بلال إلى عليّ عليه السلام وقد دخل منزله باكي العين فقالت
فاطمة: «ما يبكيك لا أبكى الله عينيك؟». قال: «يا فاطمة، أخى النبي ﷺ بين
المهاجرين والأنصار وأنا واقف يراني ويعرف مكاني لم يؤاخ بيني وبين أحد». قالت:
«لا يحزنك الله لعله إنما أذخرك لنفسه».

فقال بلال: يا علي أجب النبي. فأتى النبي ﷺ فقال النبي: «ما يبكيك يا أبا
الحسن؟». فقال: «أخيت بين الناس يا رسول الله وأنا واقف تراني وتعرف مكاني لم
تؤاخ بيني وبين أحد». قال: «إنما أذخرتك لنفسي ألا يسرك أن تكون أخا نبيك؟». قال:
«بلنى يا رسول الله أتى لي بذلك؟». فأخذ بيده وأرقاه المنبر؛ فقال: «اللهم إن هذا
مني وأنا منه إلا إنه مني بمنزلة هارون من موسى، ألا من كنت مولاه فهذا عليّ مولاه».
قال: فانصرف علي قريير العين فأتبعه عمر بن الخطاب؛ فقال: بخ بخ يا أبا
الحسن^(٢).

وبسنده عن زيد بن أرقم وعن رجلٍ من قريش قال: دخلت على
رسول الله ﷺ؛ فقال: «إني مؤاخ بينكم كما أخى الله تعالى بين الملائكة» ثم قال
لعلي: «أنت أخي ورفيقي» ثم تلا: ﴿إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ﴾^(٣) الاخلاء في الله

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥٩.

(٢) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٩ - ١٧٠ / ٢٦٢.

(٣) الحجر: ٤٧.

ينظر بعضهم إلى بعض»^(١).

وبسنده إلى الدارقطني^(٢) يرفعه إلى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٣).

وبسنده إلى ابن عباس قال رسول الله ﷺ: «خير إخواني علي»^(٤).

وبسنده إلى ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي يوم المؤاخاة: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٥).

وبسنده عن حذيفة بن اليمان قال: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار وكان يؤاخي بين الرجل ونظيره ثم أخذ بيد علي ابن أبي طالب عليه السلام؛ فقال: «هذا أخي». قال حذيفة: فرسول الله سيّد المرسلين وإمام المتقين ورسول رب العالمين الذي ليس له شبيه ولا نظير وعليّ أخوه^(٦).
وبسنده عن أبي الحمراء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لما أسري بي إلى السماء رأيت على ساق العرش الأيمن: أنا وحدي لا إله غيري غرست جنة عدن بيدي محمد صفوتي أيّدته بعلي»^(٧).

أقول: أشار بهذا الحديث إلى قوله تعالى: ﴿سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾^(٨)

(١) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار ١٧٠ / ٢٦٣، وفيه: (عن رجل من قريش عن زيد بن أرقم)، بدل: (عن زيد بن أرقم وعن رجل من قريش).

(٢) انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٣٢٨ / ٢٥٣، و ٣٤٣ / ٢٦٩، سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣٠٠ / ٣٨٤. (٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٧ / ٥٧.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٧ - ٣٨ / ٥٨، وفيه: (عن عبد الرحمن بن عابس)، بدل: (ابن عباس). (٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٨ / ٥٩.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٨ - ٣٩ / ٦٠.

(٧) مناقب علي بن أبي طالب: ٣٩ / ٦١. (٨) القصص: ٣٥.

فلا غرابة في ذكره في هذا الباب فإنه مفسرٌ ومبينٌ للآية.
ولما قال عليه السلام في سبب نزول الآية وما قاله عليه السلام مما رواه أحمد في مسنده عن أسماء بنت عميس قالت: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «اللهم إني أقول كما قال أخي موسى عليه السلام: اللهم ﴿ وَاجْعَلْ لِي وَزِيْرًا مِنْ أَهْلِي ﴾ علياً ﴿ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴾ - الآية إلى - ﴿ بَصِيْرًا ﴾^(١)»^(٢) وغيرها ممّا مر في غيره؛ فإنها طبق فافهم.

وأخرجه في (الجمع بين الصحاح الستة) لوزين من صحيح (أبي داود) (صحيح الترمذي)^(٣) بسنديهما عن ابن عمر قال: لما آخى رسول الله صلى الله عليه وآله بين أصحابه جاءه علي تدمع عيناه، فقال: «يا رسول الله آخيت بين أصحابك ولم تؤاخ بيني وبين أحدٍ؟». قال: فسمعت النبي صلى الله عليه وآله يقول: «أنت أخي في الدنيا والآخرة»^(٤).

وأخرج [في] (جامع الأصول) عن ابن عمر مثله^(٥) وأخرج البيهقي في (المصابيح) وفي (المشكاة)^(٦) وابن حجر في (الصواعق)^(٧) أيضاً عن ابن

(١) طه: ٢٩ - ٣٥.

(٢) عنه عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٧٢ / ٤٣١، وانظر: شواهد التنزيل ١: ٤٧٩ / ٥١١، و٤٨١ / ٥١٢، ذخائر العقبى: ٦٣، الكامل ٢: ١٤٢، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٥٢.

(٣) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ / ٣٧٢٠.

(٤) انظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٣٠٦ / ٢٢٥، و٣٤٣ / ٢٦٩، و٣٥٧ / ٢٨٤، ذخائر العقبى: ٦٦، المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٤، أسد الغابة ٤: ٢٩، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ١٠١ / ١٠٣.

(٥) جامع الأصول ٨: ٦٤٩ / ٦٤٨٧، (٦) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٦ / ٦٠٩٣.

(٧) الصواعق المحرقة: ١٢٢.

عمر مثله.

وأخرج^(١) ابن عبد البر في (الاستيعاب) عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «أنت أخي وصاحبي»^(٢).

وأخرج بسنده عن أبي الطفيل قال: لما احتضر عمر جعلهما شورى بين عليّ و[عثمان]^(٣) وطلحة والزبير وعبد الرحمن وسعد، فقال لهم عليّ: «أنشدكم الله هل فيكم أحدٌ آخى رسول الله ﷺ بينه وبينه إذ آخى بين المسلمين غيري؟». قالوا: اللهم لا.

قال ابن عبد البر: وروينا من وجوه عن علي أنه كان يقول: «أنا عبد الله وأخو رسوله لا يقولها أحدٌ غيري إلا كذاب». قال ابن عمر: آخى رسول الله ﷺ بين المهاجرين ثم آخى بين المهاجرين والأنصار وقال في كل واحدة منهما لعلي: «أنت أخي في الدنيا والآخرة» وآخى بينه وبين نفسه؛ ولذلك كان هذا القول وما أشبهه من علي^(٤) إلى هنا كلام (الاستيعاب).

وقال ابن الأثير في (الكامل): روي عن علي أنه قال: «أنا عبد الله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر»^(٥) الحديث.

وهو يدل على أن الطبري أخرجه، لما في المقدمة^(٦) ويؤيده ما قال

(١) في المخطوط: أخرجه . (٢) الاستيعاب ٣: ٢٠٢ .

(٣) من المصدر، وفي المخطوط: اثنين . (٤) الاستيعاب ٣: ٢٠٣ .

(٥) الكامل في التاريخ ٢: ٥٧ .

(٦) قال ابن الأثير في مقدمة كامله: (فابتدأت بالتاريخ الكبير الذي صنفه الإمام أبو جعفر الطبري... فلما فرغت منه أخذت غيره من التواريخ المشهورة فطالعتها وأضفتها...)، وليس فيه غير ما ذكر إلا ما يحوم حوله من أنه اعتمده مرجعاً له ثم أضاف من غيره. ولعل المصنّف - الشيخ آل طوق - أراد أنه لما كان كتاب (الكامل)

ابن أبي الحديد في (الشرح): (وروى الطبري في تأريخه^(١) أيضاً) وساق السند إلى عبيد الله بن عبدالله قال: سمعت علياً يقول: «أنا عبدالله وأخو رسوله وأنا الصديق الأكبر لا يقولها بعدي إلا كاذب مفتر» الحديث.

إلى أن قال: وفي غير رواية الطبري: «أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول»^(٢) الحديث.

وقال في موضع آخر: وقد قال علي عليه السلام: «أنا الصديق الأكبر وأنا الفاروق الأول»^(٣) تمام الحديث.

وروى ابن حجر من صحيح (أبي داود) - ورواه غيره أيضاً كما تقدمت الإشارة إليه^(٤) - من قول أم أيمن ليلة الزفاف الأعظم لما قال لها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ها هنا أخي؟». قالت: أخوك وتزوجته ابنتك؟ قال: «نعم»^(٥).

وفي (مسند أحمد) بسنده إلى عبدالله بن حنطب عن أبيه قال: خطبنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم الجمعة، فقال: «يا أيها الناس أوصيكم بحب ذي أقربيها: أخي وابن عتي علي بن أبي طالب؛ فإنه لا يحبّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبّه فقد أحبّني

■ مأخوذاً معظمه من (التاريخ الكبير) وأن هذا الحديث موجود في (الكامل)، فلا بد أن يكون موجوداً في (التاريخ الكبير). انظر الكامل في التاريخ ١: ٣.

(١) تاريخ الطبري ٢: ٥٦، وانظر: سنن ابن ماجه ١: ٤٤ / ١٢٠، المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١١١، المصنف (الكوفي) ٧: ٤٩٨ / ٢١، الآحاد والمثاني ١: ١٤٨ / ١٧٨، كتاب السنة: ٥٨٤ / ١٣٢٤، السنن الكبرى (النسائي) ٥: ١٠٦ / ٨٣٩٥، خصائص أمير المؤمنين: ٤٦، تفسير الثعلبي ٥: ٨٥، وفيهم (عباد بن عبدالله) بدل (عبيدالله بن عبدالله). (٢) شرح نهج البلاغة ١٣: ٢٠٠.

(٣) شرح نهج البلاغة ١: ٣٠.

(٤) انظر: مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٣١٠ / ٢٢٨، نظم در السمطين: ١٨٥، ينابيع المودة ٢: ٦٢ / ٤٩، عن (أبي داود). (٥) الصواعق المحرقة: ١٤٢.

ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني عذبه الله عز وجل»^(١).

وبالجملة، فهذا المضمون متواتر لشدة استفاضة ألفاظه وتعدد طرقها واشتهارها بين أكابر الأمة؛ فالمنكر لمؤاخاة الرسول ﷺ لعلي عليه السلام منكر لما جاء به الرسول ﷺ بالضرورة، مكذب بالكتاب والسنة المجمع على مضمونها؛ فهو مرتد منافق. وهي من أصرح الأدلة على أن علياً مضارعاً ومماثلاً ومجانساً ومناوعاً ومصانفاً^(٢) للنبي ﷺ في كل كمال وجمال وجلال.

فهو معصوم ونائب الله وحجته على خلقه، وإمام البرية بعد ابن عمه ﷺ؛ إذ من الضروري أنه لو كان في الخلق أشبه به منه أو أكمل منه بوجه، لم يختار الله تعالى لمؤاخاة أكرم الخلق عليه إلا الأكمل الأقرب إلى الله؛ لأن حقيقة المؤاخاة انضمام الشيء إلى شبهه وشكله فكل متشاكلين يسميان أخوين. لكن إذا كانت المماثلة من كل وجه كانت المؤاخاة حقيقية ومن كل وجه، وإلا فهي مجازية ومن وجه.

والرسول ﷺ لما أمره الله تعالى أن يؤاخي بين الصحابة [فإنما أمره] أن يضم كل واحد إلى شكله فلا بد أن يطلعه على حقائقهم ومواد طينهم ومبادئ طباعهم التي خلقت نفوسهم منها وتجوهرت بحقائقها. فأبدانهم من فاضل مواد قلوبهم، وأخلاقهم تحكي طباعهم وأعمالهم على شاكلة

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٢، (عن الفضائل لابن حنبل)، كنز العمال ١٤: ٨١ / ٣٧٩٩٦، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٧٩، ينابيع المودة ٢: ٤٩٢ / ٣٨٢، عن (الفضائل).

(٢) المصانف: هو المشاكل والمجتمع في الصفة والصنف. (هامش المخطوط).

حقائقهم. فحقيقة كلّ أخوين ترجع إلى مبدأ واحد وعنصر واحد ومادّة واحدة أو قالب واحد فإذا اتّحد المصدر اتّحد المورد واتّحد المبادئ يستلزم اتّحد المعاد والغاية وإن تفاضل الأخوان؛ إذ كل رتبة واحدة لها درجات أو دركات متكرّرة والاتّحاد بين الاثنين إنما هو بالمجانسة أو المناوعة أو المصانفة. أما من كلّ وجه بحيث يتحقق التعدّد ولو بوجه الاتّحاد الشخصي من كل وجه فمحال بالبرهان المتضاعف عقلاً ونقلًا.

وقولهم: المشبّه عين المشبّه به إنما يعنون به ما أشرنا له من الاتّحاد الممكن لا المستحيل، فالرسول صلى الله عليه وآله ضم كلّ واحدٍ منهم إلى شبهه وشكله وأقرب الخلق إلى ذاته وحقيقته، فأبان بهذا اتّحاد رتبة كلّ أخوين في الإيمان أو النفاق والطّباع والأخلاق، وفي المبدأ والمعاد، وفي الرّشاد أو الفساد، وفي العلم بالله وصفاته وآياته أو الجهل به أو العناد. فكلّ أخٍ مؤازرٍ أخاه، وهو عضده وقائم مقامه إذا فقد وموجود بوجوده إذا وجد، وهو وارثه فيما وقع التّأخي به وعليه، وشريكه في ميراث أبيه، فانظر من أبوهما فهما يرثان تركته، فانظر ما ترك منبعمها وأصلهما فاقسمها بينهما و[يفرد] ^(١) أحدهما بالحبوة أو سبب أبوتّه الآخر ^(٢) ولكل درجات مما عملوا.

فإذا ثبتت أخوة الرسول المصطفى لعلي المرتضى ثبتت له العصمة والحكمة والولاية المطلقة والرئاسة العامة والإمامة التامة؛ ولذا لم يكن للبضعة الطاهرة كفوًّا إلاّ أخوه وقد ثبت بالاستفاضة أنه إنما زوجّه الله بها

(٢) كذا في المخطوط.

(١) في المخطوط: ويفد بزائد.

كما أخرجه ابن حجر^(١) والسمهودي^(٢) وكثير غيرهما^(٣) كل منهم بطرق عديدة لا يسع المقام نشرها. فلعلي جميع ما للرسول ﷺ إلا النبوة؛ ولذا لم يستثن هي.

فإذن علي - سلام الله عليه - كان بهذه المؤاخاة أفضل من أولي العزم من الرسل - سلام الله عليهم أجمعين - بلا مرية وإلا لما كان لمؤاخاة الصحابة معنى يليق بجلال الرسالة ومنبع الحكمة الربانية الرحمانية، وناهيك بهذا فخراً.

وأما التاسع - وهو حديث: «أنا مدينة العلم...» إلى آخره - فقد بلغ في الاشتهار ما لا يستطيع معه المعاند الإنكار، أخرج ابن المغازلي الشافعي بسنده عن جابر بن عبد الله قال: أخذ النبي ﷺ بعضدي علي عليه السلام وقال: «هذا أمير البررة وقاتل الكفرة منصور من نصره مخذول من خذله». ثم مدّ بها صوته؛ فقال: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٤).

وبسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا مدينة العلم وعلي بابها، فمن أراد العلم فليأت الباب»^(٥).

وبسنده عن حذيفة عن علي قال: «قال رسول الله ﷺ: أنا مدينة العلم وعلي بابها، ولا تؤتى البيوت إلا من أبوابها»^(٦).

(١) الصواعق المحرقة: ١٤١ - ١٤٢. (٢) جواهر العقدين: ٣٠٠ - ٣٠١.

(٣) المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٧ - ٤٠٨ / ١٠٢٠.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٠ / ١٢٠.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٨١ / ١٢١.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ٨١ - ٨٢ / ١٢٢، وفيه (عن جرير عن علي عليه السلام)، والحديث بالسند المذكور في المتن أورده ابن البطريق في (عمدة عيون صحاح الأخبار) نقلاً عن ابن المغازلي. انظر عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٩٣ / ٤٨٢.

وبسنده عن ابن عباس أيضاً مثل ما تقدّم في السند الأول^(١)، وبسنده ثالث أيضاً عن ابن عباس مثله^(٢)، وبسنده آخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول يوم الحديبية وهو آخذٌ بضبع عليّ بن أبي طالب^(٣)، الحديث مثل ما تقدّم عنه.

وبسنده إلى أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين عن أبيه علي بن أبي طالب عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي أنا مدينة العلم وأنت الباب كذب من زعم أنه يصل إلى المدينة إلا من الباب»^(٤).

وبسنده آخر عن ابن عباس مثل ما تقدّم عنه^(٥) وبسنده آخر أيضاً مثله.

وبسنده عن سلمة بن كهيل الصنابجي عن علي عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «أنا دار الحكمة وعليّ بابها، فمن أراد الحكمة فليأتها من بابها»^(٦). وفي مصابيح البغوي عن علي مثله وأخرجه في (المشكاة) أيضاً وقال: (رواه الترمذي^(٧))^(٨)

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٢ / ١٢٣.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٣ / ١٢٤.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٤ / ١٢٥.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٥ / ١٢٦.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٣ / ١٢٤.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ٨٧ / ١٢٩.

(٧) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٧ / ٣٧٢٣، ولم يذكر فيه ذيل الحديث.

(٨) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٧ / ٦٠٩٦.

وأخرج ابن عبد البر في (الاستيعاب): «أنا مدينة العلم وعليّ بابها، فمن أراد العلم فليأتِه من بابهِ»^(١).

وأخرج في (جامع الأصول): «أنا مدينة العلم وعليّ بابها»^(٢).
وبالجمله، فهذا الحديث صريح لا يقبل التأويل في أنّ الرسول صلى الله عليه وآله قد حمل جميع علمه وحكمته، المفاض عليه من الله عزّ وجلّ علياً عليه السلام دون غيره بأمر الله تعالى وحكمته وخصّه بذلك، فلا علمٌ لعالم ولا حكمهٌ لحكيم إلا ما فاض منه وأخذ عنه، ولا صواب في حكم إلا ما كان عنه ومنه.

فجميع العلماء والحكماء تبع له وآخذون عنه ورواة لبعض علومه وحكمه وإن كثروا وجلّوا، فعلمه علم رسول الله صلى الله عليه وآله الذي لا يحتمله غيره من جميع الخلق جملةً وفراذلي.

فإذن، هو - سلام الله عليه - حاكم الشريعة ومنيع كل حق ورشاد بعد ابن عمه صلى الله عليه وآله، فكل علم لا يخرج منه فهو جهل وضلال؛ لأنه ليس من علم الرسول، وكل ما خرج عن علمه فهو ضلال جهل؛ فهو إمام الأئمة البررة وميزان كل حق وبرهانه.

فإذن هو معصوم وإلا لما ضلح لذلك ولم يختره الله عزّ وجلّ ورسوله صلى الله عليه وآله لذلك، وقد اختاره الله لذلك على علم عليّ العالمين؛ فصحّ أنه - سلام الله عليه - إمام الأئمة البررة المتقين وقائد الغر المحجلين ويعسوب الدين والمؤمنين وقسيم النار والجنة، فافهم.

ولو تيقّظت لوجدت هذا النص الصحيح المستفيض صريحاً في أنّ علياً

(١) الاستيعاب ٣: ٢٠٥ / ١٨٧٥. (٢) جامع الأصول ٨: ٦٥٧ / ٦٥٠١.

- سلام الله عليه - أفضل من أولي العزم من الرسل؛ لأن جميع علومهم أخذوها عن الله بواسطة محمد عليه السلام؛ فإنه الباب الأعظم والسبيل الأقوم وسابق الكل في كل كمال، وعليّ باب علمه وحكمته مطلقاً في كل شيء عليّ كل حال. وقد سبق بعض ما يرشدك إلى هذا بأدنى تأمل صحيح. وشرح ما تضمنته الحديث من فضل علي عليه السلام لا يحيط به كتاب ولا فكر غير المعصوم، ولكل ذي درجة في الإيمان معرفة له بحسبها، فلا تكن من الغافلين.

ولهذا الحديث مؤيّدات كثيرة صحاح مستفيضات وغيرها مثل: «خلقت وعليّ من نور واحد»^(١).

ومثل: «لا يؤدّي عني إلا أنا أو علي»^(٢).

ومثل: «إني مخلّف فيكم الثقلين»^(٣).

ومثل حديث المؤاخاة | هو | قوله عليه السلام: «أنت أخي في الدنيا والآخرة وأنت أخي ووارثي»^(٤).

ومؤيّداته كثيرة جداً تظهر بأدنى تأمل.

وأما الثاني عشر - وهو حديث: «الناس من شجر شتى، وأنا وعليّ من شجرة واحدة» - فهو مشهور أيضاً مؤيّد بما ذكرناه وغيره وقد أخرج الفقيه ابن المغازلي الشافعي بسنده إلى جابر بن عبد الله قال: بينما رسول الله عليه السلام ذات

(١) كفاية الطالب: ٣١٦، وفيه: «أنا وعليّ»، بدل: «وعليّ».

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٦٥، مناقب علي بن أبي طالب (ابن المغازلي): ٢٢١ -

٢٢٢/٢٦٧. (٣) جواهر العقدين: ٢٣٨.

(٤) جامع الأصول ٨: ٦٤٩ / ٦٤٨٧.

يوم بعرفات وعليّ تجاهه، إذ قال له رسول الله ﷺ: «ادنُ منّي يا علي فقد خلقت أنا وأنت من شجرة واحدة صنع جسمك من جسي، فأنا أصلها وأنت فرعها والحسن والحسين أغصانها فمن تعلق بغصن منها أدخله الله الجنة»^(١).

وأخرجه غير واحد^(٢) ممن لا نطوّل بذكره فانظر إلى صراحته في عصمة عليّ والحسين - سلام الله عليهم - وفي أنهم أئمة حقّ وهداة صدق؛ إذ لا يشك عاقل في عصمة من روحه من نور روح سيّد أهل العصمة وبدنه من بدنه، ومن هو فرع دوحة الرسالة المثمرة بأصول العلم والحكمة والجلال، ومن هو من سيّد العالم كالرأس من الجسد والنتيجة من الأصل والثمرة من الشجرة، فقد أخرج ابن المغازلي الشافعي بطريقتين أو أكثر عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عليّ منّي كراسي من بدني»^(٣). وقال بعض الأكابر المتأخّرين - بعد نقله هذا الحديث - (إنه) رواه جمع كثير من ثقات السنة والشيعة) ونقل كلاماً لشارح (البخاري) في تحقيق معناه ومعنى من في «منّي فيه» وفي حديث المنزلة، وأنه سمّاها من المنزلة، وأنها لا تكون خيراً بل إما متعلّقة بالمبتدأ أو الخبر. فكيف يشكّ متديّن في عصمة من شبّهه من لا ينطق عن الهوى برأسه الذي هو مجمع الحواس ومادّة الإحساس وخزانة علوم البدن وينبوع النفس الناطقة بل مشكاة العقل بالفعل، وفي إمامته العامة وراثته وخلافته الكاملة التامة؟ وإذا تعقّلت أنه - سلام الله عليه - باب مدينة علوم سيّد العلماء وباب

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٩٧ / ٣٤٠.

(٢) كفاية الطالب: ٣١٨.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٩٢ - ٩٣ / ١٣٥ - ١٣٦.

دار حكمة معلّم الحكماء عليه السلام، ظهر لك وجه الشبه والجامع من هذا التشبيه، وأنه كونه كالرأس خزانة العلم من العالم ومستودع سرّه ومصدر أمره ونهيه وخليفة عقله وقلبه.

وبالجملة، فهو عليه السلام أخبر عن الله بأنه ألبس وليّه علياً وابنيه الحسنين كل ما ألبسه نبيه عليه السلام إلا النبوة؛ فقد خرجت بدليل، فهم الخلفاء القوّام بتبليغ رسالات ربّه بعده؛ حيث دل على أنهم جميعاً من أصل واحد وطينة واحدة بل هم جميعاً شيء واحد ذو أجزاء لا يتم أحدها إلا بالآخر. وبالضرورة لا نبوة إلا بإمامة خصوصاً في شأن خاتم الرسل عليه السلام وإلا لزم الإغراء بالجهل والضلال وجاء إيا العيب والإهمال، تعالى القادر العليم، الرحمن الحكيم عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وأما التاسع عشر - وهو حديث: «إنك تقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت على تنزيله» - فرواه جماعة من مشاهير الحفاظ^(١) وهو صريح في عصمة علي - سلام الله عليه - وإمامته وأنه خليفة الله ورسوله عليه السلام حيث لم يوصف بهذا غيره. وهو وصف وخاصة تدل على أنه هو القيم بالقرآن، العالم بتنزيله وتأويله وباطنه وظاهره، المكلف ببيان أحكامه الباطنة.

فإذا أذن الله بتكليف الخلق بها لم يقبل المبيّن لها من الخلق إلا الإيمان بها والعمل بمقتضاها، أو السيف حتى يطهر الأرض من الشرك والنفاق. والسرف في ذلك أنه - سلام الله عليه - مستودع سر النبي عليه السلام ومظهر ولايته الإلهية الكبرى التي هي باطن النبوة التي هي باطن الرسالة، فقد صحّ

(١) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣١، خصائص علي بن أبي طالب: ٢١٧ / ١٥٦، الرياض النضرة ٣ - ٤: ١٥٧.

عنه عليه السلام: «إن الله اتخذني ولياً قبل أن يتخذني نبياً، واتخذني نبياً قبل أن يتخذني رسولاً»^(١).

وأحكام التأويل باطن أحكام التنزيل، فحامل لواء الولاية الباطنة لا يشك في عصمته. وهذا يدلّ عليه ما مر من أنه نفسه وكرأسه من بدنه وغير ذلك، ومن لا يشك في أنّه كذلك لا يشك في أنه الخليفة والإمام المطلق.

وأما الحادي والعشرون - وهو حديث: «علي مع القرآن، والقرآن مع علي» إلى آخره - فهو ممّا لا شك في استفاضته وتواتر مضمونه أخرج الزمخشري في (ربيع الأبرار) عن أم سلمة أنها قالت: والذي نفسي بيده لقد سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «علي مع الحق والقرآن، والحق والقرآن مع علي لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض»^(٢).

وقد سمعت رواية ابن حجر له بطريق آخر^(٣)، ومضمونه مر لك مكرراً ومؤيداته كثيرة جداً مثل حديث الغدير وشبهه. ولا يخفى لزوم عصمة من لا يفارق الحق والقرآن ولا يفارقه مطلقاً في كل حال؛ إذ من يحتمل عليه السهو أو الغلط أو الغفلة - فضلاً عن المعصية - يحتمل عليه مفارقتهما؛ لأن الساهي عن الحقّ مفارق للقرآن والحق من حيث هو كذلك في تلك الحال بالضرورة، والمعصوم هو الإمام بالحق والخليفة بالصدق دون من ليس هو كذلك؛ لأنه مأمون العثار والزيغ، مقطوعٌ بالنجاة في متابعتة، فتأمل ترشد.

(١) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٩٦ - ١٩٧ / ٤٨٢٥، ولم يذكر فيه ذيل الحديث.

(٢) ربيع الأبرار ٢: ١٧٣ / ٩٨. (٣) الصواعق المحرقة: ١٢٤.

ومما يناسب نقله هنا ما صحّ وثبت عند ابن أبي الحديد من كلام علي عليه السلام أنه قال: «أنا من رسول الله كالعضد من المنكب، وكالذراع من العضد؛ رباني صغيراً وأخاني كبيراً. ولقد علمتم أنني كان لي منه مجلس سرّ لا يطلع عليه غيري، وأنه أوصى إليّ دون أصحابه ولأقولنّ ما لم أقله قبل هذا اليوم سألته مرةً أن يدعو لي بالمغفرة، فقال: أفعّل. ثم قام فصلني فلما رفع يده في الدعاء استمعت إليه فإذا هو قائل: اللهم بحق عليّ عندك اغفر لعلّي. فقلت: يا رسول الله ما هذا؟ فقال: أو أحد أكرم منك عليه فأستشفع به إليه؟»^(١).

فانظر إلى هذا الحديث الذي صحّ نقله وثبت عند هذا الإمام، وما صرّح به من أنّ علياً عليه السلام أكرم الخلق على الله بعد سيّد العالمين فدخل في المفضّل عليهم جميع الأنبياء والمرسلين.

فإذن هو الإمام المعصوم والخليفة بعد الرسول صلى الله عليه وآله بلا شك، انظر إلى حسن تشبيهه عليه السلام لما بينهما من الاتّصال والاتّحاد بما لا يُستغنى عن أحدهما بالآخر بل بما لا يتحقّق - فضلاً عن أن يتم - أحدهما بدون الآخر؛ فإن النبوة والإمامة كذلك؛ فإنهما كالشيء المركب من أجزاء، بل هما كالروح والجسد كما دل عليه البرهان عقلاً ونقلاً والعارفون بهما شهود.

وأما الثامن والعشرون - وهو حديث: «خير إخواني علي» - فقد عرفت بعض طرقه وما دل عليه ومؤيّداته، وأنه مستفيض بل متواتر المضمون، وفيه كفاية.

وأما التاسع والعشرون - وهو حديث: «السابقون ثلاثة» - فهو من الأحاديث

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٣١٥-٣١٦.

الشهيرة المستفيضة، أخرجه السيوطي في تفسيره عن ابن مردويه عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾^(١)، قال: «نزلت في حزقيل مؤمن آل فرعون وحبیب النجار المذكور في ﴿يس﴾ وعلي بن ابي طالب، وكل رجل منهم سابق أمته وعلي أفضلهم سبقاً»^(٢).

وأخرج عن أبي نعيم وابن مردويه أيضاً: «أن السابقين: يوشع ومؤمن آل يس وعلي بن أبي طالب»^(٣).

وأخرجه عدة من أكابر المحدثين^(٤) وهو صريح في عصمته وإمامته وخلافته دون من سواه.

إذن السابقون أعلى من أصحاب اليمين وأفضل بلا شك؛ ولذا كانوا قليلاً من الآخرين بنص الكتاب^(٥) ولم ينص على أحد من الصحابة غيره أنه من السابقين. فيكون هو المعني بالآية الكريمة، فهو فوق من سواه وليس فوق درجة أصحاب اليمين طراً على طبقاتهم إلا درجة أهل العصمة.

وأيضاً هو مساوٍ في هذه الصفة ليوشع وحزقيل وحبیب وهم أنبياء ما ذاك إلا لعصمته وإلا فمحال أن ينظم الحكيم المعصوم وغير المعصوم في سِمْط^(٦). على أنك سمعت تفضيل علي على من ذكر معه وهم معصومون؛ فلا بد أن يكون معصوماً وإلا استحال تفضيله عليهم أو مساواته لهم من

(١) الواقعة: ١٠. (٢) الدر المنثور ٦: ٢١٨.

(٣) الدر المنثور ٦: ٢١٧-٢١٨.

(٤) المعجم الكبير ١١: ٧٧ / ١١١٥٢، كنز العمال ١١: ٦٠١ / ٣٢٨٩٦.

(٥) إشارة إلى الآية: ١٤ من سورة الواقعة.

(٦) السِّمْط: الخيط ما دام فيه الخرز. مختار الصحاح: ٣١٣- سِمْط.

الحكيم المعصوم عليه السلام وقد وقع.

وأما الثلاثون والحادي والثلاثون - وهما حديث: «الصدّيقون ثلاثة» إلى آخره - فهما كسابقهما والتقريب ما سمعت، وشهرتهما أكثر وأشهر من الأوّل. ودلالتهما واحدة ويزيد هذا - دلالة على عصمته وإمامته - بأن الصدّيقين هم المعدودون في الترتيب بعد الأنبياء وقبل الشهداء والصالحين، فهم أرفع وأقرب إلى النبوة من الشهداء الأحياء المرزوقين عند ربّهم ما ذاك إلا لعصمتهم، وهي درجة مستقلة، أصل لما سواها من درج الإيمان.

وأخرج ابن أبي الحديد عن كتاب (فضائل علي) لأحمد بن حنبل بسنده: «الصدّيقون ثلاثة: حبيب النجار الذي جاء من أقصى المدينة يسعى ومؤمن آل فرعون الذي يكتُم إيمانه وعلي ابن أبي طالب وهو أفضلهم»^(١).

ويؤيده ما أخرجه ابن المغازلي بسنده عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿وَالَّذِي جَاءَ بِالصُّدُقِ وَصَدَّقَ بِهِ﴾^(٢) قال: (جاء به محمد عليه السلام وصدق به علي^(٣)). وهذا صريح في أنه - سلام الله عليه - علم على اليقين معاني جميع ما جاء به محمد عليه السلام وجميع براهين صدقه وأنه هو الحق وهذا يستلزم عصمته؛ إذ لو احتمل منه الغلط لما صح وصفه بذلك على العموم والإطلاق وقد وصف به كذلك فهو إذن صدّيق لأنه معنى الصدّيق حقيقة ومن المحال أن يكون أفضل الصدّيقين المعصومين غير إمام معصوم.

وأما الثاني والثلاثون - وهو حديث: «عنوان صحيفة المؤمن حبّ علي ابن أبي

(١) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٢. (٢) الزمر: ٣٣.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٦٩ - ٢٧٠ / ٣١٧.

طالب» - فهو من مستفيضات الأخبار وله مؤيّدات كثيرة جداً ففي (مسند أحمد) بسنده عن بريدة أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «من كنت وليه فعلي وليه»^(١).
وبسنده عن حنطب أن رسول الله صلى الله عليه وآله خطب فقال: «أوصيكم بحب ذي أقربيها: أخي وابن عمي علي بن أبي طالب، فإنه لا يحبّه إلا مؤمن ولا يبغضه إلا منافق من أحبّه فقد أحبّني ومن أبغضه فقد أبغضني ومن أبغضني عذبه الله عزّ وجلّ»^(٢).
وبسنده عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أحبّ أن يتمسك بالقضيب الأحمر الذي غرسه الله عزّ وجلّ في جنة عدن يمينه فليتمسك بحبّ علي بن أبي طالب»^(٣).

وبسنده عن علي بن جعفر عن أخيه موسى بن جعفر عن أبيه جعفر بن محمد عن أبيه محمد بن علي عن أبيه علي بن الحسين عن أبيه الحسين، عن أبيه علي بن أبي طالب أن رسول الله صلى الله عليه وآله أخذ بيد حسن وحسين، فقال: «من أحبّني وأحبّ هذين وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة»^(٤).
وبسنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «يا علي إنه من فارقتي فقد فارق الله ومن فارقك فقد فارقني»^(٥).

وقال الإمام السمهودي: أخرج أحمد^(٦) عن عمرو بن شاش قال: خرجت مع عليّ إلى اليمن، فجفاني حتى وجدت في نفسي عليه فلماً

(١) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٤٧٦-٤٧٧ / ٢٢٤٣٦.

(٢) فضائل الصحابة ٢: ٦٢٢ / ١٠٦٦، شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٢، عن (فضائل علي)، فتح القدير ٤: ٦٧٠، عن الشافعي في (المسند) وأحمد (في المناقب)، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٧٩، ينابيع المودة ٢: ٤٩٢ / ٣٨٢، عن أحمد في (المناقب).

(٣) عنه ينابيع المودة ١: ٣٧٩ / ١. (٤) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٢٥ / ٥٧٧.

(٥) عنه الرياض النضرة ٣-٤: ١٢٣. (٦) عنه الرياض النضرة ٣-٤: ١٢٢.

قدمت أظهرت شكايته في المسجد حتى بلغ ذلك النبي ﷺ فدخلت المسجد ذات غداة ورسول الله ﷺ في ناسٍ من أصحابه؛ فلما رأني أبدني عينيه - يقول: جدّد إلي النظر - فلما جلست قال: «يا عمرو والله لقد آذيتني». قلت: أعوذ بالله أن أؤذيك يا رسول الله. قال: «بلى من آذى علياً فقد آذاني»^(١). وأخرجه ابن عبد البر بلفظه: «من أحب علياً فقد أحبني ومن أبغض علياً فقد أبغضني ومن آذى علياً فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله»^(٢).

وأخرج الطبراني حديث بريدة الأسلمي وفيه أنّ خالد بن الوليد قال: اغتنمها يا بريدة فأخبر النبي بما صنع. فقدمت ودخلت المسجد ورسول الله ﷺ في منزله وناسٌ من أصحابه على بابيه، فقالوا: ما الخبر؟ قلت: خيراً فتح الله عليّ المسلمين. قالوا: ما أقدمك؟ قلت: جاريةٌ أخذها عليّ من الخمس فجئت لأخبر النبي ﷺ. قالوا: فأخبره فإنه يسقط من عينه ورسول الله ﷺ يسمع الكلام فخرج مغضباً فقال: «ما بال أقوام ينتقصون علياً؟ من نقص علياً فقد نقصني ومن فارق علياً فقد فارقتني إن علياً مني وأنا منه خلق من طينتي وخلق من طينة إبراهيم وأنا أفضل من إبراهيم ذرية بعضها من بعض والله سميعٌ عليم»^(٣). يا بريدة أما علمت أنّ لعلّي أكثر من الجارية التي أخذها وأنه وليكم بعدي؟^(٤). وبالجملة، فمؤيدات هذا الحديث لا تحصى في كتاب؛ فمن كان حبّه حب الله ورسوله - لأنه من الرسول والرسول منه، خلقاً من نور واحد وطينة واحدة - لا ريب في أنّ عنوان صحيفة المؤمن وكلّيها حبّه؛ فهو

(١) جواهر العقدين: ٣٣٢. (٢) الاستيعاب ٣: ٢٠٤.

(٣) إشارة إلى الآية: ٣٤ من سورة آل عمران.

(٤) المعجم الأوسط ٧: ٥٠ / ٦٠٨١.

أصل الإيمان وأتته وسنامه. ومن كان حبه في كل حال قاعدة الإيمان وميزانه وبرهانه فهو معصوم البتة؛ لأن روح محبته وبرهانها وشاهدتها وميزانها متابعتها والاقتراء به. ومن وجب على الإطلاق الاقتداء به في كل حال فهو معصوم؛ فإنَّ حبَّ من فارق الحق ولو سهواً أو غلطاً من حيث هو كذلك أو في تلك الحال لا يرضي الملك المتعال فضلاً عن أن يوجبه بل ذلك يفضبه ويسخطه.

فإذن هو إمامٌ معصوم مفترض الطاعة ولم يرد في غيره أنَّ حبه حب الله إلا زوجته البضعة الطاهرة وابنيه الإمامين: «إن قاما وإن قعدا» ولا شك في عصمتهم وإمامتهم.

وأما الثالث والثلاثون - وهو حديث: «هذا إمام البررة» - إلى آخره - فهو من أشهر الأخبار وقد سمعت بعض طرقه، وأخرج ابن المغازلي الشافعي بسنده إلى عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ: «لما كان ليلة أسري بي إلى السماء إذا قصر من ياقوته حمراء يتلألأ فأوحى الله إليَّ في علي: أنه سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين»^(١).

وبسنده إلى أسعد بن زرارة قال: قال رسول الله ﷺ: «انتهيت ليلة أسري بي إلى سدرة المنتهى فأوحى الله إليَّ في علي ثلاثة: أنه إمام المتقين، وسيد المسلمين، وقائد الغر المحجلين»^(٢).

وأخرج ابن المغازلي بسنده قال: قال رسول الله ﷺ: «يا علي، إنك سيد المسلمين، وإمام المتقين، وقائد الغر المحجلين، ويعسوب المؤمنين»^(٣).

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٠٤ / ١٤٦.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ١٠٤ / ١٤٧.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٩٣ / ٦٥.

وأمثال هذا كثير جداً ولا يخفى صراحته في أن كلّ بر تقي فعليّ إمامه بنصّ من الله ورسوله؛ فكل من ليس عليّ إمامه فليس بتقي ولا برّ. بمعنى أن كل من لا يأتّم به ويعتقد عصمته وإمامته التامة العامة فليس بتقي ولا برّ وإلا فعليّ إمام مفترض الطاعة من الله ورسوله ﷺ عليّ من قبل وأطاع ومن أبى وعصى. وهذا أيضاً نصّ في عصمته؛ إذ لا يأمر الله ورسوله الخلق على العموم بالاتباع والائتمام على الإطلاق والعموم بغير معصوم يقطع بأنّ حكمه حكم الله ورسوله ﷺ؛ لاستلزامه الإغراء بالقبيح والأمر بالعمل بالباطل إذا تبعوه في غلظه وسهوه فضلاً عن معصيته.

وأيضاً كونه إمام البررة يدل على أن كلّ عمله وقوله واعتقاده برّ وتقوى وهذا لا يكون إلا المعصوم.

وأما الرابع والثلاثون - وهو حديث: «إن علياً باب حطة» - فهو مستفيض وقد مرّ لك بعض طرق مضمونه؛ لأنه إمام أهل بيته الذين هم كذلك وسيّدّهم. وقد مرّ الكلام فيه وفي بعض وجوه دلالاته على عصمتهم ﷺ أجمعين.

وأما الخامس والثلاثون - وهو حديث: «عليّ مني كراسي من بدني» - فقد عرفت استفاضته ودلالاته على عصمته وإمامته التامة العامة.

وأما السابع والثلاثون - وهو حديث: «عليّ يعسوب المؤمنين» - فمستفيض أيضاً وعرفت بعض مؤيداته ممّا تلي عليّ سمعك من أنه إمام البررة وغيره فما نزلت آية فيها: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ إلا وعليّ أميرها^(١). أخرج ابن حنبل في مسنده إلى ابن عباس أنه قال: «ليس من آية في

(١) حلية الأولياء ١: ٦٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦٣.

القرآن ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴾ إِلَّا وَعَلِيَّ رَأْسَهَا وَأَمِيرَهَا وَشَرِيفَهَا»^(١) الحديث.
وفي (الاستيعاب) بسنده إلى أبي ليلى الغفاري قال: سمعت رسول
الله ﷺ يقول: «ستكون بعدي فتنة فإذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب، فإنه أول من
يراني وأول من يصفحني يوم القيامة وهو الصديق الأكبر وهو فاروق هذه الأمة يفرق بين
الحق والباطل وهو يعسوب المؤمنين والمال يعسوب المنافقين»^(٢).

ومن (مسند أحمد) بسنده إلى مخدوج بن زيد الهذلي أن رسول الله ﷺ
أخى بين المسلمين ثم قال: «يا علي أنت أخي مني بمنزلة هارون من موسى غير أنه
لا نبي بعدي أما علمت يا علي أنه أول من يدعى به يوم القيامة يدعى بي فأقوم عن يمين
العرش فأكسى حلة خضراء من حلال الجنة ثم يدعى بالنبیین بعضهم على أثر بعض
فيقومون سماطين عن يمين العرش ويكسون حلالاً خضراء من حلال الجنة. ألا وإنني
مخبرك يا علي أن أمتي أول الأمم يحاسبون يوم القيامة ثم أنت أول من يدعى بك لقربتك
منّي ومنزلتك عندي ويدفع إليك لوائي وهو لواء الحمد فتسير به بين السماطين. آدم ﷺ
وجميع خلق الله يستظلون بظل لوائي وطوله مسيرة ألف سنة سنانه ياقوته حمراء له
ثلاث ذوائب من نور: ذؤابة في المشرق وذؤابة في المغرب والثالثة وسط الدنيا مكتوب
عليه ثلاثة أسطر:

الأول: بسم الله الرحمن الرحيم.

الثاني: الحمد لله رب العالمين.

والثالث: لا إله إلا الله محمد رسول الله.

طول كل سطر ألف سنة وعرضه ألف سنة فتسير باللواء والحسن عن يمينك
والحسين عن يسارك حتى تقف بيني وبين إبراهيم في ظل العرش ثم تُكسى حلة خضراء

(٢) الاستيعاب ٤: ٤٠٧ / ٣١٨٨.

(١) عنه ذخائر العقبى: ٨٩.

من الجنة ثم ينادي منادي من تحت العرش: نعم الأب أبوك إبراهيم ونعم الأخ أخوك. ابشر يا علي إنك تكسى إذا كُسيت وتُدعى إذا دُعيت وتُحبنى إذا أُحييت»^(١).

وبسنده إلى أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «أُعطيت في علي خمس خصال هي أحب إلي من الدنيا وما فيها: أما واحدة فهو كتاب بين يدي الله عز وجل حتى يفرغ من الحسنات، وأما الثانية فلواء الحمد بيده وآدم ﷺ ومن ولد تحته، وأما الثالثة فواقف على حوضي يسقي من عرف من أمتي، وأما الرابعة فسائر عورتي ومسلمي إلى ربي عز وجل، وأما الخامسة فلست أخشى عليه أن يرجع زانياً بعد إحصان ولا كافراً بعد إيمان»^(٢).

وبسنده عن زيد بن أبي أوفى قال: دخلت على رسول الله ﷺ مسجده فذكر مؤاخاة رسول الله ﷺ بين الصحابة فقال علي: «لقد ذهبت روحي وانقطع ظهري حين رأيتك فعلت بأصحابك ما فعلت غيري، فإن كان هذا من سخط علي فلك العتبي والكرامة؟». فقال رسول الله ﷺ: «والذي بعثني بالحق نبياً ما أخرتك إلا لنفسي؛ فأنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي، وأنت أخي ووارثي». قال: «وما أرث منك يا رسول الله؟». قال: «ما ورث الأنبياء قبلي». قال: «وما ورث

(١) عنه ذخائر العقبي: ٧٥، وفيه (عن مخدوع)، وعنه الرياض النضرة ٣ - ٤: ١٧١ - ١٧٢، وعنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٢٩ - ٢٣٠ / ٣٥٨، عنه ينابيع المودة ١: ٤٣١ / ١، جواهر المطالب ١: ١٨١، وفيه (مخدوج) بدل (مخدوج)، وفيه «وتحيا إذا حييت» بدل «وتحبنى إذا حييت».

(٢) ذخائر العقبي: ٨٦، عن (أحمد في المناقب)، شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٢، جواهر المطالب ١: ٢١٠، كلاهما عن (أحمد في المناقب)، ورواه الكوفي بسنده عن سهل بن سعد الساعدي: مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٥٥٩ / ١٠٧٣، وانظر الرياض النضرة ٣ - ٤: ١٧٣، حلية الأولياء ١٠: ٢١١ - ٢١٢.

الأنبياء قبلك؟». قال: «كتاب الله وسنة نبيهم وأنت معي في قصري في الجنة مع ابنتي فاطمة وأنت أخي ورفيقي». ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله: «إِخْوَانًا عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ» ^(١) المتحابون في الله ينظر بعضهم إلى بعض» ^(٢).
وبسند آخر عنه مثله ^(٣).

وبسنده عن جابر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «رأيت على باب الجنة مكتوباً: لا اله إلا الله محمد رسول الله عليّ أخوه» ^(٤).

وبسند آخر عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «مكتوب على باب الجنة: محمد رسول الله عليّ أخو رسول الله قبل أن تخلق السماوات بألفي عام» ^(٥).

وأخرج ابن المغازلي في (المناقب) بسنده عن جابر قال: سمعت

(١) الحجر: ٤٧.

(٢) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٧ / ٢٥٧، وانظر: ما روي في الحوض والكوثر: ١٢٤ / ذيل ح ٥٩، الآحاد والمثاني ٥: ١٧٠ / ذيل ح ٢٧٠٧، المعجم الكبير ٥: ٢٢٠ / ذيل الحديث، جزء بقي بن مخلد: ١٢٣ / ذيل الحديث، كنز العمال ٩: ١٦٧ / ذيل ح ٢٥٥٥٥، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٤: ٣٧١ / ذيل الحديث، الكامل ٣: ٢٠٨ / ذيل الحديث، تاريخ مدينة دمشق ٢١: ٤١٤ / ذيل الحديث، و ٤٢: ٥٢ / ذيل الحديث.

(٣) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ١٦٧ / ٢٥٨، وانظر كنز العمال ١٣: ٣٨ / ٣٦٤٣٥، الكامل ٦: ٨٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٦٢، و ٥٦: ٧٣، وفيهما «أخو رسول الله» بدل «أخوه».

(٤) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٣٣ / ٣٦٢.

(٥) ذخائر العقبى: ٦٦، عن (أحمد في المناقب)، عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٣٣ / ٣٦٣، انظر: المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٥: ٣٤٣.

رسول الله ﷺ | يقول | : «مكتوب عليّ باب الجنة قبل أن يخلق الله السماوات والأرض
بألقي عام: محمد رسول الله وعليّ أخوه»^(١).

فقد عرفت أنّ المؤاخية بينهما هو الله عزّ وجلّ بحكمته، فانظر إلى
صراحة هذه المضامين في عصمته وإمامته المطلقة الشاملة الكاملة حيث
صرحت بفضله عليّ سائر الرسل؛ فإن موقفه يوم القيامة أقرب إلى
محمد ﷺ، وهو صدر الخلائق وأقربهم إلى الله عزّ وجلّ، ولأنّ جميع
الخلق تحت لواء محمد ﷺ وعليّ حامله؛ فجميع الخلق تبع لعليّ - سلام
الله عليه - ولأنه شارك محمد ﷺ في أنه يُحِبُّ كما يُحِبُّ ويُدَعَى كما
يُدَعَى ويُكْسَى كما يُكْسَى بعده بلا فصل، فهو يليه في كل فضل وكمال.
وهذا من لوازم تأخيها وناهيك بكونه آخاه شرفاً وفضلاً.

فهي باب يفتح منه كل باب من الشرف والكمال، وأصل يتفرع منه كل
أصل وفرع من أركان الكمال والجلال؛ ولهذا لم يختر الله تعالى لمؤاخاة
أفضل الكلّ في الكلّ إلّا عليّاً؛ لا ملكاً مقرباً؛ ولا نبياً مرسلًا، فلا ينكر
صراحة هذه المؤاخاة العظيمة ودلالاتها على عصمة عليّ وإمامته وخلافته
دون من سواه إلّا معاند أو ليس له عقل، فهو ملحق بالحشار ولأنّ عليّاً -
سلام الله عليه - وارث جميع علوم الأنبياء وكمالاتهم وخصائصهم
الربانية؛ لأنه وارث محمد ﷺ، وهو وارث كلّ كمال، بل منه بدأ وإليه
يعود.

انظر إلى قول من لا ينطق عن الهوى ﷺ: «إني لا أخشى عليه أن يرجع زانياً
بعد إحصان ولا كافراً بعد إيمان»؛ فإنه من أصرح الأدلة على عصمته - سلام الله

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٩١ / ١٣٤.

عليه - حيث إنه قطع بأنه لا يُحتمل منه معصية ولا كفر وهو معنى العصمة. وإذا ثبتت ثبت أنه إمام الكل في الكل.
وأما الثامن والثلاثون - وهو حديث: «رجلٌ مني أو كنفسي» - فقد عرفت الكلام فيه.

وأما حديث: «إني مخلّف فيكم»، «وأن علياً مع القرآن» إلى آخره - ما قاله عند موته - فمضمونه مرّ متواتراً.

وأما الحديث الذي تضمن أنّ علياً قسيم الجنة والنار فهو في غاية الشهرة والاستفاضة. قال ابن أبي الحديد: (قد جاء في حق عليّ الخبر الشائع المستفيض أنه قسيم النار والجنة وذكر أبو عبيد الهروي في (الغريبين) أن قوماً من أئمة العربيّة فسروه فقالوا: لأنه لما كان محبّه من أهل الجنة ومبغضه من أهل النار كان بهذا الاعتبار قسيم الجنة والنار. وقال غير هؤلاء: بل هو قسيمهما بنفسه حقيقةً يدخل قوماً الجنة وقوماً النار. وهذا الأخير^(١) يطابق الأخبار الواردة فيه يقول للنار: «هذا لي فدعيه وهذا لك فخذيه»^(٢) إلى هنا كلام ابن أبي الحديد.

وقال الإمام السهودي الشافعي: (وأما عليّ الرضا بن موسى الكاظم فكان أوجد أهل زمانه جليل القدر أسلم على يده أبو محفوظ معروف الكرخي استاذ السري السقطي. قال الكمال^(٣) الزرندي: وقال له المأمون: بأيّ وجهٍ جدّك علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ فقال: «يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آبائه عن عبدالله بن عباس قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله

(١) في المصدر: الذي ذكره أبو عبيد أخيراً هو ما، بدل: الأخير.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٦٥. (٣) في المصدر: الجمال.

يقول: حب عليّ إيمانٌ وبغضه كفر؟». قال: بلى. قال الرضا: «فقسمت الجنة والنار على حبه وبغضه». فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن أشهد أنك وارث علم رسول الله صلى الله عليه وآله.

قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: فلما رجع الرضا إلى بيته قلت له: يا بن رسول الله ما أحسن ما أجبت به أمير المؤمنين! فقال: «يا أبا الصلت، إنما كلمته من حيث هو ولقد سمعت أبي يحدث عن أبيه عن علي قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله: أنت قسيم الجنة والنار فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي وهذا لك»^(١).

فما أصرح هذا الخبر المستفيض في كل صقع وزمان في عصمة علي - سلام الله عليه - وإمامته ورئاسته العامة الكاملة! فإن تلك المرتبة العلية العلوية رتبة إلهية ومقام رباني قدوسي.

فإذن، عليّ ميزان الخلائق والصراط إلى مرضاة الخالق، وهو المحكّم في جميع الخلائق فهو أولى بأمم الأنبياء وحسابهم منهم. وهذا لا يرتاب فيه من علم أنه - سلام الله عليه - نفس سيّد العالمين طرّاً والشاهد على جميع الشهداء على الأمم، فحكّام المحشر هم حكّام البشر. من تقدّم ومن تأخّر.

وأما حديث: «لا يجوز الصراط إلا من كتب له عليّ الجواز»، فهو في نهاية الشهرة، أخرجه عن ابن السّمّان غير واحد منهم السّمهودي في (جواهر العقدين) قال: (أخرج ابن السّمّان عن قيس ابن أبي حازم^(٢)) قال: التقى أبو بكر وعلي فتبسّم أبو بكر في وجه علي فقال له: «ما بالك تبسّمت؟». فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له عليّ

(٢) في المصدر: خازم.

(١) جواهر العقدين: ٤٤٦.

الجواز»^(١).

ومؤيداته كثيرة جداً مثل جلّ ما سبق وغيره ككونه قسيم الجنة والنار وغيره.

أخرج ابن المغازلي بسنده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «عليّ يوم القيامة على الحوض لا يدخل الجنة إلا من جاء بجواز من علي بن أبي طالب»^(٢).
وبطريق آخر عنه مثله^(٣).

وأخرج بسنده عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إذا كان يوم القيامة ونصب الصراط على شفير جهنم لم يجز عليه إلا من معه كتاب ولاية علي بن أبي طالب»^(٤).

وبسنده عنه أيضاً: والله الذي لا إله إلا هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول:
«عنوان صحيفة المؤمن حبّ عليّ بن أبي طالب»^(٥).

وأخرج ابن حجر^(٦) وغير واحد^(٧) عن الديلمي^(٨) عن أبي سعيد الخدري أن النبي صلى الله عليه وآله قال: ﴿وَقَفَّوْهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ﴾^(٩) عن ولاية علي^(١٠).

-
- (١) جواهر العقدين: ٤٤٧. (٢) مناقب علي بن أبي طالب: ١١٩ / ١٥٦.
(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ١٣١ / ١٧٢.
(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٤٢ / ٢٨٩.
(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٤٣ / ٢٩٠.
(٦) الصواعق المحرقة: ١٤٩.
(٧) المناقب (الخوارزمي) ٢: ١٧٤، شواهد التنزيل ٢: ١٦١ / ٧٨٧، و ١٦٢ / ٧٨٨ - ٧٨٩.
(٨) عنه ينابيع المودة ١: ٣٣٤ / ١١.
(٩) الصاغات: ٢٤.
(١٠) وعن ابن عباس: شواهد التنزيل ٢: ١٦٢ / ٧٩٠، تفسير الآلوسي ٢٣: ٨٠، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ٣١٢ / ٥١٢.

ثم نقل ^(١) عن الواحدي أنه روى ذلك.
وأخرج ابن حجر أيضاً في قوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ
وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ ^(٢) إلى ولاية أهل بيته عليهم السلام قال جاء ذلك عن أبي جعفر
الباقر عليه السلام ^(٣).

وبسنده عن جابر بن عبد الله قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في حجة الوداع
بمنى: «اللفينكم ترجعون بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض وأيم الله لئن فعلتموها
لتعرفني في الكتيبة التي تضاربكم». ثم التفت إلى خلفه؛ فقال: «أو علي أو علي أو
علي» ثلاثاً وأنزل الله على إثر ذلك: ﴿فَإِذَا تَذَهَبَ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ﴾ ^(٤)
بعلي ابن أبي طالب ﴿أَوْ تُرِينَكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ﴾ ^(٥) ثم
نزلت: ﴿قُلْ رَبِّ إِنَّمَا تُرِينِي مَا يُوعَدُونَ * رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ
الظَّالِمِينَ﴾ ^(٦) ثم نزلت: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ﴾ من أمر علي ﴿إِنَّكَ
عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ وأن علياً لعلمٌ للساعة و[إنه لذكر] ^(٧) لك ولقومك
﴿وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾ ^(٨) عن علي بن أبي طالب ^(٩).

وبالجملة، فمؤيداته كثيرة جداً كما يظهر لمن له أنس في الجملة بكلام
أهل العصمة وما أصرح هذه المضامين في عصمته وإمامته العامة التامة!
فإنها صرحت بأنه عليه السلام حاكم المحشر، وبيده القبض والبسط بعد رسول الله،

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٩.

(٢) طه: ٨٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٥٣.

(٤) الزخرف: ٤١.

(٥) الزخرف: ٤٢.

(٦) المؤمنون: ٩٣ - ٩٤.

(٧) من الطوائف.

(٨) الزخرف: ٤٣ - ٤٤.

(٩) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٧٥ / ٣٢١، وانظر الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف

وأمر الجنة والنار وإنزال أهلها منازلها بيده. ولا عجب ممن هو نفس محمد وأخوه، وخلق معه من نور واحد. وهذه كلها منازل لم يشركه فيها أحد من الخلق طراً.

[آية التطهير]

ومن أوضح الأدلة وأصرحها على عصمة علي وفاطمة والحسين قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١) فقد حصر الحكيم القادر العليم إرادته في نفي كل رجس عنهم، وتطهيرهم أكمل تطهير؛ إذ انتفاء رجس ما عنهم وتطهيرهم في الجملة لا يكون في مقام الامتنان المتسبب عن دعاء أشرف الخلق فلا يليق بمقامه ولا يكون من المئان أن يكون تطهيراً بوجه ما عن شيء ما؛ إذ لا خصوصية لهم بذلك. فأَيُّ خلق من خلق الله يخلو من انتفاء رجس ما عنه، حتى الحجر، بل وحتى الكافر وأخويه (٢).

والمقام مقام اختصاص بمنّ عظيم وفضل وكمال جسيم امتنّ به على محمد وأهل بيته - صلوات الله وسلامه عليهم أجمع - وخصّهم بها بل قصر إرادته عليها؛ فإنها باب كل إرادة لخير وكمال، ومنبعه فإنهم خزائنه العظماء وبابه المفتوح لخلقه وسبيلهم إليه، ولا يريد الله بعباده إلا اليسر، وهم مصدر كل يسر والهداة إلى كل كمال وطهارة.

فإذن، لم يرد بهم إلا ذلك، ثم وثوق العباد بهدايتهم، فتمت الحجة وبلغت، وبكمال تطهيرهم يُعلم تسبيح الله وتقديسه. وقال تعالى: ﴿ تَطْهِيراً ﴾؛ لأنه جامع لكل تطهير، بالغ أعلى مراتب الطهارة، فلا تسع القلوب بيانه بل يستحيل أن يسعه.

(٢) أي الكلب والخنزير.

(١) الأحزاب: ٣٣.

قلت: لانطباقه على جميع مراتب الخلق وجمعه لقوسي البدء والعود، فهو سر ما أجمل في قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾^(١)، فلا يمكن أن يصدر سهو أو غلط ممن حصر الله تعالى إرادته في نفي كل رجس عنه وطهره أكمل تطهير فضلاً عن المعصية بالضرورة.

فإذا ثبت لزوم عصمة علي^(٢) بالآية الكريمة ثبت أن المراد بها عترته أهل بيته الذين نصّ عليه السلام على أنهم لا يفارقون الحق والقرآن ولا يفارقانهم، وهم الذين من تمسك بهم نجا من الضلال بيقين، وهم المستخلفون في الأمة وعليهم.

وبذلك يعلم يقيناً خروج نسائه منهم بالضرورة؛ إذ لا قائل بعصمتهم ولا بملازمتهم للقرآن إلى الورود، ولا بغير ذلك من خصائص خواص أهل بيته. والدليل على أن المراد بالآية الكريمة هم علي وفاطمة والحسنان ما استفاض بل تواتر مضمونه قطعاً من السنة المجمع على صحتها بين فرق الأمة، قال الإمام السهودي - بعد ذكره الآية الكريمة -: قال أبو سعيد الخدري: نزلت في خمسة: النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن - سلام الله عليهم - أخرجهم أحمد في (المناقب)^(٣) والطبراني^(٤)^(٥).

وأخرجه ابن جرير الطبري بلفظ: «نزلت هذه الآية في خمسة: في علي وحسن وحسين وفاطمة: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ

(١) النجم: ١٠. (٢) في المخطوط: من علي.

(٣) عنه ذخائر العقبين: ٢٤.

(٤) المعجم الكبير ٣: ٥٦ / ٢٦٧٣، المعجم الصغير ١: ١٣٥.

(٥) جواهر العقدين: ١٩٣.

وَيُطَهَّرُكُمْ تَطْهِيراً ﴿١﴾».

وأخرج الثعلبي في تفسيره بسنده إلى أبي سعيد الخدري مثله (٢).
ولمسلم في صحيحه عن عائشة: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط
مرحل من شعر أسود فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين
فأدخله ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال: «إِنَّمَا
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» (٣).

وللترمذي عن أم سلمة - وقال: حسنٌ صحيح - أن النبي ﷺ جلل على
الحسن والحسين وعلي وفاطمة كساءً وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي -
أي خاصتي - أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم
يا رسول الله؟ قال: «إِنَّكَ عَلَى خَيْرٍ» (٤).

وللدولابي عن أم سلمة أن النبي ﷺ أخذ ثوبه فجلله فاطمة وعلياً
والحسن والحسين وهو معهم ثم قرأ هذه الآية: «إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ
الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً» . قالت: فجننت أدخل معهم، فقال:
«مكانك إنك على خير» (٥).

وفي رواية أخرى له عنها: فأكفأ عليهم كساءً فديكياً ثم وضع يده عليهم
ثم قال: «اللهم إن هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميد

(١) جامع البيان، المجلد ١٢، ج ٢٢: ٩ / ٢١٧٢٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٨: ٤٢. (٣) صحيح مسلم ٤: ١٥١٠ / ٢٤٢٤.

(٤) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٣ / ٣٧٣٨، وفيه: (غريب)، بدل: (حسن صحيح)، كما أنه
فيه: «إِنَّكَ عَلَى مَكَانِكَ»، «إِنَّكَ إِلَى خَيْرٍ».

(٥) الذرية الطاهرية النبوية: ١٤٩ / ١٩٢، وانظر ذخائر العقبى: ٢١.

مجيد»^(١).

وللغساني في معجمه عن أم سلمة قالت: كان النبي صلى الله عليه وآله عندنا فعملت له فاطمة حريرة فجاءت ومعها حسن وحسين، فقال لها النبي صلى الله عليه وآله: «أين زوجك؟ اذهبي فادعيه». فجاءت به فأكلوا، فأخذ كساءً فأداره عليهم وأمسك طرفه بيده اليسرى ثم رفع يده اليمنى إلى السماء، وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحامتي وخاصتي، اللهم أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً. أنا حربٌ لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم عدوٌ لمن عاداهم»^(٢).

وللترمذي عن عمر بن أبي سلمة ربيب رسول الله صلى الله عليه وآله قال: نزلت هذه الآية على النبي صلى الله عليه وآله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ الآية في بيت أم سلمة، فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً فجعلهم بكساءٍ وعليّ خلف ظهره، ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت أم سلمة: وأنا معهم يارسول الله؟ قال: «أنت على مكانك وأنت إليّ خير»^(٣).

وفي رواية لغير الترمذي: «أنت إليّ خير أنت من أزواج النبي»^(٤).
ولأبي جعفر محمد بن جرير الطبري عن حكيم بن سعد عن أم سلمة قالت: في بيتي نزلت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ الآية، جاء رسول الله صلى الله عليه وآله إلى بيتي فقال: «لا تأذني لأحدٍ». فجاءت فاطمة فلم أستطع أن أحجبها عن أبيها، ثم

(١) الذرية الطاهرة النبوية: ١٥٠ / ١٩٣، وانظر: ذخائر العقبى: ٢١، مسند أحمد ٦: ٣٣٣، مسند أبي يعلى ١٢: ٣٤٤ / ٢٣: ٣٣٦، تفسير الثعلبي ٨: ٣١١، شواهد التنزيل ٢: ١١٥ / ٧٤٧، و ١١٧ / ٧٥٢، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٠٣، و ١٤: ١٤١، الخ.

(٢) انظر: ذخائر العقبى: ٢٣، وذكر أنه (القبابي في معجمه)، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٤٤، ينابيع المودة ٢: ٢٢٣ / ٦٣٢، عن (الغساني في معجمه).

(٣) الجامع الصحيح ٥: ٣٥١ / ٣٢٠٥. (٤) ذخائر العقبى: ٢١.

جاء الحسن فلم أستطع أن أحجبه عن جدّه وأمه، ثم جاء الحسين فلم أستطع أن أحجبه، ثم عليّ فلم أستطع أن أحجبه، فاجتمعوا فجلّلهم رسول الله صلى الله عليه وآله بكساءٍ كان عليه ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا». فنزلت هذه الآية حين اجتمعوا على البساط. قالت: فقلت: يارسول الله وأنا؟ قالت: فوالله ما أنعم وقال: «إنك إلى خير»^(١).

ولأحمد في (الفضائل) عن وائلة بن الأسقع قال: أتيت فاطمة أسألها عن علي، قالت: «توجّه إلى رسول الله». فجلست انتظره فإذا برسول الله صلى الله عليه وآله قد أقبل ومعه عليّ والحسن والحسين قد أخذ بيد كل واحدٍ منهما حتى دخل الحجرة فأجلس الحسن على فخذه اليمنى والحسين على فخذه اليسرى وأجلس علياً وفاطمة بين يديه ثم لفّ عليهم كساءً أو ثوبه ثم قرأ: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ الآية ثم قال: «هؤلاء أهل بيتي حقاً».

وأخرجه أبو حاتم^(٢) وأحمد في (المسند)^(٣) أيضاً عن وائلة مثله. وأخرجه الحافظ عبد العزيز بن محمود بن المبارك بن الأخضر في (معالم العترة النبوية) ولفظه: (طلبت علي بن أبي طالب في منزله فقالت فاطمة: «قد ذهب يأتي برسول الله صلى الله عليه وآله». إذ جاء فدخل ودخل رسول الله صلى الله عليه وآله ودخلت، فجلس رسول الله صلى الله عليه وآله على الفراش وأجلس فاطمة عن يمينه وعلياً عن يساره والحسن والحسين بين يديه، فلقّع عليه ثوبه وقال: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ الآية)^(٤).

(١) جامع البيان، المجلد: ١٢، ج ٢٢: ١٢-١٣ / ٢١٧٣٩.

(٢) عنه ذخائر العقبى: ٢٤.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٥: ٧٩ / ١٦٥٤٠، باختلاف.

(٤) انظر: ذخائر العقبى: ٢٣، صحيح ابن حبان ١٥: ٤٣٢، موارد الظمان ٧: ٢٠٣ /

وأخرج أيضاً في (معالم العترة) بسنده عن شهر بن حوشب قال: سمعت أم سلمة حين جاء نعي الحسين لعنت أهل العراق وقالت: قتلوه قتلهم الله غرّوه وذلّوه لعنهم الله إني رأيت رسول الله ﷺ جاءته فاطمة غدّية بريمة لها فيها عصيدة تحملها عليّ طبق لها حتى وضعتها بين يديه، فقال: «أين ابن عمك؟». قالت: «هو في البيت». قال: «فاذهبي فادعيه فأتيني بابنيه». فجاءته تقود ابنيها كل واحدٍ منهما بيد وعليّ يمشي عليّ آثارهم حتى دخلوا عليّ رسول الله ﷺ، فأجلسهم في حجره وأجلس علياً عن يمينه وفاطمة عن يساره، واجتذب من تحتي كساءً خبيرياً كان يبسط لنا عليّ المنامة فلفه رسول الله ﷺ عليهم جميعاً، وأخذ بيده اليسرى طرف الكساء وألوى بيده اليمنى إلى ربه تعالى وقال: «اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»، قالها ثلاثاً^(١).

وأخرج البيهقي عن شهر بن حوشب عن أم سلمة قالت: إن رسول الله ﷺ قال لفاطمة: «اتيني بزوجك وابنيك». فجاءت بهم، فألقى عليهم رسول الله ﷺ كساءً كان تحتي خبيرياً ثم قال: «اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك عليّ آل محمد كما جعلتها عليّ آل إبراهيم إنك حميد مجيد»^(٢).

وأخرج الديلمي في مسنده عن واثلة قال: قال رسول الله ﷺ لما جمع علياً وفاطمة والحسن والحسين تحت ثوبه: «اللهم قد جعلت صلواتك ورحمتك

٢٢٤٥، جامع البيان ٢٢: ١٠ / ٢١٧٣٢. فضل آل البيت: ٢٧: ينابيع المودة ٢: ٢٢٥ / ٦٣٦.

(١) انظر: مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٦: ٢٩٨، شواهد التنزيل ٣: ١١ / ٧٤١، و ٧٤٤ / ١١٣.

(٢) انظر: مسند أبي يعلى ١٢: ٣٤٤ / ٦٩١٢، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٠٤.

ومغفرتك ورضوانك على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم إنهم مني وأنا منهم فاجعل صلواتك ورحمتك ومغفرتك ورضوانك عليّ وعليهم»^(١).

وأخرجه البيهقي وقال: (حسن صحيح)...^(٢).

وأخرج أحمد بن حنبل في مسنده خبر واثلة بن الأسقع بعدة طرق وأخرج أيضاً خبر أم سلمة بعدة طرق منها ما أخرجه عن عطية عن أبيه عن أم سلمة قالت: بينما رسول الله ﷺ في بيتي ذات يوم إذ قال الخادم: إنّ علياً وفاطمة في السدة. قالت: فقال: «قومي فتنحي لي عن أهل بيتي». قالت: فقامت فتنحيت في البيت قريباً فدخل عليّ وفاطمة والحسن والحسين وهما صبيان صغيران، فأخذ الصبيّين فوضعهما في حجره فقبلتهما، واعتنق علياً بإحدى يديه وفاطمة بالأخرى، وقبل فاطمة وأردف عليهم خميصة^(٣) سوداء وقال: «اللهم إليك لا إلى النار أنا وأهل بيتي»^(٤).

ومنها خبر الحريرة وفيه أن أم سلمة قالت: فأدخلت رأسي البيت وقلت: وأنا معكم يا رسول الله؟ قال: «إنك إلى خير إنك إلى خير»^(٥).

ومنها خبر شهر بن حوشب عن أم سلمة وفيه أنها قالت: فرفعت الكساء لأدخل معهم، ف جذبته من يدي فقال: «إنك إلى خير»^(٦).

(١) عنه في كنز العمال ١٣: ٦٠٢ / ٣٧٥٤٣، وعنه المناقب للخوارزمي (ط مؤسسة

النشر): ٦٣ / ٣٢. (٢) جواهر العقدين: ١٩٤ - ١٩٩.

(٣) الخميصة: كساء أسود مربع له علّمان، فإن لم يكن معلماً فهو ليس بخميصة.

الصحاح ١: ٨١٥ - خمس.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٤٢٠ / ٢٦٠٠٠.

(٥) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٤١٥ - ٤١٦ / ٢٥٩٦٩.

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٧: ٤٢٣ / ٢٦٠١٠.

وأخرج خبر ابن عباس ولفظه^(١): أخذ رسول الله ﷺ ثوبه فوضعه علي علي وفاطمة والحسن والحسين، وقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية.

وأخرج حديث أم سلمة لما جاءها نعي الحسين عليه السلام^(٢).

وأخرج البخاري ومسلم^(٣) في صحيحيهما عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ غداةً وعليه مرط مرحّل من شعر أسود، فجاء الحسن بن علي فأدخله، ثم جاء الحسين فدخل معه، ثم جاءت فاطمة فأدخلها، ثم جاء علي فأدخله، ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية.

وأخرج الثعلبي بسنده عن أبي سعيد الخدري قال رسول الله ﷺ: «نزلت الآية في خمسة: في علي وفاطمة والحسن والحسين»^(٤).

وأخرج عن أم سلمة حديث الحريرة^(٥) مثل ما مرّ.

وأخرج عن العوام بن حوشب: حدّثني ابن عم لي من بني الحارث بن تيم الله يقال له مجمع، قال: دخلت مع أمي علي عائشة؛ فسألتها عن علي، فقالت: سألتني عن أحبّ الناس كان إلى رسول الله ﷺ، لقد رأيت علياً وفاطمة وحسناً وحسيناً وقد جمع رسول الله ﷺ [ثوب] ^(٦) عليهم ثم قال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». قالت: قلت: يارسول الله أنا من أهلك؟ قال: «تنحي إنك إلى خير»^(٧).

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٤٤ / ٣٠٥٢.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٦: ٢٩٨.

(٣) صحيح مسلم ٤: ١٥٠١ / ٢٤٢٤. (٤) تفسير الثعلبي ٨: ٤٢.

(٥) المصدر نفسه.

(٦) من المصدر، وفي المخطوط: لفوف، وقد كتب الناسخ فوقها كلمة (كذا). غير أنه في

الطرائف في معرفة مذاهب الطوائف ١: ١٨٤ / ١٩٦: بغداد، نقلاً عن تفسير الثعلبي.

(٧) تفسير الثعلبي ٨: ٤٢ - ٤٣.

وبسنده عن عبد الله بن جعفر الطيار عن أبيه قال: لما نظر رسول الله ﷺ إلى الرحمة هابطة من السماء قال: «من يدعو؟» - مرتين - قالت زينب: أنا يارسول الله. قال: «ادعي لي علياً وفاطمة والحسن والحسين». فجعل حسناً عن يمينه، وحسيناً عن شماله، وعلياً وفاطمة تجاهه، فغشاهم كساءً خبيرياً ثم قال: «اللهم لكل نبي أهل وهؤلاء أهل بيتي» فأنزل الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً﴾. فقالت زينب: يارسول الله ألا أدخل معكم؟ فقال رسول الله ﷺ: «مكانك، فإنك إلى خير إن شاء الله»^(١). وأخرج بسنده حديث واثلة كما تقدم.

وأخرج الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) من المتفق عليه عن عائشة قالت: خرج النبي ﷺ ذات غداة وعليه مرط مرحل الحديث كما تقدم.

وأخرجه رزين في (الجمع بين الصحاح الستة) من (موطأ مالك) وصحيح البخاري ومسلم^(٢) ومن (سنن أبي داود) و(صحيح الترمذي) و(صحيح النسائي) عن عائشة بمثله، وأخرجه البغوي في (المصابيح) وفي (معالم التنزيل) وأخرجه صاحب (جامع الأصول) وغيرهم ثم قال رزين في جامعه: وعن أم سلمة زوج النبي ﷺ أن هذه الآية نزلت في بيتها ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ - الآية - قالت: وأنا جالسة عند الباب فقلت يارسول الله، ألسنت من أهل البيت؟ فقال: «إنك إلى خير إنك من أزواج رسول الله ﷺ». قالت: وفي البيت رسول الله ﷺ وعلي وفاطمة والحسن والحسين، فجللهم بكساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً».

(٢) صحيح مسلم ٤: ١٥٠١ / ٢٤٢٤.

(١) تفسير الثعلبي ٨: ٤٣.

وأخرج أيضاً رزين حديث عائشة في باب مناقب الحسن والحسين وأخرج هذا بلفظه - أعني حديثه عن أم سلمة - في (جامع الأصول) بعدة تزيد على ستة.

قال ابن حجر في صواعقه: (قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ ﴾ - الآية - أكثر المفسرين على أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين^(١)... وأخرج أحمد عن أبي سعيد الخدري أنها نزلت في خمسة: النبي صلى الله عليه وآله وعلي وفاطمة والحسن والحسين^(٢).

وأخرجه ابن جرير بلفظ: «أنزلت هذه الآية في خمسة: في علي وفاطمة والحسن والحسين»^(٣)، وأخرجه الطبراني^(٤) أيضاً.

وأخرجه الثعلبي^(٥) أيضاً بسنده عن أبي سعيد الخدري^(٦).

ولمسلم: أنه صلى الله عليه وآله أدخل أولئك تحت كساءٍ عليه وقرأ هذه الآية^(٧).

وصح أنه صلى الله عليه وآله جعل هؤلاء تحت كساء وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي وحماتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً». فقالت أم سلمة: وأنا معهم يا رسول الله؟ فقال: «إنك على خير».

وفي رواية أنه قال - بعد ﴿ تَطْهِيراً ﴾: «أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم».

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٣. (٢) مسند أحمد بن حنبل ١: ٥٤٤ / ٣٠٥٢.

(٣) جامع البيان المجلد: ١٢ ج ٢٢: ٩ / ٢١٧٢٧.

(٤) المعجم الصغير ١: ١٣٥، المعجم الأوسط. المعجم الكبير ٣: ٥٦ / ٢٦٧٣، والحديث

فيهما بلسان أبي سعيد الخدري.. (٥) تفسير الثعلبي ٨: ٤٢.

(٦) قوله: وأخرجه الثعلبي... الخدري، ليس في المصدر.

(٧) صحيح مسلم ٤: ١٥٠١ / ٢٤٢٤.

وفي أخرى ألقى عليهم كساءً ووضع يده عليها ثم قال: «اللهم هؤلاء آل محمد فاجعل صلواتك وبركاتك على آل محمد إنك حميدٌ مجيدٌ».

وفي أخرى أنّ الآية نزلت في بيت أم سلمة فأرسل عليه السلام إليهم وجلّهم بكساء ثم قال نحو ما مرّ.

وفي أخرى أنهم جاؤوا فاجتمعوا فنزلت.

وفي أخرى أنّه قال: «اللهم أهلي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً» ثلاثاً^(١). وأشار إلى عدة روايات في هذا المعنى ثم نقل عن الطبري^(٢)، إنّ هذا الفعل تكرّر منه عليه السلام^(٣)، وبه جمع بين اختلاف الروايات في هيئة اجتماعهم وما جلّهم به وما قال لهم وفي أي مكان ثم قال: (ويؤيد ذلك روايات)^(٤) وأشار إلى جملة منها.

وبالجملة، فطرق هذا المضمون غير محصورة فهو متواتر؛ فقد دلّ الكتاب والسنة المجمع عليها على أنّ الله أذهب عن أهل البيت النبوي كلّ رجس وطهرهم أكمل تطهير؛ فقد والله رفعهم ونزّهم عن الحظوظ البشرية؛ لأنهم أبوابه ونوابه، وخزان علمه، ومهبط وحيه، وولاية أمره ونهيه.

وقد صرّحت هذه الأخبار المستفيضة بالمعنى بالآية الكريمة من أهل البيت وأنهم هم الخمسة أهل الكساء دون من سواهم من الخلق حتى

(١) الصواعق المحرقة: ١٤٣ - ١٤٤.

(٢) ذخائر العقبين: ٢٢، وذكر هذا أيضاً جرير الطبري صاحب التاريخ في تفسيره، انظر جامع البيان، المجلد: ح ١ الجزء ٢٢: ١٢ - ١٣ / ٢١٧٣٩.

(٣) الصواعق المحرقة: ١٤٤. (٤) الصواعق المحرقة: ١٤٤.

أزواجه عليهم السلام، فالقول بدخولهم فيها عناد في مقابلة الدليل الذي لا يقبل التأويل، وردّ على الله ورسوله صلى الله عليه وآله.

وما رواه العامة مما يشعر بأنه قال لأم سلمة وعائشة: أنت منهم فأحد شاد معارض بما سمعت وغيره من الأدلة العقلية والنقلية المتواترة فإن هذه الآية والأخبار صريحة في عصمة من عنى بها وأزواج النبي صلى الله عليه وآله ليسوا مطهرين أكمل تطهير ولم يذهب الله عنهم كل رجس؛ لأنهنّ غير معصومان بالضرورة ولا شك أنّ مقتضى هذه الروايات أن نزول الآية والقضية متكرّران كما فهمه غير واحد من أئمة الحديث.

قال الإمام السهودي الشافعي - بعد أن اورد جملةً من هذه الأخبار: إنّ الظاهر من هذه الأخبار وغيرها مما جاء في هذا المعنى كما أشار إليه المحبّ الطبراني أن هذا الفعل تكرر منه صلى الله عليه وآله في بيت أم سلمة وبيت فاطمة وغيرهما وبه يجمع بين الروايات ويشهد للتكرار ما رواه أحمد وعبد بن حميد من طريق حماد بن سلمة عن علي بن زيد عن أنس: أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله كان يمر بباب فاطمة ستة أشهر إذا خرج إلى صلاة الفجر يقول: «الصلاة أهل البيت: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾».

وعليّ بن زيد قال الترمذي: إنه صدوق وصح له حديثاً في السلام وحسن له غير ما حديث بل روي هذا الحديث في التفسير من جامعه وحسنه ثم قال: وفي الباب عن أبي الحمراء ومقل بن يسار وأم سلمة.

قال السهودي: وحديث أبي الحمراء رواه بعضهم من طريق نصيب بن الحارث عنه قال: كان النبي صلى الله عليه وآله يجي عند صلاة كل فجر فيأخذ بعضادة

هذا الباب ثم يقول: «السلام عليكم يا أهل البيت ورحمة الله وبركاته» ثم يقول: «الصلاة رحمكم الله ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ ﴾» قلت: يا أبا الحمراء من كان في البيت؟ قال: عليّ وفاطمة والحسن والحسين.

وأخرجه عبد بن حميد عنه بلفظ: صحبت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أشهر، فكان إذا أصبح أتى عليّ باب عليّ وفاطمة وهو يقول: «يرحمكم الله، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾»^(١).

وأخرج هذا بلفظه عنه الثعلبي^(٢) أيضاً، وأخرجه رزين في (الجمع بين الصحاح الستة) من (سنن أبي داود)^(٣) وموطأ مالك^(٤) عن أنس: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يمر بباب فاطمة إذا خرج إلى صلاة الفجر حين نزلت هذه الآية قريباً من ستة أشهر يقول: «الصلاة يا أهل البيت، ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾»^(٥).

وبالجملة، فدلالة هذه الآية وهذه الأخبار على عصمة المراد بها لا يشك فيه إلا معاند مكابر لمقتضى عقله والله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وعيّنت الأخبار

(١) منتخب مسند عبد بن حميد: ١٧٣ / ٤٧٥، عنه في المطالب العالية (ابن حجر) ٣:

٣٠٦ / ٣٧٠٦، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٧.

(٢) تفسير الثعلبي ٨: ٤٤.

(٣) عنه عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٥ / ٣٢.

(٤) عنه في المصدر نفسه.

(٥) منتخب مسند عبد بن حميد: ٣٦٧ / ١٢٢٣، مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر)

٣: ٢٨٥، سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣١ / ٣٢٥٩، المستدرک علی الصحیحین

(تحقیق المرعشلی) ٣: ١٥٨، شواهد التنزیل ٢: ١٨ / ٦٣٧، و ٢١: ٦٤٥، أحكام

القرآن (ابن العربي) ٣: ٥٧١، تفسير ابن كثير (ط دار المعرفة) ٣: ٤٩٢، الدر المنثور (ط

دار المعرفة) ٥: ١٩٩، فتح القدير (الشوكاني) ٤: ٢٨٠.

المراد بها وبأهل البيت المرادين منها ومن غيرها من الأخبار، المقتضية عصمة أهل البيت وإمامتهم كحديث الثقلين^(١) وحديث: «أهل بيتي فيكم كسفينة نوح»^(٢)، و«كباب حطّة»^(٣) و«أمان لأهل الأرض»^(٤) وغيرها^(٥).

قال الإمام السمهودي الشافعي: (تأملت هذه الآية مع ما ورد في شأنها وما صنعه النبي ﷺ بعد نزولها فظهر لي أنها منبع فضائل أهل البيت النبوي؛ لاشتمالها على أمور:

أحدها: اعتناء الباري بهم وإشادته لعلي قدرهم؛ حيث أنزلها فيهم. ثانيها: تصديره عزّ وجلّ لها بـ ﴿إِنَّمَا﴾ المفيدة للحصر؛ لإفادة أنّ إرادته تعالى في أمرهم مقصورة على ذلك الذي هو منبع الخيرات لا يتجاوزه إلى غيره.

ثالثها: تأكيد تعالى لتطهيرهم بالمصدر؛ ليعلم أنه في أعلى مراتب التطهير.

رابعها: تنكيه تعالى لذلك المصدر؛ للإشارة إلى كون تطهيره إيّاهم نوعاً عجيباً غريباً، ليس مما يعهده الخلق ولا يحيطون بدرك نهايته. وقد ذهب بعضهم إلى عموم النكرة في سياق الامتنان وإن كانت مثبتة^(٦).

خامسها: شدّة اعتنائه ﷺ بهم وإظهاره لاهتمامه بذلك وحرصه عليه مع إفادة الآية لحصوله، فهو لطلب تحصيل المزيد من ذلك لهم حيث كرّر طلبه لذلك من موله عزّ وجلّ مع استعطافه بقوله: «اللهم هؤلاء أهل بيتي

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٢ / ٣٧٨٦. (٢) مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥ / ١٤٩٨٠.

(٣) مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥ / ١٤٩٨١. (٤) مجمع الزوائد ٩: ٢٧٧ / ١٥٠٢٥.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ٢٦٥ / ١٤٩٧٩. (٦) مغني المحتاج ٤: ٣٤١.

وخاصتي»، أي وقد جعلت إرادتك في أهل بيتي مقصورة على إذهاب الرجس عنهم والتطهير لهم، فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً بأن تجدد لهم من مزيد تعلق الإرادة بذلك ما يليق بعبائك. وهو توسل بإنعامه لإنعامه.

سادسها: دخوله عليه السلام معهم في ذلك؛ لقول أبي سعيد: «نزلت في خمسة» - الحديث - بل في رواية أوردها الزرندي عن أم سلمة قالت: نزلت هذه الآية في بيتي ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ﴾ الآية في سبعة: جبرئيل وميكائيل ورسول الله عليه السلام وعلي وفاطمة والحسن والحسين^(١).

وفيه من مزيد إكرامهم وإنافة تطهيرهم وإبعادهم عن الرجس الذي هو الإثم أو الشك فيما يجب الإيمان به مالا يخفى على أولي الألباب.

سابعها: دعاؤه عليه السلام لهم مع دعائه بما تضمنته الآية بأن يجعل الله تعالى صلواته ورحمته وبركاته ومغفرته ورضوانه عليه وعليهم؛ لأن من قصر الله إرادته على إذهاب الرجس عنه والتطهير له حقيقاً بذلك.

ثامنها: أن في طلب ذلك له ولهم من تعظيم قدرهم وإنافة منزلتهم - حيث ساوى بين نفسه وبينهم في ذلك - مالا يخفى.

تاسعها: أن دعاءه عليه السلام مجاب، وقد دعا مولاه أن يخصه وآله بالصلاة عليه وعليهم؛ فتكون الصلاة عليه من ربه عز وجل كذلك ولذا أسرع ذلك في كيفية صلواتنا عليه الذي أمرنا الله بها ومنشأ ذلك مشاركتهم له في التطهير المستفاد من الآية.

عاشرها: إن جمعهم معه عليه السلام في هذا التطهير الكامل وما نشأ عنه من

الصلاة عليه وعليهم وغيرها مقتضى لإلحاقهم بنفسه الشريفة كما يشير إليه قوله عليه السلام: «اللهم إنهم مني وأنا منهم» وقوله في بعض الطرق: «من آذى قرابتي فقد آذاني أنا حربٌ لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم عدوٌ لمن عاداهم» وقوله في بعض الطرق: «من آذى قرابتي فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله» فأقامهم في ذلك مقام نفسه.

وكذا المحبة لما في بعض الطرق من قوله عليه السلام: «والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد بي حتى يحبني ولا يحبني حتى يحب ذوي» وقوله: «إني تاركٌ فيكم ما إن تمسكتم به» الحديث وقوله: «إني تاركٌ فيكم الثقلين» الحديث.

وكذا ألحقوا به في قصة المباهلة وغير ذلك قال في (الكشاف): ولا دليل أقوى من هذا على فضل أصحاب الكساء.

حادي عشرها: إن قصر الإرادة الإلهية في أمرهم على إذهاب الرجس والتطهير يشير إلى ما في بعض الطرق من تحريمهم على النار) انتهى كلام السمهودي ملخصاً وقد تركنا منه أربعة أوجه لم نلخصها؛ لطولها.

والعجب منه كيف اختار دخول الأزواج فيها وما دل دليل بل - ولا شبهة - على إلحاق الأزواج به على حال بل أخرج هو عن الدارقطني في الفضائل عن معقل بن يسار قال: سمعت أبا بكر يقول: علي ابن أبي طالب عترة رسول الله وهذا فهمته من حثه عليه السلام على التمسك بعترته مع نصه على علي بالخصوص.

ففي كل زمان إمامٌ معصوم من عترته هو المأمور باتباعه والمعني بما ذكر وغيره وهو سبيل الله إلى خلقه وسبيل خلقه إليه فصح قول أبي بكر. وبالجملة: فهو عليه السلام ساواهم بنفسه في جميع مادعى به من إذهاب

الرجس والتطهير والرحمات والبركات والصلوات وغير ذلك أفيشك عاقلٌ في عصمة من طهرهم الله كتطهير أفضل خلقه وأذهب عنهم الرجس على طبق ما أذهب عنهم، ورحمهم بمثل ما رحمهم، وبارك عليهم بمثل ما بارك عليه؟ إلى غير ذلك، بل هذا صريح محكم في أنّ أهل بيته المرادون من الآية ومن دعائه عليه السلام لهم بما دعا به لنفسه الزكيّة أنهم أفضل الخلق بعده حتى من أولي العزم، لا ينكر هذا من يفهم الكلام العربي إلاّ عناداً وأين الأزواج من هذا المقام؟ فاقطع الكلام ولا تكن كالأنعام.

ومن أوضح الأدلة على إمامة علي - سلام الله عليه - وعصمته ما أخرجه أبو الخير الحاکمي في أربعينه عن ابن عباس قال: كنت أنا والعباس جالسين عند رسول الله صلى الله عليه وآله، إذ دخل علي فسلم، فردّ عليه النبي صلى الله عليه وآله وقام إليه وعانقه وقبل ما بين عينيه وأجلسه عن يمينه، فقال العباس: يا رسول الله أتحبّه؟ فقال: «ياعم والله لله أشدّ حباً له مني»^(١) الخبر.

ورواه صاحب (كنوز المطالب) عن العباس.

فاليقين قاضٍ بأن الله لا يحب أحداً كذلك وللشيطان فيه مغمز بوجه ما أصلاً وهذا لازم العصمة.

[آية البراءة]

ومنها^(٢): ما استفاض نقله وتواتر مضمونه من حديث آيات براءة وأخذه إياها من أبي بكر ففي (مسند أحمد) بسنده إلى سماك عن حنش أنه لما نزلت عشر آيات من براءة بعث بها رسول الله صلى الله عليه وآله أبا بكر ليقراها

(١) انظر مناقب الإمام أمير المؤمنين (الكوفي) ٢: ٢٣٢ / ٦٩٧، تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ١: ٢٠٦ / ٣٣٣، جواهر المطالب ١: ٧٣، ينابيع المودة ٢: ١٥١ / ٤٢٠.

(٢) أي ومن أوضح الأدلة على إمامة علي عليه السلام.

على الناس في الموسم، ثم دعا علياً فقال: «أدرك أبا بكر، فحيثما لحقته فخذ الكتاب منه فاذهب به إلى أهل مكة فاقرأه عليهم». فلحقه بالجحفة فأخذ الكتاب منه، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يارسول الله نزل في شيء؟ قال: «لا ولكن جبرئيل جاءني فقال: لا يؤذي عنك إلا أنت أو رجل منك»^(١).

وأخرجه عن أنس بن مالك بطريقين وأخرجه عن أبي سعيد الخدري. وبسنده أيضاً عن حنش عن علي أيضاً أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم حين بعثه ببراءة قال: «يارسول الله لست باللسن ولا بالخطيب». قال: «لابد أن يذهب بها أنا أو يذهب بها أنت». قال: «فإن كان ولا بد فإذهب بها أنا». قال: «فانطلق فإن الله يهدي قلبك ويثبت لسانك»^(٢) الحديث.

وأخرجه البخاري في باب^(٣) ما يُستر من العورة وفي باب^(٤) قوله تعالى: ﴿وَأَذَانٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾^(٥) الآيات كليهما عن أبي هريرة، وأخرجه الثعلبي^(٦) بسنده عن محمد ابن إسحاق ومجاهد وغيرهما في حديث طويل قال فيه: فبعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أبا بكر علياً الموسم وبعث معه أربعين آية من صدر براءة يقرأها على أهل الموسم، فلما سار دعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علياً فقال: «أخرج بهذه القصة من صدر براءة وأذن بذلك في الناس إذا اجتمعوا». فخرج عليّ على ناقه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم العضاء حتى أدرك أبا بكر بذي الحليفة فأخذها منه، فرجع أبو بكر إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ فقال: يارسول الله

(١) مسند أحمد بن حنبل ١: ١٥١.

(٢) انظر: شواهد التنزيل ١: ٣١١ / ٣١٩، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٤٨، و ٣٩٠.

(٣) صحيح البخاري ١: ١٤٤ / ٣٦٢. (٤) صحيح البخاري ٤: ١٧١٠ / ٤٣٧٩.

(٥) التوبة: ٣. (٦) تفسير الثعلبي ٥: ٧-٨.

أنزل في شاني شيء؟ قال: «لا ولكن لا يبلغ عني غيري أو رجل مني» وأخرجه أيضاً عن [الشعبي] (١) عن أبي هريرة (٢).

وأخرجه في (الجمع بين الصحاح الستة) من (صحيح أبي داود) و(صحيح الترمذي) (٣) بسندهما عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ أبا بكر وأمره أن ينادي في الموسم ببراءة، ثم أردف علياً، فبينما أبو بكر ببعض الطريق، إذ سمع رغاء ناقه رسول الله ﷺ العضاء، فقام فزعاً يظنّ قد حدث أمر، فدفع إليه علي كتاباً من رسول الله ﷺ فيه: «إن علياً ينادي بهؤلاء الكلمات فإنه لا ينبغي أن يبلغ عني إلا رجل من أهل بيتي» (٤).

وأخرجه ابن الأثير في (جامع الأصول) (٥) وابن كثير بعدة طرق (٦) وكثير من المؤرخين (٧) وأهل السير (٨) والمفسرين (٩).

(١) من المصدر، وفي المخطوط: الشافعي.

(٢) تفسير الثعلبي ٥: ٨. (٣) الجامع الصحيح ٥: ٢٧٥ / ٣٠٩١.

(٤) انظر المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ٥٢، السنن الكبرى (البيهقي) ٩: ٢٢٤، المعجم الأوسط ١: ٢٨٤، المعجم الكبير ١١: ٣١٦.

(٥) جامع الأصول ٨: ٦٦ / ٦٥٠٨. (٦) تفسير ابن كثير ٢: ٣١٨ - ٣٢٠.

(٧) تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٤٤ - ٣٤٩، تاريخ ابن خلدون ٢ ق ٢ / ٥٣، إمتاع الأسماع ١٤: ٣١٨.

(٨) المناقب (الخوارزمي): ١٦٤ - ١٦٥ / ١٩٥، ينابيع المودة ١: ٢٦٢ / ٣.

(٩) تفسير ابن أبي حاتم ٦: ١٧٤٥ / ٩٢١، تفسير السمرقندي ٢: ٣٨، أحكام القرآن (ابن العربي) ٢: ٤٥١، شواهد التنزيل ١: ٣١٣ / ٣٢٢، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٣: ٢١٠.

فتح القدير (الشوكاني) ٢: ٣٣٤، تفسير الآلوسي ١٠: ٤٥، وأيضاً عن أبي هريرة: تفسير ابن كثير (ط دار المعرفة) ٢: ٣٤٦، الكشف ٢: ٢٤٣، جامع البيان المجلد: ٦، ج ١٠: ٨٤ / ١٢٧٢٧.

وبالجملة، فهذا الخبر من المستفيضات المشاهير، وهو نصٌّ من الله ورسوله عليّ أن علياً هو الإمام والخليفة بعد الرسول، وأنه يجب أن يكون الإمام والخليفة في كل زمان رجل من أهل بيت الرسول عليه السلام الذين استخلفهم في الأمة، ونفى الضلال عن المتمسك بهم، ووصفهم كباب حطة وكسفينه نوح وأنهم الأمان وغير ذلك؛ حيث إنه لا يخفى عليّ من له أدنى درية أنّ الإمام والخليفة إنما هو مؤدّب عن الرسول عليه السلام وناطق بلسانه ومعبر عنه وقائم مقامه بأمر الله في تبليغ أحكام الشريعة، كما أنّ الرسول عليه السلام إنما هو لسان الله الذي خاطب به خلقه، فهو ينطق عن الله باذنه، وبه يظهر أن القرآن كلام الله مع أنه نطق لسان محمد عليه السلام، فكذلك الإمام بالنسبة إلى الله ورسوله. فلن يخرس لسان الله في زمان عليّ حال أصلاً، ولن ينقطع خطابه للخلق بحالٍ في حال، ولا يتحقق ذلك بعد الرسول عليه السلام إلا بوجود من هو كذلك أبداً، وهو المعصوم.

وقد ثبت بهذا أنه لا يؤدّي عن الرسول في جزئي أو كلي إلا رجل منه، نصٌّ من الله ورسوله، وقد ثبت أنه قال: «علي مني وأنا منه»^(١)، وقال عليه السلام في أهل الكساء: «اللهم إنهم مني وأنا منهم»^(٢)، فوجب اختصاصهم بخلافة الله ورسوله عليه السلام. أفيرضى عاقل [بأن] يقول: إن رجلاً من الأمة يكون حاكماً عليّ من هو من الرسول والرسول منه في حال؟ ما هذا إلا محال. فوجب أن يكون في كل زمن إمام معصوم مقطوع بعدم خطيئة عمداً وسهواً من أهل بيت الرسول عليه السلام. يؤدّي عنه إلى الخلق أحكام الله فيهم.

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٢ / ١٧١٢، المعجم الكبير ١: ٣١٨ / ٩٤١.

(٢) ينابيع المودة ١: ٣٢٢ / ٨.

وقد استفاض، بل تواتر مضموناً قول الرسول ﷺ لعلي: «عليّ مني وأنا من علي». رواه أحمد في مسنده عن ابن حنطب وبريدة^(١) وعمران بن حصين^(٢) وحبشي بن جنادة^(٣)، ولفظه: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مني وأنا من علي ولا يؤذي عني إلا أنا أو علي».

وعن ابن آدم السلولي قال: قال رسول الله ﷺ: «عليّ مني وأنا منه، ولا يقضي ديني إلا أنا أو علي»^(٤).

وعن عبدالله بن أبي رافع عن أبيه^(٥).

وأخرجه البخاري بغير طريق وابن المغازلي عن حبشي^(٦) بمثل ما رواه أحمد عنه، وعنه أيضاً بسند آخر^(٧)، وعن محمد بن نباتة عن أبيه وعن عمران بن حصين^(٨) ولفظه: إن رسول الله ﷺ قال: «إن علياً مني وهو ولي كل مؤمن بعدي».

وعن بريدة^(٩)، وعن حبشي بن جنادة^(١٠) بمثل ما سبق عنه، وعن محمد

(١) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٥: ٣٥٦ وفيه «فإنه مني وأنا منه، وهو وليكم بعدي، وإنه مني وأنا منه وهو وليكم بعدي».

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٤: ٤٣٧.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٤: ١٦٥.

(٤) مسند أحمد بن حنبل ٤: ١٦٥ (ط دار صادر) ٤: ١٦٤.

(٥) عنه ذخائر العقبى: ٦٨، وفيه ذكر قول جبرئيل في أحد: «إن هذه لهي المواساة»،

فقال ﷺ: «إنه مني وأنا منه». فقال جبرئيل: «وأنا منكما...».

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢١ - ٢٢٢ / ٢٦٧.

(٧) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٢ - ٢٢٣ / ٢٦٨.

(٨) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٩ - ٢٣٠ / ٢٧٦.

(٩) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٥ / ٢٧١.

(١٠) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٢٦ - ٢٢٧ / ٢٦٨.

بن أحمد بن عثمان.

[حديث طائر المشوي]

ومنها: حديث الطائر المشوي؛ فإنه من المستفيضات الشهيرة، أخرجه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده إلى سفينة مولى رسول الله ﷺ قال: أهدت امرأة إلى رسول الله ﷺ طيرين بين رغيفين، فقدمت إليه الطيرين فقال رسول الله ﷺ: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك». فجاء علي فأكل مع النبي ﷺ من الطيرين حتى فنيا^(١).

وأخرج ابن المغازلي الشافعي بسنده عن أنس بن مالك قال: أهدني إلى النبي ﷺ [نحامة]^(٢)؛ فقال: «اللهم ابعث إلي أحب خلقك إليك وإلى نبيك يأكل معنا من هذه المائدة». فأتى علي فأكل معه^(٣) والحديث مختصر.

وبسنده عن أنس أيضاً أنه قال: أهديت إلى رسول الله ﷺ يعاقيب فأكل منها وفضلت فضلة وشيء من خبر فلما أصبح أتيته به، فقال ﷺ: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء رجل فضرب الباب، فرجوت أن يكون من الإنصار، فإذا أنا بعلي فقلت: اليس إنما جئت الساعة؟ فرجع، ثم قال رسول الله ﷺ: «اللهم اتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطير». فجاء رجل فضرب الباب، فإذا به علي فسمعه رسول الله ﷺ، فقال: «اللهم وإلي، اللهم وإلي»^(٤).

قال ابن المغازلي: (قال أسلم: روى هذا الحديث عن أنس ابن مالك

(١) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٤٢ / ٣٦٨، وينايع المودة ١: ١٧٥ / ١،

ورواه ابن عساكر بسنده إلى سفينة: تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٢٥٨.

(٢) من المصدر، وفي المخطوط: نحامة، وقد كتب فوقها: كذا.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب ١٥٦ / ١٨٩.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ١٥٧ / ١٩٠.

يوسف بن إبراهيم الواسطي، وإسماعيل بن سليمان الأزرق الزهري، وإسماعيل السدي، وإسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، وثمامة بن عبدالله بن أنس، وسعيد بن زربي. قال ابن سمعان: سعيد بن زربي إنما حدث به عن أنس.

وقد روى جماعة عن أنس منهم سعيد بن المسيّب، وعبد الملك بن عمير، ومسلم [الملائي] ^(١) وسليمان بن الحجاج الطائفي، وابن أبي [الرجال وأبو الهندي] ^(٢) وإسماعيل بن عبدالله بن جعفر ونعيم ^(٣) بن سالم بن قنبر وغيرهم ^(٤).

وبسنده أيضاً عن إسماعيل بن أبي المغيرة عن أنس بن مالك قال: أهدى لرسول الله ﷺ أطيار فقسمها بين نسائه، فأصاب كل امرأة ثلاثة، فأصبح عند بعض نسائه قطاتان فبعثت بهما إلى النبي ﷺ، فقال: «اللهم انتني بأحب خلقك إليك وإلى رسولك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء علي فقال: «يا أنس انظر من على الباب». فنظرت فإذا عليّ، ففتحت الباب فدخل، فقال له رسول الله ﷺ: «ما حبسك؟». فقال: «هذا [آخر] ^(٥) ثلاث مرّات يردني ^(٦) أنس يزعم أنك على حاجة». فقال رسول الله ﷺ: «ما حملك على ما صنعت؟» ^(٧) الحديث.

وبسنده أيضاً عن عثمان الطويل عن أنس قال: أهدى إلى رسول الله ﷺ

(١) من المصدر، وفي المخطوط: (الملاذي).

(٢) من المصدر، وفي المخطوط: (رجا المدني أبو النهدي)، ومن غير عطف.

(٣) من المصدر، وفي المخطوط: (نعيم). (٤) مناقب علي بن أبي طالب: ١٥٩ - ١٦٠.

(٥) من المصدر، وفي المخطوط كلمة غير مقروءة.

(٦) من المصدر، وفي المخطوط: (فيردني).

(٧) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦١ - ١٦٢ / ١٩١.

طيرٌ كان يعجبه أكله، فقال: «اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل من هذا الطائر معي». فجاء علي فرددته، فذهب ثم رجع فقال: «استأذن لي على النبي ﷺ». فسمع النبي ﷺ؛ فقال: «ادخل يا علي»، ثم قال: «اللهم وإلي»^(١).

وبسنده إلى الزبير بن عدي عن أنس قال: أهدني إلى رسول الله ﷺ طيرٌ مشوي، فلما وضع بين يديه قال: «اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء عليّ فقرع الباب قرعاً [خفيفاً]^(٢)؛ فقلت: من هذا؟ قال: «عليّ». فقلت: إن رسول الله ﷺ على حاجة. فانصرف، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول الثانية: «اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء عليّ فقرع الباب، فقلت: ألم أخبرك أنّ رسول الله ﷺ على حاجة؟ | ف| انصرف، فرجعت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول الثالثة: «اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء عليّ فضرب الباب ضرباً شديداً، فقال رسول الله ﷺ: «افتح افتح افتح». فلما نظر إليه رسول الله ﷺ قال: «اللهم وإلي، اللهم وإلي»^(٣). فجلس مع رسول الله ﷺ يأكل معه من الطير^(٤).

وبسنده إلى [يغتم]^(٥) بن سالم عن أنس مثله^(٦).

وبسنده عن ابن عباس قال: أتني النبي ﷺ بطائر، فقال: «اللهم انتني برجل يحبّه الله ورسوله». فجاء عليّ فقال: «اللهم وإلي»^(٧).

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٢ - ١٦٣ / ١٩٢.

(٢) من المصدر، وفي المخطوط: (خفياً).

(٣) قوله: اللهم وإليّ معطوف على قوله: أحبّ الخلق إليك. (هامش المخطوط).

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٣ - ١٦٤ / ١٩٣.

(٥) من المصدر، وفي المخطوط: (نعيم). (٦) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٤ / ١٩٤.

(٧) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٤ / ١٩٥.

وبسنده عن أبي الهندي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله أتى بطائر فقال: «اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء علي بن أبي طالب؛ فقال: «اللهم وإليّ اللهم وإليّ اللهم وإليّ»^(١).

وبسنده إلى ابن [يغتم]^(٢) عن أنس قال: أهدى إلى رسول الله صلى الله عليه وآله طير مشوي، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك». فجاء عليّ فرددته فدخل في الثالثة أو الرابعة، فقال له النبي صلى الله عليه وآله: «ما حبسك عني؟» - أو «ما أبطأ [يك عني] - يا علي؟». قال: «جئت فردني أنس ثم جئت فردني أنس». قال صلى الله عليه وآله: «يا أنس ما حملك على ما صنعت؟». قال: رجوت أن يكون رجلاً من الأنصار. فقال: «يا أنس أو في الأنصار خير من علي أو في الأنصار أفضل من علي؟»^(٣).

وبسنده عن نافع عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وآله قرّب إليه طير، فقال: «اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك يأكل معي من هذا الطائر». فجاء علي فأكل معه^(٤).
وبسنده عن مسلم بن كيسان عن أنس: أتى النبي صلى الله عليه وآله بأطيار فوضعهن بين يديه، فقال: «اللهم انتني بأحبّ خلقك إليك». فجاء علي فضرب الباب فأذنت له، فلما دخل قال: «اللهم وإليّ»^(٥).

وبسنده إلى أبي جعفر السباك عن أنس مثله^(٦)، وبسنده إلى قتادة

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٦ / ١٩٧.

(٢) من المصدر، وفي المخطوط: نعيم.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٥ - ١٦٦ / ١٩٦.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٧ / ١٩٨.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٨ / ١٩٩.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٨ - ١٦٩ / ٢٠٠.

عن أنس مثله^(١)، وإلى مسلم بن كيسان أيضاً عن أنس مثله^(٢)، وإلى السديّ مثله^(٣)، وإلى السديّ أيضاً مثله^(٤)، وإلى عبدالله بن سليمان عن أنس مثله^(٥)، وإلى نافع عن أنس مثله^(٦)، وإلى مسلم بن^(٧) عبدالله أيضاً عن أنس مثله^(٨).

وبسنده إلى خالد بن [عبيد]^(٩) قال: قال أنس: بينما أنا ذات يوم بباب النبي ﷺ، إذ جاء رجل بطبقٍ مغطى فقال: أهل من إذن؟ فقلت: نعم. فوضع الطبق بين يدي رسول الله ﷺ طائراً مشوياً، فقال: أحبّ أن تملأ بطنك من هذا يارسول الله. قال: «غطّ عليه». ثم شال يديه فقال: «اللهم أدخل عليّ أحب خلقك إليك ينازعي هذا الطعام». فدخل عليّ ينازع النبي ﷺ^(١٠).

وبسنده عن محمد بن يونس عن أنس: أهدى إلى رسول الله ﷺ طائراً مشوياً فقال: «اللهم أدخل عليّ من تحبّه». فجاء عليّ وذكر الحديث^(١١).
ومن (الجمع بين الصحاح الستّة) لرزين من (صحيح أبي داود)^(١٢)

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٩ - ١٧٠ / ٢٠١.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧١ / ٢٠٤.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧١ / ٢٠٥.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٢ / ٢٠٩.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٣ / ٢٠٩، وفيه: (عبد الملك بن أبي سليمان)، بدل:

(عبدالله بن سليمان).

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٣ / ٢١٠.

(٧) في المصدر: أبي، بدل: بن.

(٨) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٣ - ١٧٤ / ٢١٢.

(٩) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٣ - ١٧٤ / ٢١٢.

(١٠) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٤ / تتمة الحديث: ٢١٢.

(١١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٧٤ / تتمة الحديث: ٢١٢.

(١٢) عنه عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٥٢ / ٣٩١. وأيضاً: سنن الترمذي (ط دار الفكر)

بسنده عن أنس قال: كان عند النبي صلى الله عليه وآله طائرٌ قد طبخ له، فقال: «اللهم انتني بأحب خلقك إليك يأكل معي». فجاء علي فأكل منه معه (١).

وأخرج البغوي (٢) في (جامع الأصول) (٣) و(المصابيح) و(المشكاة) (٤) بأسانيد عن أنس وأخرجه الترمذي (٥) وغيرهم.

وبالجملة، فاستفاضته لا يُشكَّ فيها وظاهر من سياق القصة، واختلاف هيئتها وأنه طير أو طيور أو اثنان وأنه مشوي أو مطبوخ، وهيئة كلام النبي يدل على أن القصة متعدّدة متكررة وبه تجتمع الروايات. وهذا صريح في أن علياً - سلام الله عليه - إمامٌ معصوم بل سيّد الأئمة وإمامهم بعد الرسول صلى الله عليه وآله؛ فإنّ الضرورة قاضية بأنّه لا يمكن أن يكون في الخلق أكمل وأرفع من أحب الخلق إلى الله ورسوله بوجه أصلاً؛ لأنّه ترجيح للمرجوح، ولا يكون إلا عن جهل أو سفه، وهذا كفر.

فثبت بهذا أن علياً عليه السلام أفضل الخلق بعد الرسول صلى الله عليه وآله وأكملهم حتى الرسل والملائكة المقربين، فوجبت عصمته ورتاسته الخلق طراً وإمامته

(١) انظر: سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣٠٠ / ٣٨٠٥، المستدرک علی الصحیحین

(تحقیق المرعشلی) ٣: ١٣٠، سنن البيهقي (ط دار الفكر) ٦.

(٢) لم تذكر كتب التراجم والفهارس أنه له كتابي (جامع الأصول) و(المشكاة)، وكل ما

ذكره أن له كتاب (الجمع بين الصحیحین). أمّا (المشكاة) - وهو من تأليف الخطيب

التبريزي - فهو تنمّة لكتاب (مصابيح السنة) للبغوي - وأمّا (جامع الأصول) فهو لأكثر

من مؤلف - ليس فيهم البغوي - وأشهرها لابن الأثير.

(٣) جامع الأصول (ابن الأثير) ٨: ٦٥٣ / ٦٤٩٤.

(٤) مشكاة المصابيح (التبريزي) ٣: ٣٥٦ / ٦٠٩٤.

(٥) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٦ - ٦٣٧ / ٣٧٢١.

إياهم.

ولهذا مؤيّدات كثيرة لا تخفى على من له أدنى فطنة مع تدوين؛ منها قول النبي صلى الله عليه وآله لفاطمة - سلام الله عليها-: «إن الله أطلع إلى الأرض أطلاعةً فاختر منها أباك، ثم أطلع إليها ثانية فاختر منها بعلك». أخرجه أحمد^(١) وغيره^(٢).
فدلّ صريحاً أنّ علياً عليه السلام قد اختاره الله من الأرض قبل أولي العزم من الرسل، فهو أصفى وأكمل وأحبّ وأقرب إلى الله ورسوله ممّن سواه من جميع الخلق وإلا لزم تقديم المرجوح وسبق الفرع والتابع، إلى غير ذلك من المفاسد.

ومنها قوله صلى الله عليه وآله لفاطمة: «قد أحببت لك خير أهلي». أخرجه ابن الأثير في (النهاية)^(٣).

ومنها ما أخرجه البغوي في (المصابيح) عن عائشة لما سُئلت أيّ النساء أحبّ إلى رسول الله صلى الله عليه وآله كان؟ فقالت: فاطمة. فقيل: من الرجال؟ قالت: زوجها^(٤). ومقتضى قاعدته أنه صحيح.
ورواه في (المشكاة) وقال: (رواه الترمذي^(٥))^(٦).

وأخرجه في (جامع الأصول) بطريقتين عن جميع بن عمير التميمي^(٧)

(١) عنه شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٤، عنه ينابيع المودة ٢: ٤٩٤ / ١٣٨٨.

(٢) المعجم الكبير ٣: ٥٧ / ٢٦٧٥، المعجم الأوسط ٦: ٣٢٧.

(٣) النهاية في غريب الحديث ١: ٦٣ - إلى، وفيه «أصببت» بدل «أحببت».

(٤) معجم الزوائد ٨: ٢٥٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ١٣٠، أسد الغابة ٤: ٤٢، ذخائر

العقبى: ١٣٥، عن علي الهلالي، فضائل أمير المؤمنين (ابن عقدة): ٢٥، عن أبي سعيد

الخدري. (٥) الجامع الصحيح ٥: ٧٠١ / ٣٨٧٤.

(٦) مشكاة المصابيح ٣: ٣٧٢ / ٦١٥٥. (٧) جامع الأصول ٩: ١٢٥ / ٦٦٧١.

وبريدة^(١) ورواه الزمخشري في (ربيع الأبرار)^(٢) عن جميع بن عمير بمثل ما هنا، وأخرجه عنها ابن حجر في صواعقه وقال: (رواه الترمذي) وروى مضمونه ابن أبي الحديد عن ابن عباس، وفي موضع آخر من^(٣) (مسند أحمد بن حنبل) عن مسروق قال: قالت عائشة: إنك من ولدي ومن أحبهم إليّ فهل عندك من علم المخدج قلت: نعم قتله علي بن أبي طالب على نهر يقال لأعلاه [تامراً]^(٤) ولأسفله النهروان بين لخاقيق^(٥) وطفاءه^(٦). قالت: أبغني على ذلك بيّنة. فأقمت رجالاً شهدوا بذلك عندها، فقلت لها: سألتك بصاحب القبر ما الذي سمعت من رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قالت: نعم سمعته يقول: «هم شر الخلق والخليقة يقتلهم خير الخلق والخليقة وأقربهم عند الله وسيلة»^(٧).

وفي كتاب (صفين) للمدائني عن مسروق أن عائشة قالت لما عرفت أن علياً قتل ذا النديّة: لعن الله عمرو بن العاص؛ فإنه كتب إليّ يخبرني أنه قتله بالإسكندرية إلا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من

(١) جامع الأصول ٩: ١٢٥ / ٦٦٧٢. (٢) ربيع الأبرار ٢: ١٦٧ / ٥٧.

(٣) نسخة: عن، هامش المخطوط.

(٤) في المخطوط: تامر، وتامراً - بفتح الميم وتشديد الراء - طسوج من سواد بغداد بالجانب الشرقي، وله نهر واسع يحمل السفن في أيام المدود. [معجم البلدان ٢: ٧].

(٥) اللخاقيق: جمع لخقوق، وهو شق في الأرض. مختار الصحاح: ٥٩٥ - لخق.

(٦) الطفءاء: شجر، واحده طرفة، وبها سمي الشاعر طرفه بن العبد. مختار الصحيح: ٣٩٠ - طرف.

(٧) مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ٣٦١ / ٣٦١ / ٨٣٩، و ٥٣٤ / ١٠٣٥، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ١٧٠ / ٢٢٩. باختلاف.

رسول الله سمعته يقول: «يقتله خيرُ أمتي بعدي»^(١).

وما أخرجه ابن حجر في صواعقه^(٢) عن الخطيب عن البراء^(٣) وعن الديلمي^(٤) عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «عليّ مني بمنزلة رأسي من بدني». وما أخرجه ابن أبي الحديد أن أبا بكر قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «عليّ مني بمنزلة رأسي من بدني»^(٥).

وما رواه ابن الكلبي من قصة المرأة التي حلف زوجها بطلاقها أن علياً خير هذه الأمة، فزعم أبوها أنها طلقت، فتحاكما إلى عمر بن عبد العزيز، فحكّم في المسألة رجلاً عقلياً، فقال: برّ قسمه ولم تطلق امرأته. نشدتك الله يا أمير المؤمنين ألم تعلم أن رسول الله ﷺ قال لفاطمة وهو عائد لها: «يا بُنَيَّة ما علتك؟». قالت: «الوعك يا أبتاه». وكان علي غائباً في بعض حوائج النبي ﷺ، فقال لها: «اتشتهين شيئاً؟». قالت: «نعم، أشتهي عنباً وأنا أعلم أنه عزيز وليس وقت عنب». | فقال ﷺ: «إن الله قادر على أن يجيئنا به» | ثم قال: «اللهم آتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلة». فطرق الباب عليّ ودخل ومعه مکتل، فقال له النبي ﷺ: «ما هذا؟». قال: «عنب التمسته لفاطمة». فقال: «الله أكبر الله أكبر اللهم كما سررتني بأن خصصت علياً بدعوتي | فـ | اجعل فيه شفاء بنيّتي» الحديث.

وهو قصة طويلة قال في آخره: فقال عمر: صدقت وبررت أشهد لقد

(١) عنه شرح نهج البلاغة ٢: ٢٦٨. (٢) الصواعق المحرقة: ١٢٥.

(٣) تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ٧: ١٢ / ٣٤٧٥، وعنه سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٧.

(٤) عنه المناقب للخوارزمي (ط مؤسسة النشر): ١٤٤ / ١٦٧.

(٥) ذخائر العقبى: ٦٤، عن (ابن السمان في كتاب الموافقة)، المناقب للخوارزمي (ط مؤسسة النشر): ٢٩٧ / ٢٩٢.

سمعته ووعيته^(١). فكانه متواتر عنده ومؤيداته كثيرة جداً. ومن النصوص الصريحة في عصمته وإمامته ما رواه أحمد بن حنبل في مسنده بسنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «إنه من فارقتي فقد فارقت الله ومن فارقتك فقد فارقتي»^(٢). فإنه صريح في وجوب اتباعه على كل حال، وأن من فارقه بحال فارقت الله ورسوله ﷺ، ومن أمكن منه مجانبته الحق بحال لا يجب اتباعه على كل حال، وليس مفارقتة بوجه مفارقة الحق.

وهذا يؤيده ما تواتر مضموناً من قوله ﷺ: «عليّ مع الحق والحق مع عليّ يدور معه حيثما دار»^(٣) وأمثاله كثير.

[علي حجة على الأمة]

ومنها ما أخرجه أحمد بسنده عن أنس قال: كنت عند النبي ﷺ وأتى عليّ مقبلاً، فقال: «أنا وهذا حجة على أمتي يوم القيامة»^(٤).

فإنه صريح في عصمته وإمامته العامة التامة؛ إذ من كان حجة الله في الآخرة فهو حجته في الدنيا البتة. وكيف يكون حجة الله مطلقاً على كل

(١) شرح نهج البلاغة ٢٠: ٢٢٢ - ٢٢٥، عنه في ماروته العامة من مناقب أهل البيت: ١٤٩ - ١٥٠.

(٢) فضائل الصحابة ٢: ٥٧٠ / ٦٢، ذخائر العقبى: ٦٦، (عن أحمد في المناقب)، المستدرک على الصحيحين (تحقيق المرعشي) ٣: ١٢٣، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٠٧، جواهر المطالب ١: ٦٧ (عن أحمد في المناقب).

(٣) مجمع الزوائد ٧: ٢٣٥، وفيه: «حيث كان»، بدل: «حيثما دار»، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ١١٤ / ١٣٦، باختلاف.

(٤) رواه الخطيب البغدادي بسنده: تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ٢: ٨٧ / ٤٧٤، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٠٨ - ٣٠٩.

حال من يمكن منه الغلط والسهو فضلاً عن المعصية بحال؟ فإنّه حال غلظه وسهوه ليس حجة لله بالضرورة، وهو حجة لله عزّ وجلّ على كل حال، فلا يدور في شوارع العقول أنّ حجّة الله على خلقه محجوج بغيره من سائر الخلق في حال فكيف يمكن أن يكون على إمام الكل في الكلّ إمام بحال، نعوذ بالله من هذا المحال.

وعنه بسنده عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني جبرئيل عليه السلام بدُرُنُوك^(١) من الجنة فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربي كَلَمَني وناجاني، فما علمت شيئاً إلاّ علّمته علياً؛ فهو باب مدينة علمي». ثم دعاه إليه فقال: «يا علي سلمك سلمي وحربك حربي، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي بعدي»^(٢).

فما أصرحه في أنّه الخليفة بعده، وأنّه الحجّة على أمتّه والواسطة بينه وبين الأمة، وأنّ كلّ علم علّمه الله رسوله صلى الله عليه وآله فقد علّمه رسوله علياً، سلام الله عليه! ومحال أن تجري المعصية ممّن هو كذلك، لا جبراً بل لما عنده من العلم اليقيني والحكمة الحقّة. ومن أجل ذلك كان باب مدينة علمه؛ لأنّه استودعه كلّ ما عنده من العلم.

ولا تتوهم مساواتهما في الفضل، وأين المفيد من المستفيد والتابع من المتبوع؟ فعلم محمد صلى الله عليه وآله من الله بلا واسطة سوى نفسه، وعلوم علي من محمد بلا واسطة سوى نفسه، وعلوم الخلق طراً من علي؛ لأنّه الباب بوسط أو وسائط أو بغير وسط، ولا يكون إلا في فرد وهو خليفته والقائم مقامه، وهكذا في كل طبقة.

(١) الدررُوك: ضرب من البسط ذو حمل. الصحاح ٢: ١١٩٧ - دُرُنُوك.
(٢) عن المناقب (ابن المغازلي): عمدة عيون صحاح الأخبار: ٢٨١ / ٤٥٦.

وروى الثعلبي في تفسيره بسنده عن أنس^(١) وبريدة قالوا: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿ فِي بُيُوتِ أَدْنَى اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ ﴾ إلى قوله: ﴿ وَالْأَبْصَارَ ﴾^(٢)، فقال رجل: أي البيوت يارسول الله؟ قال: «بيوت الأنبياء». فقام إليه أبو بكر فقال: يارسول الله هذا البيت منها؟ وأشار لبيت علي وفاطمة قال: «نعم من أفاضلها»^(٣).

فانظر إلى ما وصف الله تعالى به أهل تلك البيوت التي بيت علي «من أفاضلها» من خصائص الإمامة والخلافة ولوازم العصمة وكمال الحكمة. وأخرج ابن المغازلي الشافعي بسنده عن الثقات الاجلاء أن رسول الله ﷺ قال لعلي: «لولاك ما عرف المؤمنون بعدي»^(٤).

وبسنده عن عمّار بن ياسر قال: قال رسول الله ﷺ لعلي بن أبي طالب: «يا علي، إن الله قد زينك بزينة لم يزين الخلاق بزينة أحب إلى الله منها: الزهد في الدنيا، وجعل الدنيا لا تنال منك شيئاً»^(٥).

فانظر إلى الحديث الأول حيث جعله بعده ميزان الإيمان، فالإيمان في أتباعه والائتمام به على كل حال، فاتباعه إيمان البتة على كل حال، فلا يمكن منه السهو والغلط فضلاً عن العمد؛ لأن إتباعه حالتها ليس بإيمان، وقد كان اتباعه إيماناً على كل حال. وأيضاً القاطع حاصل بأن أتباعه نجا؛ لأنه أتباع للحق، ولا يمكن يقين نجا تابع غير المعصوم البتة.

(١) تفسير الثعلبي ٧: ١٠٧. (٢) النور: ٣٦-٣٧.

(٣) شواهد التنزيل ١: ٥٣٤ / ٥٦٨، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٥: ٥٠، تفسير

الآلوسي ١٨: ١٧٤، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ٢٨٤ / ٤٤٧، فضائل

أمير المؤمنين (ابن عقدة): ١٩٨ / ٢١. (٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٧٠ / ١٠١.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ١٠٥ / ١٤٨.

وفي الحديث الثاني أخبر أنّ الدنيا لا تنال منه شيئاً، والمعصية بل السهو والغلط من الدنيا جزماً، فلا تناله بإخبار الصادق الأمين، وهذه هي العصمة.

وأخرج بسنده عن أبي ذر قال: قال رسول الله ﷺ: «| مثل | عليّ فيكم» أو قال: «في هذه الأمة كمثل الكعبة المستورة - أو المشهورة - النظر إليها عبادة، والحج إليها فريضة»^(١).

فمن يكن النظر إليه عبادة، والالتجاء إليه والقصد إليه عبادة وفريضة، والدوران حوله وجعله قبلة الأعمال والعقائد فرضاً لا يكون إلا إماماً معصوماً، وإلا لما فرض الله القصد والتوجه إليه في كل شيء فريضة، وشبّهه بالقبلة الكريمة. فكما الكعبة قلب الأرض التي أول ما تكوّن عليها السلام منها ودحيت من تحته، فهو - سلام الله عليه - قلب العالم، وينبوع حياتهم في الدارين، وواسطتهم إلى الله. فما أبلغ هذا التشبيه وأجمعه لمحاسن الأخلاق! وله مؤيدات مستفيضة.

ومن (الجمع بين الصحاح الستة) من صحيح البخاري بسنده عن علي قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «رحم الله علياً اللهم أدر الحق معه حيث دار»^(٢). وقد مر الكلام على مثله.

ومن كتاب (الفردوس) لابن شيرويه بسنده عن أبي سعيد عن النبي ﷺ

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ١٠٦-١٠٧ / ١٤٩.

(٢) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٣٠٠ / ٥٠٤، انظر: المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٢٤، شواهد التنزیل ١: ٢٤٦ / ٢٤١، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ١١٤ / ١٣٥.

- في قوله تعالى: ﴿وَقِفُّهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُورُونَ﴾^(١) -: «عن ولاية علي بن أبي طالب»^(٢)، وقد مرّ الكلام عليه.

وأخرج ابن المغازلي عن النعمان بن بشير قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إنما مثل علي في هذه الأمة مثل ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ في القرآن»^(٣).

فانظر إلى حسن هذا التشبيه وجمعه لمكارم الأخلاق، ومقتضاه أن علياً عليه السلام تضمّن توحيد الله خالصاً لا يشوبه شيء أصلاً، وهو أصل الإيمان الذي يدور عليه. وهذا لازم العصمة، فغير المعصوم لا يكون كذلك بالضرورة، فهو إذن إمام الأئمة ونور الأمة.

ومن (مسند ابن حنبل) بسنده عن عاصم بن أبي رزين قال: خطبنا الحسن بن علي بعد وفاة علي فقال: «لقد فارقم بالأمس رجل لم يسبقه الأولون، ولا يدركه الآخرون»^(٤).

فانظر إلى هذا الأثر الوارد عن ريحانة الرسول صلى الله عليه وآله الذي نصّ على إمامته في غير موضع، فصريحه أن علياً عليه السلام أفضل من أولي العزم السابقين،

(١) الصافات: ٢٤.

(٢) نظم درر السمطين: ١٠٩، عن الواحدي، شواهد التنزيل ٢: ١٦٠ / ٧٨٥ - ٧٨٦، و ١٦١ / ٧٨٧، و ١٦٢ / ٧٨٨، الخ، تفسير العز بن عبد السلام ٣: ٥٢، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ٣١٢ / ٥١٢ و ٥١٣، معارج الوصول إلى فضل آل الرسول: ٤٣، عن الواحدي.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٦٩ - ٧٠ / ١٠٠.

(٤) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ١: ١٩٩، المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٧٢، المصنف (الكوفي) ٧: ٥٠٢ / ٤٢، الذرية الطاهرة النبوية: ١٠٩ / ١١٤، و ١١١ / ١١٧، صحيح ابن حبان ١٥: ٣٨٣، المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٢: ٣٣٦، المعجم الكبير ٣: ٧٩ / ٢٧١٩، و ٨٠ / ٢٧٢٣ - ٢٧٢٤. الخ.

وأنه سيّد الآخرين وأفضلهم وأقربهم إلى الله.
فإذن هو معصوم البتة؛ لأنّ كل من ليس بمعصوم مسبوق مدرك
بالمعصوم.

ومنه بسنده إلى جابر الأنصاري أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لعلي بن أبي
طالب: «سلام عليك يا أبا الريحانتين من الدنيا | أوصيك بريحانتيّ من الدنيا | فعن
قليل [ينهذ ركنك] ^(١) والله خليفتي عليك» ^(٢) الحديث.
فهو صريح في أنّه لا خليفة عليه من هذه الأمة فإنه لم يستخلف عليه
إلا الله.

فإذن هو الخليفة على من سواه وعلى الشريعة.
وروى ابن المغازلي بسنده عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أنا
دعوة أبي إبراهيم عليه السلام». قلنا: يارسول الله وكيف صرت دعوة أبيك إبراهيم؟
قال: «أوحى الله إلى إبراهيم: ﴿إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ ^(٣) فاستخف إبراهيم الفرح
قال: رب ومن ذريتي أئمة مثلي؟ فأوحى الله عزّ وجلّ إليه أن يا إبراهيم إني لا أعطيك
عهداً لا أفي لك به. قال: يارب وما العهد الذي لا تفي لي به؟ قال: لا أعطيك لظالم من
ذريتك عهداً. قال إبراهيم عندها: ﴿وَاجْتَنِبْنِي وَتِيبِي أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ * رَبِّ إِنَّهُنَّ

(١) من المصدر، وفي المخطوط: يذهب ركنك، وإنما غيرناه وفق المصدر؛ لأن في ذيل
الحديث فيه: فلما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله قال: هذا أحد ركني الذي قال لي رسول الله،
ولما ماتت فاطمة قال: هذا الركن الثاني.

وهو ما أشار إليه المصنّف بقوله: الحديث، فكنتي به عن إتمامه.

(٢) ذخائر العقبى: ٥٦، (عن أحمد في المناقب)، مناقب علي بن أبي طالب (ابن
مردويه): ٢٠٤ / ٢٨٥، تنبيه الغافلين: ٤٣، عنه في إحقاق الحق ١٩: ١٧٤.

(٣) البقرة: ١٢٢.

أضَلَّنْ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ ﴿^(١)﴾ قال النبي صلى الله عليه وآله: «فانتهت الدعوة إليّ وإلى علي لم يسجد أحدنا إلى صنم قط، فاتخذني نبياً واتخذ علياً وصياً» ^(٢).

فانظر إلى صراحة هذا في | أن | عصمة علي كعصمة الرسول بدعوة الخليل، الجليل وأنه إمامٌ بعده كإمامته، وأن الله جعله إماماً ووصياً بدعوته ومشاركته الرسول صلى الله عليه وآله في جميع ما اشتملت عليه هذه الدعوة المباركة من الخيرات. وقد قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا﴾ يعني: الإمامة والعصمة ﴿كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ﴾ ^(٣) وهما عقبه الباقي وخلفاؤهما.

وروى ابن المغازلي الشافعي في مناقبه عن جابر بن عبد الله بستة طرق ^(٤) أنه قال: انتجى رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم الطائف فطالت مناجاته إياه، فقيل له: لقد طالت مناجاتك اليوم علياً؟ فقال: «ما أنا ناجيته ولكن الله ناجاه». هذا لفظ [أحدها] ^(٥) ولفظ الباقي: «ما أنا انتجيته ولكن الله انتجاه» وفي بعضها: إن القائل: لقد طالت مناجاته اليوم علياً؟ هو أحدهما ^(٦).

وقال البغوي في جامعه ^(٧): دعا رسول الله صلى الله عليه وآله علياً يوم الطائف فانتجاه، فقال الناس: لقد طالت نجواه مع ابن عمه؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ما انتجيته ولكن الله انتجاه» ^(٨).

(١) إبراهيم: ٣٥ - ٣٦.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب ٢٧٦ - ٢٧٧ / ٣٢٢.

(٣) الزخرف: ٢٨.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ١٢٤ - ١٢٦ / باب انتجاء رسول الله صلى الله عليه وآله علياً بالطائف، وفيه من خمسة طرق لا ستة. (٥) في المخطوط: أحدهما.

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ١٦٣ / ١٦٤.

(٧) مرّت الإشارة إلى نسبة هذا الكتاب للبغوي، والاحتمال في ذلك.

(٨) مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٢٠٥ / ١٢٥، و ٢١٥ / ١٣٥، كتاب السنة: ٥٨٤ /

ورواه في (المصابيح) عن جابر، أخرجه في الحسان ولم يقدح فيه وفي الصحاح؛ فهو من الصحاح.

ورواه في (المشكاة) عن جابر وقال: (رواه الترمذي^(١)) وأخرجه ابن أبي الحديد^(٢) وقال: (رواه أحمد في مسنده وأخرجه ابن الأثير أيضاً في النهاية)^(٣)...^(٤).

وبالجملة، فهذا الحديث مستفيض، وهو من واضح الأدلة على عصمة علي - سلام الله عليه - وإمامته التامة الكاملة العامة الشاملة؛ فإنها منقبة لم يدركها إلا خواص الرسل.

تنبيه:

لمعنى هذا الكلام وجوه؛ منها أن رسول الله ﷺ سُمِّيَ مناجاته علياً مناجاة الله، نظير: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾^(٥)، فسُمِّيَ رميه رمي الله، ونظير: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُسْبِغُوكَ إِنَّمَا يُسْبِغُونَ اللَّهَ بِدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾^(٦) فسُمِّيَ بيعته بيعة يده، ومثله ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ

١٣٢١، المعجم الكبير ٢: ١٨٦، ذخائر العقبى: ٨٥، شواهد التنزيل ٢: ٣٢٥ / ٩٦٧، تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ٧: ١١٤ / ٣٩٤٥، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٦٥، أسد الغابة ٤: ٢٧، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ١٣٧ / ١٦٤، تاريخ أخبار أصبهان ١: ١٤١، تاريخ ابن كثير ٧: ٣٩٣، وفي بعضها: أن عمر قال ذلك، وفي بعضها الآخر: أن أبا بكرهما اللذان قالاه. (١) الجامع الصحيح ٥: ٦٣٩ / ٣٧٢٦.

(٢) شرح نهج البلاغة ٩: ١٧٣.

(٣) النهاية في غريب الحديث والأثر ٥: ٢٥ - نجا.

(٤) مشكاة المصابيح ٣: ٣٥٨ / ٦٠٩٧. (٥) الأنفال: ١٧.

(٦) الفتح: ١٠.

اللَّهِ ﴿١﴾ فسمي طاعته - أمراً ونهياً - طاعته.

ووجهه أنه عليه السلام نائبه الأعظم، ومظهر مشيئته الكلية الجامعة لكل شيء، وخزانة علمه الجامعة لكل خزائنه من خزائن الوجود، وبابه الأعظم الذي لا يصعد إلى الله عملاً وينزل منه جوداً أو وجود إلا منه؛ فهو واسطة الكل في الكل، ففعله فعل الله، وأمره أمره، ونهيه نهيه، ومشيئته مشيئته حقيقة؛ فمناجاته مناجاة الله.

ومنها أنه يناجيه بمناجاة جبرائيل عن الله.

ومنها أن جبرائيل يناجيه بالوحي وعليّ يسمع وإن لم يره.

إلى غيرها من الوجوه.

وأخرج ابن المغازلي بسنده عن أنس قال: كنت عند النبي صلى الله عليه وآله فرأيت علياً مقبلاً، فقال: «أنا وهذا حجة عليّ أمتي يوم القيامة»^(٢). فمن كان حجة الله في الآخرة فهو حجة الله في الدنيا، ولا يحتج الله على خلقه إلا بمعصوم وإلا لكان الساهي في حال سهوه والغالط حال غلظه والعاصي حال عصيانه حجةً لله، وهذا ضروري البطلان. وقد سبق لهذا زيادة^(٣).

وأخرج بسنده عن عائشة قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «ذكر عليّ عبادة»^(٤). فهذا صريح في أنّ ذكره ذكر الله؛ لأنّ ذكر غير الله ليس بعبادة؛ فهو إذن نائب الله ووليّه وخليفته ومحل مشيئته وخازن علمه، فلا يكون إلا

(١) النساء: ١٣. (٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٤٥ / ٦٧.

(٣) انظر الصفحة ٢٧٦.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٠٦ / ٢٤٣، الجامع الصغير ١: ٦٦٥ / ٤٣٣٢، تاريخ مدينة دمشق ٤٢: ٣٥٦، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ٧٥ / ٥٥، كنز العمال ١١: ٦٠١ / ٢٣٨٩٤.

معصوماً.

وأخرج ابن المغازلي أيضاً عن معاذ بن جبل بطريقين^(١) وعن عائشة^(٢) وعن عمران بن حصين بثلاثة طرق^(٣) وعن ابن مسعود بطريقين^(٤) وعن خالد وعن وائلة بن الأصقع^(٥) وعن عائشة أيضاً عن أبيها بطريقين^(٦) أن رسول الله ﷺ قال: «النظر إلى وجه عليّ عبادة»^(٧). وهذا مؤيد لما قبله، والتقريب فيه يؤخذ مما ذكر فيه.

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٠٦-٢٠٧ / ٢٢٤، ٢٠٨ / ذيل الحديث: ٢٤٧.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٠٧ / ٢٤٥.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٠٧-٢٠٨ / ٢٤٦، ٢٤٧.

(٤) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٠٩ / ٢٤٩.

(٥) مناقب علي بن أبي طالب: ٢١٠ / ٢٥١، وفيه: (الأصقع) بدل: (الأصقع).

(٦) مناقب علي بن أبي طالب: ٢١٠-٢١١ / ٢٥٢، ٢٥٣.

(٧) المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٤١، عن علقمة بن عبدالله،

و١٤٢، عن عبدالله بن مسعود، المعجم الكبير ١٠: ٧٦ / ١٠٠٠٦، عن علقمة، كنز

العمال ١١: ٦٠١ / ٣٢٨٩٥، ورواه الطبراني والمستدرک عن ابن مسعود وعمران بن

حصين، مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٢٤٦ / ١٦٠ و١٦٥، عن عمران بلفظ «النظر

إلى علي بن أبي طالب عبادة»، و٢٤٧ / ٢٤٨ / ١٦١، ٢٦٤، عن ابن مسعود، وح

١٦٣، عن مولاة عمران، و٢٤٨ / ١٦٤، بلفظ «النظر إلى علي عبادة»، تاريخ بغداد

(ط دار الكتب العلمية) ٢: ٤٨ / ٤٤٨ عن أبي هريرة، تاريخ مدينة دمشق ٤٠: ٩، ٤٢:

٣٥٠، عن عائشة، و٣٥١، عن ابن مسعود، و٣٥٢، عن أبي هريرة، و٣٥٣، عن معاذ

بن جبل، و٣٥٣-٣٥٤، عن عمران بن الحصين، و٣٥٤، عن جابر بن عبدالله، و٣٥٥،

عن أنس بن مالك، وكذلك عن ثوبان، وعن عائشة، وأكثرها روي بطرق متعددة. الخ،

مناقب الإمام أمير المؤمنين ١: ٢٤٩ / ١٦٥، عن عائشة بلفظ: «كلام علي عبادة،

والنظر إلى علي عبادة».

وأخرج بسنده إلى أنس بن مالك قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «من أراد أن ينظر إلى علم آدم وفقه نوح، فلينظر إلى علي بن أبي طالب»^(١). فتأمل^(٢) حسن هذا التشبيه، فكما علم آدم ونوح عليهما السلام عن الله فعلم علي عليه السلام عن الله لا يشوبه شيء، ومن كان مماثلاً لأولي العزم من الرسل في علمهم فهو مماثل لهم في عصمتهم وإلا لما ماثلهم في علمهم مطلقاً.

وأخرج ابن المغازلي بسنده عن أنس بن مالك قال: «والله الذي لا إله إلا هو سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: عنوان صحيفة المؤمن حب علي بن أبي طالب»^(٣).

وهذا الحديث مشهور، رواه عدة من أكابر المحدثين^(٤). فمن كان حبه أول ما يسأل عنه العبد يوم القيامة فحبه أصل الإيمان وأسه وذروته، وهذه منزلة فاق بها الأولين والآخرين. فكل مكلف مسؤول عن ولايته وحبه من الأولين والآخرين؛ للعموم المفهوم من الجمع المحلى.

فإذن أس الإيمان في كل شريعة حبه وموالاته، وميزان حبه وموالاته في هذه الأمة متابعته، والايتمام به على كل حال وفي غيرها اعتقاد أنه أشرف الخلق بعد محمد صلى الله عليه وآله طراً ومظهر ولاية الله العظمى؛ فلذا كان حامل لواء الحمد آدم فمن دونه تحته^(٥).

فإذن هو معصوم بالضرورة.

وأخرج ابن المغازلي أيضاً بسنده عن عمر بن الخطاب قال: سمعت

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢١٢ / ٢٥٦.

(٢) في المخطوط بعدها: إلى. (٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٤٣ / ٢٩٠.

(٤) انظر تاريخ بغداد ٤: ٤١٠ / ٢٣١٤.

(٥) الجامع الصغير ٢: ١٨٢ / ٥٦٣٣، كنز العمال ١١: ٦٠١ / ٣٢٩٠٠، عن أنس، تاريخ بغداد (ط دار الكتب العلمية) ٥: ١٧٦ / ٢٦٢٩، تاريخ مدينة دمشق ٥: ٢٢٩ / ١٢٤.

رسول الله ﷺ يقول: «لو أن السماوات والأرض وضعتا في كفة ووضع إيمان علي في كفة، لرجح إيمان علي»^(١).

فمن كان إيمانه أرجح عند الله من إيمان السماوات والأرض كان علمه بالله وبمحمد ﷺ أعظم وأكمل، ومن كان كذلك كان أقرب الخلق إلى الله، ومن كان كذلك كان هو خليفة الله على الكل وبابه ونائبه على الكل وفي الكل، ومن كان كذلك كان رئيساً غير مرؤوس مطلقاً ولا ينافيه تبعيته لمحمد ﷺ؛ لأن تبعيته له أخذ عن الله حقيقة؛ فهو معصوم في كل حال؛ فهو خليفة الحق على الخلق.

وأخرج ابن المغازلي^(٢) بسنده عن أنس بن مالك قال: أهدني لرسول الله ﷺ بساط فقال لي: «يا أنس ابسطه». فبسطته ثم قال: «ادع العشرة». فدعوتهم، فلما دخلوا عليه أمرهم بالجلوس على البساط، ثم دعا علياً فواجه طويلاً، ثم رجع علي فجلس على البساط، ثم قال: «يا ربيع احملينا» فحملتنا الريح، فإذا البساط يدف بنا دفأً، ثم قال: «يا ربيع ضعينا». ثم قال: «أتدورن في أي مكان أنتم؟». قلنا: لا. قال: «هذا موضع الكهف والرقيم، قوموا فسلموا على اخوانكم». فقمنا رجلاً رجلاً فسلمنا عليهم فلم يردوا علينا، فقام علي بن أبي طالب؛ فقال: «السلام عليكم معاشر الصديقين والشهداء». فقالوا: «وعليك السلام ورحمة الله وبركاته». قال: فقلت: ما بالهم ردوا عليك ولم يردوا علينا؟ فقال: «ما بالكم لم تردوا على إخواني؟». فقالوا: «إننا معاشر الصديقين والشهداء لا نكلم بعد الموت إلا نبياً أو وصياً». فقال: «يا ربيع احملينا». فحملتنا يدف

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٨٩ / ٣٣٠.

(٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٣٢ - ٢٣٤ / ٢٨٠.

بنا دفأً، ثم قال: «ياريح ضعينا» فوضعنا، فإذا نحن بالحرّة، فقال علي: «ندرك النبي صلى الله عليه وآله في آخر ركعة». فطوينا وأتينا وإذا النبي صلى الله عليه وآله يقرأ في آخر ركعة^(١): ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنْ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا﴾^(٢).

ورواه الثعلبي وزاد فيه: «فصاروا إلى رقدتهم إلى آخر الزمان عند خروج المهدي»، يقال: إن المهدي يسلم عليهم فيحييهم الله تعالى، ثم يرجعون إلى رقدتهم إلى يوم القيامة^(٣).

فانظر إلى هذه الكرامة التي هي من معاجز خواصّ الرسل، فلم تظهر قبله ولا بعده إلا على يد سليمان بن داود عليه السلام قد سخر الله له البساط والريح رخاءً بأمره كسليمان، وكلمه الموتى كما كان لعيسى بن مريم، وطويت له الأرض وشهد الموتى من الصديقين والشهداء أنه وصيّ دون من معه، وعلم بمشارك الأرض ومغارها حتى أوقفهم على الكهف. ولا يكون هذا كله إلا لمعصوم هو خليفة الله.

ومن مناقب ابن المغازلي بسنده عن كثير بن زيد قال: دخل الأعمش على المنصور وهو جالس للمظالم [فلما بصر]^(٤) به، فقال له: يا أبا سليمان تصدّر. فقال: أنا صدر حيث جلست. ثم قال: حدّثني الصادق قال: «حدّثني الباقر قال: حدّثني السجّاد قال: حدّثني الشهيد قال: حدّثني التقي - وهو الوصي أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - قال: حدّثني النبي صلى الله عليه وآله قال: أتاني جبرائيل عليه السلام

(١) لعله (آخر ركعة) يعني به: آخر ركعة من الأوليين وإلا آخر ركعة ليس فيها قراءة.

(ع ط). هامش المخطوط (٢) الكهف: ٩.

(٣) تفسير الثعلبي ٦: ١٥٧، تفسير القرطبي ١٠: ٣٩٠، عنه.

(٤) من المصدر، وفي المخطوط: فلم يبصر.

أنفأ فقال: تختّموا بالعقيق؛ فإنه أول حجر شهد الله بالوحدانية، ولي بالنبوة ولعلي بالوصية ولولده بالإمامة، ولشيعة بالجنة»^(١) الحديث.

فانظر إلى صراحته في شهادة جميع الأشياء لعليّ وولده بالإمامة؛ فإنه إذا شهد الحجر بذلك فغيره من الخلق بطريق أولي؛ إذ لا أنزل فيها من رتبة الحجريّة ولا أبعد من رتبة الشعور والعلم، ولا أجمد منها^(٢)، ولكنه كل مخلوق يعلم خالقه بقدر طاقته وقابليته، وله قسط من الرحمة العامة أو الخاصّة. وعلمه بخالقه يستلزم علمه بذلك؛ فإنه ركن التوحيد؛ لأنّ وحدانيّته تقضي أن يكون له نائب عام هو دليل الخلق عليه وبابهم إليه، وبيان هذا مما يطول.

وروى أيضاً بسنده عن عبدالله بن مسعود قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله عن علي، فقال: «قسمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطي عليّ تسعة أجزاء، والناس جزءاً واحداً»^(٣).

فانظر إلى صراحة هذا الخبر في أن علياً - سلام الله عليه - أعلم من أولي العزم من الرسل فضلاً عن غيرهم؛ فإنهم داخلون في الناس، وقسط جميع الناس من العلم بالله وآياته وأفعاله عشر ما هو قسط علي عليه السلام من ذلك. وهذا لا ريب فيه بعد العلم بأنّه نفس الرسول وهو منه كالرأس من الجسد وكالعضد من الذراع إلى غير ذلك من خواصّه التي أناف بها العالمين.

وأخرج بسنده عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: سئل النبي صلى الله عليه وآله

(١) مناقب علي بن أبي طالب ٢٨١ / ٣٢٦.

(٢) كذا في المخطوط، والصحيح مجيئها بعد قوله: من رتبة الحجريّة.

(٣) مناقب علي بن أبي طالب: ٢٨٦ - ٢٨٧ / ٣٢٨.

عن الكلمات التي تلقاها آدم من ربه فتاب عليه قال: «سأله: بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين إلا ما تبت علي، فتاب عليه»^(١).

ورواه السيوطي عن ابن النجار عن ابن عباس^(٢)، وأخرج عن الديلمي في خبر طويل أن جبرائيل عليه السلام قال له: «عليك بهذه الكلمات، فإن الله قابل توبتك وغافر ذنبك، قل: اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد سبحانه لا إله إلا أنت عملتُ سوءاً وظلمت نفسي، فاغفر لي إنك أنت الغفور الرحيم. اللهم إني أسألك بحق محمد وآل محمد لا إله إلا أنت عملتُ سوءاً وظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم»^(٣).
فهؤلاء الكلمات التي تلقى آدم من ربه فتاب عليه.

فمن كانوا وسيلة صفوة الله آدم أبي البشر والعنصر الأكبر خليفة الله في أرضه، الذي تعبد الله ملائكته بالسجود إليه وعلمه الأسماء كلها دون غيرهم من جميع الخلق حتى الملائكة المقربين، كان أشرف الخلق أجمع حتى من أولي العزم وكبار الملائكة، وإلا لما أمره الله على لسان جبرائيل عليه السلام بالتوسل بهم ليدلّه وجميع الخلق على أنهم - صلوات الله عليهم - أقرب الخلق إليه وأكرمهم عليه، فهم وسيلة جميع الخلق إلى الله ورؤسائهم وأئمتهم في كلّ شيء وعلى كل حال، وهداتهم إلى كل كمال؛ فهم معصومون بالضرورة.

تنبيه:

في هذا الخبر وأمثاله دلالة صريحة على بطلان منّ من منّ من التوسل إلى الله بأعظم الخلق الذين هم نواب الله من الأنبياء والأولياء

(١) مناقب علي بن أبي طالب: ٦٣ / ٨٩. (٢) الدر المنثور ١: ١١٩.

(٣) المصدر نفسه.

والملائكة، فلا تغفل.

وروى ابن المغازلي بسنده إلى ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «أتاني جبرائيل عليه السلام بدرنوك من الجنة فجلست عليه، فلما صرت بين يدي ربي كلمني وناجاني، فما علمت شيئاً إلا علمته علياً؛ فهو باب مدينة علمي» ثم [دعاه] (١) وقال: «يا علي سلمك سلمي وحريك حربي، وأنت العلم فيما بيني وبين أمتي بعدي» (٢).

فهذا من النص الصريح على أنه أشرف الخلق طراً بعده، وعلى أنه الخليفة والحجة على أئمة بعده، وعلى أنه طاعته طاعة الرسول التي هي طاعة الله حقيقة. كيف، وقد علمه كل علم علمه الله آياه؟ وهذا باب لا يحتمل الخلق بعض بيانه؛ ولذا قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ (٣) فأجمل؛ لعدم طاقة الخلق بيانه. وفيما سبق لهذا مزيد بيان (٤).

وبالجملة، فهذا بحرٌ ليس له ساحل، ومن رام حصر الدلائل على عصمة علي وإمامته فهو متكلف بطلب المحال، ولكن لكل من حجة الله البالغة على عباده نصيبٌ يكفيه في الهداية إن أخذ به، وتقوم به عليه الحجة إن أعرض عنه.

فإذا ثبت أن علياً - سلام الله عليه - هو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله والحجة على جميع الخلق، وأنه مؤيد من الله عز وجل بالعصمة؛ فلا ينطق عن الهوى، ثبت أصل المذهب للقائلين بإمامة الاثني عشر من أهل البيت - صلوات الله عليهم أجمعين - وعصمتهم؛ فيثبت بذلك موضوع الدعوى المبحوث عنه وهو أن إمام الزمان هو الحجة بن الحسن العسكري - عجل

(١) من المصدر، وفي المخطوط: دعا. (٢) مناقب علي بن أبي طالب: ٥٠ / ٧٣.

(٤) انظر الصفحة ٢٧٦.

(٣) النجم: ١٠.

الله فرجه - لأنه إجماع من أهل المذهب، ورواياتهم به متواترة المضمون عن الرسول صلى الله عليه وسلم وعن كل واحدٍ من أئمة أهل بيته، ويسقط دعوى من أنكر ذلك، ويلحق قوله بالشاذ النادر الذي لم يقم عليه برهان من الكتاب ولا من السنة ولا من الإجماع ولا من العقل المقبول عند العقلاء بوجه. وجميع ما ذكرناه من الأخبار في شأن علي وفاطمة وابنيهما ذكره ابن الصباغ في (الفصول) بعدة طرق عن مشاهير العلماء من حديث المنزلة والمؤاخاة وغيرهما فتدبر؛ لتثبت استفاضة الأدلة.

[في إمامة الحسنين ﷺ]

وأما ما يدلّ على إمامة الحسنين ابني علي - صلى الله عليهم أجمعين -
فكثيرة جداً، وقد سبق جملة كافية في المطلوب منها فتدبره.
ومنها ما رواه البخاري في صحيحه عن أبي بكره قال: سمعت النبي ﷺ
على المنبر والحسن إلى جنبه، ينظر إلى الناس مرّة وإلى الحسن مرّة
ويقول: «ابني هذا سيّد»^(١).

فالإطلاق يجب حمله على أكمل الأفراد، فسيادته إذن كاملة شاملة
لأمور الدين والدنيا، فهي تامّة عامّة كاملة شاملة، فهو معصوم البتّة وإلا
لنقصت، وهي كاملة، هذا خلف.

ومنه عن ابن عمر أن رسول الله ﷺ قال في الحسن والحسين: أنهما
«ريحانتي من الدنيا»^(٢).

أفيكون شيء في الدنيا أطيب ذاتاً وصفةً وخلقاً وخلقاً من ريحانة
الرسول الذي هو ينبوع الحكمة الإلهية؟ وهذا يستلزم أنهما إمامان
معصومان إمامة كاملة عامّة؛ فإن المعصوم أطيب من كل وجه من غيره،
وريحانته ﷺ لا شيء أطيب منها؛ فهما لا أطيب منهما، فهما كذلك.

(١) صحيح البخاري ٣: ١٣٦٩ / ٣٥٣٦. (٢) صحيح البخاري ٣: ١٣٧١ / ٣٥٤٢.

وقد أخرج هذا الحميدي في (الجمع بين الصحيحين) من أفراد البخاري بعدة طرق ^(١) ومن تفسير الثعلبي بسنده عن سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ﴾ - الآية - قال: «فاطمة وعلي»، ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ﴾ ^(٢) قال: «الحسن والحسين».

قال الثعلبي: (وروي هذا القول أيضاً عن سعيد بن جبير وقال: ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ﴾: محمد صلى الله عليه وآله) ^(٣).

أقول: هذا معناه أنهما بحر العلم والحكمة الدينيّة والدينيّة، والسياسيتين العلميّة والعملية، والرئاستين الدنيوية والآخروية، وهما لا يصدران إلا عن محمد صلى الله عليه وآله في كل حال وبكل اعتبار، وهو لا ينطق عن الهوى.

فإذن هو ذائد وحاجز عن كلّ ضلال وهاذٍ إلى كل حق ورشاد، فمن دار مدار أمره ونهيه في كل حال وعلمه علمه وحكمته لا يزيغ عن الحق بوجه ولا حال. فلهذا شُبه بالبرزخ الحاجز للشيء عن مخالطة الأغيار، ونتيجة هذا البحر العذب الزلال ياقوت العصمة والإمامة الكاملة ومرجانها؛ فهما ياقوت النبوة والإمامة ومرجانها، فهما معصومان إمامان

(١) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٠١ / ٨١٥ - ٨١٦، وفيهما: حديث (ريحانثاي)، وهناك طريقان آخران هما الحديث: ٨١٣، ٨١٧ - في شبه الحسن عليه السلام بالرسول صلى الله عليه وآله. انظر: شواهد التنزيل ٢: ٢٨٤ / ٩١٨، و ٢٨٥ / ٩١٩، و ٢٨٦ / ٩٢٠، و ٢٨٧ / ٩٢١، الخ، بلفظ «.. علي وفاطمة...»، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٦: ١٤٢ - ١٤٣، عن ابن مردويه عن ابن عباس وأنس بن مالك، تفسير الآلوسي ٢٧: ١٠٧، عنه، مناقب علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ٣٢٨ / ٥٤٧ - ٥٤٨، بلفظ «.. علي وفاطمة...».

(٢) الرحمن: ١٩ - ٢٢.

(٣) تفسير الثعلبي ٩: ١٨٢.

وارثان لرئاسة أبيهما وجدّهما.

ومن (الجمع بين الصحاح الستة) لرزين من (صحيح أبي داود) و(صحيح الترمذي)^(١) عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(٢).

وهذا المضمون مستفيض جداً، وهو صريح في إمامتهما وعصمتهما؛ فإنّ شباب أهل الجنة فيهم الأنبياء والأئمة وأسباط الأنبياء والأولياء، فساداتهم أولى بالعصمة والإمامة منهم البتّة.

ومنها ما رواه البغوي في (المصابيح) بسنده عن معلّى بن قرّة قال: قال رسول الله ﷺ: «حسين مني وأنا من حسين»^(٣).

وهذا مستفيض أيضاً، وهو صريح في عصمته وإمامته. فمن كان منه رسول الله ﷺ - أي خلقاً معاً من أصل واحد ونورٍ واحد وطينةٍ واحدة - لا

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٦ / ٣٧٦٨.

(٢) عنه في عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٠٢ / ٨٢٠، مسند أحمد (ط دار صادر) ٣: ٣، و ٦٢، ٦٤، سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣٢١ / ٣٨٥٦، فضائل الصحابة (النسائي): ٢٠، المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٦٦، المصنف (الكوفي) ٧: ٥١٢ / ٣، بغية الباحث: ٢٩٧ / ٩٩٣، السنن الكبرى (النسائي) ٥: ٤٩ / ٨١٦٩، و ١٤٥ / ٨٥١٤، المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٢: ٣٤٨، ٦: ١٠، المعجم الكبير ٣: ٢٨ / ٢٦١١ و ٣٩ / ٢٦١٣ - ٢٦١٤، الخ.

(٣) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٤: ١٧٢، سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣٢٤ / ٣٨٦٤، المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ٧٧، المصنف (الكوفي) ٧: ٥١٥ / ٢٢، الأدب المفرد: ٨٥ / ٣٦٩، صحيح ابن حبان ١٥: ٤٢٧، المعجم الكبير ٣: ٣٢ / ٢٥٨٦، و ٣٣ / ٢٥٨٩، ٢٢: ٢٧٣، الخ، وفي بعضها (يعلى العامري) و (يعلى بن مرة) بدل (يعلى بن قرّة).

يكون إلا معصوماً، وهو الإمام بالحق؛ فإنَّ رسول الله ﷺ خلق من نور الله كما تقدّم، فلاحظ.

وحديث بكاء السماوات والأرض والجن والملائكة والأنبياء والأولياء والطير وسائر الخلق على الحسين ^(١) - سلام الله عليه - من أوضح الأدلة على عصمته، وهو أشهر من أن يذكر. ولنا رسالة مفردة فيها ذكر بعض طرق هذا المضمون، فمن وجدها كفته.

قال محمد بن أبي طلحة الشامي في (مطالب السؤل) في الفصل الذي عقده فيما ورد عن رسول الله ﷺ في فضل الحسن بن علي: (منها ما اتفقت الصحاح على إيراده، وتطابقت على صحة أسناده ما رواه الحسن بن أبي الحسن البصري قال: سمعت أبا بكره - وهو نفع بن أبي الحارث الثقفي - يقول: رأيت رسول الله ﷺ والحسن بن علي إلى جنبه وهو يقبل على الناس مرة وعليه مرة، ويقول: «إن ابني هذا سيد» - الحديث - وقد مرّ التقريب فيه.

ومنها ما رواه أبو نعيم في حليته بسنده عن أبي بكره أن رسول الله ﷺ قال في شأن الحسن: «إن هذا ريحانتي، وإن ابني هذا سيد» - الحديث - وهو مختصر.

ومنها ما أخرجه الترمذي في صحيحه بسنده عن أنس قال: سُئل

(١) المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٤٤، المعجم الكبير ٣: ١١٣ / ٢٨٣٤، و ١١٩ / ٢٨٥٦، مجمع الزوائد ٩: ١٩٦، نظم درر السمطين: ١٤٩، تاريخ مدينة دمشق ١٤: ٢٢٩، و ٢٣٠، تهذيب الكمال ٦: ٤٣٤، تهذيب التهذيب ٢: ٣٠٥، تاريخ الإسلام ٥: ١٦، إمتاع الأسماع ٢: ٢٤١.

رسول الله ﷺ: أيّ أهل بيتك أحب إليك؟ قال: «الحسن والحسين». وكان يقول لفاطمة: «ادعي لي ابني» فيشمهما ويضمّهما^(١). والتقريب ما مرّ. وأخرج الترمذي في صحيحه حديث: «إن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة»^(٢).

وأخرج فيه حديث: «حسينٌ مني وأنا من حسين»^(٣). وأخرج الترمذي^(٤) أيضاً والبخاري^(٥) في صحيحهما حديث: «هما ریحانتي من الدنيا»^(٦).

وروى ابن حجر في صواعقه عن ابن سعد في كتابه عن علي: «أخبرني رسول الله ﷺ أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين. قلت: يارسول الله فمحبّونا؟ قال: من ورائكم»^(٧).

فهذه أولية حقيقية تقتضي سبقهم على جميع الخلق حتى المرسلين بعد محمد ﷺ؛ فإنه سابق السابقين إلى كل مكرمة وكمال بالبرهان المتضاعف عقلاً ونقلًا، وهذا يقتضي أنهم أئمة الخلق وساداتهم بعد سيّدهم محمد ﷺ.

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٧-٦٥٨ / ٣٧٧٢.

(٢) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٦ / ٣٧٦٨. (٣) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٨ / ٣٧٧٥.

(٤) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٧ / ٣٧٧٥.

(٥) صحيح البخاري ٣: ١٣٧١ / ٣٥٤٣، ولم يرد في المصدر في هذا الموضع.

(٦) مطالب السؤل ٢: ١١-١٤.

(٧) ذخائر العقبى: ١٢٣، المستدرك على الصحيحين (تحقيق المرعشي) ٣: ١٥١،

تخريج الأحاديث والآثار ٣: ٣٣٥، مجمع الزوائد ٩: ١٧٤، كنز العمال ١٢: ٩٨ /

٣٤١٦٦، ١٣: ٦٣٩ / ٣٧٦١٤، تفسير الثعلبي ٨: ٣١١، تفسير القرطبي ١٦: ٢٢،

تاريخ مدينة دمشق ١٤: ١٦٩، سبل الهدى والرشاد ١١: ٧، ينابيع المودة ٢: ٣٥٥ /

١٥، ٤٥١ / ٢٥٠.

وهو يستلزم عصمتهم أيضاً؛ إذ لا يسبق المعصوم إلى كمال وشرف؛ إلا معصوم أشرف.

ومثله ^(١) ما أخرجه ابن حجر أيضاً عن علي عليه السلام: «شكوت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله حسد الناس» فقال لي: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت والحسن والحسين» ^(٢).

ولا ينافيه إهمال ذكر فاطمة فيه؛ فإنه أراد رابع أربعة من الرجال. ومثله ما أخرجه ابن حجر أيضاً عن البزار والطبراني ^(٣) أنه صلى الله عليه وآله قال لعلي: «أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين» ^(٤) الحديث. وأخرج أيضاً ^(٥) ابن حجر عن أحمد ^(٦) وعن الطبراني ^(٧) وعن ابن أبي حاتم ^(٨) وعن الحاكم ^(٩) كلاً منهم بسنده عن ابن عباس أنه لما نزلت: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ ^(١٠) قالوا: يا رسول الله من قرابتك

- (١) تخريج الأحاديث والآثار ٣: ٣٣٥ / ١١٤٤، الكشاف ٣: ٤٦٧، تفسير الشعبي ٨: ٣١١، تفسير القرطبي ٦: ٢٢، سبل الهدى والرشاد ١١: ٧، ينابيع المودة ٢: ٣٥٤ / ١٣، و ٤٥١ / ٢٤٨.
- (٢) الصواعق المحرقة: ١٧٠.
- (٣) المعجم الكبير ١: ٣١٩ / ٩٥٠، ٣: ٤١ / ٢٦٢٤، عنه ميزان الاعتدال ٣: ٦٣٥.
- (٤) الصواعق المحرقة: ٢٣٥.
- (٥) شواهد التنزيل ٢: ١٩٣ / ٨٢٧، الكشاف ٣: ٤٦٧، تفسير النسفي ٤: ١٠١، تفسير الرازي ٢٧: ١٦٦، تفسير البيضاوي ٥: ١٢٨، تفسير البحر المحيط ٧: ٤٩٤، تفسير أبي السعود ٨: ٣٠، تنبيه الغافلين: ١٥٢، مطالب السؤل: ٤٢، فضل آل البيت: ١٢٧.
- (٦) عنه (في المناقب): ذخائر العقبى: ٢٥، ينابيع المودة ٢: ١٢٠ / ٣٥٠.
- (٧) المعجم الكبير ٣: ٤٧ / ٢٦٤١، ١١: ٣٥١، مجمع الزوائد ١١: ٣٥١.
- (٨) عنه في الدر المنثور ٥: ٧٠١.
- (٩) المستدرک علی الصحیحین ٢: ٤٨٢ / ٣٦٦٠.
- (١٠) الشورى: ٢٣.

الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناهما»^(١).
وأخرج أيضاً عن البزار والطبراني^(٢) عن الحسن بن علي أنه قال: «أنا
من أهل [البيت]^(٣) الذين افترض الله عز وجل مودتهم فقال: فيما أنزل على محمد صلى الله عليه وآله:
﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾ ﴿ وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ
فِيهَا حُسْنًا ﴾^(٤) واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت»^(٥).
وهذا الأثر مستفيض كما يظهر بالتدبر.

وأخرج هو عن الطبراني - كما هو مستفيض أيضاً - عن زين العابدين
أنه قال: إنه «من أهل البيت الذين قال الله فيهم: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ ﴾»^(٦) الآية.
وأخرج عن أحمد^(٧) أيضاً عن ابن عباس أنه لما نزلت هذه الآية قالوا:
يا رسول الله من قرابتك^(٨)؟ الحديث كما مر.
وأخرجه الطبراني في (الكبير) بسنده عن ابن عباس^(٩) وقال ابن حجر
أيضاً: أخرج أبو الشيخ من جملة حديث طويل أنه صلى الله عليه وآله قال: «يا أيها الناس...
إن الفضل والشرف والمنزلة والولاية لرسول الله صلى الله عليه وآله ولذريته، فلا تذهبن بكم
الأباطيل»^(١٠).

-
- (١) الصواعق المحرقة: ١٧٠. (٢) المعجم الأوسط ٣: ٨٧-٨٨ / ٢١٧٦.
(٣) من المصدر، وفي المخطوط: بيت. (٤) الشورى: ٢٣.
(٥) الصواعق المحرقة: ١٧٠، أيضاً: المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣:
١٧٢، مجمع الزوائد ٩: ١٤٦. (٦) الصواعق المحرقة: ١٧٠.
(٧) عنه عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٧ / ٣٤.
(٨) الصواعق المحرقة: ١٧٠. (٩) المعجم الكبير ١١: ٣٥١.
(١٠) عنه مناقب أهل البيت: ١٧٧، أخرجه الكوفي بسنده عن ربيعة السعدي، مناقب
الإمام أمير المؤمنين ٢: ٤٢٠ / ٩٠٤.

وما أصرحه في إمامة السبطين، وأنّ ذريتهما هم الأئمة الباقيين كما شهدت به الآية والآثار والأخبار! فهما من ذرية إبراهيم، صلى الله عليهم أجمعين.

وأخرج عن الترمذي ^(١) حديث: «فاطمة سيدة نساء أهل الجنة، والحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» وقد مرّ.

وقال ابن حجر أيضاً: أخرج أحمد ^(٢) والترمذي ^(٣) عن أبي سعيد، والطبراني عن عمر ^(٤) وعن علي ^(٥) وعن جابر ^(٦) وعن أبي هريرة ^(٧) وعن أسامة بن زيد ^(٨) وعن البراء ^(٩) وعن عدي ^(١٠) وعن ابن مسعود ^(١١) أنّ النبي صلى الله عليه وآله قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» ^(١٢). وأخرجه الطبراني عنه بعدّة طرق.

وأخرج ابن عساكر عن علي ^(١٣) وعن ابن عمر ^(١٤) وابن ماجّة ^(١٥) والحاكم ^(١٦) عن ابن عمر، والطبراني عن قرّة ^(١٧) وعن مالك بن

(١) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٠ - ٦٦١ / ٣٧٨١.

(٢) مسند أحمد بن حنبل ٣: ٣٦٩ / ١٠٦١٦.

(٣) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٦ / ٣٧٦٨. (٤) المعجم الكبير ٣: ٣٥ / ٢٥٩٨.

(٥) المعجم الكبير ٣: ٣٦ / ٢٦٠١. (٦) المعجم الكبير ٣: ٣٩ / ٢٦١٦.

(٧) المعجم الكبير ٣: ٣٧ / ٢٦٠٥. (٨) المعجم الكبير ٣: ٣٩ - ٤٠ / ٢٦١٨.

(٩) المعجم الأوسط ٥: ١٦٩ / ٤٣٢٩. (١٠) المعجم الكبير ٣: ٣٧ / ٢٦٠٦.

(١١) المستدرک علی الصحیحین (تحقیق المرعشلی) ٣: ١٦٦.

(١٢) الصواعق المحرقة: ١٩١. (١٣) تاریخ مدينة دمشق ١٣: ٢٠٩.

(١٤) المصدر نفسه. (١٥) سنن ابن ماجّة ١: ٤٤ / ١١٨.

(١٦) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٨٢ / ٤٧٨٠.

(١٧) المعجم الكبير ٣: ٣٩ / ٢٦١٧.

الحويرث^(١) والحاكم عن ابن مسعود^(٢) أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «ابناني هذان - الحسن والحسين - سيّدا شباب أهل الجنة في الجنة، وأبوهما خير منهما». وأخرج أحمد^(٣) والترمذي^(٤) والنسائي^(٥) وابن حبان^(٦) عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن ملكاً سلّم عليّ وبشّرني أن الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأن فاطمة سيّدة نساء أهل الجنة».

وأخرج الترمذي عن ابن عمرو أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الحسن والحسين ريحانتي في الدنيا»^(٧).

وأخرج ابن عساكر^(٨) وابن عدي عن أبي بكره مثله. وأخرج أبو داود عن المقدم بن معدي كرب أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «هذا مني»^(٩) يعني: الحسين.

وأخرج الطبراني بسنده عن يعلي بن مرة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «حسين مني وأنا منه الحسن والحسين سلطان من الأسباط»^(١٠).

(١) المعجم الكبير ١٩: ٢٩٢ / ٦٥٠.

(٢) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٨٢ / ٤٧٧٩.

(٣) مسند أحمد بن حنبل ٦: ٥٤١ / ٥٤٢ / ٢٢٨١٨.

(٤) الجامع الصحيح ٥: ٦٦٠ - ٦٦١ / ٣٧٨١.

(٥) السنن الكبرى ٥: ٨٠ / ٨٢٩٨، فضائل الصحابة: ٥٨.

(٦) صحيح ابن حبان ٦: ٢٨٠ / ٦٩٦٩. (٧) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٧ / ٣٧٧٠.

(٨) تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٣٧.

(٩) سنن أبي داود ٢: ٢٧٥ / ٤١٣١، وفيه أنه وضع الحسن.. ثم قال: «وحسين من

علي». أيضاً: مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٤: ١٣٢، المعجم الكبير ٣: ٤٣ /

٢٦٢٨، مسند الشاميين ٢: ١٧٠ / ١١٢٦، التاريخ الصغير ١: ١٣٧، تاريخ مدينة

دمشق ٦٠: ١٨٧ - ٨٨، ٦٨: ٩٢ - ٩٣.

(١٠) المعجم الكبير ٢٢: ٢٧٣ - ٢٧٤ / ٧٠١.

وأخرج بسنده عنه أيضاً أنه عليه السلام قال: «حسينٌ مني وأنا من حسين، حسين سبط من الأسباط»^(١).

وأخرج البخاري وأبو يعلى^(٢) وابن حبان^(٣) والطبراني^(٤) والحاكم^(٥) عن أبي سعيد قوله عليه السلام: «الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة وفاطمة سيدة نساء أهل الجنة» وفيه زيادات.

وأخرج أحمد^(٦) وابن عساكر^(٧) عن المقدم بن معدي كرب أنه عليه السلام قال: «الحسن مني».

وأخرج الطبراني عن عقبة بن عامر أن النبي عليه السلام قال: «الحسن والحسين سيفا أهل العرش، وليسا معلقين»^(٨).

ومعناه أن قوّة أهل العرش بهما ومنهما، وهما الواسطة في استفاضتهم الكمال والقوّة من الله، وبكمالهما وقوّتهما المفاضة عليهم منهما يفيضون على من دونهم. وتلك الاستفاضة والإفاضة دائمتان لا تنقطعان أبداً؛ ولذا قال عليه السلام: «غير معلقين» أي لا يقف انتفاع أهل العرش بهما أبداً بل هو دائم غير معطل ولا محجوب بحال، فما أبلغه من تشبيهه!

(١) المعجم الكبير ٢٢: ٢٧٤ / ٧٠٢.

(٢) مسند أبي يعلى الموصلي ١: ٤٩٤ - ٤٩٥ / ١١٦٤.

(٣) صحيح ابن حبان ٦: ٢٨٠ / ٦٩٦٨، وليس فيه: وفاطمة....

(٤) المعجم الكبير ٣: ٣٨ / ٢٦١١، وليس فيه: وفاطمة....

(٥) المستدرک علی الصحیحین ٣: ١٨٢ / ٤٧٧٨، وليس فيه: وفاطمة....

(٦) مسند أحمد بن حنبل ٥: ١١٨ / ١٦٧٣٨، وفيه: «هذا مني». بعد أن أشار عليه السلام

إليه عليه السلام. (٧) تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢١٩.

(٨) المعجم الأوسط ١: ٢٢٥ / ٣٣٩.

وأخرج أحمد^(١) والبخاري^(٢) وأبو داود^(٣) والترمذي^(٤) والنسائي^(٥) والطبراني في (الكبير)^(٦) بطرق عن أبي بكر وأبي هريرة: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن ابني هذا سيّد» يعني: الحسن.

وأخرج البخاري في (الأدب المفرد)^(٧) والترمذي^(٨) وابن ماجة^(٩) عن يعلي بن مرّة: أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «حسين مني وأنا منه» الحديث. وأخرج الترمذي عن أنس أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «أحب أهل بيتي إليّ الحسن والحسين»^(١٠).

وأخرج أبو يعلى عن جابر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «من سره أن ينظر إلى سيّد شباب أهل الجنة فلينظر إلى الحسن»^(١١).

وأخرج ابن سعد عن عمران بن سليمان قال: الحسن والحسين اسمان من أسماء أهل الجنة ما سمّت العرب بهما في الجاهلية^(١٢).

-
- (١) مسند أحمد بن حنبل:؟؟؟. (٢) صحيح البخاري ٣: ١٣٦٩ / ٣٥٣٦.
(٣) سنن أبي داود ٤: ٢١٦ / ٤٦٦٢. (٤) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٨ / ٣٧٧٣.
(٥) سنن النسائي ٣: ١١٨ - ١١٩ / ١٤٠٩.
(٦) المعجم الكبير ٣: ٣٣ / ٢٥٩٠، ٣٥ / ٢٥٩٦.
(٧) الأدب المفرد: ٨٥ / ٣٦٩، وفيه «.. من حسين، أحب الله من أحب حسيناً، الحسين سبط من الأسباط».
(٨) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٨ / ٣٧٧٥.
(٩) سنن ابن ماجة ١: ٥١ / ١٤٤.
(١٠) الجامع الصحيح ٥: ٦٥٧ - ٦٥٨ / ٣٧٧٢.
(١١) عنه رواية ابن حجر في موارد الظمان ٧: ١٩٣ / ٢٢٣٧، وانظر: كنز العمال ١٢: ١١٦ / ٣٤٢٦٨، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ٢٠٩.
(١٢) انظر: الذرية الطاهرة النبوية: ١٠٠ / ٩٢، عنه ذخائر العقبى: ١١٩، تاريخ مدينة دمشق ١٣: ١٧١، سبل الهدى والرشاد ١١: ٥٦.

وتقل السيوطي في (قلائد الجمان) عن العسكري في كتاب (التصنيف) أنه قال: (وهذان الاسمان - يعني: الحسن والحسين - خباهما الله لنبيه صلى الله عليه وآله حتى سمى بهما ابنيه هذين. أمّا ما وجد في قبائل طيى من الحسن والحسين، فالأول منهما بفتح الحاء وسكون السين، والثاني بفتح الحاء وكسر السين) انتهى.

وأخرج الطبراني ^(١) عن عمر أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» وأخرجه أيضاً عن علي ^(٢) بطرق كثيرة. وأخرج بطرق عديدة عن أبي هريرة وعن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله قال: «إن ملكاً من السماء لم يكن زارني فاستأذن الله عزّ وجلّ في زيارتي، فبشرني أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة» ^(٣).

وأخرج عن حذيفة أن النبي صلى الله عليه وآله قال - بعد أن رأينا السرور في وجهه -: «بشرني جبرائيل أنّ الحسن والحسين سيّدا شباب أهل الجنة، وأبوها أفضل منهما» ^(٤).

(١) المعجم الكبير ٣: ٣٥ / ٢٥٩٨..

(٢) المعجم الكبير ٣: ٣٥ / ٢٥٩٩، و ٣٦ / ٢٦٠١.

(٣) المعجم الكبير ٣: ٣٧ / ٢٦٠٦ - ٢٦٠٧، انظر أيضاً: مسند أحمد (دار صادر) ٥:

٣٩١، سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٥: ٣٢٦ / ٣٨٧٠، فضائل الصحابة (النسائي): ٥٨،

المستدرك على الصحيحين (تحقيق المرعشي) ٣: ١٥١، المصنف (الكوفي) ٧: ٥٢٧

/ ٣، الآحاد والمثاني ٥: ٦٦ / ٢٩٦٦، سنن النسائي الكبرى ٥: ٨٠ / ٨٢٩٨، عن

حذيفة، مجمع الزوائد ٩: ١٨٣، سنن النسائي الكبرى ٥: ١٤٦ / ٨٥١٥، خصائص

أمير المؤمنين: ١١٨، المعجم الكبير ٢٢: ٤٠٣، عن أبي هريرة.

(٤) المعجم الكبير ٣: ٣٧ - ٣٨ / ٢٦٠٨.

وأخرج بسنده عن علي أن النبي ﷺ قال: «إني وهذين - يعني الحسنين - وهذا الراقد - يعني علياً - يوم القيامة في مكان واحد»^(١).
وهذه إشارة إلى أنهم القائمون مقامه؛ فإنه أراد بالمكان الرتبة والدرجة وإن كانت متفاوتة مع كونها جزئية؛ فإنها نوعية باعتبار جزئية باعتبار وبالجملة، ففضائلها لا تحصى، وفيما مرّ كفاية لطالب الحق ومجانب العصبية والتقليد، فهما كما اشتهر عنه ﷺ أنه قال: «ابناني هذان إمامان قاما أو قعدا» رواه الفريقان^(٢).

وجميع ما ذكرناه في شأن السبطين ذكره ابن الصباغ في فصوله - وزاد في مناقبهما وحكهما وعلومهما ومكارمهما شيئاً كثيراً - لا يشك الناظر فيه في عصمتها لا تسع الرسالة نقله - كغيره من الحفاظ.

(١) المعجم الكبير ٣: ٤٠ - ٤١ / ٢٦٢٢. (٢) انظر بحار الأنوار ٤٣: ٢٧٨ / ٤٨.

[في إمامة السجاد عليه السلام]

وأما زين العابدين - سلام الله عليه وعلى آبائه وأبنائه الكرام على الله - فقال ابن الأثير في جامعه: (عليّ بن الحسين بن علي بن أبي طالب المعروف بزين العابدين. من أكابر سادات أهل البيت ومن أجلة التابعين وأعلامهم. قال الزهري: ما رأيت قرشياً أفضل من علي بن الحسين)^(١) انتهى ملخصاً.

وهذا عن الزهري مستفيض، نقله العصامي^(٢) وغيره^(٣). وقال ابن خلكان: (ليس للحسين عقب إلا من ولده زين العابدين، وهو أحد الأئمة الاثني عشر، وهو من سادات التابعين. قال الزهري: (ما رأيت قرشياً أفضل منه). وفصائل زين العابدين ومناقبه لا تحصى)^(٤) انتهى ملخصاً.

وقال اليافعي الشافعي في (روض الرياحين): (وروي أنّ زين العابدين عليه السلام كان يصلّي في كلّ يوم وليلة ألف ركعة)^(٥).

(١) تنمّة جامع الأصول ٢: ٧١٠.

(٢) سمط النجوم العوالي ٤: ١٣٤، وقد أثبت لقبه على كتابه بلفظ: العاصمي.

(٣) حلية الأولياء ٣: ١٤١، صفة الصفوة ٢: ٤٥١.

(٤) وفيات الأعيان ٣: ٢٦٦ / ٤٢٢. (٥) سمط النجوم العوالي ٤: ١٣٤.

وقال الشافعي في رسالته التي عملها في العمل بالخبر الواحد: (وجدت علي بن الحسين - وهو أفقه أهل زمانه - يعمل بخبر الواحد). ونقل العصامي عن محمد بن سعد أنه قال: (كان زين العابدين ثقة مأموناً، كثير الحديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله، عالماً لم يكن من أهل بيته مثله) (١).

قلت: إذا كان أعلم أهل بيته فهو أعلم الخلق؛ لما مرّ من الأخبار أنهم أعلم الخلق.

وقال ابن حجر في صواعقه: (زين العابدين. هو الذي خلف أباه علماً وزهداً وعبادةً، فكان إذا توضأ للصلاة اصفرّ لونه، فقيل له في ذلك؛ فقال: «ألا تدرّون بين يدي من أف؟».

وحكي أنه كان يصلي في اليوم واللييلة ألف ركعة).

قلت: كونه يصلي ألف ركعة في اليوم واللييلة مستفيض جداً كما ظهر لمن نظر كتب العلماء، وممن رواه العصامي (٢).

(وحكى ابن حمدون عن الزهري أن عبد الملك حمله مقيداً من المدينة بأثقله من حديد ووكل به حفظة، فدخل عليه الزهري لوداعه، فبكى وقال: وددت أنني مكانك. فقال: «أتظن أن ذلك يكرمني؟ لو شئت لما كان، وإنه ليذكرني عذاب الله تعالى». ثم أخرج رجله من القيد ويديه من الغل ثم قال: «لا جزت معهم على هذا يومين من المدينة». فما مضى يومان إلا فقدوه عند طلوع الفجر وهم يرصدونه، فطلبوه فلم يجدوه.

(١) عن ابن سعد شرح إحقاق الحق ٢٨: ١٩٤.

(٢) سمط النجوم العوالي ٤: ١٣٤.

قال الزهري: فقدمت عليّ عبد الملك، فسألني عنه فأخبرته، فقال: قد جاءني يوم فقدته الأعوان فدخل عليّ فقال: «ما أنا وأنت؟». فقلت: أقم عندي. فقال: «لا أحب». ثم خرج فوالله لقد امتلأ قلبي منه خيفةً. ومن ثم كتب عبد الملك إلى الحجاج أن يتجنّب دماء بني عبد المطلب، وأمره أن يكتب ذلك، فكوشف به زين العابدين فكتب إليه: «إنك كتبت للحجاج يوم كذا سزاً في حقن دماء بني عبد المطلب بكذا وكذا وقد شكر الله لك ذلك». وأرسل به إليه، فلما وصل إليه وجد تاريخه موافقاً لتاريخ كتابه للحجاج، ووجد مخرج الغلام موافقاً لمخرج رسوله، فعلم أنّ زين العابدين كوشف بأمره، فسّر به وأرسل إليه مع غلامه بوقر راحلته دراهم وكسوة، وسأله ألا يخليه من صالح دعائه^(١) انتهى. وجلّ ما ذكره ذكره العصامي وزاد عليه.

وقال محمد بن أبي طلحة الشامي في (مطالب السؤل): (علي بن الحسين زين العابدين وقدوة الزاهدين وسيّد المتقين وإمام المؤمنين، شيمته تشهد له أنه من سلالة رسول الله، وسمته يثبت مقام قربه من الله، وثفناته تسجّل بكثرة صلواته وتهجّده، وإعراضه عن متاع الدنيا ينطق بزهده فيها، درّت له أخلاف التقوى فتفوّقها، وأشرقت لديه أنوار التأييد فاهتدى بها، وألفته أرواد العبادة فأنس بصحبته، وحالفته وظائف الطاعة فتحلّى بحليتها، طالما اتّخذ الليل مطيّةً ركبها لقطع مفازة الساهرة وظماً الهواجر دليلاً استرشد به في مفازة المسافرة، وله من الخوارق والكرامات

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠٠، وكلام ابن حجر والذي قبله من أوّل الباب المذكور برمّته في ماروته العامّة من مناقب أهل البيت عليه السلام: ٢٥٥ - ٢٥٧.

ما شوهد بالأعين الباصرة وثبت بالآثار المتواترة وشهد له أنه من ملوك الآخرة... أشهر ألقابه: زين العابدين، وسيّد العابدين، والزكي والأمين، وذو الشفقات.

وقيل: إن سبب لقبه زين العابدين أنه كان ليلةً في محرابه قائماً في تهجد، فتمثل له الشيطان في صورة ثعبان ليشغله عن عبادته فلم يلتفت إليه، فجاء إلى إبهام رجله فالتقمه فلم يلتفت إليه، فألمه فلم يقطع صلاته، فلماً فرغ منها، وقد كشف الله له فعلم أنه شيطان، فسبّه ولعنه، وقال له: «اخساً يا ملعون». فذهب وقام إلى إتمام ورده، فسمع صوتاً ولا يرى قائله | وهو | يقول: أنت زين العابدين ثلاثاً. فظهرت هذه الكلمة واشتهرت لقباً له).

قلت: لقبه زين العابدين وسيّد العابدين والسجّاد قد أجمعت عليه الأمة كما يظهر لمن تتبّع كتب العلماء، فما من أحد ذكره إلا نصّ على ذلك. ثم قال ابن طلحة: (كان إذا توضّأ للصلاة تغيّر لونه فيقول له أهله: ما هذا الذي يعتادك عند الوضوء؟ فيقول: «أتدرون بين يدي من أريد أن أقوم؟». وإذا قام إلى الصلاة أخذته الرعدة... ووقع الحريق والنار في البيت الذي هو فيه، وكان ساجداً في صلاته، فجعلوا يقولون: يا بن رسول الله، النار! فما رفع رأسه من سجوده حتى أطفئت، فقيل له: ما الذي أهلك عنها؟ فقال: «نار الآخرة»). ثم نقل حكاية الزهري كما مرّ. ثم قال: (وقال أبو حمزة الثمالي: كنت يوماً عند علي بن الحسين، فرأيت عصفير يطفنّ حوله يصرخن^(١)؛ فقال: «يا أبا حمزة أتدري ما تقول هذه العصفير؟». قلت: لا.

(١) يصرخن من نسخة. في هامش المخطوط، وهو الموافق للمصدر، وفي المتن:

قال: «إنها تقدس ربها وتسأله قوت يومها».

وقال أبو حازم^(١): ما رأيت هاشمياً أفضل من علي بن الحسين وما رأيت أحداً أفقه منه.

وقال طاووس: رأيت علي بن الحسين ساجداً في الحجر؛ فقلت: رجل صالح من أهل بيت طيب، لأسمعن ما يقول. فأصغيت إليه فسمعتة يقول: «عبدك بفنائك مسكينك بفنائك فقيرك بفنائك». فوالله مادعوت بهنّ في كرب إلا كشف عني.

وكان يصلي في كل يوم وليلة ألف ركعة^(٢) انتهى كلام صاحب (مطالب السؤل) ملخصاً، وقد ذكر كابن حجر من فضائله شيئاً كثيراً.

وقال الإمام السهودي في (جواهر العقدين): (وأما زين العابدين علي بن الحسين وولده، فروى المدائني عن جابر بن عبدالله أنه أتى أبا جعفر محمد بن علي الباقر إلى الكتاب وهو صغير، فقال له: رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم عليك. فقيل لجابر: كيف هذا؟ فقال: كنت جالساً عند رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين في حجره وهو يداعبه، فقال: «يا جابر، يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقم سيد العابدين، فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام»^(٣).

وقال أيضاً: (قال محمد الباقر بن زين العابدين فيما رواه الحسين بن

يصح.

(١) في المصدر: الزهري، بدل: أبو حازم، ولم يرد له قوله في ترجمة السجاد عليه السلام من المصدر.

(٢) مطالب السؤل ٢: ٨٤ - ٩٥.

(٣) جواهر العقدين: ٤٤٣.

راشد عنه: «يرحم الله أخي زيدا، فإنه أتى أبي فقال: إني أريد الخروج على هذا الطاغية. فقال له: لا تفعل يا زيدا، إني أخاف أن تكون المقتول المصلوب بظهر الكوفة، أما علمت يا زيد أنه لا يخرج أحدٌ من ولد فاطمة على أحد من السلاطين قبل خروج السفيناني إلا قتل؟ فكان الأمر كما قال له أبي»^(١).

وأخرج^(٢) حكاية ابن حمدون عن الزهري قصة عبد الملك مع زين العابدين كما مر، وحكاية^(٣) ما كوشف به زين العابدين عليه السلام من مكاتبة عبد الملك للحجاج عن (الفصول المهمة)^(٤) لابن الصباغ المالكي، وأخرج^(٥) حكاية الفرزدق وما قاله من الشعر في مدح زين العابدين بعدة طرق، وهي مستفيضة جداً أخرجها صاحب (مطالب السؤل)^(٦) وصاحب (الفصول)^(٧) والعصامي^(٨) وعمامة المؤرخين^(٩) وأصحاب السير^(١٠).

وصورتها على ما في (جواهر العقدين): حجّ هشام بن عبد الملك على زمن أبيه - أو الوليد على بعض الروايات - فطاف بالبيت، فجهد أن يصل إلى الحجر فيستلمه، فلم يقدر عليه، فنُصب له منبر فجلس عليه ينظر إلى الناس ومعه أهل الشام، إذ أقبل زين العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب - من أحسن الناس وجهاً وأطيبهم أرجاً - فطاف بالبيت، وكلّما

(١) جواهر العقدين: ٤٣٨. (٢) جواهر العقدين: ٣٩١ - ٣٩٢.

(٣) جواهر العقدين: ٣٩٢. (٤) الفصول المهمة: ٢٠٤.

(٥) الفصول المهمة (ط دار الحديث) ٢: ٨٦٩.

(٦) مطالب السؤل ٢: ٩٣ - ٩٤. (٧) الفصول المهمة: ٢٠٧ - ٢٠٨.

(٨) سمط النجوم العوالي ٣: ٣٣٢ - ٣٣٣.

(٩) تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٤٠١ - ٤٠٣، البداية والنهاية ٩: ١٢٦ - ١٢٧.

(١٠) حلية الأولياء ٣: ١٣٩، تذكرة الخواص: ٣٢٩.

بلغ إلى الحجر تنحى عنه^(١) الناس حتى يستلمه، فقال رجلٌ من أهل الشام: من هذا الذي قد هابه الناس هذه الهيئة؟ فقال هشام: لا أعرفه. مخافة أن يرغب فيه أهل الشام، فقال الفرزدق - وكان حاضراً -: ولكنني أعرفه. فقال الشامي: من هو يا أبا فراس؟ فقال شعراً:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبیت يعرفه والحجر والحرم
هذا ابن خير عباد الله كلهم هذا التقي النقي الطاهر العلم

وفي (مطالب السؤل) بعد هذين البيتين بيتان لفظهما:

هذا حسين رسول الله والده أمست بنور هداة تهتدي الأمم
هذا ابن فاطمة الزهراء عترتها في جنّة الخلد مجريّ به القلم^(٢)

وذلك لأنّ الذي اعتمده صاحب (مطالب السؤل) أن أبا فراس قال هذه القصيدة في مدح الحسين بن علي بن أبي طالب - سلام الله عليهما - ويمكن الجمع بينه وبين ما اشتهر من أنه قالها في مدح علي بن الحسين أنه أنشدها على الشامي الذي سأل هشاماً عن زين العابدين عليه السلام؛ ولهذا أسقط حينئذٍ منها هذين البيتين؛ لعدم مناسبة المقام كما يستفاد من كلام محمد بن طلحة.

رجع:

إذا رأته قريش قال قائلها إلى مكارم هذا ينتهي الكرم
ينمي إلى ذروة العزّ التي قصرت عن نيلها عرب الإسلام والعجم

(١) نسخة: له. (هامش المخطوط). (٢) مطالب السؤل ٢: ٧٤.

يكاد يمسكه عرفان راحته ركنَ الحطيم إذا ما جاء يستلمُ
بكفه خيزران ريحه عبقُّ بكف أروع في عرنينه شممُ

قال الزمخشري في (الفائق): علي بن الحسين مدحه الفرزدق فقال:

في كفه جُنْهَيَّ^(١) ريحه عبقُّ من كف أروع في عرنينه شممُ

قال القتيبي: الجنهي: (الخيزران. ومعرفتي ابـ هذه الكلمة عجيبة؛ وذلك أن رجلاً من أصحاب الغريب سألتني عنه فلم أعرفه فلما أخذت من الليل مضجعي أتاني آتٍ في المنام؛ فقال لي: ألا أخبرته عن الجنهي؟ قلت: لم أعرفه. قال: هو الخيزران. فسألته شاهداً، فقال: (هدية طرفنة في طبق مجنة)^(٢) فهبت وأنا أكثر التعجب، فلم ألبث يسيراً حتى سمعت من ينشد: (في كفه جنهي) وكنت أعرفه في كفه خيزران)^(٣) انتهى.

رجع:

يغضي حياءً ويغضي من مهابته فلا يكلم إلا حين يبتسمُ
من جدّه دان فضل الأنبياء له وفضل أمته دانته له الأممُ
ينشق نور الهدى عن نور غرته كالشمس ينجاب عن إشراقها الظلمُ
مشقة من رسول الله نبعته طابت أرومته والخيم والشيمُ
هذا ابن فاطمة إن كنت جاهله بجدّه أنبياء الله قد حُتموا

(١) الجنهي - بالجيم والنون قبل الهاء المشددة ويفتح الجيم والنون - الخيزران.

القاموس المحيط ٤: ٤٠٥ - جهني! (هامش المخطوط).

(٢) طبق مجنة - بضم الجيم - أي معمول من الخيزران. (هامش المخطوط).

(٣) الفائق في غريب الحديث والأثر ١: ٢٠٨.

الله شرفه قـدرأ وعظمه
فليس قولك من هذا بضائره
كلتا يديه غيات عم نفعهما
سهل الخليفة لا تخشى بواده
حمال أثقال أقوام إذا قدحوا
ما قال لا قط إلا في تشهده
عم البرية بالإحسان وانقضت
لا يخلف الوعد ميمون نقيبته
من معشر حبهم دين وبغضهم
إن عدا أهل التقى كانوا أئمتهم
لا يستطيع مجار بعد غايتهم
هم الغيوث إذا ما أزمة أزمتم
لا ينقص العسر بسطاً من أكفهم
يُستدفع الضرّ والبلوى بحبهم
مقدم بعد ذكر الله ذكرهم
يأبى لهم أن يحلّ الذمّ ساحتهم
أيّ الخلائق ليست في رقابهم
من يعرف الله يعرف أولية ذا
وزاد محمد بن أبي طلحة الشامي في (مطالب السؤل) فيما صحّحه

(١) من نسخة في هامش المخطوط، وهو الموافق للمصدر، وفي المتن: البيض.

(٢) جواهر العقدين: ٣٩٣ - ٣٩٤، وانظر ديوان الفرزدق: ٤٥٤ - ٤٥٧.

منها:

بيوتهم من قريش يُستضاء بها في النائبات وعند الحكم إن حكموا
فجدّه من قريش من أرومتها محمد وعلي بعده علمٌ
بدر له شاهد والشعب من أحدٍ والخندقان ويوم الفتح قد علموا^(١)
قلت^(٢): لعله أراد |ب| (الخندقان): الخندق المعلومة وخيبر؛ لأنه لم
يكن خندق^(٣) سواهما فقلت:

وخيبر وحنين يشهدان له وفي قريظة يوم صيلم قتم
مناقب قد علت أقدارها ونمت آثارها لم تنلها العربُ والعجم^(٤)

وهذه القصيدة قد بلغت غاية الشهرة ذكرها جمٌّ غفير من المؤرخين^(٥)
ومن أهل السير^(٦) ومن كتب الفضائل^(٧)، والسيرُ شاهدٌ.

(١) مطالب السؤل ٢: ٧٤.

(٢) الظاهر أنها من كلام ابن طلحة بدليل قوله آخر الجملة: فقلت. حيث ذكر بعدها البيتين الأخيرين، وهما موجودان في (مطالب السؤل)، غير أنه هذه العبارة ليست في (مطالب السؤل).

(٣) في المخطوط بعدها: في.

(٤) مطالب السؤل ٢: ٧٤.

(٥) مجمع الزوائد ٩: ٢٠٠، المعجم الكبير ٣: ١٠١ / ٢٨٠٠، وأوردا منها تسعة أبيات، وذكر أنها في الحسين عليه السلام، تاريخ مدينة دمشق ٤١: ٤٠٠، وأورد منها سبعة أبيات، تهذيب الكمال ٢٠: ٤٠١، وأورد منها ثمانية وعشرين بيتاً، سير أعلام النبلاء ٤: ٣٩٨، وأورد منها ستة أبيات، وقال: (وهي قصيدة طويلة)، وفيات الأعيان ٦: ٩٥، البداية والنهاية ٩: ١٢٨، وأوردا منها سبعة وعشرين بيتاً.

(٦) الأغاني ١٥: ٣٢٦-٣٢٧.

(٧) حلية الأولياء ٣: ١٣٩، مناقب آل أبي طالب عليه السلام ٤٢: ١٨٣-١٨٥.

وبالجملة، فمضامين ما ذكرناه من مناقب زين العابدين عليه السلام وكراماته مستفيضة جداً، وما لم نذكره منها مما ذكره المؤرخون وكتب الفضائل والسير أكثر ما ذكرناه بكثير كثير مما لا تسعه هذه العجالة، وكله صريح في إمامته عليه السلام وعصمته. مضافاً إلى يقين أنه من أهل البيت الذين أمر الرسول صلى الله عليه وآله بلزوم طاعتهم، وأخبر الأمة أنهم لن يفترقوا عن القرآن وأنّ السلام في أتباعهم على كلّ حال. وعلى ذلك إجماع الإمامية والزيدية وسائر فرق الشيعة وجماعة من أهل السنة كما قد أشرنا له.

وقد ذكر ابن الصباغ^(١) جميع ما ذكرناه في شأنه وأزاد ذكر مكارم وحكم يقطع الناظر فيها بعصمته، فتدبره وبالله الاعتصام.

[في إمامة الباقر عليه السلام]

وأما ابنه محمد بن علي الباقر، فقال ابن حجر في صواعقه: (مات زين العابدين عن أحد عشر ذكراً وأربع إناث، وارثه منهم علماء وعبادةً وزهادة أبو جعفر محمد الباقر سمّي بذلك من (بقر الأرض) - أي: شقّها وأثار مخبأتها - ومكانها، فكذلك هو أظهر من مخبيات كنوز المعارف وحقائق الأحكام والحكم واللطائف ما لا يخفى إلا على منطمس البصيرة أو فاسد الطوية والسريرة.

ومن ثم قيل فيه: هو باقر العلم وجامعه وشاهر علمه ورافعه، صفا قلبه، وزكا علمه، وطهرت نفسه، وشرف خلقه، وعمرت أوقاته بطاعة الله. وله من الرسوم في مقامات العارفين ما تكلّف عنه ألسنة الواصفين، وله كلمات كثيرة في السلوك والمعارف لا تحتملها هذه العجالة.

وكفاه شرفاً أنّ ابن المديني روى عن جابر أنه قال له وهو صغير: (رسول الله صلى الله عليه وآله يسلم عليك. فقيل له: وكيف ذلك؟ قال: كنت جالساً عنده، والحسين في حجره وهو يلاعبه، فقال: «يا جابر، يولد له مولود اسمه علي، إذا كان يوم القيامة ينادي منادٍ ليقيم سيّد العابدين. فيقوم ولده، ثم يولد له ولد اسمه محمد، فإن أدركته يا جابر فأقرئه مني السلام» (١) انتهى.

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠١.

وقال العصامي: (محمد الباقر. يكنى أبا جعفر، ألقابه الساكن والهادي، وأشهرها الباقر؛ لقوله النبي ﷺ لجابر الأنصاري: «إنك ستعيش حتى ترى رجلاً من أولادي اسمه اسمي يبقر العلم بقرًا، فإذا القيته فأقرنه مني السلام». فلقبه جابر وأقرأه السلام من رسول الله ﷺ، ومات جابر بعد ذلك بقليل) (١) انتهى.

وأقول: هذه الأوصاف التي وصفه بها قد اتفقت عليها الأمة، وهي لا تجتمع إلا في إمام معصوم، وناهيك بهذا الحديث الذي صرح بأن تسميتهم جاءت من الله، وأن سيّد العالمين هو أفضل من عبد الله بعد محمد وعلي والحسن والحسين حتى أولي العزم من الرسل؛ لعموم اللفظ في مقام التمدّح والامتنان خرج من خرج ممّن ذكرنا بالنصّ والإجماع، فيبقى الباقي بأجمعه، وقد مرّ هذا الحديث.

وقال ابن الأثير في (جامع الأصول): (سمّي الباقر لأنه تبقر في العلم أي توسّع فيه) (٢).

قال ابن أبي الحديد: (محمد بن علي بن الحسين. سيّد فقهاء الحجاز، ومنه ومن ابنه جعفر تعلّم الناس الفقه، وهو الملقّب بالباقر، لقّب به رسول الله ﷺ ولم يخلق بعد، وبشر به ووعد جابر بن عبد الله برؤيته، فقال: «ستراه طفلاً، فإذا رأيته فأبلغه عني السلام». فعاش جابر حتى رآه وقال له ما وصّى به) (٣).

وقال الزمخشري في (ربيع الأبرار): (قال محمد بن علي الباقر: «إن الحق استرخى وقد حواه الباطل في جوفه، فتبصرت عن خاصرته، وأطلعت الحق عن حجبه

(١) سمط النجوم العوالي ٤: ١٤١. (٢) تنمّة جامع الأصول ٢: ٨٨٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٧٧.

حتى ظهر وانتشر بعد ما خفي واستتر»^(١).

وقال ابن حجر أيضاً في صواعقه: (إنه أخبر المنصور بملك الأرض شرقها وغربها، وبطول مدته، فقال له: وملكنا قبل ملككم؟ قال: «نعم». قال: ويملك أحد من ولدي؟ قال: «نعم». قال: فمدّة بني أمّية أطول أم مدّتنا؟ فقال: «مدّتمك وليعبن بهذا الملك صبيانكم كما يلعب بالأكرة. هذا ما عهد إليّ أبي» فلما أفضت الخلافة للمنصور تعجّب من قول الباقر)^(١)

وقال ابن خلكان: (كان الباقر عالماً سيّداً كبيراً، وإنما قيل له الباقر؛ لأنّه تبقّر في العلم - أي توسّع - والتبقّر: التوسّع، وفيه يقول الشاعر:

يا باقر العلم لأهل التقى وخير من لبى على الأجبّل)^(٢)

وقال اليافعي الشافعي: (قال عبدالله بن عطا: ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند محمد بن علي)^(٣)

وقال السمهودي في (جواهر العقدين): (قد كان أبو جعفر الباقر وابنه كثيري المكاشفات، وقد ذكر أهل السير أنّ عبدالله المحض ابن الحسن المثنى ابن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب إكأن شيخ هاشم في زمانه... فلما كان في آخر دولة بني مروان وضعفهم أراد بنو هاشم أن يبايعوا منهم من يقوم بالأمر، فاتفقوا على محمد وإبراهيم ابني عبدالله المحض، فلما اجتمعوا لذلك ولم يحضر جعفر الصادق عليه السلام، فقال عبدالله - بعد أن أرسلوا لطلبه -: لا تريدوه؛ فإنه يفسد عليكم أمركم. فلما دخل

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠٢ - ٢٠٣. (٢) وفيات الأعيان ٤: ١٧٤

(٣) عنه في مناقب آل البيت: ٢٦٣.

جعفر الصادق عليه السلام عليهم سألهم عن سبب اجتماعهم فأخبروه، فقال لعبد الله: «والله لا نتركك وأنت شيخ بني هاشم، ونبايع لهذين الغلامين». فقال له عبد الله: إنما يمنعك من بيعتهما الحسد، فمدّ يدك لنا بيعك. فقال جعفر: «والله إنها ليست لي ولا لهما، وإنما لصاحب القباء الأصفر، وإنه ليلعبن بها صبيانهم وغلماهم».

ثم نهض وخرج وكان المنصور العباسي يومئذ حاضراً وعليه قباء أصفر فما زالت كلمة جعفر تعمل فيه حتى ملكوا.

وفي كتاب الخرائج للقطب أبي سعيد هبة الله الراوندي عن أبي بصير ^(١) قال: كنت مع محمد - يعني الباقر - ابن علي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله في حدثان موت والده، إذ دخل المنصور وداود بن سليمان قبل أن يفضي الملك إلى بني العباس، فجاء داود بن سليمان إلى الباقر، وجلس المنصور ناحية من المسجد، فقال الباقر: «ما منع الدوانيقي - يعني المنصور - أن يأتينا؟». فقال: فيه جفاء. فقال الباقر: «أما إنه لا تذهب الأيام والليالي حتى يلي هذا - يعني المنصور - أمر الخلائق، فيطأ أعناق الرجال، ويملك شرقها وغربها، ويطول عمره فيها حتى يجمع من كنوز الأموال ما لم يجمعه في غيره».

فقام داود من عند الباقر وأخبر المنصور بذلك، فقام المنصور وجاء إليه وقال: ما منعي من الجلوس إليك إلا إجلالك وهيبتك. ثم قال: ما الذي يقول داود؟ قال: «هو كائن لا محالة». قال: وملكنا قبل ملككم؟ قال: «نعم». قال: ويملك بعدي أحد من ولدي؟ قال: «نعم». قال: فمدّة بني أمية أطول أم مدّتنا؟ قال: «مدّتك أطول، وليتلقني هذا الملك صبيانكم فيلعبون به كما يلعب بالكرة، هذا ما عهد إليّ أبي».

(١) في الخرائج: بصير، وفي جواهر العقدين: نصير.

فلما أفضت الخلافة إلى المنصور تعجّب من قول الباقر ^(١) (...)^(٢).

أقول: قد مضى هذا الحديث، وفيه من الدلالة على إمامة زين العابدين وابنه ما لا يخفى على أحد؛ فإنها من أعلام الغيب التي أخذوها من الله ورسوله. وهي تشعر أيضاً بأن التابعين عالمين بأن لآل محمد دولة، وأنها لا تكون إلا بعد خروج السفيناني كما تضمّنه الحديث الأول، وأنّ دولة من سواهم لعب ولهو وباطل كما يظهر لمن فتح الله بصيرته.

وقال السمهودي أيضاً: روى أبو سعيد منصور بن الحسن الآبي في كتابه (نثر الدرر): أن محمداً الباقر ابن زين العابدين قال لابنه جعفر الصادق: «يا بني، إن الله خبأ ثلاثة أشياء في ثلاثة أشياء: خبأ رضاه في طاعته فلا تحقرن من الطاعة شيئاً، فلعل رضاه فيه، وخبأ سخطه في معصيته فلا تحقرن من المعصية شيئاً، فلعل سخطه فيه، وخبأ أوليائه في خلقه فلا تحقرن أحداً، فلعله ذلك الولي»^(٣).

ونقل الإمام السمهودي في (جواهر العقدين) عن بعضهم أنه قال: (كنت بين مكة والمدينة فإذا أنا بشبح يلوح في البرية، يظهر تارةً ويغيب أخرى حتى قرب منّي، فتأمّلته فإذا هو غلام سباعي أو ثمانني، فسلم عليّ فرددت عليه السلام وقلت: من أين يا غلام؟ قال: «من الله». قلت: وإلى أين؟ قال: «إلى الله». قلت: فعلى ما؟ قال: «على الله». قلت: فما زادك؟ قال: «التقوى». قلت: فمن أنت؟ قال: «أنا رجل عربي». فقلت: أين لي؟ فقال: «أنا رجل من قريش». فقلت: أين لي عافاك الله؟ فقال: «أنا رجل هاشمي». فقلت: أين لي؟ فقال: «أنا رجل علوي»، وأنشد:

(١) الخرائج والجرائح ١: ٢٧٥-٢٧٦ / ٦.

(٢) جواهر العقدين: ٤٤٤.

(٣) جواهر العقدين: ٤٣٨.

«فنحن على الحوض ذوّاده»^(١) نذوذ ويسعد وراؤه
 فما فاز من فاز إلا بنا وما خاب من حبنا زاده
 فمن سرنا نال منا السرور ومن ساءنا ساء ميلاده
 ومن كان غاصبنا حقنا فيوم القيامة ميعاده»

ثم قال: «أنا محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب»، ثم التفت فلم أره، فلم أدرِ نزل في الأرض أم صعد في السماء»^(٢) انتهى.

فيالها من حجة بالغة لمن طلب الحق!

وقال محمد بن أبي طلحة الشامي في (مطالب السؤل): (محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام هو باقر العلم وجامعه، وشاهر علمه ورافعه، ومتفوق دُرّه وراضعه، ومنمّق دُرّه وراضعه، صفا قلبه وزكا عمله، وطهرت نفسه وشرفت أخلاقه، وعمرت بطاعة الله أوقاته، ورسخت في مقام التقوى قدمه، وظهرت عليه سمات الازدلاف وطهارة الاجتباء، فالمناقب تستبق إليه، والصفات تتشرف به).

إلى أن قال: (وله ألقاب ثلاثة: باقر العلم والشاكر والهادي وأشهرها الباقر؛ وسمي بذلك لتبقره في العلم وهو توسّعه فيه. مناقبه الحميدة وصفاته الجميلة كثيرة؛ منها ما رواه جابر الجعفي قال: قال لي محمد بن علي: «يا جابر، إني لمشتغل القلب». فقلت له: وما شغل قلبك؟ قال: «يا جابر، من دخل قلبه دين الله الخالص شغله عمّا سواه، يا جابر، ما الدنيا وما عسى أن تكون؟ هل هي إلا مركبٌ ركبته أو ثوبٌ لبسته أو امرأةٌ أصبتها؟ يا جابر إن المؤمنين لم يطمثوا إلى الدنيا

(١) من نسخة في هامش المخطوط، وفي المتن روّاده، وفي المصدر: روّاده.

(٢) جواهر العقدين: ٣٤٣.

لبقاء فيها، ولم يأمنوا قدوم الآخرة عليهم، ولم يصمتهم عن ذكر الله تعالى ما سمعوا بأذانهم من الفتنة، ولم يعمهم عن نور الله ما رأوا بأعينهم من الزينة، ففازوا بثواب الأبرار. إن أهل التقوى أيسر أهل الدنيا مؤونة وأكثرهم لك معونة؛ إن نسيت ذكرك، وإن ذكرت أعانوك، قوالين بحق الله، قوامين بأمر الله، فاجعل الدنيا كمنزل نزلت به وارتحلت منه، أو كمال أصبته في منامك فاستيقظت وليس معك شيء، فاحفظ الله فيما استرعاك من دينه وحكمته».

وقال عليه السلام: «الغنى والعزّ يجولان في قلب المؤمن، فإذا وصلا إلى مكان فيه التوكل استوطناه».

وروي عمر مولى عفرة قال: قال أبو جعفر: «ما دخل قلب امرئ مؤمن شيء من الكبير إلا نقص من عقله مثل ما دخل من ذلك، قل أو أكثر».

وقال أبو جعفر: «سلاح اللثام قبيح الكلام».

وروى أبو بكر بن عياش عن سعد الأسكاف أنه سمع أبا جعفر يقول: «والله لموت عالم أحبّ إلى إبليس من موت سبعين عابداً».

وقال سعد الاسكاف: سمعت أبا جعفر محمد بن علي يقول: «عام ينتفع بعلمه أفضل من سبعين عابداً».

وقال عبدالله بن عطا: (ما رأيت العلماء عند أحد أصغر علماً منهم عند أبي جعفر، لقد رأيت الحكم عنده كأنه متعلم).

وقال جعفر: «فقد أبي بغلة له فقال: لئن ردها الله تعالى، لأحمدنه بمحامد يرضاها. فما لبث أن أتى بها بسرجها ولجامها فركبها، فلما استوى عليها وضّم عليه ثيابه رفع رأسه إلى السماء، فقال: الحمد لله. فلم يزد، ثم قال: ما تركت ولا بقيت شيئاً، جعلت كل أنواع المحامد لله عزّ وجلّ، فما من حمدٍ إلا وهو داخل فيما قلت».

وتُقل عنه أنه قال: «ما من عبادة أفضل من عفة بطن أو فرج، وما من شيء أحب إلى الله عزّ وجلّ من أن يسأل، وما يدفع القضاء إلاّ الدعاء، وإن أسرع الخير ثواباً البر وأسرع الشر عقوبةً البغي، وكفى بالمرء عيباً أن يُبصر من الناس ما يعمنى عنه من نفسه، وأن يأمر الناس بما لا يفعله أو ينهى الناس عما لا يتحوّل عنه، وأن يؤذي | جليسه | بما لا يعنيه».

وقالت سلمى مولاة أبي جعفر: كان يدخل عليه إخوانه فلا يخرجون من عنده حتى يطعمهم الطعام الطيب ويكسوهم الثياب ويهبهم الدراهم فأقول له في ذلك ليقلّ منه فيقول: «يا سلمى، ما حسنة الدنيا إلاّ صلة الاخوان والمعارف».

وعن أبي الزبير محمد بن مسلم المكي أنه قال: كنّا عند جابر بن عبدالله، فأتاه علي بن الحسين ومعه ابنه محمد وهو صبي، فقال علي لابنه محمد: «قتل رأس عمك». فدنا محمد من جابر فقَبّل رأسه، فقال: جابر من هذا؟ وكان قد كفّ بصره فقال له علي: «هذا ابني محمد». فضمّه جابر إليه وقال: يا محمد، محمد رسول الله يقرأ عليك السلام. فقالوا لجابر: كيف ذاك يا أبا عبدالله؟ فقال: كنت مع ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله والحسين في حجره وهو يلاعبه، فقال: «يولد لابني الحسين ابن يقال علي، إذا كان يوم القيامة نادى مناد: ليقيم سيد العابدين. فيقوم علي بن الحسين. ويولد لعليّ ابن يقال له محمّد إن رأيته فأقرنه مني السلام. واعلم أنّ بقاءك بعد رؤيته يسير».

فلم يعيش بعد ذلك إلاّ يسيراً ^(٢) فمات.

(١) من نسخة في هامش المخطوط، وهو الموافق للمصدر، وفي المتن: عند.

(٢) نسخة بدل: قليلاً. (هامش المخطوط).

وهذه منقبة عظيمة تعادل جملاً من المناقب^(١) انتهى كلام ابن طلحة
ملخصاً.

ومالم نذكره من كلامه وكلام غيره من مآثره وفضائله وكراماته وكرمه
وعلومه وحكمه لا يمكن حصره.

وبالجملة، فهو كآبائه، قد أطبقت الأمة على إمامته وأنه أفضل أهل
زمانه علماً وعملاً، وأنه صاحب الكرامات والمكاشفات ولم يثليه أحدٌ
بوصم قط ولم يقف له أحدٌ على عثرة قط.

وفيما ذكرناه - وإن كان نزرأً - ما يُوجب القطع بعصمته وإمامته، وأنَّ
علومه ليست مكتسبة من البشر. ولا يخفى على المنصف صحّة ذلك وبالله
الاعتصام.

(١) مطالب السؤول: ١٠٠-١٠٦.

[في إمامة أبي عبدالله الصادق عليه السلام]

وأما ابنه وخلفه أبو عبدالله جعفر الصادق، فقد اعترف بفضلِهِ وإمامته وغزارة علمه وصدور الكرامات منه وأنه أفضل أهل زمانه في كلِّ مكرمة وعلمٍ جميعِ الأُمَّة، ولم ينسب إليه منقصة بوجهٍ قط، وعلومه وكلامه وسيرته تشهد بعصمته، وأن علومه ليست بتعليم بشري.

قال ابن الأثير في (جامع الأصول): (جعفر بن محمد الصادق. من سادات أهل البيت، سمع منه الأئمة الأعلام نحو يحيى بن سعيد الأنصاري وابن جريح ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبو حنيفة.

ولد سنة ثمانين، ومات سنة ثمان وأربعين ومائة وهو ابن ثمانٍ وستين سنة، ودفن في البقيع في قبر فيه أبوه محمد الباقر وجده علي بن زين العابدين وعم جدّه الحسن بن علي بن أبي طالب. فللّه درّه من قبر ما أشرفه وأكرمه!)^(١).

وقال العصامي: (الإمام جعفر الصادق. هو الإمام بعد أبيه، وهو سادس الأئمة. ألقابه: الفاضل والطاهر، وأشهرها الصادق، وكان يقال له: عمود الشرف)^(٢).

(١) تنمة جامع الأصول: ١ ٢٦٧. (٢) سمط النجوم العوالي ٤: ١٤٢.

وقال ابن الأثير أيضاً^(١) في كامله: سُئل جعفر الصادق عن أمر محمد، فقال: «فتنة يقتل فيها محمد ويقتل أخوه لأبيه وأمه بالعراق وحوافر فرسه في ماء»^(٢) انتهى. وعنى: محمد بن عبدالله المحض.

وقال ابن خلكان في تاريخه: (جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. أحد الأئمة الاثني عشر على مذهب الإمامية، كان من سادات أهل البيت، ولقبه الصادق لصدقه في مقالته، وفضله أشهر من أن يذكر. وكان تلميذه أبو موسى جابر بن حيان الصوفي، ألف كتاباً يشتمل على ألف ورقة [تتضمن]^(٣) رسائل جعفر بن محمد الصادق، وهي خمسمئة رسالة. ولد سنة ثمانين للهجرة وهي سنة سيل الجحاف^(٤) وقيل: ولد يوم الثلاثاء قبل طلوع الفجر ثامن شهر رمضان سنة ثلاث وثمانين، وتوفي في شوال سنة ثمان وأربعين ومئة بالمدينة، ودفن بالبقيع في قبر أبيه محمد الباقر وجده علي زين العابدين وعمّ جده الحسن بن علي بن أبي طالب (فلله درّه من قبر ما

(١) كذا، وابن الأثير صاحب التاريخ غيره صاحب (جامع الأصول)، وهما أخوان، فالأول - صاحب (الكامل) - هو عز الدين أبو الحسن علي بن محمد، المتوفى سنة (٦٣٠هـ)، والثاني هو مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد المتوفى سنة (٦٠٦هـ). (٢) الكامل في التاريخ ٥: ٥٥٣.

(٣) من المصدر، وفي المخطوط: يشر فيه إلى.

(٤) هو سيل عظيم جاء بمكة حتى بلغ الحجر الأسود، فهلك خلق كثير من الحجاج، وغرقت بيوت مكة، وسمي الجحاف، لأنه جحف كل شيء مرّ به، وكان لشدّته يذهب بالابل وعليها الأحمال والرحال.

انظر تاريخ الطبري ٣: ٦١٦، الكامل في التاريخ ٤: ٤٥٣، تاريخ الإسلام (حوادث ٦١ - ٨٠هـ): ٣٤٢.

أشرفه وأكرمه!

وحكى كشاجم في كتاب (المصائد والمطارد) أنّ جعفرأ المذكور سأل أبا حنيفة، فقال: «ما تقول في محرم كسر رباعية ظبي؟». فقال: يابن رسول الله عليه السلام ما أعلم ما فيه. فقال: «أنت تتناسى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية، وهو ثني أبداً...»^(١).

وقال ابن أبي الحديد في جواب مفاخرة أمية نقلاً عن [أبي] عثمان الجاحظ ومن قبل نفسه: وكان لنا في الفقه والعلم والتفسير والتأويل مثل علي بن أبي طالب ومحمد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد الذي ملأ الدنيا علمه وفقهه. ويقال:

إنّ أبا حنيفة وسفيان من تلامذته، وحسبك بهما وعن مثل زين العابدين^(٢) إلى آخر ما قال.

وقال ابن حجر في صواعقه، في ديباجة محمد بن علي الباقر (سلام الله عليه): (خلف ستة أولاد، أفضلهم وأكملهم جعفر الصادق، ومن ثم كان خليفته ووصيّه. ونقل الناس عنه من العلوم ما سارت به الركبان وانتشر صيته في سائر البلدان.

وروى عنه أئمة أكابر كيجي بن سعيد وابن جريج ومالك وسفيان وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني.

وسعي به عند المنصور، فلما حضر الساعي به ليشهد قال له: أتحلف؟ قال: نعم. [فحلف]^(٣) بالله العظيم... إلى آخره. فقال: «أحلفه يا أمير المؤمنين

(١) وفيات الأعيان ١: ٣٢٦، ٣٢٧ / ١٣١.

(٢) انظر شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٧٤، نقله بمعناه وأكثر ألفاظه.

(٣) من المصدر، وفي المخطوط: قال حلفه.

بما أراه؟». قال: حلفه. فقال: «قل: برئت من حول الله وقوته والتجأت إلى حولي وقوتي، لقد فعل جعفر كذا وكذا». فحلف الرجل، فما تمّ اليمين حتى مات مكانه، فقال المنصور لجعفر: لا بأس عليك أنت المبرأ الساحة، المأمون الغائلة. ثم انصرف، فلحقه الربيع بجائزة حسنة وكسوة سنّية، وللحكاية تتمّة.

وقتل بعض الطغاة مولاة، فلم يزل ليلته يصلّي ثم دعا عليه عند السحر فسمعت الأصوات بموته.

ولما بلغه قول الحكم بن عباس الكلبي في عمّه زيد:

صلبنا لكم زيدا على جذع نخلةٍ ولم نر مهدياً على الجذع يصلبُ

قال: «اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك». فافترسه الأسد.

ومن مكاشفاته أن ابن عمّه المحض كان شيخ بني هاشم، وهو والد محمد الملقب بالنفس الزكية، ففي آخر دولة بني أمية وضعفهم أراد بنو هاشم مبايعة محمد وأخيه، فأرسل لجعفر ليبايعهما، فامتنع، فاتّهم بأنّه يحسدهما، فقال: «والله ليست لي ولا لهما، إنها لصاحب القباء الأصفر، ليلعتن بها صبيانهم وغلماهم».

وكان المنصور العباسي حاضراً وعليه قباء أصفر، فما زالت كلمته تعمل فيه حتى ملكوا.

وسبق جعفرأ إلى ذلك والده، فإنه أخبر المنصور بملك [الأرض] (١):

شرقها وغربها، وتطول مدّته، وقال له: وملكنا قبل ملككم؟ قال: «نعم».

(١) من المصدر، وفي المخطوط: الأندلس.

قال: ويملك أحد من ولدي؟ قال: «نعم». قال: فمدة بني أمية أطول أم مدّتنا؟ قال: «مدّتكم، وليعبن بها صبيانكم كما يلعب بالكرة، هذا ما عهد إليّ أبي». وأخرج أبو القاسم الطبري من طريق وهب قال: سمعت الليث بن سعد يقول: حججت سنة ثلاث عشرة ومائة، فلما صلّيت العصر في المسجد رقيت أبا قبيس، فإذا رجلٌ جالس يدعو، فقال: «يارب يارب» حتى انقطع نفسه، ثم قال: «يا حيّ يا حيّ» حتى انقطع نفسه، ثم قال: «الهي، إني أشتهي العنب فأطعمنيه، اللهم وإن يُردي قد خلق فاكسني».

قال الليث: فوالله ما استتمّ كلامه حتى نظرت إلى سلّة مملوءة عنباً وليس على الأرض يومئذٍ عنب، وإذا ببردين موضوعين لم أرَ مثلهما في الدنيا، فأراد أن يأكل فقلت: أنا شريكك. فقال: «ولم؟». فقلت: لأنك دعوت وكنت أوّمن. فقال: «تقدم فكل». فتقدّمت وأكلت عنباً لم آكل مثله قط؛ ما كان له عجم، فأكلنا حتى شبّعنا ولم تتغيّر السلّة، فقال: «لا تدخر ولا تخبئي منه شيئاً». ثم أخذ أحد البردين ودفع إليّ الآخر، فقلت: أنا في غنى عنه. فاتّزر بأحدهما وارتنى بالآخر، ثم أخذ البردين اللذين كانا عليه ونزل وهما في يده، فلقيه رجل بالسعي فقال: اكسني يا ابن رسول الله ممّا كساك الله؛ فإني عريان. فدفعهما إليه، فقلت للذي أعطاه البردين: من هذا؟ فقال: جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. قال الليث: فطلبته بعد ذلك لأسمع منه شيئاً فلم أقدر عليه^(١) انتهى.

وأخرج هذه القصة بهذا السند وبهذه الألفاظ جمع كثير منهم الإمام السمهودي في (جواهر العقدين)^(٢) ومحمد بن أبي طلحة في (مطالب

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠١-٢٠٣. (٢) جواهر العقدين ٤٤٤-٤٤٥.

(السؤال) (١) وغيرهما (٢).

وقال محمد بن طلحة الشامي في (مطالب السؤل): (أبو عبدالله جعفر الصادق ابن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. هو من عظماء أهل البيت وساداتهم، ذو علوم جمّة، وعبادة موفورة وأوراد متواصلة، وزهادة بيّنة وتلاوة كثيرة. يتتبع معاني القرآن، ويستخرج من بحر جواهره ويستنتج عجائبه، ويقسم أوقاته على أنواع الطاعات بحيث يحاسب عليها نفسه. رؤيته تذكّر الآخرة، واستماع كلامه يزهد في الدنيا، والاقتراء بهداه يورث الجنة. نور قسماته شاهد بأنه من سلالة النبوة، وطهارة أفعاله تصدع بأنه من ذرية الرسالة.

نقل عنه الحديث واستفاد منه العلم جماعة من أعيان الأمة وأعلامهم مثل يحيى ابن سعد الأنصاري وابن جريح ومالك بن أنس والثوري وابن عيينة وأبي حنيفة وشعبة وأيوب السختياني وغيرهم، وعدّوا أخذهم عنه منقبة شرفوا بها، وفضيلة اكتسبوها).

إلى أن قال: (وله ألقاب أشهرها الصادق، ومنها الفاضل والطاهر والصابر. وأمّا مناقبه وصفاته فتكاد تفوت عدّ الحاصر، ويحار في أنواعها فهم اليقظ الباصر، حتى إنه من كثرة علومه المفاضة على قلبه من سجال التقوى صارت الأحكام التي لا تدرك عللها، والعلوم التي تقصر الأفهام عن الإحاطة بحكمها تضاف إليه وتروى عنه.

وقد قيل: إن كتاب الجفر الذي بالمغرب، ويتوارثه بنو عبد المؤمن هو

(١) مطالب السؤل: ١١٥ - ١١٦.

(٢) ما روته العامة من مناقب أهل البيت عليهم السلام: ٢٦٨ - ٢٦٩.

من كلامه وإن له في هذه المنقبة سنّية ودرجة في مقام الفضائل عليّة، وهي نبذة يسيرة مما نقل عنه.

قال مالك بن أنس: قال جعفر لسفيان الثوري: «يا سفيان إذا أنعم الله عليك نعمةً فأحبيت بقاءها، فأكثر من الحمد والشكر عليها، فإن الله عزّ وجلّ قال في كتابه العزيز: ﴿لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾^(١) وإذا استبطأت الرزق فأكثر من الاستغفار، فإن الله قال في كتابه: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً﴾ * يُزِيلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً * وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيَبِينَنَّ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً﴾^(٢). ياسفيان إذا أحزنك أمرٌ من سلطان أو غيره، فأكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله، فإنها مفتاح الفرج، وكنزٌ من كنوز الجنة».

وقال ابن أبي حازم: كنت عند جعفر بن محمد، فجاء سفيان الثوري، فقال: حدثني. فقال جعفر: «حدثني أبي عن جدي أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من أنعم الله عليه نعمةً فليحمد الله، ومن استبطأ الرزق فليستغفر الله، ومن أحزنه أمرٌ فليقل: لا حول ولا قوة إلا بالله. خذها ياسفيان، ثلاث وأي ثلاث!».

وقال سفيان: دخلت على جعفر بن محمد وعليه جُبّة خزّ دكناء وكساء خزّ، فجعلت أنظر إليه تعجباً، فقال: «يا ثوري، مالك تنظر إلينا؟ لعلك تتعجب مما ترى». فقلت: يا بن رسول الله، ليس هذا من لباسك ولا لباس آبائك. قال: «يا ثوري، كان ذلك زمان إقتار وافتقار، وكانوا يعملون على قدر إقتاره وافتقاره، وهذا زمان قد أسبل كل شيء عزاليه^(٣)» ثم حسر ردن جبته فإذا تحتها جبّة صوف

(١) إبراهيم: ٧. (٢) نوح: ١٠ - ١٢.

(٣) العزالي: جمع العزلاء، وهو فم المزايدة الأسفل. الصحاح ٢: ١٣١٦ - عزل. والمزاوة: الراوية تكون من جلدین تفام بجلد ثالث بينهما لتتسع. الصحاح ١: ٤١٢ - زود.

بيضاء يقصر الذيل عن الذيل، والردن عن الردن وقال: «يا ثوري، لبسنا هذا الله تعالى وهذا لكم، فما كان لله أخفينا، وما كان لكم أدينا».

وقال الهياج بن بسطام: كان جعفر بن محمد يطعم حتى لا يبقى لعياله شيء، وكان يقول: «لا يتم المعروف إلا بثلاث: تعجيله وتصغيره وستره».

وسئل: لم حرّم الله الربا؛ فقال: «لئلا يتمانع الناس المعروف».

وقال بعض أصحابه: دخلت على جعفر وموسى ولده بين يديه، وهو يوصيه بهذه الوصية، فكان مما حفظت منها أن قال: «يا بُني، اقبل وصيتي واحفظ مقالتي، فإنك إن حفظتها تعش سعيداً وتمت حميداً».

يا بُني إنه من قنع بما قسم له استغنى، ومن مدّ عينيه إلى ما في يد غيره مات فقيراً، ومن لم يرصّ بما قسم الله عز وجل اتهم الله في قضائه، ومن استصغر زلة نفسه استعظم زلة غيره، ومن استصغر زلة غيره استعظم زلة نفسه.

يا بني، من كشف حجاب غيره انكشفت عورات نفسه، ومن سلّ سيف البغي قتل به، ومن احتفر لأخيه بئراً سقط فيها.

يا بني قل الحق لك وعليك، وإياك والنميمة؛ فإنها تزرع الشحناء في قلوب الرجال. يا بني إذا طلبت الخير فعليك بمعادنه؛ فإن للجود معادن، وللمعادن أصولاً، وللأصول فروعاً، وللفروع ثمرات، ولا يطيب ثمر إلا بفرع ولا فرع إلا بأصل ولا أصل إلا بمعادن طيب. يا بني إذا زرت فزر الأخيار ولا تزر الفجّار؛ فإنهم صخرة لا ينفجر ماؤها، وشجرة لا يخضر ورقها، وأرض لا يظهر عشبها». قال علي بن موسى: «ما ترك أبي هذه الوصية إلى أن مات».

وقال أحمد بن عمرو بن المقدم الرازي: وقع الذباب على المنصور فذبّه عنه، ثم عاد، فذبّه عنه حتى أضجره، فدخل عليه جعفر بن محمد،

فقال له المنصور: يا أبا عبد الله لِمَ خلق الله تعالى الذباب؟ فقال: «ليذل به الجبابة».

وهذا صريح في أنّ المنصور من الجبابة، وليس من الإمامة والخلافة لله ورسوله في شيء.

ونقل أنّ رجلاً من أهل السواد كان يلزم جعفرًا ففقده، فسأل عنه، فقال له رجل يريد أن يستنقص به: إنه نبطي. فقال جعفر عليه السلام: «أصل الرجل عقله، وحسبه دينه، وكرمه تقواه، والناس في آدم مستون». فاستحيا ذلك القائل.

وقال سفيان الثوري: سمعت جعفرًا الصادق يقول: «عزت السلامة حتى لقد خفي مطلبها، فإن تكن في شيء فيوشك أن تكون في الخمول، فإن طلبت في الخمول فلم توجد فيوشك أن تكون في الصمت، فإن طلبت في الصمت فلم توجد فيوشك أن تكون في التحلي، فإن طلبت في التحلي فلم توجد فيوشك أن تكون في كلام السلف الصالح والسعيد من وجد في نفسه خلوةً يشتغل بها».

وحدّث عبدالله بن الفضل بن الربيع قال: حج أبو جعفر المنصور سنة تسع وأربعين ومائة، فقدم المدينة وقال للربيع: ابعث إليّ جعفر بن محمد من يأتينا به متعباً (قتلني الله إن لم أقتله). فتغافل الربيع عنه لينسأه، ثم أعاد ذكره للربيع فقال: ابعث من يأتيني به متعباً. فتغافل عنه، ثم أرسل إليّ الربيع رسالة [قبيحة] ^(١) أغلظ عليه فيها، وأمره أن يبعث من يحضر جعفرًا، ففعل. فلما أتاه قال له الربيع: يا أبا عبدالله اذكر الله فإنه أرسل إليك لما لا دافع له إلا الله. فقال جعفر: «لا حول ولا قوة إلا بالله».

ثم إن الربيع أعلم المنصور بحضوره، فلما دخل جعفر عليه أوعدّه

(١) من المصدر، وفي المخطوط: غليظة.

وأغلظ وقال: إي عدو الله اتّخذك أهل العراق إماماً يجلبون إليك زكاة أموالهم، وتلحد في سلطاني وتبغيه الغوائل؟ (قتلني الله إن لم أقتلك). فقال له: «يا أمير المؤمنين، إن سليمان عليه السلام أعطي فشكر، وأن أيوب عليه السلام أبتلي فصبر، وإن يوسف عليه السلام ظلم فغفر، وأنت من ذلك السنخ». فلما سمع المنصور ذلك منه قال له: إليّ وعندني أبا عبدالله، أنت البريء الساحة، السليم الناحية، القليل الغائلة، جزاك الله من ذي رحم أفضل من ما جرى ذوي الأرحام عن أرحامهم. ثم تناول يده فأجلسه معه على فرشه، ثم قال: عليّ بالطيب. فأتني بغالية، فجعل يلطّخ لحية جعفر بيده حتى جعلها تقطر، ثم قال: في حفظ الله وكلاءته، ياربيع ألحق أبا عبدالله جائزته وكسوته، انصرف أبا عبدالله في حفظ الله وفي كنفه. فانصرف.

قال الربيع: فلحقته، فقلت له: إني رأيت قبلك ما لم تره، ورأيت بعدك ما رأيت، فما قلت يا أبا عبدالله حين دخلت؟ قال: «قلت: اللهم احرسني بعينك التي لا تنام، واكنفي بركنك الذي لا يرام، واغفر لي بقدرتك عليّ فلا أهلك وأنت رجائي. اللهم إنك أكبر وأجلّ ممّا أخاف وأحذر، اللهم بك أدفع في نحره، وأستعيذ بك من شره. ففعل بي ولي ما رأيت».

ثم نقل حديث الليث من أمر العنب والبردين حرفاً بحرف كما مر، وذكر أولاده ومدة عمره وسنة وفاته إلى أن قال: (وقبره بالمدينة بالبقيع، وهو القبر الذي فيه أبوه الباقر وجده زين العابدين وعم جدّه الحسن بن علي، فلله درّه من قبر ما أكرمه وأشرفه وأعلى قدره عند الله تعالى) (١) انتهى.

وما نقلناه أقل من قطرة من البحر الأعظم من مناقبه وكراماته وعلومه
وحكمه التي تشهد بأنه لا ينطق عن الهوى، بل يغرفه من بحار الرسالة
والولاية المطلقة، وتعلن بعصمته وإمامته في زمنه لمن سواه، فهو باب الله
المفتوح بالرحمة لعباده.

[في إمامة موسى الكاظم عليه السلام]

وأما ابنه الإمام موسى بن جعفر، فقال محمد بن طلحة أيضاً: (موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن عليّ زين العابدين بن الحسين بن عليّ عليه السلام). هو الإمام الكبير القدر، العظيم الشأن، الكثير التهجد، الجاد في الاجتهاد، المشهود له بالكرامات، المشهور بالعبادة، المواظب على الطاعات، يبيت الليل ساجداً وقائماً، ويقطع النهار متصدقاً وصائماً. ولفرط حلمه وتجاوزه عن المعتدين عليه دُعي كاظماً. كان يحزي المسيء إليه بإحسانه، ويقابل الجاني عليه بعفوه عنه. ولكثرة عبادته كان يسمى بالعبد الصالح، ويعرف في العراق بباب الحوائج إلى الله؛ لنجح مطالب المتوسّلين إلى الله به. كراماته تحارّ منها العقول، وتقضي بأنّ له عند الله قدم صدق لا يزول).

إلى أن قال: (له ألقاب كثيرة: الكاظم | وهو أشهرها، والصابر والصالح والأمين).

وأما مناقبه فكثيرة، ولو لم يكن منها إلا العناية الربّانية لكفاه ذلك منقبة. وقد نقل عن الفضل بن الربيع أنه أخبر عن أبيه أن المهدي لما حبس موسى بن جعفر، رأى في منامه علي بن أبي طالب وهو يقول: «يا محمد ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴾ (١)».

قال الربيع: فأرسل إليّ ليلاً، فراعني وخفت من ذلك، فجئت إليه فوجدته يقرأ هذه الآية وكان أحسن الناس صوتاً، فقال: عليّ الآن بموسى بن جعفر. فجئته به فعانقه وأجلسه إلى جانبه وقال: يا أبا الحسن رأيت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب في النوم يقرأ عليّ كذا، فتؤممني أن تخرج عليّ أو عليّ أحد من ولدي؟ فقال: «والله ما فعلت ذلك، ولا هو شأني». قال: صدقت، ياربيع أعطه أربعة^(١) الآف دينار وردّه إلى أهله إلى المدينة. قال الربيع: فأحكمت أمره ليلاً، فما أصبح إلّا وهو في الطريق.

وقال هشام بن حاتم الأصم: قال لي أبي حاتم: قال لي شقيق البلخي: خرجت حاجاً سنة تسع وأربعين ومئة فنزلت القادسيّة، فبينما أنا أنظر إلى الناس في رتبهم وكثرتهم، فنظرت إلى شاب حسن الوجه، شديد السمرة، ضعيف، فوق ثيابه ثوب من صوف، مشتمل بشملة، في رجليه نعلان، وقد جلس منفرداً عن الناس، فقلت في نفسي: هذا من الصوفيّة يريد أن يكون كلاً على الناس في طريقهم، والله لأمضينّ إليه ولأوبخنه. فدنوت منه، فلما رأيته مقبلاً قال: «يا شقيق ﴿اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ﴾»^(٢).

ثم تركني ومضى، فقلت في نفسي: إنّ هذا الأمر عظيم؛ قد تكلم بما في نفسي ونطق باسمي، وما هذا إلّا عبد صالح، لألحقنه ولأسأله أن يحلني. فأسرعت في أثره فلم ألحقه، وغاب عن عيني، فلما نزلنا واقصة^(٣) فإذا

(١) نسخة بدل: ثلاثة. (هامش المخطوط).

(٢) الحجرات: ١٢.

(٣) واقصة: هي واقصة الحزون، وهي منزل بطريق مكة بعد القرعاء نحو مكة وقبل العقبة، ودون زباله بمرحلتين. وإنما قيل لها واقصة الحزون؛ لأنّ الحزون أحاطت بها من كل جانب. معجم البلدان ٥: ٣٥٤ - واقصة.

هو يصلي وأعضاؤه تضطرب ودموعه تجري، فقلت: هذا صاحبي أمضي إليه ف؟ستحلّه. فصبرت حتى جلس فأقبلت نحوه، فلما رأني مقبلاً قال لي: «يا شقيق أتل: ﴿وَإِنِّي لَعَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً ثُمَّ اهْتَدَى﴾ (١)».

ثم تركني ومضى، فقلت: إن هذا الفتى لمن الأبدال؛ قد تكلم علي سري مرتين. فلما نزلنا زباله (٢) فإذا بالفتى قائم على البئر ويده ركوة يريد أن يستقي ماء، فسقطت الركوة من يده في البئر وأنا أنظر إليه؛ فرأيته وقد رمق السماء وسمعته يقول:

«أنت ربي إذا ظمئت إلى الماء ء وقوتي إذا أردت الطعاما

اللهم سيدي مالي سواها فلا تعدمنيها».

قال شقيق: فوالله، لقد رأيت البئر وقد ارتفع ماؤها، فمد يده فأخذ الركوة وملاها ماء فتوضأ وصلّى أربع ركعات، ثم مال إلى كتيب رمل، فجعل يقبض بيده ويطرحة في الركوة ويشربه، فأقبلت إليه وسلّمت عليه، فرد عليّ السلام، فقلت: أطعمني من فضل ما أنعم الله به عليك فقال: «يا شقيق، لم تزل نعمه علينا ظاهرة وباطنة، فأحسن ظنك بربك».

ثم ناولني الركوة فشربت منها، فإذا هو سويق سكر، فوالله ما شربت قط ألدّ منه ولا أطيب ريحاً، فشبع ورويت، وأقمت أياماً لا أشتهي طعاماً ولا شراباً. ثم لم أره حتى دخلنا مكة، فرأيته ليلة إلى جنب قبّة

(١) طه: ٨٢.

(٢) زباله: منزل معروف بطريق مكة من الكوفة بين واقصة والثعلبية. سميت زباله لأنها تزبل أي تجمعها، أو باسم زباله بنت مسعر بن العمالقة نزلت بها. معجم البلدان ٣: ١٢٩ - زباله.

الشراب في نصف الليل قائماً يصلي بخضوع وخشوع وأنين وبكاء، فلم يزل كذلك حتى ذهب الليل، فلما رأى الفجر جلس في مصلاه يستبج، ثم قام فصلّى الغداة وطاف بالبيت أسبوعاً وخرج، فتبعته فإذا له حاشية وموالم، وهو على خلاف ما رأيت في الطريق، ودار به الناس من حوله يسلمون عليه، فقلت لبعض من رأيت به بقرّب منه: من هذا الفتى؟ فقال: هذا موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام. فقلت: عجبت أن تكون هذه العجائب إلا لمثل هذا السيّد^(١).

وهذه القصة من المستفيضات، وممن ذكرها الإمام السمهودي في (جواهر العقدين) رواها عن حاتم الأصم وقال: (أخرج هذه القصة كذلك ابن الجوزي في (مثير العزم الساكن) والرامهرمزي في (كرامات الأولياء)، والحافظ عبد العزيز بن الأخضر في (معالم العترة)، وابن حجر^(٢)^(٣). ثم قال محمد بن أبي طلحة: (ولقد نظم بعض المتقدمين واقعة شقيق معه في أبيات طويلة اقتصرت على بعضها منها قوله:

زر ببغداد قبر موسى بن جعفر	والزم القبر والضريح لتؤجز
إن في القبر سيّداً قرشياً	وإماماً من الذنوب مطهز
سل شقيق البلخي عنه وماشا	هد منه وما الذي كان أبصر
قال لما حججت عاينت شخصاً	شاحب اللون ناكل الجسم أسمز
سائراً وحده وليس له زا	د فما زلت دائماً أتفكز
وتوهمت أنه يسأل النا	س ولم أدري أنه الحجّ الأكبر

(١) مطالب السؤل ٢: ١٢٠ - ١٢٣. (٢) الصواعق المحرقة: ٢٠٣ - ٢٠٤.

(٣) جواهر العقدين: ٤٤٥ - ٤٤٦.

ثم عاينته ونحن نزول
 يضع الرمل في الإناء ويشرب
 اسقني شربةً فناولني من
 فسألت الحجيج من يك هذا
 دون قيد على الكتيب الأحمر
 به فناديته وعقلي تحيّر
 به فعاينته سويقاً وسكز
 قيل هذا الإمام موسى بن جعفر

فهذه الكرامات العالية الأقدار الخارقة العوائد هي على التحقيق حلية المناقب وزينة المزايا وغرر الصفات، ولا يؤتاها إلا من أفاضت عليه العناية الربانية أنوار التأييد، ومرّت له أخلاف التوفيق، وأزلفت له من مقام التقديس والتطهير: ﴿وما يلقاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾^(١).

ولقد قرع سمعي ذكر واقعة عظيمة ذكرها بعض صدور العراق، أثبت لموسى عليه السلام أشرف منقبة، وشهدت له بعلوّ مقامه عند الله تعالى وزلفى منزلته لديه، وظهرت بها كرامته بعد وفاته. ولا شك أن ظهور الكرامة بعد الموت أكبر منها دلالة حال الحياة، وهي أنّ من عظماء الخلفاء من كان له نائب كبير الشأن في الدنيا من مماليكه الأعيان في ولاية عامّة، طالت فيها مدّته، وكان ذا سطوة وجبروت. فلما انتقل إلى الله تعالى اقتضت رعاية الخليفة له أن تقدّم بدفنه في ضريح مجاور لضريح الإمام موسى بن جعفر عليه السلام بالمشهد المطهر. وكان بالمشهد نقيب معروف مشهود له بالصلاح، كثير التردد والملازمة للضريح والخدمة له قائم بوظائفها، فذكر هذا النقيب أنّه بعد دفن ذلك المتوفى في ذلك القبر بات بالمشهد، فرأى

(١) مطالب السؤل ٢: ١٢٣ - ١٢٤.

في منامه أنّ القبر انفتح، والنار تشتعل فيه، وقد انتشر منه دخان ورائحة قتار ذلك المدفون فيه إلى أن ملأت المشهد، وأنّ الإمام موسى عليه السلام واقف، فصاح بهذا النقيب باسمه وقال له: تقول للخليفة: يا فلان - سمّاه باسمه - لقد آذيتني بمجاورة هذا الظالم. وقال كلاماً خشناً.

فاستيقظ ذلك النقيب وهو يرعد فرقاً وخوفاً، فلم يلبث أن كتب ورقة وسيرها منهيّاً صورة الحال وجليّة الواقعة بتفصيلها.

فلما جنّ الليل جاء الخليفة إلى المشهد المطهر بنفسه، واستدعى النقيب ودخلوا إلى الضريح، وأمر بكشف ذلك القبر ونقل ذلك المدفون إلى موضع آخر خارج المشهد، فلما كشفوا وجدوا فيه رماد الحريق، ولم يجدوا للميت أثراً.

وفي هذه القصّة زيادة استغناء عن تعداد بقية مناقبه، واكتفاء عن بسط القول فيها^(١) انتهى كلام محمد بن أبي طلحة.

ونقل العصامي في تاريخه عن الأصمعي حكاية عن الرشيد في عرض ولديه على الأصمعي: محمد وعبدالله وأنه قال له: ما رأيت مثلهما في ذكائهما وجودة فهمهما. فضمّهما الرشيد إلى صدره فبكى، ثم أذن لهما فنهضا حتى إذا خرجا قال الرشيد: يا أصمعي، كيف بهما إذا ظهر تعاديهما، وبدا تباغضهما، ووقع بأسهما بينهما، حتى تسفك الدماء، ويودّ كثير من الأحياء أن لو كان في الأموات؟ قلت: يا أمير المؤمنين هذا شيء قضى به المنجمون عن مولديهما أو شيء أثرتة العلماء في أمرهما؟ قال: بل شيء أثرتة العلماء عن الأوصياء عن الأنبياء.

(١) مطالب السؤل ٢: ١٢٣ - ١٢٥.

قال الصولي: وكان الرشيد سمع ما يجري بينهما جميعه من موسى بن جعفر الصادق عليه السلام؛ ولذلك قال ما قال (١).

وقال ابن حجر في صواعقه: (مات الصادق عن ستة ذكور وبنات، منهم موسى الكاظم، وهو وارثه علماً ورفعةً وكمالاً وفضلاً. سمي الكاظم، لكثرة تجاوزه وحلمه، وكان معروفاً عند أهل العراق بباب قضاء الحوائج عند الله، وكان أعبد أهل زمانه وأعلمهم وأسماهم. وسأله الرشيد: كيف قلتم: إنا ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله وأنتم أبناء علي؟ فتلا: «وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ» إلى أن قال: «وَعِيسَى» (٢) وليس له أب. وقال تعالى: «فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ» (٣) - الآية - ولم يدع عليه السلام عند مباهلة النصارى غير علي والحسن والحسين فكان الحسن والحسين من الأبناء».

ومن بديع كراماته ما حكاه ابن الجوزي (٤) والرامهرمزي (٥) وغيرهما (٦) عن شقيق البلخي) وساق القصة كما مر حرفاً بحرف وقال: (ولما حج الرشيد سعي به إليه وقيل له: إن الأموال تحمل إليه من كل جانب حتى اشترى ضيعةً بثلاثين ألف دينار. فقبض عليه وأنفذه لأميره بالبصرة عيسى بن جعفر بن منصور، فحبسه سنة، ثم كتب له الرشيد في دمه، فاستغفى وأخبر أنه لم يدع علي الرشيد وأنه إن لم يرسل من يتسلمه، وإلا خلني سبيله. فبلغ الرشيد كتابه، فكتب للسندي بن شاهك يتسلمه وأمره

(١) انظر سمط النجوم العوالي ٣: ٤٣٦. (٢) الأنعام: ٨٤ - ٨٥.

(٣) آل عمران: ٦١. (٤) عنه مناقب أهل البيت: ٢٧٥ - ٢٧٦.

(٥) عنه مناقب أهل البيت: ٢٧٥. (٦) الفصول المهمة: ٢٣٣ - ٢٣٤.

فيه بأمر، فجعل له سماً في طعامه، وقيل: في رطب فمات بعد ثلاثة أيام، وعمره خمس وستون سنة.

وذكر المسعودي: أن الرشيد رأى علياً في المنام معه حربته وهو يقول له: إن لم تخلّ عن الكاظم وإلا نحرّك بهذه. فاستيقظ فزعاً فأرسل في الحال شرطته إليه بإطلاقه وثلاثين ألف درهم، وخيّره بين المقام عنده فيكرمه والذهاب إلى المدينة. فلما ذهب إليه قال له: «رأيت منك عجباً» وأخبره أنه رأى النبي صلى الله عليه وآله فعلمه كلمات قالها، فما فرغ منها إلا وأطلق^(١).

قيل: وكان موسى الهادي حبسه أولاً ثم أطلقه؛ لأنه رأى علياً يقول له: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ﴾^(٢) - الآية - فانتبه وعرف أنه المراد، فأطلقه ليلاً. وقال له الرشيد حين رآه جالساً عند الكعبة: أنت الذي تبايعك الناس سرّاً؟ فقال: «أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم».

ولما اجتمعا أمام الوجه الشريف - على صاحبه أفضل الصلاة والسلام - قال له الرشيد: السلام عليك يا ابن العم. فقال له الكاظم: «السلام عليك يا أبت».

فلم يحتملها الرشيد، وكانت سبباً لإمساكه له وحمله معه إلى بغداد وحبسه، فلم يخرج من حبسه إلا ميتاً^(٣) انتهى كلام ابن حجر. وظاهر هذه النقول تعدّد حبسه له^(٤).

وقال ابن خلكان: (موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب. أحد الأئمة الاثني

(١) مروج الذهب ٣: ٣٧٨ - ٣٧٩.

(٢) محمد: ٢٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٠٤.

(٤) وردت هذه العبارة ضمن كلام ابن حجر.

عشر (رضي الله عنهم أجمعين). قال الخطيب في (تاريخ بغداد) (١) بعد ذكره: كان موسى يُدعى العبد الصالح؛ لعبادته واجتهاده. روي أنه دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وآله فسجد سجدةً في أول الليل، وسمع وهو يقول في سجوده: «عظم الذنب عندي، فليحسن العفو عندك يا أهل التقوى وأهل المغفرة». فجعل يردّها حتى أصبح.

وكان شيخاً كريماً، وكان يبلغه عن الرجل أنه يؤذيه فيبعث إليه بصرّة فيها ألف دينار، وكان يصرّ الصرر من ثلاثمئة دينار وأربعمئة دينار ومئتي دينار، ثم يقسمها بالمدينة. وكان يسكن المدينة، فأقدمه المهدي بغداد وحبسه، فرأى المهدي علياً في النوم (٢) وذكر القصة كما مر.

وقال ابن أبي الحديد - نقلاً عن الحافظ ومن نفسه -: (ومن رجالنا موسى بن جعفر بن محمد، وهو العبد الصالح، جمع بين الفقه والدين والنسك والحلم والصبر، وابنه علي بن موسى المرشّح للخلافة، والمخطوب له بالعهد. كان أعلم الناس وأسخى الناس وأكرم الناس أخلاقاً) (٣) انتهى.

وبالجملة، فالألسن مجمعة على إمامته وعلوّ درجته في كلّ كمال ومكرمة على جميع أهل زمانه، وسيرته وكلماته تشهد بعصمته وأنّه إمام الزمان وحقّة الله في وقته على جميع الخلق.

وقال الإمام السمهودي في (جواهر العقدين): (نقل البارزي في (توثيق عرا الإيمان) عن ابن النعمان - ورأيته كذلك في كتابه - قال: روي أنّ

(١) تاريخ بغداد ١٣: ٢٧-٢٨/٦٩٨٧. (٢) وفيات الأعيان ٥: ٣٠٨/٧٤٦.

(٣) شرح نهج البلاغة ١٥: ٢٩١.

المهدي كان في بعض الليالي، فانتبه فزعاً مرعوباً، فاستحضر صاحب شرطته وأمره أن ينطلق إلى المطبخ ويطلق منه العلوي الحسيني، ويسلم إليه ألف دينار، ويخيره بين المقام عنده مكرماً والخروج والرواح بما يطيب له. فجاء إلى المطبخ، وأخرج منه العلوي، وحدثه بما قال، وأعطاه ألف دينار، وخيره بين المقام مكرماً والخروج إلى أهله، فاختر الخروج، فأتاه بمركب، فلما أراد أن يركب قال له صاحب الشرطة: بالذي فرج عنك، هل تعلم ما دعا أمير المؤمنين إلى إطلاقك قال: «أي والله، إني الليلة كنت نائماً؛ فرأيت رسول الله صلى الله عليه وآله في المنام؛ فقال لي: أي بني ظلموك؟ قلت: نعم يا رسول الله. قال: قم فصل ركعتين وقل بعدهما: يا سابق الفوت، يا سامع الصوت، يا كاسي العظام بعد الموت، صلّ على محمد وعلى آل محمد، واجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً إنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، يا أرحم الراحمين فوالله، لقد فعلت ما قاله رسول الله صلى الله عليه وآله، وما أمرني من الدعاء، فجعلت أكرر هذه الكلمات إلى أن دعوتني». قال الشرطي: فلما عدت للمهدي حدثته بالحديث فقال: صدق، أي والله، رأيت في منامي كأن زنجياً بيده عمود حديد وهو قائم على رأسي يقول: أطلق الحسيني العلوي وإلا قتلتك. فانتبهت مرعوباً وما جسرت على النوم حتى جئتني بإطلاقه.

وقال المسعودي في (المروج): (ذكر عبدالله بن مالك الخزاعي - وكان على دار الرشيد وشرطته - قال: أتاني رسول الرشيد في وقت ما جاءني فيه قبل، فانتزعني من موضعي، ومنعني من تغيير ثيابي، فراعني ذلك. فلما دخلت على الرشيد وجدته قاعداً على فراشه فسلمت، فقال: أتدري لم طلبتك في هذا الوقت؟ قلت: لا. قال: إني رأيت في منامي كأن حبشياً

أتاني ومعه حربة؛ فقال لي: إن خلّيت عن موسى بن جعفر الساعة وإلا نحرّتك بهذه الحربة. فاذهب فخلّ عنه قال: قلت: يا أمير المؤمنين، أطلق موسى بن جعفر؟ ثلاثاً قال: نعم، امض الساعة وأطلقه وأعطه ثلاثين ألف درهم، وقل له: إن أحببت المقام فلك عندي ما تحبّ، وإن أحببت المضي إلى المدينة فالأمر لك.

قال: فمضيت إلى الحبس، فلما رأني موسى بن جعفر وثب إلي، وظن أنّه أمرت فيه بمكروه؛ فقلت: لا تخف؛ فقد أمرني بإطلاقك، وأن أدفع لك ثلاثين ألف درهم، وهو يقول لك: إن أحببت المقام فلك كل ما تحبّ، وإن أحببت الانصراف إلى المدينة فالأمر إليك. وأعطيته الثلاثين ألفاً، وخلّيت سبيله، وقلت له: لقد رأيت من أمرك عجباً فأخبرني. قال: «بيننا أنا نائم إذ أتاني النبي صلى الله عليه وآله؛ فقال: موسى حبست مظلوماً؛ فقل هذه الكلمات، فإنك لا تبيت هذه الليلة في السجن؛ فقلت: بأبي أنت وأمي، ما أقول؟ قال: قل: يا سامع كل صوت، ويا سابق الفوت، ويا كاسي العظام لحماً ومنشرها بعد الموت، أسألك بأسمائك الحسنى وباسمك الأعظم المخزون المكنون الذي لا يطلع عليه أحد من المخلوقين، يا حليماً ذا أناءٍ لا يقوى على أناته أحد، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبداً ولا يحصيه غيرك، يا رحمن يا رحيم، يا حي يا قيوم، اجعل لي من أمري فرجاً ومخرجاً إنك على كل شيء قدير. فكان ما رأيت»...^(١).

قلت: وموسى هذا هو الملقب بالكاظم؛ لكظمه الغيظ وحلمه وكان موسى الهادي قد حبسه ثم أطلقه قال بعضهم: لأنه رأى في منامه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب يقول: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ﴾^(٢) الآية ثم انتبه وعرف

(٢) سورة محمد: ٢٢.

(١) مروج الذهب ٢: ٢.

أنه المراد؛ فأطلقه^(١).

وقال صاحب (واجب الأدب): إن الرشيد حجّ فرأى الكاظم جالساً إلى جانب البيت، فقال له: أنت الذي يبائعك الناس سرّاً؟ فقال: «أنا إمام القلوب وأنت إمام الجسوم». فأدركته عليه الشفقة، ثم لقيه عند قبر النبي صلى الله عليه وآله، فقال الرشيد - مسمعاً من حوله من أعلام البلاد - : السلام عليك يا ابن عم. فقال الكاظم في الحين: «السلام عليك يا أبت». فلم يحتملها، وقامت قيامته منها، وأمر بحمله إلى بغداد، فلم يخرج من حبسه إلا مقيداً ميتاً^(٢). انتهى كلام السهمودي ملخصاً.

قلت: ونظيره ما أخرجه ابن طلحة من الكرامة التي شوهدت في مشهد مولانا موسى بن جعفر ما نقله السهمودي في (جواهر العقدين) عن (توثيق عرى الإيمان) للبارزي عن إبراهيم بن مهران قال: (كان بالكوفة في جيراننا رجلٌ قاضٍ يكنى أبا جعفر، حسن المعاملة، وكان إذا أتاه إنسان من العلوية يطلب ما عنده لا يمنعه؛ فإن كان معه ثمنه أخذه، وإلا قال لغلامه: أكتب ما أخذه عليّ بن أبي طالب. فعاش كذلك زماناً ثم افتقر وجلس في بيته فكان ينظر في دفاتر له فإن وجد فيها شيئاً بعث من يقتضيه وإن وجد ميتاً ضرب عليّ اسمه.

فبينما هو ذات يوم جالس عليّ باب داره ينظر في ذلك الدفتر إذ مرّ به رجلٌ، فقال له كالمستهزئ: ما فعل غريمك الكبير؟ يعني علياً، فاغتم الرجل لذلك، ودخل منزله، فلما كان الليل رأى النبي صلى الله عليه وآله وكان الحسن والحسين يمشيان بين يديه؛ فقال لهما: «ما فعل أبوكما؟» فأجابه عليّ من

(١) مروج الذهب ٢: ٢.

(٢) انظر ينابيع المودة ٣: ١٢٠.

ورائه؛ فقال: «ها أنا يارسول الله؟» فقال له: «مالك لا تدفع إلى هذا الرجل حقه؟» فقال: «يارسول الله هذا حقه قد جنته به». قال: «فأعطاه» قال: فناولني كيساً من صوف وقال: «هذا حقك». فقال لي رسول الله ﷺ: «خذه ولا تمنع من جاءك من ولده يطلب ما عندك، فامض لا فقر عليك بعد اليوم» قال: فانتبهت والكيس بيدي فناديت امرأتي: أنائم أنا أم يقظان؟ قالت: بل يقظان قلت: فأسرجي. فأسرجت، فناولها الكيس فإذا فيه ألف دينار؛ فقالت: يارجل اتق الله، لا يكون الفقر حملك على أن خدعت بعض التجار فأخذت ماله؟ قلت: لا والله، ولكن القصة كيت وكيت قالت: فإن كنت صادقاً فانظر في حساب علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) فدعا بالدفتر، فإذا ليس به شيء قليل ولا كثير^(١) انتهى.

فانظر إلى هذه المعجزة الصادرة بعد الموت فإنها ليست بأضغاث أحلام، وإنما هي من منن القادر العلام.

(١) عنه ينابيع المودة ٢: ١٧٥.

[في إمامة أبي الحسن الرضا عليه السلام]

وأما ابنه الإمام علي بن موسى الرضا (سلام الله عليه)، فقال ابن الاثير في جامعه ما ملخصه: أبو الحسن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب الهاشمي المعروف بالرضا، عقد له البيعة بالعهد والخلافة المأمون بغير اختياره إليه. انتهت إمامة الشيعة في زمانه وفضائله أكثر من أن تحصى، انتهى.

وقال ابن خلكان في تاريخه: (علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين. وهو أحد الأئمة الاثني عشر على اعتقاد الإمامية، وكان المأمون زوجه ابنته أم حبيب، وجعله ولي عهد، وضرب اسمه على الدينار والدرهم. وكان السبب في ذلك أنه استحضر أولاد العباس الرجال منهم والنساء وهو بمدينة مرو وكان عددهم ثلاثة وثلاثين ألفاً ما بين الكبار والصغار واستدعى عليا المذكور فأنزله أحسن منزلة وجمع له خواص الأولياء وأخبرهم أنه نظر في أولاد العباس وأولاد علي بن أبي طالب فلم يجد في وقته أفضل ولا أحق بالأمر من علي الرضا، فبايع له بولاية عهده، وأمره بإزالة السواد من اللباس والأعلام ولبس الخضرة).

إلى أن قال: (وفيه يقول ابو نواس:

قيل لي أنت أحسن الناس طراً
 لك من جيد القريض مديح
 فعلى ما تركت مدح ابن موسى
 قلت لا أستطيع مدح إمام
 في فنون من المقال النبويه
 يثمر الدر في يدي مجتنيه
 والخصال التي تجمعن فيه
 كان جبريل خادماً لأبيه

وكان سبب قوله هذه الأبيات أن بعض أصحابه قال له: ما رأيت أوقح منك ما تركت خمراً ولا مغنى ولا طرباً إلا قلت فيه شيئاً، وهذا علي بن موسى الرضا في عصرك لم تقل فيه شيئاً! فقال: والله ما تركت ذلك إلا إعظماً له^(١) انتهى.

وقال محمد بن أبي طلحة في (مطالب السؤل): (أبو الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليه السلام). قد تقدّم القول في أمير المؤمنين عليّ وفي زين العابدين علي، وجاء هذا علي الرضا ثالثهما. ومن أمعن نظره وفكره وجده في الحقيقة وارثهما، فبحكم كونه ثالث العليين نما إيمانه، وعلا شأنه، وارتفع مكانه، واتسع إمكانه، وكثر أعوانه، وظهر برهانه، حتى أحلّه المأمون محل مهجته، وأشركه في مملكته، وفوض إليه أمر خلافته، وعقد له عليّ رؤس الأشهاد عقدة نكاح ابنته.

كانت مناقبه عليّة، وصفاته الشريفة سنيّة، ومكارمه حاتميّة، وشنشنته أخزميّة، وأخلاقه عربيّة، ونفسه الشريفة هاشميّة، وأرومته الكريمة نبويّة، فمهما عدّ من مزاياه كان عليه السلام أعظم منه، ومهما فضّل من مناقبه كان أعلى رتبة عليه).

(١) وفيات الأعيان ٣: ٢٦٩ - ٢٧٠ / ٤٢٣.

إلى أن قال: (وأما ألقابه، فالرضي والصابر والرضا والوفي، وأما مناقبه فمنها ما خصّه الله تعالى به ويشهد بعلوّ قدره وسموّ شأنه، وهو أنه لمّا جعله المأمون وليّ عهده، وأقامه خليفةً من بعده كان في حاشية المأمون أناس كرهوا ذلك، وخافوا خروج الخلافة من بني العباس وعودها في بني فاطمة عليها السلام، فحصل عندهم من الرضا نفور، وكان عادة الرضا إذا جاء إلى دار المأمون ليدخل عليه يبادر من بالدهليز من الحاشية إلى السلام عليه ورفع الستر بين يديه فلمّا حصلت لهم النفرة منه توامصوا بينهم وقالوا: إذا جاء ليدخل على الخليفة فأعرضوا عنه ولا ترفعوا الستر له، فاتّفقوا على ذلك.

فبينما هم قعود إذ جاء الرضا على عادته، فلم يملكوا أنفسهم إذ سلّموا عليه ورفعوا الستر على عادتهم، فلما دخل أقبل بعضهم على بعض يتلاومون؛ كونهم ما وقفوا على ما اتّفقوا عليه، وقالوا: النوبة الآتية إذا جاء لا نرفعه له. فلما كان في ذلك اليوم جاء، فقاموا وسلّموا عليه، ووقفوا، ولم يبتدروا إلى رفع الستر، فأرسل الله ريحاً شديدة دخلت في الستر ورفعته أكثر ما كانوا يرفعونه، فدخل، فسكنت الريح، فعاد الستر إلى ما كان، فلمّا خرج عادت الريح ودخلت في الستر حتى رفعت، فخرج فسكنت فعاد الستر.

فلما ذهب أقبل بعضهم على بعض وقالوا: هل رأيتم؟ قالوا: نعم. فقال بعضهم لبعض: يا قوم هذا رجل له عند الله منزلة، والله به عناية، ألم تروا أنكم لمّا لم ترفعوا له الستر أرسل الله الريح وسخرها له لرفع الستر، كما سخرها لسليمان؟ فارجعوا إلى خدمته؛ فهو خير لكم. فعادوا إلى ما كانوا

عليه وزادت عقيدتهم فيه.

ومنها؛ أنه كان بخراسان امرأة تسمى زينب، فادّعت أنها علوية من سلالة فاطمة عليها السلام، وصارت تصول على أهل خراسان بنسبها فسمع بها عليّ الرضا عليه السلام فلم يعرف نسبها وقال: «هذه كذابة». فسفّهت عليه؛ فقالت: كما قدحت في نسبي أنا أقدح في نسبك. فأخذته الغيرة العلوية، فقال لسلطان خراسان، وكان له بها موضع فيه سباع مسلسلة ينتقم به، يسمى ذلك الموضع بركة السباع، فأخذ الرضا بيد تلك المرأة وأحضرها عند السلطان وقال: «هذه كذابة على عليّ وفاطمة، وليست من نسلهما فإن من كان حقاً بضعةً من فاطمة وعلي فإن لحمه حرام على السباع، فالقوها في بركة السباع؛ فإن كانت صادقة فإن السباع لا تقر بها، وإن كانت كاذبة افترستها السباع». فلما سمعت ذلك منه قالت: فانزل أنت إلى السباع؛ فإن كنت صادقاً فإنها لا تفترسك فلم يكلمها، وقام عليه السلام، فقال له السلطان: إلى أين؟ قال: «إلى بركة السباع، والله لأنزلن إليها».

فقام السلطان والناس والحاشية وجاؤوا وفتحوا باب البركة، فلما حصل الرضا بين تلك السباع وقعت جميعها على آذانها إلى الأرض، وصار يأتي إلى واحدٍ واحدٍ يمسح وجهه ورأسه وظهره والسبع يبصبص له إلى أن أتى على الجميع ثم طلع والناس يبصرونه؛ فقال للسلطان: «أنزل هذه الكذابة على عليّ وفاطمة ليبين لك». فامتنعت، فألزمها ذلك السلطان، وأمر أعوانه فدفعوها في البركة، فوثبت السباع عليها فافترسوها، فاشتهر اسمها بخراسان بزینب الكذابة، وحديثها هناك مشهور.

ومنها؛ قصة دعبل بن علي الخزاعي قال دعبل: لما قلت: (مدارس

آيات) قصدت بها أبا الحسن علي بن موسى الرضا وهو بخراسان ولي عهد المأمون في الخلافة، فوصلت المدينة وحضرت عنده وأنشدته إياها فاستحسنها، وقال: «لا تنشدها أحداً حتى أمرك». واتصل خبري بالمأمون فأحضرني وسألني عن خبري ثم قال لي: يا دعبل أنشدني:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ

فقلت: ما أعرفها فقال: يا غلام، أحضر أبا الحسن علي بن موسى الرضا. فلم يكن إلا ساعةً حتى حضر، فقال له: يا أبا الحسن، سألت دعبلاً عن (مدارس آياتٍ)، فذكر أنه لا يعرفها؛ فقال لي أبو الحسن: «يا دعبل، أنشد أمير المؤمنين». فأنشدتها فاستحسنها، وأمر لي بثلاثين ألف درهم، وأمر لي أبو الحسن علي بن موسى الرضا بقريب من ذلك، فقلت: ياسيدي، إن رأيت أن تهب لي شيئاً من ثيابك لتكون كفني. فقال: «نعم» ثم دفع إلي قميصاً قد ابتدله ومنشفة لطيفة، وقال لي: «احفظ هذا تحفظ به».

ثم دفع إليّ ذو الرئاستين أبو العباس الفضل بن سهل وزير المأمون صلة وحملني على بردون أصفر خراساني، وكنت أسايره في يوم مطير، وعليه مطر خزّ وبرنس، فأمر لي به، ودعا بغيره جديد ولبسه، وقال: إنما آثرتك بالملبوس لأنه خير الممطرين. قال: فأعطيت به ثمانين ديناراً فلم تطب نفسي ببيعه، ثم كررت راجعاً إلى العراق.

فلما صرت في بعض الطريق خرج علينا الأكراد فأخذونا، وكان ذلك اليوم يوم مطر، فصرت في قميص خلق وصرّ شديد، وأنا متأسّف من جميع ما كان معي على القميص والمنشفة، ومفكّر في قول سيدي الرضا إذ مرّ بي واحد من الأكراد الحراميّة تحته الفرس الأصفر الذي حملني

عليه ذو الرئاستين، وعليه الممطر، فوقف بالقرب مني ليجتمع إليه أصحابه، وهو ينشد:

مدارس آياتٍ خلت من تلاوةٍ

وبيكي، فلما رأيت ذلك عجبت من لصّ من الأكراد يتشيع، ثم طمعت في القميص والمنشفة؛ فقلت: ياسيدي لمن هذه القصيدة؟ فقال: ما أنت وذاك ويلك؟ فقلت: إن لي فيه سبباً أخبرك به. فقال لي: هي أشهر بصاحبها أن يجهل. فقلت: من هو؟ فقال: دعبل بن علي الخزاعي شاعر آل محمد (جزاه الله خيراً). فقلت له: ياسيدي، أنا والله دعبل، وهذه قصيدتي. فقال: ويلك ما تقول؟ فقلت: الأمر أشهر من ذلك، فاسأل أهل القافلة؟ فاستحضر منهم جماعةً وسألهم عني، فقالوا بأسرهم: هذا دعبل بن علي الخزاعي؛ فقال: قد أطلقت كل ما أخذت من القافلة خلاله فما فوقها كرامةً لك. ثم نادى في أصحابه: من أخذ شيئاً فليردّه. فرجع عليّ الناس كل ما أخذ منهم، ورجع إليّ جميع ما كان معي، ثم بدرقنا^(١) إلى المأمن فحرسنا أنا والقافلة ببركة ذلك القميص والمنشفة.

فانظر إلى هذه المنقبة ما اعلاها وما أشرفها وأنا أورد من القصيدة ما يناسب المقام؛ لتلا يظنّ بي الجهل بها، وهي قوله شعراً:

ذكرت محل الربع من عرفاتٍ	فأسبلت دمع العين في الوجناتِ
وقلّ عزا صبري وهاج صبابتي	رسوم ديار أقفرت وعراتِ

(١) البدرقة: الجماعة التي تتقدم القافلة وتكون معها تحرسها من العدو، وهي مؤلدة.

ومهبط وحي مقفر العرصات
وبالبيت والتعريف والجمرات
وحمزة والسجاد ذي الثففات
ولم تعف بالأيام والسنوات
نجي رسول الله في الخلوات
وللصوم والتطهير والحسنات
من الله بالتسليم والرحمات
سبيل رشاد واضح الطرقات
على أحمد الروحات والغدوات
أفانين في الأقطار مفترقات
وهم خير سادات وخير هداة
لقد شرفوا بالفضل والبركات
بذكرهم لم يقبل الصلوات
وتؤمن منهم زلة العثرات
وزد حبهم يارب في حسناتي
وآل زياد تسكن الحجرات
وآل زياد غلظ القصرات
وآل زياد زينوا الحجلات
وآل زياد آمنوا السربات^(١)
وآل رسول الله في الفلوات

مدارس آيات خلت من تلاوة
لآل رسول الله بالخيف من منى
ديار علي والحسين وجعفر
ديار عفاها جور كل منابذ
ودار لعبدالله والفضل صنوه
منازل كانت للصلاة وللتقى
منازل جبريل الأمين يحلها
منازل وحي الله معدن علمه
منازل وحي الله ينزل حولها
فأين الألى شطت بهم غربة النوى
هُم آل ميراث النبي اذا انتموا
مطاعيم في الإعسار في كل مشهد
إذا لم نناج الله في صلواتنا
أئمة عدل يقتدى بفعالهم
أيا رب زد قلبي هدىً وبصيرةً
ديار رسول الله أصبحن بلقاً
وآل رسول الله غلت رقابهم
وآل رسول الله تدمي نحورهم
وآل رسول الله تسبي حريمهم
وآل زياد في القصور مصونة

(١) السربات: جمع السرب، وهو رخاء البال. الصحاح ١: ١٤٦ - سرب.

وزاد العصامي:

فلولا الذي أرجوه في اليوم أو غدٍ تقطع نفسي أثرهم حسراتٍ
خروج إمام لا محالة خارج يقوم على اسم الله بالبركات
يميز فينا كلّ حق وباطل ويجزي على النعماء والنقمات
فيا نفس طيبي ثم يا نفس فاصبري فغير بعيد كلّ ما هو آتٍ
ألم ترَ أني مذ ثلاثين حجّةً أروح وأغدو دائم الحسراتِ
أرى فينهم في غيرهم متقسماً وأيديهم من فينهم صفراتِ
سأبكيهـم ما ذر في الأرض شارق ونادى منادي الخير للصلوات
فيا وارثي علم النبي وآله عليكم سلام دائم النفحات
لقد آمنت نفسي بكم في حياتها وإنني لأرجو الأمن بعد مماتي

ومما تلقته الاسماع بالاستماع، ونقلته الألسن في بقاع الأصقاع أن
المأمون وجد في يوم عيد انحراف مزاج أحدث عنده ثقلاً عن الخروج
إلى الصلاة بالناس فخرج الرضا عليه السلام وعليه قميص قصير أبيض، وعمامة
بيضاء لطيفة، وهما من قطن، وفي يده قضيب، فأقبل ماشياً يوم المصلي
وهو يقول: «السلام على أبيي آدم ونوح، السلام على أبيي إبراهيم وإسماعيل، السلام
على أبيي محمد وعلي، السلام على عباد الله الصالحين». فلما رآه الناس أهرعوا إليه
وانثالوا عليه لتقبيل يده، فأسرع بعض الحاشية إلى المأمون؛ فقال: تدارك
الناس واخرج صلّ بالناس، وإلا خرجت الخلافة منك الآن. فحملة على
أن خرج بنفسه، وجاء مسرعاً والرضا بعد من كثرة ازدحام الناس عليه لم
يتخلص إلى المصلي، فتقدم المأمون وصلّى بالناس.

قال هرثمة بن أعين - وكان في خدمة الخليفة إلاّ إنّه كان محبباً لأهل

البيت إلى الغاية التي | يعدّ نفسه | معها | بأنه من شيعتهم، وكان قائماً بمصالح الرضا، باذلاً نفسه بين يديه، متقرباً إلى الله بخدمته قال - : طلبني سيدي الرضا عليه السلام وقال لي: «يا هرثمة، إنني مطلعك على حالة تكون عندك سرّاً لا تظهرها وأنا حي، فإن أظهرتها حال حياتي كنت خصمك عند الله تعالى». فعاهدته عليّ أني لا أعلم بها أحداً ما لم يأمرني؛ فقال: «اعلم أنني آكل بعد أيام عنباً ورماناً مفتوتاً فأموت، ويقصد الخليفة أن يجعل قبري ومدفني خلف قبر أبيه الرشيد، وأن الله تعالى لا يقدره على ذلك، فإن الأرض تشتدّ عليهم فلا يستطيع أحدٌ حفر شيء منها، وإنما قبري في بقعة كذا - لموضع عينه - فإذا أنا مت وجهزت فأعلمه بجميع ما قلت لك، وقل له: لا يهتم في الصلاة عليّ فإنه يأتي رجل عربي ملثم على بعير مسرع وعليه وعشاء السفر فينزل عن بعيره ويصلي عليّ، فإذا صلّى عليّ وحملت، فأقصد المكان الذي عينته لك، فاحفر شيئاً يسيراً من وجه الأرض تجده قبراً معمولاً في قعره ماء أبيض فإذا كشفته نضب الماء فادفني فيه. والله الله أن تخبر بهذا قبل موتي».

قال هرثمة: فوالله ما طالت الأيام حتى أكل عنباً ورماناً فمات، فدخلت عليّ الخليفة فوجدته يبكي عليه، فقلت: يا أمير المؤمنين عاهدني الرضا عليّ أمرٍ أقوله لك وقصصت عليه تلك القصة التي قالها كلّها وهو يعجب ممّا أقوله، فأمر بتجهيزه فلمّا نجز تهيأ للصلاة عليه، وإذا بالرجل قد أقبل عليّ بعير من الصحراء مسرعاً فلم يكلم أحداً، ثم دخل فصلّي عليه مسرعاً، فخرج، فصلّي الناس عليه، وأمر الخليفة بطلب الرجل ففاتهم ولم يعلم له خبر.

ثم أمر الخليفة بأن يحفر له قبرٌ خلف قبر الرشيد، فعجز الحافرون عن الحفر، فذهبت إلى موضع قبره الآن فبقدر ما كشفت وجه الأرض ظهر

قبر محفور فكشفت عنه طوابيقه وإذا في قعره ماء أبيض كما قال، فأعلمت الخليفة، فحضر وأبصر على الصورة التي ذكرها، فنضب الماء فدفن فيه. ولم يزل المأمون يتعجب من قوله، ولم تزل منه كلمة واحدة عما ذكرها.

فانظر إلى هذه المنقبة العظيمة والكرامة البالغة التي تنطق بعناية الله تعالى به وازلاف مكانته عنده^(١) انتهى كلام ابن طلحة ببعض الاختصار. وقال الإمام السمهودي في (جواهر العقدين): (وأما عليّ الرضا بن موسى الكاظم فكان أوجد أهل زمانه، أسلم على يده أبو محفوظ معروف الكرخي أستاذ السري السقطي.

قال: الإمام أبو القاسم القشيري - وهو يعني معروفاً الكرخي - من موالي علي بن موسى الرضا وذكر إسلامه على يده.

قال الجمال الزرندي: وقال له المأمون: بأي وجه جدك علي بن أبي طالب قسيم الجنة والنار؟ فقال: «يا أمير المؤمنين ألم ترو عن أبيك عن آباه عن عبدالله بن عباس قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: حب عليّ إيمان وبغضه كفر؟» قال: بلى. قال الرضا: «فقسمة الجنة والنار إذن كان على حبه وبغضه». فقال المأمون: لا أبقاني الله بعدك يا أبا الحسن، أشهد أنك وارث علم رسول الله ﷺ.

قال أبو الصلت عبد السلام بن صالح الهروي: فلما رجع الرضا إلى بيته قلت له: يا ابن رسول الله، ما أحسن ما اجبت به أمير المؤمنين! فقال: «يا أبا الصلت، إنما كلمته من حيث هو، ولقد سمعت أبي يحدث عن أبيه عليه السلام عن علي عليه السلام قال: قال لي رسول الله ﷺ: أنت قسيم الجنة والنار، فيوم القيامة تقول للنار: هذا لي، وهذا

(١) مطالب السؤل: ٤٦٣.

لك».

قلت: أخرج الدارقطني عن أبي الطفيل عامر بن واثلة الكناني حديثاً طويلاً في أمر الشورى قال فيه: إنَّ علياً قال لهم: «فأنشدكم الله، هل فيكم أحدٌ قال له رسول الله صلى الله عليه وآله: يا علي أنت قسيم الجنة والنار غيري؟» قالوا: اللهم لا. ويشهد له ما أخرجه ابن السمان عن قيس بن أبي حازم: قال: التقى أبو بكر وعلي، فتبسّم أبو بكر في وجه علي، فقال له: «ما بالك تبسّمت؟». فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «لا يجوز أحد الصراط إلا من كتب له عليّ الجواز».

وفي كتاب (إعلام الوري) للطبرسي: روى الحاكم أبو عبدالله الطوسي بإسناده عن أبي حبيب قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام وكأنه قد وافى المسجد الذي ينزله الحجّاج من بلدنا في كل سنة، وكأني مضيت إليه وسلّمت عليه ووقفت بين يديه، فوجدته وعنده طبق من خوص المدينة فيه تمر صيحاني، وكأنه قبض قبضةً من ذلك التمر فناولنيها، فعددتها فوجدتها ثماني عشرة تمرّة، فتأولت أنّي أعيش بعدد كلّ تمرّة سنة. فلما كان بعد عشرين يوماً وأنا في أرضٍ لي تعمر للزراعة إذ جاءني من أخبرني بقدم أبي الحسن علي الرضا بن موسى الكاظم من المدينة ونزوله ذلك المسجد، ورأيت الناس يسعون إلى السلام عليه من كلّ جانب، فمضيت نحوه فإذا هو جالس في الموضع الذي رأيت النبي صلى الله عليه وآله فيه جالساً، وتحتة حصير مثل الحصير الذي رأيتها تحتة صلى الله عليه وآله، وبين يديه طبق من خوص وفيه تمر صيحاني، فسلمت عليه فردّ عليّ السلام، واستدنانني، وناولني قبضة من ذلك التمر، فعددتها فإذا هي بعدد ما ناولني رسول الله صلى الله عليه وآله في النوم: ثماني عشرة حبة، فقلت: زدني! فقال: «لو زادك رسول

الله عليه السلام لزدناك» (١).

وروى الحاكم بإسناده عن سعد عن أبي الحسن عليّ الرضا عليه السلام: أنه نظر إلى رجل فقال: «يا عبدالله، أوص بما تريد، واستعدّ لما لا بدّ منه». فمات الرجل بعد ذلك بثلاثة أيام) انتهى كلام السمهودي.

وقال في موضع آخر من كتابه المذكور: (وفي (تاريخ نيسابور) - كما في (الفصول المهمّة) - أن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين لما دخل بنيسابور كان في قبة مستورة بالسقلاط على بغلة شهباء، وقد شقّ سوق نيسابور، فعرض له الإمامان الحافظان للأحاديث النبوية أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي، ومعهما خلائق لا يحصون من طلبة العلم والحديث وأهل الرواية والدراية، فقالا له: أيها السيّد الجليل ابن السادة الأئمة، بحق آبائك الأطهرين، وأسلافك الأكرمين، إلا ما أريتنا وجهك المأمون، ورويت لنا حديثاً عن آبائك عن جدّك محمد عليه السلام نذكرك به. فاستوقف البغلة، وأمر غلمانها بكشف المظلة، وأقرّ عيون تلك الخلائق برؤية طلعتة المباركة. وكانت له ذؤابتان مدلاتان على عاتقه، والناس كلّهم قيام على طبقاتهم ينظرون إليه، وهم ما بين صارخ وبالك، وتمرّغ في التراب، ومقبّل لحافر بغلته، وعلا الضجيج، فصاحت الأئمة والفقهاء والعلماء: معاشر الناس اسمعوا وعوا، وانصتوا لسماع ما ينفعكم، ولا تؤذونا بكثرة صراخكم وبكائكم.

وكان المستملي أبو زرعة الرازي ومحمد بن أسلم الطوسي، فقال علي

بن موسى: «حدثني أبي موسى الكاظم عن أبيه جعفر الصادق عن أبيه محمد الباقر عن أبيه علي زين العابدين عن أبيه الحسين شهيد كربلاء عن أبيه علي بن أبي طالب (سلام الله عليهم أجمعين) قال: حدثني حبيبي وقرة عيني رسول الله ﷺ قال: حدثني جبرئيل قال: سمعت رب العزة سبحانه يقول: كلمة لا إله إلا الله حصني، فمن قالها دخل حصني، ومن دخل حصني أمن من عذابي». ثم أرخى الستر على القبة وسار.

قال: فعَدَّ أهل المحابر والدوى الذين كانوا يكتبون فأنافوا على عشرين ألفاً.

وقال الأستاذ أبو القاسم القشيري: اتَّصل هذا الحديث بهذا السند ببعض أمراء السامانية، فكتبه بالذهب، وأوصى أن يدفن معه في قبره، فرُئي في النوم بعد موته، فقيل له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي بتلفظي بألا إله إلا الله، وتصديقي بأن محمداً رسول الله ﷺ.

وذكر الجمال الزرندي في كتابه (معارج الوصول) أن الحافظ أبا نعيم روى هذا الحديث بسنده عن أهل البيت، أعني المذكورين إلى علي بن أبي طالب سيّد الأولياء قال: «قال رسول الله ﷺ سيّد الأنبياء قال: حدثني جبرئيل سيّد الملائكة قال: قال الله تعالى: إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدوني فمن جاء منكم بشهادة أن لا إله إلا الله بالإخلاص دخل حصني، ومن دخل حصني أمن عذابي».

قال: وفي رواية غير أبي نعيم: قال الله تعالى: «كلمة لا إله إلا الله حصني» الحديث، ثم نقل ما قاله القشيري، وزاد بعد قوله: (وتصديقي بأن محمداً رسول الله): (وكتابتني هذا الحديث بالذهب تعظيماً له واحتراماً).

وقال الحافظ جمال الدين المذكور: قال أبو الليث عبد السلام بن صالح الهروي: كنت مع علي بن موسى الرضا، وقد دخل نيسابور وهو على بغلة

له شهباء، فغدا في طلبه العلماء من أهل البلد، وهم أحمد بن حذب وابن النظر ويحيى بن يحيى وعدة من أهل العلم، فتعلقوا بلجامه في المربعة وقالوا له: بحق آبائك الطاهرين حدثنا بحديث سمعته من أبيك. فقال: «حدثني أبي العبد الصالح موسى بن جعفر قال: حدثني أبي جعفر الصادق بن محمد قال: حدثني أبي باقر علم الأنبياء محمد بن علي قال: حدثني أبي سيد العابدين علي بن الحسين قال: حدثني أبي سيد شباب أهل الجنة الحسين بن علي (رضي الله عنهم) قال: سمعت أبي سيد العرب علي بن أبي طالب يقول: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان».

وقال الإمام أحمد بن حنبل: لو قرأت هذا الإسناد على مجنون لبرؤ من حينه.

وروى بعضهم: أن المستملي لهذا الحديث أبو زرعة الرازي، ومحمد بن أسلم الطوسي^(١) انتهى كلام السهمودي.

وقال ابن حجر في صواعقه في آخر ديباجة الكاظم عليه السلام: (كان أولاده حين وفاته سبعة وثلاثين ذكراً وأنتى منهم علي الرضا وهو أبهاهم ذكراً وأجلهم قدراً، ومن ثم أحله المأمون محلّ مهجته، وأشركه في مملكته، وفوض إليه أمر الخلافة، فإنه كتب بيده كتاباً سنة إحدى ومئتين أن علياً الرضا ولي عهده، وأشهد عليه جمعاً كثيراً، لكنه توفي قبله، وأخبر قبل موته أنه يأكل عنياً ورمناً مسموماً، ويموت، وأن المأمون يريد دفنه خلف الرشيد فلا يستطيع، فكان ذلك كله كما أخبر به.

ومن موالیه معروف الكرخي أستاذ السري السقطي؛ لأنه أسلم على

(١) انظر معارج الوصول إلى معرفة فضل آل الرسول: ١٥٦

يديه، وقال الرجل: «يا عبدالله أوص بما تريد، واستعدّ لما لا بدّ منه». فمات الرجل بعد ثلاثة أيام، رواه الحاكم.

وروى أيضاً عن محمد بن عيسى عن أبي حبيب قال: رأيت النبي صلى الله عليه وآله في المنام في المنزل الذي تنزله الحجاج ببلدنا، وذكر القصة كما مر ثم قال: ولما دخل نيسابور وذكر حديث أبي زرعة ومحمد بن أسلم كما مر إلى قوله: فنافوا عليّ عشرين ألفاً.

ثم قال: وفي رواية أن الحديث المروي: «الإيمان معرفة بالقلب، وإقرار باللسان، وعمل بالأركان» ولعلهما واقعتان، وقال أحمد: لو قرأت هذا الإسناد عليّ مجنون؛ لبرؤ من حينه^(١).

(١) الصواعق المحرقة: ٢٠٧، عنه مناقب أهل البيت: ٢٨٣.

[في إمامة الجواد عليه السلام]

إلى أن قال: (توفي عن خمسة ذكور وبنات، أجلهم محمد الجواد وممّا اتّفق له بعد موت أبيه بسنة أنه كان واقفاً والصبيان يلعبون في أزقة بغداد إذ مرّ المأمون، ففرّ الصبيان ووقف محمد وعمره تسع سنين، فألقى الله محبّته في قلبه؛ فقال له: يا غلام ما منعك من الانصراف؟ فقال له مسرعاً: «يا أمير المؤمنين، لم يكن بالطريق ضيق فأوسّعه لك، وليس لي جرم فأخشاك، والظن بك حسن أنك لا تضر من لا ذنب له». فأعجبه كلامه وحسن صورته فقال: ما اسمك واسم أبيك؟ فقال: «محمد بن علي الرضا». فترحمّ عليّ أبيه، وساق جواده. وكان معه بزة للصيد، فلما بعد عن العمار أرسل بأزاً عليّ دارجه، فغاب عنه ثم عاد من الجو وفي منقاره سمكة صغيرة وبها بقايا الحياة، فتعجب من ذلك ورجع ورأى الصبيان عليّ حالهم ومحمد عندهم ففرّوا إلّا محمداً، فدنا منه وقال له: يا محمد، ما في يدي؟ فقال: «إن الله تعالى خلق في بحر قدرته سمكاً صغاراً، فتصيده بزة الملوك، فيختبرون بها سلالة أهل بيت المصطفى». فقال له: أنت ابن الرضا حقاً. وأخذه معه، وأحسن إليه، وبالغ في إكرامه، فلم يزل مشغولاً به لما ظهر له بعد ذلك من فضله وعلمه وكمال عقله وظهور برهانه مع صغر سنه، وعزم عليّ تزويجه بابنته أم الفضل، وصمم عليه، فمنعه العباسيون من ذلك خوفاً من أنه يعهد إليه كما عهد إلى

أبيه. فلما ذكر لهم أنه إنما اختاره لتمييزه على كافة أهل الفضل علماً ومعرفة وحلماً مع صغر سنّه تنازعوا في اتّصاف محمد بذلك، ثم تواعدوا على أن يرسلوا إليه من يختبره، فأرسلوا يحيى بن أكثم، ووعدوه بشيء كثير إن قطع لهم محمداً.

فحضروا للخليفة ومعهم ابن أكثم وخواصّ الدولة، فأمر المأمون بفرش حسن لمحمد، فجلس عليه، فسأله يحيى مسائل أجابه عنها بأحسن جواب وأوضحه، فقال له المأمون: أحسنت يا أبا جعفر، فإن أردت أن تسأل يحيى ولو مسألة واحدة. فقال له: «ما تقول في رجل نظر إلى امرأة أول النهار حراماً ثم حلت له عند ارتفاعه، ثم حرمت عليه عند الظهر ثم حلت له عند العصر، ثم حرمت عليه المغرب ثم حلت له العشاء، ثم حرمت عليه نصف الليل ثم حلت له الفجر؟». فقال يحيى: لا أدري؛ فقال محمد: «هي أمة نظر إليها أجنبي بشهوة وهي حرامٌ ثم اشتراها ارتفاع النهار، وأعتقها الظهر وتزوجها العصر، وظاهر منها المغرب وكفر العشاء، وطلّقها رجعيّاً نصف الليل وراجعها الفجر».

فعند ذلك قال المأمون للعباسيين: قد عرفتم ما كنتم تنكرون. ثم زوّجه في ذلك المجلس ابنته أمّ الفضل، ثم توجّه بها إلى المدينة، فأرسلت تشتكي منه لأبيها أنه يشتري عليها، فأرسل إليها أبوها: إنا لم نزوّجك به لنحرم عليه حلالاً، فلا تعودي لمثله^(١) انتهى كلام ابن حجر.

وقال الإمام السهودي في (جواهر العقدين): (وفي تذكرة ابن حمدون عن محمّد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم أنه قال: «كيف يضيع من الله كافله؟ وكيف ينجو من الله طالبه؟ ومن انقطع إلى غير الله وكّله الله إليه ومن عمل على

(١) عنه شرح إحقاق الحق ١٩: ٥٨٦.

غير علم أفسد أكثر مما يصلح».

وقال فيما رواه غيره في جواب رجل قال له: أوصني بوصية مختصرة جامعة: «صن نفسك عن عار العاجلة ونار الآجلة»^(١) انتهى كلام السهمودي.

وقال العصامي في تاريخه: (الإمام محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وهو التاسع من الأئمة. ألقابه: القانع والمرضى، وأشهرها: الجواد) انتهى.

وذكر ابن الصباغ المالكي في كتابه المعمول في فضائل الأئمة الاثني عشر جملةً سالحة من كراماته وعلومه وحكمه بعد الإقرار له بالإمامة والرئاسة في جميع الكمالات العلميّة والعملية، ولا يحضرني نسخة الكتاب، ومما ذكر من حكمه - نقلاً من كتاب الإمام الجنابذي - قوله عليه السلام لقيس بن سعد: «يا قيس، إن للمحن غايات لا بدّ أن تنتهي إليها، فيجب على العاقل أن ينام لها إلى إدارها، فإن مكابدها بالحيلة عند إقبالها زيادة فيها».

وقوله: «من وثق بالله وتوكل على الله نجاه الله من كل سوء، وحرزه من كل عدوّ والدين عزّ، والعلم كنز، والصمت نور، وغاية الزهد الورع ولا هدم للدين مثل البدع، ولا أفسد للرجال من الطمع. وبالراعي تصلح الرعيّة، وبالداعي تصرف البليّة. ومن ركب مركب الصبر اهتدى إلى مضمار النصر. ومن شتم أجيب، ومن غرس أشجار التقى جنّ ثمار المنى».

وقال: «أربع خصال تعين المرء على العمل: الصحة والغنى والعلم والتوفيق».

وقال: «إن لله عبداً يخضهم بدوام النعم، فلا تزال فيهم مابدلّوها، فإذا منعوها نزعها

(١) انظر شرح إحقاق الحق ١٣: ٤٤١.

عنهم وحولها إلى غيرهم».

وقال: «ما عظمت نعمة الله على أحد إلا عظمت إليه حوائج الناس، فمن لم يحتمل تلك المؤونة عرّض تلك النعمة للزوال».

وقال: «أهل المعروف إلى اصطناع المعروف أحوج من أهل الحاجة إليه؛ لأنّ لهم أجره وفخره وذكره، فمهما اصطنع الرجل من معروف فإنما يبدأ فيه بنفسه».

وقال: «من أمل انساناً هابه، ومن جهل شيئاً عابه. والفرصة خلصة. ومن كثر همّه سقم جسده. وعنوان صحيفة المسلم المؤمن حسن خلقه».

وقال: «عنوان صحيفة السعيد حسن الثناء عليه».

وقال: «من استغنى بالله افتقر الناس إليه ومن اتقى الله أحبّه الناس وإن كرهوا».

وقال: «الجمال في اللسان والكمال في العقل».

وقال: «العفاف زينة الفقر، والشكر زينة الغناء، والصبر زينة البلاء، والتواضع زينة الحسب، والفصاحة زينة الكلام، والحفظ زينة الرواية، وخفض الجناح زينة العلم، وحسن الأدب زينة العقل، وبسط الوجه زينة الكرم، وترك المنّ زينة المعروف، والخشوع زينة الصلاة، والتقلّل زينة القناعة، وترك ما لا يعني زينة الورع».

وقال: «حسب المرء من كمال المروءة ألاّ يلقى أحداً بما يكره، ومن حسن خلق الرجل كفّه أذاه، ومن سخائه بزه بمن يجب حقه عليه، ومن كرمه إثارة على نفسه، ومن صبره قلّة شكواه، ومن عقله إنصافه من نفسه، ومن إنصافه قبوله الحق إذا بان له، ومن نصحه نهيه عمّا لا يرضاه لنفسه، ومن حفظه لجوارك تركه توبيخك عند إساءتك مع علمه بعيوبك، ومن رفقه تركه عذلك بحضرة من تكره، ومن حسن صحبته لك إسقاطه عنك مؤونة التحفظ، ومن علامة صداقته لك كثرة موافقته وقلّة مخالفته، ومن شكره معرفته إحسان من أحسن إليه، ومن تواضعه معرفته بقدره، ومن سلامته قلّة حفظه لعيوب غيره

وعنايته بصلاح عيوبه».

وقال: «العامل بالظلم والمعين عليه والراضي به شركاء».

وقال: «يوم العدل على الظالم أشد من يوم الجور على المظلوم».

وقال: «من أخطأ وجوه المطالب لم تتأت إليه الحيل، والطامع في وثاق الذل، ومن أحب البقاء فليعدّ للمصائب قلباً صبوراً».

وقال: «العلماء غرباء؛ لكثرة الجهال بينهم».

وقال: «الصبر على المصيبة مصيبة على الشامت».

وقال: «ثلاث يبلغن بالعبد رضوان الله: كثرة الاستغفار، ولين الجانب، وكثرة الصدقة».

وثلاث من كنّ فيه لم يندم: ترك العجلة، والمشورة، والتوكل على الله عند العزم».

وقال: «لو سكت الجاهل ما اختلف الناس».

وقال: «مقتل الرجل بين فكّيه، والرأي مع الأناة، وبئس الظهير الرأي الفطير».

وقال: «ثلاث خصال تجتلب بهن المودة: الانصاف في المعاشرة، والمواساة في

الشدة، والانطواء على قلب سليم».

وقال: «الناس أشكال، وكلّ يعمل على شاكلته، والناس إخوان فمن كانت أخوته في

غير ذات الله فإنها تعود عداوة، وذلك قوله تعالى: ﴿الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ

عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (١)».

وقال: «من استحسّن قبيحاً كان شريكاً فيه».

وقال: «كفر النعمة داعية المقت، ومن جازاك بالشكر فقد أعطاك أكثر ممّا أخذ منك».

وقال: «لا يفسدك الظن على صديق قد أصلحك اليقين له. ومن وعظ أخاه سراً فقد

زانه، ومن وعظه علانية فقد شانه».

وقال: «لا يزال العقل والجهل يتغالبان على الرجل إلى أن يبلغ ثماني عشرة سنة، وإذا بلغها غلب عليه أكثرهما فيه، وما أنعم الله عز وجل على عبدٍ نعمة فعلم أنها من الله إلا كتب الله على اسمه شكرها له قبل أن يحمد عليها، ولا أذنب العبد ذنباً فعلم أن الله مطلعٌ عليه إن شاء عذبه وإن شاء غفر له إلا غفر له قبل أن يستغفر».

وقال: «الشريف كل الشريف من شرفه علمه، والسؤدد كل السؤدد لمن اتقى الله

ربه».

وقال: «لا تعاجلوا الأمر قبل بلوغه فتندموا، ولا يطولن عليكم الأمد فتفسو قلوبكم، وارحموا ضعفاءكم، واطلبوا الرحمة من الله بالرحمة لهم».

وقال: «من أتمل فاجراً كان أدنى عقوبته الحرمان».

وقال: «موت الإنسان بالذنوب أكثر من موته بالأجل، وحياته بالبر أكثر من حياته بالعمر»^(١). ونقل غير هذا من حكمه ممّا يطول ذكره.

[في إمامة الهادي عليه السلام]

وأما ابنه الإمام علي الهادي عليه السلام؛ فقال ابن حجر في صواعقه في ترجمة أبيه محمد الجواد (سلام الله عليهما): (ويقال: انه سُمِّ عن ذكرين وبنيتين أجّلهم عليّ العسكري). وذكر أنّ السبب في تسميته العسكري سكونه (سرّ من رأى)، وكانت تسمّى العسكر.

ثم قال: (وكان وارث أبيه علماً وسخاءً). ثم ساق قصّة الأعرابي الذي أعطاه ثلاثين ألف درهم، فقال الأعرابي: «اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ»^(١). ونقل عن بعض الحفاظ في ترجمة علي بن موسى الرضا أن امرأة زعمت أنها شريفة بحضرة المتوكل، فسأل عمّن يخبره بذلك، فدل عليّ علي الرضا، فجاء، فأجلسه معه عليّ السرير وسأله، فقال: «إنّ الله حرّم لحم أولاد الحسين على السباع، فلتلقّ للسباع». فعرض عليها ذلك، فاعترفت بكذبها. ثم قيل للمتوكل: ألا تجزب ذلك فيه؟ فأمر بثلاثة من السباع، فجيء بها في صحن قصره، ثم دعاه، فلمّا دخل أغلق عليه الباب والأسباع قد أصمّت الأسماع من زئيرها، فلما مشى في الصحن يريد الدرجة مشت إليه وقد سكنت، فتمسحت به، ودارت حوله وهو يمسحها بكمه، ثم ربضت، فصعد إلى المتوكل فتحدث معه ساعة، ثم نزل ففعلت معه كفعالها

الأول حتى خرج، فأتبعه المتوكل بجائزة عظيمة، فقبل للمتوكل: افعَل كما فعل ابن عمك. فقال: تريدون قتلي؟ ثم أمرهم أن لا يفشوا ذلك).

ثم قال: (وتقل المسعودي أن صاحب هذه القصة هو علي العسكري، وهو صواب؛ لأنّ الرضا توفي في خلافة المأمون اتفاقاً، ولم يدرك المتوكل) انتهى كلام ابن حجر.

قلت: قد مرّت قضية تشبه هذه لعلّي بن موسى (سلام الله عليهما)، ولعلهما قضيتان كما هو الظاهر، ويشهد به تغيّر الصفتين والموضعين والمحليين، وغير ذلك والله العالم.

وقال العصامي في تاريخه: (الإمام علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق. هو الإمام بعد أبيه وعاشر الأئمة). وقال في موضع آخر: (حدّثنا المبرد قال: قال المتوكل لأبي الحسن الهادي (سلام الله عليه) ابن محمد بن الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق: ما يقول ولد أبيك في العباس قال: «ما يقولون في رجل فرض الله طاعة نبيّه على خلقه، وفرض طاعته على نبيّه؟». فأعجب المتوكل بجوابه إعجاباً).

قلت: لا يخفى على الفطن حسن هذه التورية من هذا السيّد الجليل وصدقها.

وسعي إلى المتوكل بأبي الحسن المذكور بأن في منزله سلاحاً وكتباً من الشيعة، وأنّه يريد التوثب على الخلافة. فبعث إليه المتوكل جماعةً فهجموا على منزله، فوجدوه على الأرض مستقبل القبلة يقرأ القرآن، فحملوه على حاله إلى المتوكل، والمتوكل يشرب الخمر، فأعظمه

وأجلسه وقال: اشرب. فقال: «والله ما خامر لحمي ودمي قط، فأعفني» فأعفاه، ثم قال له: أنشدني فأنشد:

«باتوا على قتل الأجدال تحرسهم غلب الرجال فلم تنفعهم القل
واستنزلوا بعد عز عن معاقلهم وأودعوا حفراً يابئس ما نزلوا
ناداهم صارخ من بعدما قبروا أين الأسرة والتيجان والكلل
فأفصح القبر عنهم حين سائلهم تلك الوجوه عليها الدود تقتتل
قد طالما أكلوا دهرًا وما شربوا فأصبحوا بعد ذاك الأكل قد أكلوا»

فبكى جعفر والحاضرون وقال: يا أبا الحسن قد ليئت منا قلوباً قاسية، أعليك دين؟ قال: «نعم، أربعة آلاف». فأمر بها وردّه مكرماً^(١) انتهى كلام العصامي.

وقال ابن الصباغ المالكي: (الفصل العاشر: في ذكر أبي الحسن علي المعروف بالعسكري، وهو الإمام العاشر).

وساق الترجمة إلى أن قال: (ألقابه: الهادي والمتوكل والناصح والتقي والمرضى والفقير والأمين والطيب، وأشهرها: الهادي والمتوكل. وكان يأمر أصحابه أن يعرضوا عن تلقيبه بالمتوكل؛ لكونه يومئذ لقباً للخليفة جعفر بن المعتصم).

إلى أن قال: (أمّا مناقبه، فقال الشيخ كمال الدين بن طلحة: فمنها ما حلّ في الآذان محلّ حلاها بأشنانها، واكتناف اللآلئ اليتيمة لأصدافها،

(١) انظر وفيات الأعيان ٣: ٢٧٢ / ٤٢٤، الوافي بالوفيات ٢٢: ٤٨ / ٣.

وشهد لأبي الحسن علي الرابع أن نفسه موصوفة بنفائس أوصافها، وأنه نازل من الدوحة النبوية في ذرا أشرافها، وشرفات أعرافها). ثم ساق قصة الأعرابي الذي سأله فأعطاه ثلاثين ألف درهم فانصرف وهو يقول: «اللَّهُ أَغْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ».

ثم قال: (وعن الوشاء عن خيران الأسباطي قال: قدمت على أبي الحسن علي بن محمد المدينة النبوية من العراق، فقال لي: «ما خبر الوراق عندكم؟». قلت: خلفته في عافية، وأنا من أقرب الناس به عهداً. وهذا مقدمي من عنده، وتركته صحيحاً سوياً. قال: «إن الناس يقولون: إنه قد مات». فلما قال لي: «إن الناس يقولون»، علمت أنه يعني نفسه، فسكت؛ فقال لي: «ما فعل ابن الزيات؟» قلت: الناس معه والأمر امره. [فقال عليه السلام]: «أما إنه شوّم عليه». ثم قال: «لابد أن تجري مقادير الله وأحكامه، يا خيران مات الوراق وقعد جعفر المتوكل، وقتل ابن الزيات». فقلت: متى جعلت فداك؟ قال: «بعد مخرجك بستة أيام». فما كان إلا أيام قلائل حتى قصد قصاد المتوكل إلى المدينة فكان كما قال).

وساق جملةً كافية من مناقبه العالية إلى أن قال: (قال بعض أهل العلم: فضل أبي الحسن علي الهادي قد ضرب على المجرة قبابه، ومدّ على نجوم السماء أطنابه، فما تُعدّ منقبة إلا وإليه كيلها، ولا تذكر كريمة إلا وله فضيلتها، ولا تورّد محمّدة إلا وله تفضيلها، ولا حالة سنيّة إلا وتظهر عليه أدلتها)^(١). وساق كلاماً نحو هذا سقط من المنقول منه آخره، انتهى.

(١) انظر الفصول المهمة (ط دار الحديث) ٢: ١٠٦١ - ١٠٧٣.

[في إمامة الحسن العسكري عليه السلام]

وأما ابنه الإمام الحسن العسكري؛ فقال العصامي: (الإمام الحسن العسكري بن علي الهادي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم، هو الإمام بعد أبيه وحادي عشر الأئمة) انتهى.

وقال الإمام السمهودي الشافعي: (وأما ولده - يعني: علياً الهادي أبا محمد الحسن الخالص - فكان عظيم الشأن، وهو الذي زعمت الرافضة أنه والد المهدي المنتظر. وقد سبقت له كرامةً جليلةً لما حبسه المعتمد العباسي).

وفي (روض الرياحين) للإمام أبي عبدالله بن أسعد اليافعي عن بهلول: قال: بينا أنا ذات يوم في بعض الشوارع وإذا بالصبيان يلعبون بالجوز واللوز، وإذا بصبي ينظر إليهم ويبكي، فقلت: هذا صبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان ولا شيء معه، فقلت: أي بني، ما يبكيك؟ أشتري لك ما تلعب به؟ فرفع بصره إليّ وقال: «يا قليل العقل، ما للعب خلقنا». قلت: فلم إذن خلقنا؟ قال: «للعلم والعبادة». قلت: من أين لك ذلك بارك الله فيك؟ قال: «من قول الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١)». قلت:

يا بني، أراك حكيماً فعظني وأوجز. فأنشأ يقول:

مشمرة على قدم وساق	«أرى الدنيا تجهز بانطلاق
ولا حيي على الدنيا بباقي	فلا الدنيا بباقية لحي
إلى نفس الفتى فرسا سباق	كأن الموت والحدثان فيها
ومنها خذ لنفسك بالوثاق»	فيا مغروراً بالدنيا رويداً

ثم رمق السماء بعينيه وأشار بكفيه، ودموعه تتحدر على خديه، وأنشأ يقول:

يا من عليه المتكل	«يا من إليه المبتهل
يرجوه لم يخط الأمل»	يا من إذا ما أمل

قال: فلما تم كلامه خر مغشياً عليه، فرفعت رأسه إلى حجري، ونفضت التراب عن وجهه، فلما أفاق قلت له: أي بُني، ما نزل بك وأنت صبي صغير لم يكتب عليك ذنب؟ قال: «إليك عني يا بهلول اني رأيت والدتي توقد النار بالحطب الكبار فلا تتقد إلا بالصغار، وأنا أخشى أن أكون من صغار حطب جهنم». فقلت له: أي بني، أراك حكيماً فعظني، فأنشأ يقول:

«غفلت وحادي الموت في إثري يحدو	فإن لم أرح يوماً فلا بد أن أغدو
أنعم جسمي باللباس ولينه	وليس لجسمي من لباس الليل بُد
كأنني به قد مرّ في برزخ الليل	ومن فوقه ردمٌ ومن تحته لحد
وقد ذهبت مني المحاسن وانمحت	وليس معي زاد وفي سفري بعد
وقد كنت جاهرت المهيمن عاصياً	وأحدثت أحداثاً وليس لها رد
وأرخت دون الناس ستراً من الحيا	وما خفت من سري غداً عنده يبدو

بلى خفته لكن وثقت بحلمه وأن ليس يعفو غيره فله الحمد
 فلو لم يكن شيء سوى الموت والبلى ولم يك من ربي وعيد ولا وعد
 لكان لنا في الموت شغل وفي البلى عن اللهو لكن زال عن رأينا الرشيد
 عسى غافر الزلات يغفر زلتي فقد يغفر المولى إذا اذنب العبد
 أنا عبد سوء خنت مولاي عهده لذلك عبد السوء ليس له عهد
 فكيف إذا أحرقت بالنار جثتي ونارك لا يقوي لها الحجر الصلد
 أنا الفرد عند الموت والفرد في البلى وأبعث فرداً فارحم الفرد يا فرد»

قال بهلول: فلما فرغ من كلامه وقعت مغشياً عليّ، وانصرف الصبي،
 فلما أفقت ونظرت إلى الصبيان لم أره معهم، فقلت لهم: من يكون ذلك
 الغلام؟ قالوا: وما عرفته؟ قلت: لا. قالوا: ذاك من أولاد الحسين بن علي
 بن أبي طالب (رضي الله عنهم). قال: فقلت: قد عجبت من أن تكون هذه
 الثمرة إلا من تلك الشجرة^(١). انتهى إلى هنا كلام السهمودي.

وقال في مقام آخر: (روي عن داود بن قاسم الجعفري أنه كان بحبس
 المعتمد بن المتوكل العباسي في جماعة، ثم حبس المتوكل معهم الإمام أبا
 محمد الحسن الخالص بن علي العسكري، فقال لهم سرّاً عن رجلٍ كان
 معهم في الحبس: «لولا أن هذا الرجل معكم لأخبرتكم متى يفرج عنكم».

قال: ولم تطل مدة أبي محمد في الحبس حتى حصل (بسر من رأى)
 قحط شديد، فأمر المعتمد بالخروج للاستسقاء، فخرج المسلمون ثلاثة
 أيام فلم يسقوا، وخرج الجاثليق في اليوم الرابع بالنصارى والرهبان، وكان

(١) انظر شرح إحقاق الحق ٢٩: ٦٥.

فيهم راهبٌ كلّمَا رفع يده إلى السماء هطلت بالمطر. ثم خرجوا في اليوم الثاني ففعلوا كفعالهم فسقوا سقياً شديداً، فتعجّب الناس من ذلك وصبا بعضهم للنصرانيّة، فشقّ ذلك على المعتمد، فأنفذ إلى صالح بن وصيف أن أخرج أبا محمد الحسن من الحبس وأتتني به.

فلمّا حضر قال له المعتمد: أدرك أمّة محمد صلى الله عليه وآله فيما لحق بعضهم من هذه النازلة. فقال أبو محمد: «دعهم يخرجون». فقال له: قد استغفى الناس من كثرة المطر، فما فائدة خروجهم؟ قال: «لأزيل الشك عن الناس، وما وقعوا فيه من هذه الورطة».

فأمرهم المعتمد بالخروج وأن يخرج المسلمون. وأبو محمد، فرفع الراهب يده ورفعت الرهبان معه أيديهم فغيّمت السماء وأمطرت، فأمر أبو محمد بالقبض على يد الراهب وأخذ ما فيها، فإذا بعظم آدمي بين أصابعه، فلّفه أبو محمد في خرقية وقال: «استسق الآن». فاستسقى فانقشع الغيم وانكشفت السحاب وطلعت الشمس، فعجب الناس من ذلك وقال المعتمد: ما هذا يا أبا محمد؟ قال: «هذا عظم نبي من أنبياء الله ظفروا به، وما كشف عن عظم نبي تحت السماء إلا أهطلت بالمطر». فامتحنوا ذلك، فوجدوه كما قال، وسرّ المعتمد بذلك، وزالت الشبهة عن الناس، وكلّم أبو محمد المعتمد في إطلاق الذين كانوا معه في الحبس، فأطلقهم.

وأقام أبو محمد بمنزله في (سر من رأى) معظماً، وصلات المعتمد تصل إليه كلّ وقت، فجعل الله تعالى ما سبق سبباً لذلك عنايةً به انتهى. وقال ابن حجر في صواعقه في آخر ترجمة علي الهادي (عليه سلام الله): (قضى نحبه عن أربعة ذكور وأنثى، أجلهم أبو محمد الحسن

الخالص. وجعل ابن خلكان هذا هو العسكري. وقع ليهلول معه أنه رأه وهو صبي يبكي، والصبيان يلعبون) وساق القصة كما نقلناه عن السهمودي إلا أنه لم يذكر الأشعار، وأشار لها بقوله: (موعظة بأبيات). ثم قال: (ولما حبس قحط الناس)، وساق قصة الاستسقاء وفعله مع الراهب كما مرّ.

وقال ابن الصباغ المالكي في كتابه (الفصول المهمة): (الفصل الحادي عشر: في ذكر أبي محمد الحسن الخالص بن علي العسكري، وهو الامام الحادي عشر). وساق الترجمة إلى أن قال: (قال الشيخ كمال الدين بن طلحة: (كفى أبا محمد الحسن شرفاً أن جعل الله تعالى محمداً المهدي من كسبه، وأخرجه من صلبه، وجعله معدوداً من حزبه، ولم يكن لأبي محمد ولد ذكر سواه، وحسبه ذلك منقبة وكفاه).

ثم نقل ابن الصباغ له مكارم كثيرة، وحكماً غزيرة، وصفات منيرة من أرادها وقف عليه فإنها تكفي المنصف دلالة على عصمته وإمامته:

منها: عن أبي الهيثم بن عدي قال: لما أمر المعتز بحمل أبي محمد الحسن إلى الكوفة كتبت إليه: ما هذا الخبر الذي بلغنا وأقلقنا وأغمنا؟ فكتب: «بعد ذلك يأتيكم الفرّج إن شاء الله». فقتل المعتز يوم الثالث.

ومنها: إخباره إسماعيل بن علي لما شكّا إليه الحاجة، وحلف أنه لا يملك درهماً وأقسم؛ فقال له: «تقسم وقد دفنت مائتي دينار؟». وأعطاه مئة دينار، وقال: «ما أخوفني أن تفقد المئتي دينار وأنت أحوج ما تكون إليها». فوقع ما قال كلاًه.

ومنها: إخباره أبا هاشم بأنه أفطر في يوم كان أظهر أنه صائم فيه،

وإفطاره كان سراً.

ومنها: قصّة الراهب والاستسقاء كما مرّ.

ومنها: قوله: «سيكون لي ولدٌ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً وأماناً». وأنشد متمثلاً:

«لعلك يوماً أن تراني كأنما بني حوالئي الأسود اللوابد
فإن تميماً قبل أن يلد الحصى أقام زماناً وهو في الناس واحد»

وشيء كثير من إخباره بالمغيبات والكرامات، إلى أن قال: (خلف أبو محمد الحسن من الولد ابنه الحجة القائم المنتظر لدولة الحق، وكان قد أخفى مولده وستر أمره؛ لصعوبة الوقت، وخوف السلطان، وتطلبه للشيعة وحبسهم).

إلى أن قال: (ومناقب سيّدنا أبي محمد الحسن بن علي العسكري دالّة على أنه السري بن السري، فلا يشك في إمامته أحد ولا يمتري. واعلم أنّه متى بيعت مكرمة فسواه بائعها وهو المشتري، واحد زمانه غير مدافع، وشيخ وقته غير منازع، وسيّد أهل عصره وإمام أهل دهره، أقواله سديدة وأفعاله حميدة، وإذا كان فاضل زمانه قصيدة فهو في بيت القصيدة، وإن انتظموا عقداً كان مكان الواسطة الفريدة، فارس العلوم الذي لا يجارى، ومبيّن غوامضها فلا يجادل ولا يمارى، كاشف الحقائق بنظره الصائب، مظهر الدقائق بفكره الثاقب، المحدث في سره بالأمر الخفيات، الكريم الأصل والنفس والذات) (١) انتهى.

(١) الفصول المهمة (ط دار الحديث) ٢: ١٠٧٧ - ١٠٩٤.

[في إمامة الحجة ابن الحسن (عج)]

وأما ابنه الحجة بن الحسن (سلام الله عليهم وعلى آلهم أجمعين) الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، فقال ابن الصباغ المالكي في فصوله: (الفصل الثاني عشر: في ذكر أبي القاسم محمد الحجة الخلف الصالح بن أبي محمد الحسن الخالص - وهو الإمام الثاني عشر - وتاريخ ولادته، ودلائل إمامته، وذكر طرف من أخباره وغيبته، ومدّة قيام دولته، وذكر كنيته ولقبه، وما يتّصل به). وساق الكلام في ذكره وذكر غيبته الصغرى والكبرى.

إلى أن قال: (وروى الحافظ أبو نعيم بسنده مرفوعاً إلى عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تذهب الدنيا حتى يبعث الله رجلاً من أهل بيتي يواطئ اسمه اسمي وكنيته كنيتي، يملؤها قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً».

وروى ابن الخشاب في كتابه (مواليد أهل البيت) يرفعه بسنده إلى علي بن موسى الرضا أنه قال: «الخلف الصالح من ولد أبي محمد بن الحسن بن علي، وهو صاحب الزمان القائم المهدي» (...). ثم ساق النصّ على إمامته من جهة أبيه إلى أن قال: (ولد أبو القاسم محمد الحجة بن الحسن الخالص بلسر من رأى) ليلة النصف من شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين من الهجرة).

ثم ساق ذكر نسبه واسم أمّه إلى أن قال: (وأما لقبه، فالحجة والمهدي

والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان، وأشهرها المهدي. وأما كنيته، فأبو القاسم).

إلى أن قال: (بؤابه محمد بن عثمان). إلى أن قال: (وهذا طرف يسير ممّا جاء من النصوص الدالّة على الإمام الثاني عشر عن الأئمة الثقات، والروايات في ذلك كثيرة أضربنا عن ذكرها، وقد دوّنها أصحاب الحديث في كتبهم، واعتنوا بجمعها وممّن اعتنى بذلك وجمعه على الشرح والتفصيل الشيخ الإمام جمال الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الشهرير بالنعماني في كتابه الذي صنّفه (ملء العيبة في طول الغيبة).

وجمع الحافظ أبو نعيم أربعين حديثاً في أمر المهدي خاصة، وصنّف الشيخ أبو عبدالله محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي في ذلك كتاباً سمّاه (البيان في أخبار صاحب الزمان).

ثم ساق الأحاديث والنصوص والصحيحة المعتمدة من كتب الأئمة المشاهير وغيرها ممّا تضمّنت التصريح بأن المهدي من أهل البيت الذين استخلفهم رسول الله ﷺ على الأمة، وهم العترة الذين لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وأن اسمه يواطئ اسم رسول الله ﷺ وكنيته كنيته، وأنه أجلى الجبهة أقنى الأنف، اللون لون عربي، والجسم جسم إسرائيلي، إلى غير ذلك من الأوصاف المشار لها فيما تقدّم.

وأنّه من ولد فاطمة من صحيح أبي داود والترمذي.

وأن الترمذي قال فيما رواه: إن النبي ﷺ قال: «ان المهدي مني، أجلى الجبهة، أقنى الأنف، يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً»^(١). هذا حديث

(١) المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٩: ١٧٦، انظر أيضاً: سنن أبي داود ٢: ٤٢٨٥.

ثابت حسن صحيح).

وقد رواه أبو داود والطبراني أيضاً وغيرهما من أئمة الحديث، كما اعترف به ابن الصبّاغ^(١)، ومن كتاب (الفردوس) للدليمي، والبغوي في (شرح السنّة)، ومن كتابي البخاري ومسلّم الصحيحين، وابن ماجّة في صحيحه وغيرهم كلّ منهم بعدّة طرق.

وبالجملة، فابن الصبّاغ المالكي ذكر في فصوله الذي صنّفه في فضائل الاثني عشر لعليّ وولده (سلام الله عليهم) من العلوم والمكارم والكرامات والمآثر والحكم والأخلاق ما لا تسع هذه العجالة ذكره ممّا لا يشكّ الناظر فيه في عصمتهم، وأنهم أئمة الخلق، واعترف بإمامتهم وفضلهم على العالمين.

ومثله من أعظم أهل السنّة كثير لا يحصى من صنّف منهم في فضائلهم.

وقال ابن حجر في صواعقه في آخر ترجمة أبي محمد (سلام الله عليه): (لم يخلف غير ولده أبي القاسم محمد الحجة، وعمره عند وفاة أبيه خمس سنين، لكن آتاه الله فيها الحكمة، ويسمى القائم المنتظر. قيل: لأنه ستر بالمدينة وغاب فلم يعرف أين ذهب).

ثم ساق الأحاديث الواردة المستفيضة من كتب مشاهير أئمة أهل الحديث من الصحاح الستة وغيرها في أمر المهدي وصفاته، من أنه من ولد فاطمة عليها السلام، وأنه أقنى الأنف أجلى الجبهة، وأن كنيته كنية رسول الله صلى الله عليه وآله واسمه اسمه، الجسم جسم إسرائيلي واللون لون عربي، يملأ

(١) الفصول المهمّة (ط دار الحديث) ٢: ١٠٩٥ - ١١٠٥.

الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً، وغير ذلك من صفاته بطرق متعدّدة. وهو صريح - كما ترى - في عصمته وإمامته العامّة للدين والدنيا، وراثته الشاملة التامة، وأنه خليفة الله في أرضه^(١).

وقال العصامي في تاريخه في آخر ترجمة أبي محمّد: (خلف ولده محمداً وحده، وهو الإمام محمد المهدي بن الحسن العسكري بن علي التقي بن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين بن علي بن أبي طالب (رضي الله عنهم أجمعين). ولد يوم الجمعة منتصف شعبان سنة خمس وخمسين ومئتين، وقيل: سنة ست، وهو الصحيح. أمّه أمّ ولد اسمها صيقل وقيل: (سوسن)، وقيل: (نرجس). كنيته أبو القاسم، ألقابه: الحجة والخلف الصالح والقائم والمنتظر وصاحب الزمان والمهدي، وهو أشهرها. صفته: شابّ مربع القامة، حسن الوجه والشعر، أقرنى الأنف، أجلى الجبهة. ولما توفيّ أبوه كان عمره خمس سنين).

قال الشيخ علاء الدين أحمد بن محمد السماني في ذكر الأبدال والأقطاب: (وقد وصل إلى رتبة القطبية محمد المهدي بن الحسن العسكري، وهو لما اختفى دخل في دائرة الأبدال متدرجاً طبقة بعد طبقة إلى أن صار سيّد الأبدال، وكان القطب حينئذ علي بن الحسين البغدادي، فلما حانت منيته صلّى عليه المهدي هذا ودفنه وجلس مجلسه، وبقي في الرتبة القطبية تسع عشر سنة والله تعالى أعلم) انتهى.

وبالجملة: ففضائل هؤلاء الأئمة - الاثني عشر علي بن أبي طالب

والأحد عشر من ولده (سلام الله عليهم) - لا تحصي وكراماتهم وحكمهم وعلومهم لا تنكر ولا تستقصي قد أطبق الأمة على أنهم كل واحد منهم أفضل أهل زمانه علماً وعملاً، وأجلهم ذاتاً وصفاتاً وعلى نقل حكمهم وعلومهم ومعارفهم الربانيّة، وكراماتهم الإلهيّة، وكمالاتهم العلميّة والعملية التي دلّت بالدلالة القطعية على عصمتهم، وأنهم خلفاء الله ونوابه، وأبوابه في بريته ووسائط خلقه إليه، فيهم ينظر الله إلى خلقه بعين رحمته وأنهم حكام الدارين، ورؤساء الناشئين، ولم يذكرهم أحد من أوليائهم ولا أعدائهم بما ينافي رئاستهم العامّة ولا يتهم الكاملة، بل صرح مخالفوهم واعترفوا بأنّ جميع العلوم والصناعات والكمالات والحكم والسياسات صادرة منهم، وإليهم تعود، وبهم عُرفت، ومنهم أخذت كما اعترف به ابن أبي الحديد المعتزلي (١) وغيره.

ويكفي المنصف بعض ما اتّفقت عليه كلمة أهل السنّة بل الأمة من حكمهم وكراماتهم في التوحيد وغيره خصوصاً سيّدهم وسيّد الخلق بعد محمد صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب عليه السلام، فقد ملأ الأكوان شعاع نوره، فلم تتفق الأمة على تنزيه أحدٍ من جميع النقائص سواهم، ولا ادّعت العصمة لغيرهم بعد رسول الله صلى الله عليه وآله. وبهذا يعلم قطعاً أنهم - دون من سواهم - العترة من أهل البيت الذين استخلفهم رسول الله صلى الله عليه وآله، وأخبر أنهم مع القرآن لا يفترقان حتى يردا عليه الحوض (٢)، وأمر بالتمسك بهم، وأخبر أنّ من تمسك بهم لن يضلّ مادام متمسكاً بهم أبداً، وأنهم في هذه الأمة كباب

(١) انظر شرح نهج البلاغة ١: ١٨.

(٢) مسند أحمد (ط دار صادر) ٣: ١٤، ١٧، ٢٦.

حطّة^(١) وكسفينة نوح^(٢) وأنهم أمان من الله عزّ وجلّ لهذه الأمة وأنهم كالنجوم^(٣)، فإن دلائل ذلك قد ظهرت منهم واشتهرت اشتهار النهار في الأزمان والأقطار، والله الحجّة البالغة؛ فهم الأقطاب والأبدال، والأعمدة والجبال، وحملة الأتقال والأمانة العظمى.

[في أن الله تعالى أوجب معرفة العترة عليهم السلام]

ويكفيك برهاناً في أنهم رؤوساء الخلق وأمناء الخلائق وأئمة العالم على الإطلاق أن الله عزّ وجلّ أوجب معرفتهم كما أوجب معرفته ومعرفة رسوله صلى الله عليه وآله من طرق:

أحدها: ان الأمة مطبقة بلا تناكر بل كان من ضروري الملة على رجحان الصلاة عليهم، وأنها قرينة الصلاة على منبع الشرف محمد صلى الله عليه وآله خصوصاً في الصلاة؛ فرضها ونفلها. فالإمامية ومعظم الشافعية وجملته من غيرهم على وجوبها عيناً، بل على بطلان الصلاة بتركها عمداً، وباقي المذاهب على تأكّد استحبابها. ولا تطول بنقل عبائر العلماء في ذلك فإنها

(١) المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٤: ١٠، ٦: ٨٥، المعجم الصغير ١: ١٤٠، المعجم الكبير ٣٢: ٤٥ / ٢٦٣٧، الكامل ٤: ١٩٨، مناقب الإمام علي بن أبي طالب (ابن مردويه): ٢١٤ / ٢٩٨، سبل الهدى والرشاد ١١: ٢٩٧، مجمع الزوائد ٩: ١٦٨.

(٢) المستدرك على الصحيحين (تحقيق المرعشلي) ٢: ٣٤٣، ٣: ١٥١، المعجم الأوسط ٤: ١٠، المصنف (الكوفي) ٧: ٥٠٣ / ٥٢، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ١: ٧١، فتح القدير (الشوكاني) ١: ٩٠، الكامل ٤: ١٩٨، تاريخ بغداد ١٢: ٩٠ / ٦٥٠٧، سبل الهدى ١١: ١١.

(٣) المستدرك على الصحيحين (تحقيق المرعشلي) ٢: ٤٤٨، ٣: ١٤٩، ٤: ٥٧، نظم درر السمطين: ٢٣٤، سبل الهدى والرشاد ١١: ٦، و ٧.

ظاهرة لمن طلبها بلا تعب. ومحال أن يامر الله عباده بالصلاة على أحدٍ وجوباً أو في أعلى مراتب الاستحباب ويقرن الأمر بالصلاة عليه بالصلاة على حبيبه سيّد الرسل عليه السلام كالصلاة على خليله وآله (صلى الله عليهم أجمعين) ولا يوجب على المكلفين معرفة ذلك الذي قرن الأمر بالصلاة عليه بالأمر بالصلاة على صفوته من خلقه.

وما نظم الصلاة عليهم بالصلاة عليه في عقد وسلك واحد إلا ليدلّ على أنهم هم دون غيرهم الذين يلونه (صلى الله عليه وعليهم) في جميع الفضائل والكمالات، فقد خصّهم بذلك من بين العالمين، فتنبّه؛ فإنّ هؤلاء الاثني عشر هم سادات الآل ورؤساؤهم باتّفاق الأمة وليس جميع من ينتسب للرسول عليه السلام مستحق لهذه المنقبة التي اتقصر^(١) عن دونها كمالات جميع الأولياء بالضرورة؛ لما في كثير منهم من الصفات الذميمة وارتكاب المنهيات.

وصاحب هذا المقام الأرفع يجب أن يكون متّصفاً بأعلى جميع الكمالات، وأن لا يشوبه نقص أصلاً؛ لا في الذات، ولا في الصفات، ولم تتفق الأمة على من هو كذلك منها إلا عليهم، فيجب أن يكونوا هم المخصوصين بذلك من البشر.

الثاني؛ أن الله عزّ وجلّ أمر كافة المكلفين بالكون مع الصادقين، والأمر مطلق والوصف كذلك؛ فلا بدّ من حمله على حقيقته وهو أكمل الأفراد، فيعم جميع الحالات وجميع الحركات والسكنات، بحيث لا يشدّ منها فرد. ومن هو صادق كذلك لا يكون إلا معصوماً من كلّ وصمة على كل حال،

(١) كلمة غير مقروءة، والظاهر ما أثبتناه.

وإلا لما صلح التمدّح والامتنان، والأمر من العليم الحكيم؛ إذ الجزئي من ذلك لا يخلو منه مخلوق في الجملة، فلا بد من بيان من هو كذلك، وإلا لكان تكليفاً بما لا يطاق، تعالى الله علواً كبيراً. وقد بينه الله تعالى لخلقه في قوله: ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيراً ﴾ (١).

فقد دلّت الآية الكريمة على عصمتهم واتصافهم بالصدق الكامل على كلّ حال، وأنهم الأئمة المقتدى بهم. وقد مرّ فيها كلام فلاحظه، ولنا فيها رسالة مفردة، فإذا كانوا كذلك فقد وجبت معرفتهم على جميع المكلفين، وكانت أصلاً من أصول الدين. ولم تر في الأمة من أطبقت الألسن على اتصافه بلوازم العصمة من هذه الأمة، وظهرت منه الكرامات والحكم الدالة على ذلك إلا هؤلاء الاثني عشر.

الثالث: أن رسول الله صلى الله عليه وآله أسرّ وأبطن، وأظهر وأعلن، ونوع العبارة وكرّر البشارة والندارة، وأمر الأمة باتّباع عترته أهل بيته، وهو الذي لا ينطق عن الهوى، ونطق على رؤوس الأشهاد في غير محفل أنه مخلف في الأمة الثقلين: كتاب الله وعترته، وأخبر أن من تمسك بهما لن يضلّ، كما هو متواتر المضمون. فإذا وجب على الأمة معرفة العترة الذين لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم، وفي التمسك بهم سبيل النجاة قطعاً.

ولم نجد في الأمة أولى بذلك من هؤلاء الاثني عشر؛ لما عرّفناك من حالهم غير مرّة، وإجماع الأمة على بلوغهم نهاية درجات الكمال في كلّ فضيلة من غير أن يأتي عنهم منافع لذلك.

الرابع: ما أخبر به صلى الله عليه وآله أمته من أن أهل بيته فيهم كسفينة نوح وكباب

حطة وكالنجوم لأهل السماء؛ فدل على أنهم في اتباعهم سبيل النجاة على كل حال.

فإذن يجب معرفتهم وإلا لكان تكليفاً بالمحال وإغراء بالجهل (تقدس منصب النبوة، ومن لا ينطق عن الهوى عن ذلك).

الخامس: تحذيره عليه السلام من عداوة أهل بيته وترغيبه في الإحسان إليهم، وأن حربهم حرب الله، وعداوتهم عداوة الله، وبغضهم بغض الله، ومحبتهم محبة الله، ومتابعتهم متابعة الله، كما استفاضت به الأخبار في سائر الأعصار والأمصار من غير تكبير ولا معارض.

فإذن تجب معرفتهم ليحسن التكليف بذلك، بل وليمكن نقل الأخبار الدالة على ذلك مما يطول ولا تسعه هذه العجالة.

وليس في أهل بيته أولى من هؤلاء الاثني عشر بذلك؛ لما عرفت وغيره بل قد دل ما أخرجه ابن حجر في صواعقه عن البيهقي، وأبي الشيخ والديلمي أنه عليه السلام قال: «لا يؤمن عبد حتى أحب إليه من نفسه، ويكون أهلي أحب إليه من أهله، ويكون ذاتي أحب إليه من ذاته»^(١). الحديث.

وهو مستفيض، وقد أناط عليه السلام فيه تحقق الإيمان على حب أهل بيته، فلا بد من معرفتهم. فكم علق رسول الله عليه السلام الإيمان على حبهم وعلى الإحسان إليهم وعلى متابعتهم، والكفر على ضد ما ذكر؟ والأدلة على ذلك كثيرة، استقصاء طرف منها يخرج إلى الإطناب، ولكنها لا تخفى على مرتاد الحق لنفسه، وطالب النجاة؛ فقد حصل الإجماع الضروري من الأمة

(١) مناقب الإمام أمير المؤمنين ٢: ١٣٤ / ٦١٩، المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٦:

على اختصاصهم بوراثه علمه عليه السلام، ونسبه الحسيّ الصوري والغيبى؛ المعنوي فهم أولاده وأهل بيته وعترته غيباً وشهادةً، وقلباً وقالباً، وورثته كذلك.

فلا يرتابُ^(١) عاقل أنه عليه السلام ورث مواريث الأنبياء والرسل التي خصّهم الله تعالى بها، وقد تركها بعد موته، ولم يدع أحدٌ من ولاية هذه الأمة أنها عنده، ولم يدعها أحدٌ لأحدٍ سواهم. فمواريث الأنبياء حتى محمد عليه السلام درعه وخاتمه وعمامته وغير ذلك عندهم كما نطقت به الأخبار وشهدت بها الآثار. فلو حاز شيئاً منها أحدٌ غيرهم، لأظهره على رؤوس الأشهاد والمنائر والمنابر، وفخر به واحتجّ أيّ فخرُوا واحتجاج. وبهذا يعلم أنهم فازوا من سيّد الخلق عليه السلام بالوراثتين، وخصّوا منه بالنسبين، وتميّزوا بذلك عن أهل الخافقين، وتحققت لهم الرئاسة ووجبت لهم الإمامتان (عصمنا الله وإياكم عن مخالفتهم).

وما ينبّه طالب النجاة على أنهم - دون من سواهم - هم أئمة الخلق بعد نبيهم عليه السلام، وأنهم عترته وأهل بيته الذين استخلفهم ووصفهم بما وصفهم مما سمعت بعضه إطباق الألسن على نهاية كمالهم ونزاهتهم وعظم قدرهم وخطرهم وتعظيمهم، فما لقيهم صديق لهم ولا عدواً مباين في دنيا أو دين إلا لقيهم بأشدّ التعظيم والإجلال والإكرام والاحتشام؛ ملك وعالم ورائس فمن دونهم، بل كانت الأمة قاطبة حتى المضاد لهم في الدين والمنافي لهم في الدنيا تخضع رقابهم لهم، ويستشفعون إلى الله بهم وبدعواتهم، ويستشفون من أدواء الأنفس والأبدان بحكمهم، ويستكشفون الشبهات

(١) على الإخبار.

ويهتدون في الظلمات بأنوار كلماتهم وبياناتهم، ويطلبون البركة بآثارهم في حال حياتهم وبعد مماتهم. فهذه الأمة بأسرهم يلوذون بقبورهم، ويعلمون أنها محلّ الإجابات وقبول العبادات.

وقد ظهرت الكرامات منهم بعد مماتهم كما لا يخفى على متتبع سيرهم، وهذا شيء قد خصّهم الله به دون من سواهم، فلا يخفى على المتأمل الفطن أنّ ذلك برهان من الله لخلقه، ودليل على أنهم هم المخصوصون بالإمامة العامة، والرئاسة الكاملة التامة، والعصمة من أدناس البشرية كافة، وإلا فقد جبلت النفوس على الحرص على مباينة المنافي خصوصاً في الدين، وعلى الجهد في إرذاله وتحقيره وتصغير قدره كما هو غير خفي.

ولا ينافي ذلك خروجهم على الشهادة؛ لأنها منزلة أبى الله إلا أن ينالوها، مع أن قتلهم قتلهم بالاغتيال على قلة أنصارهم، ما ذاك إلا لعظمتهم في قلوب أعدائهم سوى الحسين (سلام الله عليه) فإنّ الله في قتله كذلك [أمراً^(١)] قد ابتلى به هذه الأمة إلى يوم القيامة؛ ليميز به الخبيث من الطيب، وتبلغ به حجته، ويستنطق به صامت طبائعهم بإعلان. فهذه طريقة واضحة لا يشك المتأمل فيها في إمامتهم وعصمتهم، والله الهادي إلى الصواب.

ومن الأدلة الصحيحة الواضحة على إمامتهم (سلام الله عليهم) ما رواه صاحب كتاب (فرائد السمطين) - وهو من أعظم علماء السنّة بإسناده عن الإمام علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قالوا: «قال رسول الله ﷺ: من أحب أن يتمسك بديني، ويركب سفينة النجاة بعدي، فليقتد بعلي بن أبي

(١) كلمة غير مقروءة، والظاهر ما أثبتناه.

طالب، وليعادِ عدوه وليوالِ وليه؛ فإنه وصيّي وخليفتي على أمتي في حياتي وبعد وفاتي، وهو إمام كل مسلم، وأمير كل مؤمن بعدي، قوله قولي، وأمره أمري، ونهيه نهيي، وتابعه تابعي، وناصره ناصرِي، وخاذله خاذلي».

ثم قال عليه السلام: «من فارق علياً بعدي لم يرني ولم أره يوم القيامة، من خالف علياً حرّم الله عليه الجنة ومأواه النار، ومن خذل علياً خذله الله يوم يعرض عليه، ومن نصر علياً نصره الله يوم يلقاه ولقنه حجّته عند المسألة»^(١).

ثم قال عليه السلام: «والحسن والحسين إماما أمتي بعد أبيهما، وسيّدا شباب أهل الجنة، أمّهما سيّدة نساء العالمين، وأبوهما سيد الوصيّين. ومن ولد الحسين تسعة أئمة تاسعهم القائم من ولدي، طاعتهم طاعتي، ومعصيتهم معصيتي، إلى الله أشكو المنكرين لفضلهم، والمصغرين لحرمتهم بعدي، وكفى بالله ولياً ونصيراً لعترتي وأئمة أمتي، ومنتقماً من الجاحدين حقهم، وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون»^(٢).

ومنها: ما رواه الحموي في (فرائد السمطين) عن سليمان بن قيس الهلالي أنه قال: قال علي للمهاجرين والأنصار لَمّا تفاخروا، وساق حديث مفاخرتهم وهو طويل: «ما من الحيّين أحد إلا ذكر فضلاً وقال حقاً، فأنا أسألكم يا معاشر قريش والأنصار: هل أعطاكم الله هذا الفضل بأنفسكم وعشائركم وأهل بيوتاتكم، أم بغيركم؟» فقالوا: أعطانا الله ومَن به علينا بمحمد عليه السلام وبآله وعترته، لا بأنفسنا وعشائرننا، ولا بأهل بيوتاتنا. قال: «صدقتم يا معاشر قريش والأنصار، أستم تعلمون أنّ الذي نلتُم من خير الدنيا والآخرة بنا أهل البيت خاصة دون غيرنا، وأنّ ابن عمي رسول الله عليه السلام قال: إني وأهل بيتي كنا نوراً يسعى بين يدي الله تعالى قبل أن يخلق الله عزّ وجلّ آدم (صلوات الله عليه) بأربعة عشر ألف سنة، فلَمّا خلق آدم عليه السلام وضع

(٢) عنه شرح إحقاق الحق ٤: ٨٢.

(١) عنه شرح إحقاق الحق ٤: ٨٢.

ذلك النور في صلبه، فأهبطه إلى الأرض، ثم حمّله في السفينة في صلب نوح عليه السلام ثم قذف به في النار في صلب إبراهيم عليه السلام، ثم لم يزل الله تعالى ينقلنا من الأصلاب الكريمة إلى الأرحام الطاهرة، ومن الأرحام الطاهرة، إلى الاصلاب الكريمة من الآباء والأمهات، لم يلتق واحدٌ منهم على سفاحٍ قط؟». فقال أهل السابقة والقدمة وأهل بدر وأهل أحد: نعم قد سمعنا من رسول الله صلى الله عليه وآله ذلك.

إلى أن قال - بعد ذكره جملةً من خصائصه -: «فأنشدكم الله، أتعلمون حيث نزلت: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ الْأَوْلُونَ مِنْ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ﴾^(١) ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ﴾ * أَوْلِيكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾^(٢) سئل عنها رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: أنزلها الله تعالى ذكره في الأنبياء وأوصيائهم، فإنا أفضل أنبياء الله ورسله، وعلي بن أبي طالب وصيّي أفضل الأوصياء؟».

قالوا: اللهم نعم. قال: «فأنشدكم الله، أتعلمون حيث نزلت: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾^(٣) الآية وحيث نزلت: ﴿وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً﴾^(٤) قال الناس: يارسول الله أخاصة في بعض المؤمنين أم عامة لجميعهم؟ فأنزل الله عز وجل على نبيّه صلى الله عليه وآله أن يعلمهم ولاة أمرهم. وأن يفتر لهم من الولاية ما فسر لهم من صلاتهم وزكاتهم وحجهم بنصبي للناس في غدير خم، وأن الناس تكذبني، فأوعده ليبليغها أو ليعذبه، ثم أمر فنودي الصلاة جامعة، ثم خطب فقال: أيها الناس أتعلمون أن الله عز وجل مولاي وأنا مولى المؤمنين وأنا أولى بهم من أنفسهم؟ قالوا: بلى يارسول الله. قال: قم يا علي. فقامت، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله: من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه. فقام سلمان فقال: يارسول الله ولاء ماذا؟ فقال: ولاء

(٢) الواقعة: ١٠ - ١١.

(١) التوبة: ١٠٠.

(٤) التوبة: ١٦.

(٣) المائدة: ٥٥.

أوليائي، من كنت أولى به من نفسه، فعليّ أولى به من نفسه، فأنزل الله تعالى ذكره: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ ^(١)، فكبر رسول الله صلى الله عليه وآله، فقال: الله أكبر على تمام نبوتي، وتمام دين الله، وولاية عليّ بعدي. فقام أبو بكر وعمر فقالا: يارسول الله هؤلاء الآيات خاصة في علي بن أبي طالب؟ قال: بل فيه وفي أوصيائي إلى يوم القيامة. قال: يارسول الله بينهم لنا. قال: علي أخى ووزيرى ووارثى ووصيتى وخليفتى فى أمتى وولى كل مؤمن بعدي، ثم ابني الحسن، ثم الحسين، ثم تسعة من ولد ابني الحسين واحداً بعد واحد، القرآن معهم وهم مع القرآن لا يفارقونه ولا يفارقهم حتى يردوا عليّ الحوض؟».

فقالوا: اللهم نعم، قد سمعنا ذلك وشهدنا كما قلت سواء. وقال بعضهم: قد حفظنا جل ما قلت ولم نحفظ كله، وهؤلاء الذين حفظوا خيارنا وأفاضلنا. فقال علي عليه السلام: «صدقتم ليس كل الناس يستون في الحفظ، أنشد الله عز وجل من حفظ ذلك من رسول الله صلى الله عليه وآله لما قام فأخبر به». فقام زيد بن أرقم، والبراء بن عازب، وسلمان، وأبو ذر والمقداد، وعمّار؛ فقالوا: نشهد لقد حفظنا قول رسول الله صلى الله عليه وآله وهو قائم على المنبر، وأنت إلى جنبه وهو يقول: «أيها الناس، إن الله عز وجل أمرني أن أنصب لكم إمامكم والقائم فيكم بعدي ووصيتى وخليفتى والذي فرض الله عز وجل على المؤمنين في كتابه طاعته، فقرنها بطاعته وطاعتي، وأمركم بولايته وإتي راجعت ربي خشية ظن أهل النفاق وتكذيبهم، فأوعدني لأبلغنها أو ليعذبني». الحديث وهو طويل.

وما وجدنا في عترته وأهل بيته أولى من هؤلاء الاثني عشر بذلك، ولا في ذرية الحسين أحق بذلك، ولا أعلى رتبة في الرئاستين من هؤلاء

التسعة، فثبت أنهم هم المخصوصون بالرئاسة العامة والإمامة الكاملة الشاملة التامة، وأن المهدي منهم هو الإمام محمد بن الحسن، وأنه القائم في آخر الزمان بالعدل، فتفطن.

وقد وقفت على مجلد فيمن روى من الصحابة نص الرسول صلى الله عليه وآله على الائمة الاثني عشر بأسمائهم، وقد اشتمل على أكثر من أربعين منهم، روى ذلك عنه عليه السلام. وقد تضمنت النص على أن الثاني عشر - وهو الخلف الصالح الحجة بن الحسن بن علي بن محمد الجواد بن علي بن موسى الرضا - هو المهدي القائم بالعدل في آخر الزمان بعد أن تمتلئ الأرض من الظلم والجور، ولكنه لا يحضرنى وقت الكتابة.

ومن البراهين على إمامتهم وعصمتهم عليهم السلام أنهم - على ما ظهر من كل واحد منهم من الحكم والعلوم المتعددة والمعارف الإلهية والسياسات الدينية والدينية والمنزلية وغيرها من خاص الحكمة وعامها، بل ما من كمال ولا علم ولا مكرمة إلا وهم أئمتها في كل عصر - لم يختلف واحد منهم إلى معلم، ولا نقل أحد منهم عن سابقه أنه أخذ علماً من العلوم من واحد من علماء زمانه، فدل ذلك على أن أخذ كل واحد منهم عن سابقه عن رسول الله صلى الله عليه وآله بالتعليم الإلهي والإلهام الرباني لا بالتعليم البشري.

فإن أحداً منهم لم تمض له مع سابقه مدة يمكنه أخذ أقل علم من علومه بالتعليم البشري، بل كما اعترف به الإمام العسقلاني في شرح البخاري وغيره من أئمة السنة أنهم أناس يأخذون علومهم عن اللوح المحفوظ وهم أطفال، وهذا سرّ ورثوه عن جدّهم المصطفى وأبيهم المرتضى حيث إنهما تكلمما بجميع الكتب، وخاصما جميع أهل الملل

والأديان والعقائد، والعلوم والأهوية الباطلة، ولم يختلفوا إلى معلّم بشري. فكما كان ذلك من براهين نبوة محمد صلى الله عليه وآله كذلك هو من براهين إمامة من هو كذلك من عترته أهل بيته وعصمتهم: ﴿وَلَنْ تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا﴾^(١). قال ابن حجر في صواعقه: (وفي أحاديث الحث على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم؛ للتمسك به إلى يوم القيامة كما أن الكتاب العزيز كذلك، ولذا كانوا أماناً لأهل الأرض، ويشهد له الخبر السابق: «في كل خلفٍ من أمتي عدول من أهل بيتي»^(٢)...^(٣) إلى آخره. ثم أحقّ من يتمسك به منهم إمامهم وعالمهم علي بن أبي طالب؛ لما قدّمناه من مزيد علمه ودقائق مستنبطاته.

ومن ثم قال أبو بكر علي عتره رسول الله صلى الله عليه وآله - أي الذي حث على التمسك بهم فخصه بما قلناه، وكذلك خصه رسول الله صلى الله عليه وآله بما مرّ يوم غدير خم.

ومما يزيدك بياناً في أنّ الخلف الحجة بن أبي محمد الحسن العسكري هو المهدي الذي يملأ الأرض عدلاً بعد أن تملأ ظلماً أن الله عزّ وجلّ ورسوله يبينوا للناس أئمة الهدى ليقتدوا بهم، وأئمة الجور والضلال ليحذروهم ويعرفوهم بكل بيان وبكل صفة ذاتاً وخلقاً وهيئة؛ حتى في صفة الجسم ووضعه وهيئته، وحتى في لحن القول كما هو معلوم من حال كل أمة سابقة بالنسبة لمن بشرهم به أنبياءهم من الرسل والخلفاء، ولمن حذروهم منهم من أئمة الضلال. فما زالت اليهود والنصارى يطلبون في

(٢) انظر ينابيع المودة ٢: ١١٤ / ٣١٨.

(١) الأحزاب: ٦٢.

(٣) الصواعق المحرقة: ٢٣٢.

العرب صفات نبينا محمد عليه السلام التي قرئوها، وأخبرهم بها موسى وعيسى وخلفاؤهم في صفة الجسم وفي المقال والفعال. وكذلك كهان العرب والمنجمون وغيرهم قاطعون بأن من وجدت فيه تلك الصفات والعلامات أنه محمد عليه السلام الذي وعدهم بظهوره أنبياءهم وعلمائهم فلما وجدوا ما عرفوا على اليقين بمقتضى تلك الدلالات القاطعين بصحتها وصدق من أخبرهم بها، كفروا به بغياً وعناداً، فذمهم الله عز اسمه وكفرهم، وقامت عليهم الحجة بمقتضى ما أنكروا بعد وجود تلك الدلالات والأمارات والصفات.

وكذلك هذه الأمة لا يرتابون في الحكم بأن هذا خارجي وهذا ناصبي، وهذا شيعي وهذا ولي، وهذا منافق وفي كل أمة هكذا بمجرد ما يجدون فيمن رأوا فيه الصفة التي أخبرهم بها نبيهم عليه السلام وأئمتهم وعلمائهم القاطعون بصدقهم، فيحكمون له وعليه بما قرّرت الشريعة في شأنه. فمن وجد الدلالة والبرهان والحجة وجب عليه - بمقتضى الشريعة والعقل - العمل به، وإلا كان معانداً أحق وجاهلاً مركباً.

إذا تقرّر هذا فاعلم أن نبينا محمداً عليه السلام وصف الحجة المهدي بصفات وأخلاق وسيرة ومنزلة حتى في صفة خلقه وجسمه وخلقته، وقد وجدنا صفته التي أخبر بها عليه السلام في خلقه وخلقته واسمه وكنيته، وقد وجدت مجتمعة في ابنه محمد الحجة بن الحسن العسكري، فاللون لون عربي والجسم جسم إسرائيلي، أوتي الحكمة على صغر سنّه، اسمه محمد، وكنيته أبو القاسم، وهو من أئمة بني الزهراء وأهل بيته كما أخبر به عليه السلام. فيجب أن نسلم لهذه الدلالات التي جاء بها الصادق الأمين. ونؤمن بها

ونقبلها؛ لَمَّا وجدناها وعرفناها، ويجب أن نسلم لهذه الدلالات، ونعرف أنه لا يكون المهدي إلا من وجد فيه، فلو ادَّعى مدع أنه المهدي ولم نجد فيه تلك الصفات التي جعلها الرسول ﷺ دلالةً على المهدي وجب علينا إنكاره وتكذيبه؛ فيجب علينا لذلك تصديق من نجدها فيه؛ لئلا يدخل في عداد من وصفهم الله عز اسمه بقوله: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا﴾^(١).
وتلك الصفات والدلالات قد أطبق كل من ذكره باجتماعها فيه كلها فيجب بالضرورة - عقلاً وتقلياً - الإيمان بأنه هو المهدي الذي بشر به جدّه ﷺ.

فإن قلت: قد ورد في بعض الطريق أنه ﷺ قال: «اسمه اسمي واسم أبيه اسم أبي» والخلف الحجّة إنما اسم أبيه الحسن بإجماع، فقد تخلف بعض الصفات التي ذكرها الرسول ﷺ عنه فليس هو هو.
قلت: الجواب من وجوه:

أحدها: إن هذه الزيادة وقعت في آحادٍ شاذة، ولعلّها من زيادات الرواة وقد تفرّد بروايتها شاذ من الخصوم، وإلا فأكثر الروايات المستفيضة المعتمدة من الصحاح وغيرها خالية من هذه الزيادة، مقصورة على «اسمه اسمي وكنيته كنيته»، فلا تقاوم بينها ولا تعارض.

والثاني: على فرض تسليمه لعل الراوي [صحفه]^(٢) اشتباهاً، فهو وارد بلفظ: (ابني) بهمزة بعدها باء وبعدها نون بعدها ياء الاضافة وأراد به الحسن بن علي، فاشتبه على الراوي فاسقط النون.
والثالث: إنه أراد بالاسم الكنية، فأبو المهدي الحسن كنيته: أبو محمد،

(٢) في المخطوط: حرفه.

(١) البقرة: ٨٩.

وعبدالله أبو الرسول ﷺ كنيته: أبو محمد.

والرابع: يحتمل أن أبا محمد الحسن بن علي والد المهدي كان يسمى بعبد الله وإن لم يشتهر، ويمكن أنه كان معروفاً في الصدر الأول. ولعل ما أخرجه بن أبي الدنيا من طريق أبي صالح عن ابن عباس أنه قال: «المهدي اسمه محمد بن عبدالله وهو رجل ربه مشرب بحمرة يفرج الله به عن هذه الامة كل كرب ويصرف بعدله كل جور»^(١) يدلّ على ذلك.

ومما يؤيد ما قلناه ما قاله محمد بن يوسف الكنجي في كتابه (التبيان في أخبار صاحب الزمان) - بعد نقل حديث: «اسمه اسمي» بسنده إلى محمد بن إبراهيم بن عاصم الآبري في كتاب (مناقب الشافعي) - قال: ذكر هذا الحديث وزاد فيه زيادة، وفي روايته: «واسم أبيه اسم أبي»، وقد ذكر الترمذي الحديث في جامعه^(٢) ولم يذكر: «اسم أبيه اسم أبي» وذكره أبو داود^(٣) في معظم روايات الحفاظ والثقات من نقلة الأخبار: «اسمه اسمي»^(٤) فقط والذي روى: «اسم أبيه اسم أبي» هو زيادة وهو يزيد في الحديث يحتمل أن الراوي

(١) فتح الباري ١٣: ١٨٤.

(٢) سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٣: ٣٤٣ / ٢٣٣١ - ٢٣٣٢.

(٣) سنن أبي داود ٢: ٣٠٩ - ٣١٠ / ٤٢٨٢، وفيه: «واسم أبيه اسم أبي»، وأيضاً ذكره بلفظ «اسمه اسمي».

(٤) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ١: ٣٧٦، و ٣٧٦، و ٣٧٧، الخ، بغية الباحث: ٣٤٨ / ٧٨٩، وفيه «... أو اسم نبي»، صحيح ابن حبان ١٣: ٢٨٤، ١٥: ٢٣٨، الحد الفاصل: ٢٣٤/٣٢٩، المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٧: ٥٤، ٨: ١٧٨، المعجم الصغير ٢: ١٤٨، المعجم الكبير ١٠: ١٣١/١٠٢٠٨، و ١٣٣/١٠٢١٤-١٠٢١٥، و ١٣٤ و ١٠٢١٧/، الخ، موارد الظمان ٦: ١٢٩/١٨٧٧، و ١٢٩/١٨٧٨، و ١٣١/١٨٧٩.

توهم في قوله: «ابني» فصحّفه: «أبي». انتهى ملخصاً.
وقد نقل غير واحد من الحفاظ أن زياداً هذا يزيد في الحديث كما لا يخفى على المطلع.

فإن قلت: فقد ورد في بعض الطرق أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام قال: «ان ابني هذا - وأشار إلى الحسن - سيّد كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله، وسيخرج من صلبه رجل يسمى باسم نبيكم، يشبهه في الخلق ولا يشبهه في الخلق، يملأ الارض عدلاً...» الحديث. وهذا ينافي ما اجتمعت عليه الشيعة، بل نقل ابن بطريق^(١) وغيره إجماع الأمة على أن المهدي من ولد الحسين عليه السلام، فقد اختلفت الدلالة بوجه.

قلت: الجواب بطرق:

أحدها: أن هذا شاذ مخالف لما استفاض من أن المهدي من ولد الحسين، وقد عرفت بعضه فلا عبرة به.

الثاني: فرضنا تسليمه لكن الحسن جدّه قطعاً لأن أمّ محمد بن علي الباقر بنت الحسن بن علي بإجماع الأمة، فصدق أنه خرج من صلبه.

الثالث: وهم الراوي فأسقط الياء وإنما المشار إلى الحسين سيّد^(٢) كما سمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله وذلك ثابت بالاستفاضة كما يظهر بأدنى تتبع.

الرابع: عمّد الراوي فأسقط الياء عناداً أو طمعاً في جوائز من بذل الأموال على إطفاء نور الله، فأبى الله ذلك.

ومن الاعتبار الصحيح أن كلّ من أقرّ بوجود المهدي بن الحسن من

(١) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٣٧ / ٩٣٠، قال: بلا خلاف.

(٢) عمدة عيون صحاح الأخبار: ٤٣٤ / ٩١٢.

هذه الأمة مقرّر بأنه غاب ولم يمت، بل لم تقف على من ذكر أنه مات، ولا ادّعاء مدّع من هذه الأمة ولا من غيرها، بل ذكر المؤرّخون عن آخرهم يوم ولادته واسمه وبعض صفاته وألقابه وكنيته، وهذا برهان على وجوده إلى أن يأذن الله له بالفرج.

ومنه أن أهل البيت الذين لا يفارقون القرآن ولا يفارقهم، وهم سفينة النجاة والأمان من الاختلاف إلى غير ذلك، وجميع أتباعهم، وجملة من عرفت من غيرهم أطبقوا على وجوده، وأنه إمام الزمان، وأنه المهدي المنتظر. وإجماعهم حجة قطعاً؛ فإما أن يكون كذلك، أو يخرج الحق عنهم في هذه المسألة إلى غيرهم. والثاني محال بمقتضى النصوص المتواترة المضمون عن الصادق الأمين أنهم مع القرآن والحق، والحق والقرآن معهم أبداً، فمن أنكر ما أجمعوا عليه واستفاض عنهم فقد ردّ على رسول الله صلى الله عليه وآله، وهذا واضح بحمد الله.

ومن الاعتبار أنه ثبت بالبرهان المتضاعف عقلاً ونقلًا أن الله عزّ وجلّ فاعل مختار، وأنه فطر الوجود المطلق على الاختيار حتى في نفس الإيجاد، وإلا لما قام الدليل على أنه مختار، فأجج لهم نار التكليف اختياراً واختباراً، فأمرهم بالوثوب فيها في كلّ نشأة ومقام ﴿لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ﴾^(١) بكل نوع ولون، وفي كل حركة وسكون، ودل على ذاته بذاته^(٢) وبفطر مخلوقاته، فلا بد أن يكون له في كل نشأة من خليفة بذاته؛ لأنه مجهول الكنه بكل معنى، منزّه عن مجانسة

(١) الأنفال: ٤٢.

(٢) بحار الأنوار ٨٤: ٣٣٩ / ١٩.

مخلوقاته^(١) فكلفهم بالإيمان به وبأسمائه وصفاته، فلا بد من أن يظهر ذلك التكليف في جميع طبقات الوجود. فكما تعبد خلقه بالإيمان بالغيب المطلق تعبدهم بالإيمان بحججه غيباً وشهادةً؛ فالحجة قبل الخلق وبعد الخلق ومع الخلق، وإلا لجاز التكليف بالمحال إذا فرض تكليف بلا حجة أو عدمه، والكل محال بالبرهان المتضاعف عقلاً ونقلًا.

ومن ذلك أنه عز اسمه أخبر الملائكة بأنه جاعلٌ في الأرض خليفةً، وكلفهم قبل خلقه بالإيمان به وبوجوب السجود له؛ ليتحقق إيمانهم الغيبي بخليفته، فكما كان هناك لا بد من أن يكون هنا في هذه الأمة؛ ليتطابق القوسان؛ فتتم دائرة الوجود. فلا بد من غيبة الحجة فيها، والتكليف بالإيمان به ووجوب طاعته. ولم يدعها مدع لغير الحجة بن الحسن العسكري، ولا تمكن إلا له؛ لما قدّمناه من الأدلة على وجوب الإيمان بأن الاثني عشر المذكورين هم حجج الله في خلقه من أهل بيت الرسول صلى الله عليه وآله لينطبق البدء على العود، ولو جوب اجتماع متفرقات الأمم في هذه الأمة؛ لأنّ نبيهم صلى الله عليه وآله سيّد الحجج طراً، ولا يمكن أن يكلفوا بوجود الحجة قبل خلقه لوجود المكلفين وعدم جواز خلو زمن التكليف من الحجة الناطق البشري، ولأن آدم بشر فلا يكون ذلك الحجة هنا إلا بشراً، فلا يقوم مقامه غيره؛ لوجوب كمال المطابقة.

ومنها ما مرّت الإشارة اظليله من أنه يجب بالضرورة أن يوجد في جنود العقل ومظاهره كل ما يوجد في جنود الجهل ومظاهره على جهة المصادرة والمقابلة؛ لأنّ العقل أصل علل الجهل، وعلل وجودهم ووجوده

(١) بحار الأنوار ٨٤: ٣٣٩ / ١٩.

متوقّف على وجود العقل. وقد وجد في جنود الجهل ومظاهره ما يصدّ الخلق ويغويهم عن سبيل الحق والرشاد غيباً وشهادةً من شياطين الإنس والجن، فلا بد من أن يوجد ضده ونظيره في جنود العقل ومظاهره.

فكما في الغاوين من يغوي ويصدّ عن الله مع بقائه منذ خلق آدم إلى يوم الوقت المعلوم من حيث: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(١)، فلا بد من وجود من هو داع إلى الله من حيث يرى ولا يرى مادامت دولة إبليس، وإلا لكان الحق مقهوراً، ووسائط الله في خذلان وقتاً ما، وهو محال بالضرورة؛ عقلاً، ونقلًا. ولا أحق وأمثل بذلك من العترة الطاهرة المتلازمة مع الحق والقرآن، وهم الأمان، وبهم النجاة، ولا أحق وأمثل بذلك من الاثني عشر المعدودين من أهل البيت.

وقد ثبت بالضرورة أنهم كلهم خرجوا من الدنيا إلى جوار الله على الشهادة إلا الثاني عشر منهم محمد بن الحسن العسكري؛ فقد ثبت ولادته ووجوده وغيبته، ولم يدع أحد من الخلق موته، فيجب بالضرورة أنه إمام الزمان، والحجة على الخلق بعد مضي أبيه (سلام الله عليه)، وأنه الداعي إلى الله غيباً، والهادي إلى الحق سرّاً حتى يجيئه أمر الله فيدعو له شهادةً. ومنها أنه قد أطبق الحكماء في كل عصر على أنه لا يخلو زمن التكليف من واسطة بين الحق والخلق ذي جهتين يستمدّ بإحدهما من الله، ويفيض بالأخرى على من دونه، منزّه عن جميع نواقص البشريّة، كامل في الرئاستين العلمية والعملية، تام في السياستين الدنيوية والدنيوية، البدنية والنفسية، والمنزلية والمدنية، ولا أحق بهذا من أهل البيت المطهرين من

الله بالعصمة. وقد دللنا على اختصاص الاثني عشر من العترة بها، بل هم العترة التي عناها الصادق الأمين ونصّ عليها بالاستخلاف والعصمة كما عرفته من الأدلة. ولم يبقَ منهم إلا الحجّة بن الحسن، فيتعيّن أنّه حجّة الله على خلقه، وواسطة خلقه إليه، ودليلهم عليه، ولا يضرّه غيبته عن إجاتهم، فيتعيّن وجوده وبقاؤه.

ومنها: أنّه قد ثبت بالكتاب والسنة والضرورة العقلية والدينية أنّ ليلة القدر مستمرة الوجود مادام زمن التكليف؛ لوجوب تدريج وجود هذا العالم، فلا بد من تدريج تكليفهم؛ ضرورة انطباق التكليف عليهم، ووجوب مطابقته لمصالحهم المختلفة باختلاف الأزمان والأشخاص وإن كانت الشريعة واحدة؛ لعدم التنافي كما هو مبرهن في محله. فإذا ثبت ذلك ثبت وجوب وجود من تنزل عليه الملائكة والروح فيها بإذن ربهم، وهو باب الله المفتوح بالرحمة لعباده، وسبيلهم إليه، وشفيعهم في الاستمداد من حضرة وجوده، فلا تنزل إلا على كامل في الرئاستين، معصوم من كل شين، وليس أحد | أحق بذلك من العترة التي طهرهم الله. وقد دللناك على انحصارها في الاثني عشر المشار إليهم، وقد انتقلوا إلى جوار الله ومنزل رسوله كلهم إلا الخلف الصالح والإمام الحجّة بن الحسن العسكري، فيتعيّن أن يكون هو محل إشارة الملائكة بالسلام ليلة القدر بعد آبائه الكرام البررة، إذ لم يدّع أحد موته كما عرفت مع ثبوت وجوده. ومنها: جميع ما ذكرناه من الأدلة الدالة على أنه يجب في كل زمن من أزمان التكليف أن يوجد من عترته عليه السلام من هو مع الحق والقرآن لا يفترقان، وهو الأمان من الاختلاف، ومن هو كباب حطّة. وكل واحد من

الأدلة السابقة على وجوب وجود إمام معصوم من أهل بيته عليهم السلام في كل آن إلى آخر الزمان، وأنه لا أحق بذلك ممّا ذكرناه من الأئمة الاثني عشر، وهم قد مضوا لجوار الله أجمع ولم يبقَ إلا الحجة بن الحسن؛ فيتعيّن لذلك كلّ، فيجب الإيمان بوجوده حتى ينفذ الله مشيئته في خلقه.

ومن النصوص الصريحة التي رواها الشيعة عن أئمتهم وعن الصحابة بطرق متعدّدة مستفيضة، ورواها أئمة أهل السنة كذلك ما رواه إمام الأئمة في زمانه الذي يلقبه أهل السنة بصدر الأئمة موفق بن أحمد المعروف بأخطب خوارزم في كتابه الذي صنّفه في فضل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب قال: (حدثني فخر القضاة نجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي فيما كتب إليّ من همدان قال: أنبأنا الإمام الشريف نور الهدى أبو طالب الحسن بن محمد الزبيبي قال: أخبرنا إمام الأئمة محمد بن أحمد بن شاذان قال: حدثنا أحمد بن محمد بن عبد الله الحافظ قال: حدثنا علي بن سنان الموصلي عن أحمد بن محمد بن صالح عن سليمان بن محمد عن زياد بن مسلم عن عبد الرحمن بن زيد عن زيد بن جابر عن سلامة عن سليمان راعي رسول الله صلى الله عليه وآله قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: «ليلة أسري بي إلى السماء قال لي الجليل جلّ جلاله: ﴿ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ ﴾^(١)، فقلت: ﴿ والمؤمنون ﴾ قال: صدقت. قال: من خلفت في أمّتك؟ قلت: خيرها. قال: علي بن أبي طالب؟ قلت: نعم يارب. قال: يا محمد، إني أطلعت إلى الأرض أطلاعاً فاخترتك منها، فشقت لك اسماً من أسمائي، فلا أذكر في موضعٍ إلا ذكرت معي، فأنا المحمود وأنت محمد، ثم أطلعت الثانية فاخترت منها علياً وشقت له

اسماً من أسمائي، فأنا الأعلى وهو علي.

يا محمد، إني خلقتك وخلقت علياً وفاطمة والحسن والحسين والأئمة من ولده من نوري، وعرضت ولايتكم على السماوات والأرض، فمن قبلها كان عندي من المؤمنين، ومن بعدها كان عندي من الكافرين.

يا محمد لو أن عبداً من عبيدي عبدني حتى ينقطع أو يصير كالشن البالي، ثم أتاني جاحداً لولايتكم ما غفرت له حتى يقر بولايتكم.

يا محمد تحب أن تراهم؟ قلت: نعم يارب. فقال: التفت عن يمين العرش. فالتفت؛ فإذا بعلي وفاطمة والحسن والحسين وعلي بن الحسين ومحمد بن علي وجعفر بن محمد وموسى بن جعفر وعلي بن موسى ومحمد بن علي وعلي بن محمد والحسن بن علي والمهدي في ضحضاح من نور قياماً يصلون، وهو في وسطهم - يعني: المهدي - كأنه كوكب دري. وقال: يا محمد، هؤلاء الحجج، وهو الثائر من عترتك. وعزتي، إنه الحجة الواجبة لأوليائي، والمنتقم من أعدائي»^(١).

ومنها: ما أخرجه الفقيه محمد بن أحمد بن شاذان بطريقه من رجال أهل السنة في (المناقب المئة) عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: حدثني جبرئيل عن رب العزة جل جلاله أنه قال: من علم أن لا إله إلا أنا وحدي، وأن محمداً عبدي ورسولي، وأن علي بن أبي طالب خليفتي، وأن الأئمة من ولده حججي أدخلته الجنة برحمتي، ونجيته من النار بعفوي، وأبحت له جواري وأوجبت له كرامتي، وأئمت عليه نعمتي، وجعلته من خاصتي وخالصتي. إن ناداني لبيته، وإن دعاني أحبته، وإن سألني أعطيته، وإن سكت ابتدأته، وإن أساء رحمته، وإن فرّمني دعوته، وإن رجع إلي قبلته، وإن قرع بابي فتحتة.

(١) عنه ينابيع المودة ٣: ٣٧٩ / ٢، عنه في غاية المرام ١: ١٠٣.

ومن لم يشهد أن لا إله إلا أنا وحدي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن محمداً عبدي ورسولي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن علي بن أبي طالب خليفتي، أو شهد بذلك ولم يشهد أن الأئمة من ولده حججي فقد جحد نعمتي، وصغر عظمي، وكفر بآياتي وكتبي ورسلي؛ إن قصدني حجبتة، وإن سألني حرمته، وإن ناداني لم أسمع نداءه، وإن دعاني لم أستجب دعاه وإن رجاني خيبت رجاءه مني، وما أنا بظلام للعبيد.

فقام جابر بن عبدالله الأنصاري، فقال: يا رسول الله، ومن الأئمة من ولد علي بن أبي طالب؟ قال: الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة، ثم سيد العابدين في زمانه علي بن الحسين، ثم الباقر محمد بن علي، ستدرکه يا جابر وإذا أدركته فاقراه مني السلام، ثم الصادق جعفر بن محمد، ثم الكاظم موسى بن جعفر، ثم الرضا علي بن موسى، ثم النبي محمد بن علي، ثم النبي محمد بن محمد، ثم الزكي الحسن بن علي، ثم ابنه القائم بالحق، مهدي أمتي الذي يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت جوراً وظلماً. هؤلاء يا جابر خلفائي وأوصيائي، وأولادي وعترتي، من أطاعهم فقد أطاعني، ومن عصاهم فقد عصاني، ومن أنكرهم أو أنكر واحداً منهم فقد أنكرني، وبهم يمسك الله السماء أن تقع على الأرض، وبهم يحفظ الله أن تميد بأهلها»^(١).

ومنها: ما رواه محمد بن جرير الطبري في (مسند فاطمة) بسنده المتصل عن زاذان عن سلمان قال: قال لي رسول الله ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى لم يبعث نبياً ولا رسولاً إلا جعل له اثني عشر نقيباً». فقلت: يا رسول الله، قد عرفت هذا من أهل الكتابين. فقال: «يا سلمان، خلقتني الله من صفوة نوره ودعاني فأطعته، وخلق من نوري علياً ودعاه فأطاعه، وخلق من نور علي فاطمة ودعاها فأطاعته،

(١) مائة منقبة: ١٦٧ / ذيل ح ٧٨، انظر الحديث في كمال الدين: ٢٥٨ / ٣، كفاية الأثر:

وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسن ودعاها فاطعه، وخلق مني ومن علي وفاطمة الحسين فدعاها فاطعه، ثم ستانا بخمسة أسماء من أسمائه، فالله المحمود وأنا محمد، والله العلي فهذا علي، والله الفاطر فهذه فاطمة، والله ذو الإحسان وهذا الحسن، والله المحسن وهذا الحسين، ثم خلق منا ومن نور الحسين تسعة أئمة فدعاهم فاطعه قبل أن يخلق الله سماءً مبنية ولا أرضاً مدحية ولا ملكاً ولا بشراً دوننا، نور نستبح الله ونسمع ونطيع».

قال سلمان: فقلت: يارسول الله، بأبي أنت وأمي ما لمن عرف هؤلاء؟ فقال: «يا سلمان من عرفهم حق معرفتهم، واقتدى بهم، ووالى وليهم، وتبرأ من عدوهم فهو والله منّا؛ يرد حيث نرد، ويسكن حيث نسكن». فقلت: يارسول الله، فهل يكون إيمان بهم بغير معرفة بأسمائهم وأنسابهم؟ فقال: «لا ياسلمان». فقلت: يارسول الله، فأنى لي بهم قد عرفت إلى الحسين؟ قال: «ثم سيد العابدين علي بن الحسين، ثم ابنه محمد بن علي باقر علم الأولين والآخرين من النبيين والمرسلين، ثم جعفر بن محمد لسان الله الصادق، ثم موسى بن جعفر الكاظم غيظه صبراً في الله عز وجل، ثم علي بن موسى الرضا لأمر الله، ثم محمد بن علي المختار من خلق الله، ثم علي بن محمد الهادي إلى الله، ثم الحسن بن علي الصامت الأمين لسر الله، ثم محمد بن الحسن الهادي المهدي الناطق القائم بحق الله»^(١).

ومنها: ما رواه جعفر بن محمد بن أحمد الدرستي من أئمة أهل السنة في كتابه (الرد على الزيدية) بسنده المتصل إلى سليمان بن إسحاق بن علي بن عبد الله بن العباس قال: حدّثني أبي قال: كنت يوماً عند الرشيد، فذكر المهدي، وما ذكر من عدله، فأطنب في ذلك، فقال الرشيد: إنني أحسبكم تحسبونه أبي المهدي، حدّثني أبي عن أبيه عن جدّه عن ابن

(١) انظر الحديث في كتابه دلائل الإمامة: ٤٤٧ - ٤٤٩ / ٤٢٤.

عباس عن أبيه العباس بن عبد المطلب أن النبي صلى الله عليه وآله قال له: «يا عم يملك من ولدي اثنا عشر خليفة ثم تكون أمور كريمة وشدة عظيمة، ثم يخرج المهدي من ولدي يصلح الله أمره في ليلة، فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ويمكث في الأرض ما شاء الله»^(١) الحديث.

ومنها: ما رواه صدر الأئمة موفق بن أحمد الخوارزمي المعروف بأخطب خوارزم في كتاب (فضائل أمير المؤمنين علي بن أبي طالب) قال: حدثني فخر القضاة نجم الدين أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد البغدادي فيما كتب إلي من همدان قال: أنبأنا الإمام الشريف نور الهدى أبو طالب الحسن بن محمد الزينبي قال: أخبرنا إمام الأئمة محمد بن أحمد بن شاذان، وساق السند متصلاً عن سلمان المحمدي قال: دخلت على النبي صلى الله عليه وآله وإذا الحسين على فخذه وهو يقبل عينيه ويلثم فاه وهو يقول: «أنت سيد ابن سيد وأخ سيد أبو السادة، أنت إمام ابن الإمام أخو الإمام أبو الأئمة، أنت حجة ابن حجة أخو حجة أبو حجج تسعة من صلبك، تاسعهم قائمهم»^(٢).

وأخرج أيضاً في هذا الكتاب بسنده المذكور إلى موسى بن عثمان قال: حدثني أبو إسحاق عن الحارث وسعيد بن بشير عن علي بن أبي طالب قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وآله: أنا واردكم على الحوض، وأنت يا علي الساقى، والحسن الذائد، والحسين الأمر، وعلي بن الحسين الفارط، ومحمد بن علي الناشر، وجعفر بن محمد السائق، وموسى بن جعفر محصي المحبتين والمبغضين وقامع المنافقين، وعلي بن موسى مزين المؤمنين، ومحمد بن علي منزل أهل الجنة في درجاتهم، وعلي بن محمد خطيب شيعته ومزوجهم الحور العين، والحسن بن علي سراج أهل الجنة يستضيئون به، والمهدي

(١) عنه في غاية المرام ٧: ١١٧ / ١٦٤. (٢) عنه في غاية المرام ١: ١٠٣ / ٣.

شفيعهم يوم القيامة حيث لا يأذن الله إلا لمن يشاء ويرضى»^(١).

ومن النصوص الصريحة على الحجة بن الحسن العسكري بالخصوص ما رواه عمر بن إبراهيم الأوسي من أعيان أهل السنة في كتابه عن رسول الله ﷺ أنه قال: «ينزل عيسى بن مريم عليه السلام عند انفجار الصبح ما بين مهرودين - وهما ثوبان أصفران من الزعفران - أبيض الجسم أصهب الرأس أفرق الشعر، كأن رأسه يقطر دهناً، بيده حربة، يكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويهلك الدجال، ويقبض أموال القائم، ويمشي خلفه أهل الكهف، وهو الوزير الأيمن للقائم، وحاجبه وناثبه، ويبسط في المغرب والمشرق الإمرة من كرامة الحجة ابن الحسن»^(٢).

وروى أبو نعيم أحمد بن عبدالله الحافظ في الأربعين التي جمعها في أمر المهدي عن ابن الخشاب قال: حدّثنا صدقة بن موسى عن الرضا أنه قال: «الخلف الصالح من ولد الحسن بن علي العسكري هو صاحب الزمان، وهو المهدي عليه السلام»^(٣).

وممن صنّف في أخبار المهدي محمد بن يوسف بن محمد الكنجي الشافعي وصنّف كتاباً وأسماه (التبيان في أخبار صاحب الزمان) قال فيه: (إني جمعت هذا الكتاب وعريته من طرق الشيعة ليكون الاحتجاج به أكد، ورتّبه على خمسة وعشرين باباً: الأول: في ذكر خروجه في آخر الزمان، والباب الآخر عنوانه: الباب الخامس والعشرون في الدلالة على كون المهدي حياً باقياً منذ غيبته إلى الآن. قال: (ولا امتناع في بقاءه؛ بدليل بقاء عيسى والخضر وإلياس من أولياء الله تعالى، وبقاء الدجال

(١) عنه في غاية المرام ١: ١٣٠ / ٢٢. (٢) عنه في غاية المرام ٧: ٩٣ / ٣٨.

(٣) انظر ينابيع المودة ٣: ٣٩٢ / ٣٦.

وإبليس من أعداء الله تعالى. وهؤلاء قد ثبت بقاؤهم بالكتاب والسنة، وقد اتفقوا على ذلك ثم أنكروا بقاء القائم المهدي لطول الزمان، ولأنه في سرداب من غير أحدٍ يقوم بطعامه وشرابه، وهذا ممتنع عادة).

قال مؤلف هذا الكتاب محمد بن يوسف الكنجي الشافعي: (أما عيسى عليه السلام والدليل على بقائه قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾^(١)، ولم يؤمن به أحد بعد نزول هذه الآية إلى يومنا هذا، ولا بد أن يكون ذلك في آخر الزمان. وأما السنة فقد استفاض في الصحيحين وغيرهما نزوله بعد خروج المهدي وصلاته خلفه^(٢)).

وأما الخضر وإلياس، فقال ابن جرير الطبري: الخضر وإلياس باقيان يسيران في الأرض^(٣)، وما رواه مسلم في صحيحه^(٤) قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله حديثاً طويلاً في الدجال، وكان فيما حدثنا أن قال: «يأتي وهو محرم عليه أن يدخل نقاب المدينة، وينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذ رجل هو خير الناس - أو من خير الناس - فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله صلى الله عليه وآله حديثه. فيقول الدجال: رأيتم إن قتلت هذا ثم أحبيته، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا. قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: ما كنت فيك قط أشد بصيرةً من الآن. فيريد الدجال أن يقتله، فلا يسلط عليه»^(٥).

(١) النساء: ١٥٩.

(٢) انظر فتح الباري ٦: ٣٥٨، فيض القدير شرح الجامع الصغير ٥: ٧٤، وفيه: «أن المهدي أفضل من عيسى؛ فإمامته الصلاة أولى».

(٣) عنه الفصول المهمة (ط دار الحديث) ٢: ١١٢٠، كشف الغمة ٣: ٢٩١، بحار الأنوار

(٤) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ٨: ١٩٩.

(٥) صحيح البخاري (ط دار الفكر) ٢: ٢٢٣، ٨: ١٠٣، عمدة القاري ١٠: ٢٤٤/٢٨٨١.

قال أبو إسحاق إبراهيم بن سعد: يقال: إنَّ هذا الرجل هو الخضر عليه السلام ^(١).
هذا لفظ مسلم في صحيحه كما سقنا سواء.

وأما الدليل على بقاء الدجال فإنه أورد حديث تميم الداري والدابة التي
كَلَّمْتَهُ، وهو حديث ذكره مسلم في صحيحه ^(٢) وقال: صحيح صريح في بقاء
الدجال ^(٣).

وأما الدليل على بقاء إبليس؛ فقوله تعالى: ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ
يُبْعَثُونَ ﴾ ^(٤) الآية.

وأما بقاء المهدي فقد جاء في الكتاب والسنة، أما الكتاب؛ فقال سعيد
بن جبير في تفسير قوله تعالى: ﴿ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ ^(٥) قال: هو

٢٤: ٢١٩ / ٧١٣٢، سنن النسائي الكبرى ٢: ٤٨٥ / ٤٢٧٥، مسند الشاميين ٤: ٢١٣ -
٣١٢٥ / (١) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ٨: ١٩٩.

(٢) صحيح مسلم (ط دار الفكر) ٨: ٢٠٦.

(٣) والحديث ذكر مفصلاً عن فاطمة بنت قيس: (أن رسول الله صلى الله عليه وآله جاء ذات يوم مسرعاً
فصعد المنبر، ونودي في الناس الصلاة جامعة)، ثم أخبرهم أن تميم أخبره أن جماعة
من أهل فلسطين ركبوا البحر فانكسرت بهم السفينة فخذفتهم إلى إحدى جزائر البحر
حيث رأوا الدجال. انظر: مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٦: ٣٧٤، سنن النسائي
الكبرى ٢: ٤٨١ / ٤٢٥٨، المعجم الكبير ٢٤: ٣٩٧ وبألفاظ أخر صحيح مسلم (ط دار
الفكر) ٨: ٢٠٣، سنن ابن ماجة ٢: ١٣٥٤ / ٤٠٧٤، سنن أبي داود ٢: ٣١٩ / ٤٣٢٥،
سنن الترمذي (ط دار الفكر) ٣: ٣٥٥ / ٢٣٥، مسند أبي داود: ٢٢٨، مسند الحميدي
١: ١٧٧ / ٣٦٤، المصنف (الكوفي) ٨: ٦٥٨ / ٦٦، مسند ابن راهويه ٥: ٢٢٠ /
٢٣٦١، الآحاد والمثاني ٦: ٥ / ٣١٨١، صحيح ابن حبان ١٥: ١٩٤، الأحاديث
الطوال: ١٢٢، المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ٥: ١٢٥، المعجم الكبير ٢: ٥٤، ٢٤:
٣٧١، و ٣٨٥٥، و ٣٨٨، و ٣٩١، و ٣٩٣، تاريخ مدينة دمشق ١١: ٥٢.

(٥) التوبة: ٣٣.

(٤) الحجر: ٣٦.

المهدي من عترة فاطمة^(١).

وقال مقاتل بن سليمان ومن تابعه من المفسرين في قوله عز وجل: ﴿وَأَنَّهُ لَعَلَّمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾^(٢)، قال: هو المهدي يكون في آخر الزمان وبعد خروجه قيام الساعة وأماراتها^(٣).

وأما السنة فما تقدّم في كتابنا هذا من الأحاديث الصحيحة الصريحة.

وأما الجواب عن طول الزمان؛ فمن حيث النص والمعنى:

أما النص، فما تقدّم من الأخبار على أنه لا بد من وجود الثلاثة في آخر الزمان، وأنهم ليس فيهم متبوع غير المهدي بدليل أنه إمام الأئمة في آخر الزمان، وأن عيسى يصلي خلفه ويصدقّه في دعواه كما في الصحاح^(٤)، والثالث: الدجال فقد ثبت أنه حيّ موجود.

وأما المعنى في بقائهم، فلا يخلو بقاؤهم إمّا أن يكون داخلاً في مقدور الله تعالى، أو لا يكون، فيستحيل أن يخرج عن مقدور الله تعالى لا بدّ من أن يرجع ذلك إلى اختياره تعالى دون اختيار غيره؛ إذ لا يقدر عليه إلّا هو

(١) انظر بحار الأنوار ٥١: ٩٨. (٢) الزخرف: ٦١.

(٣) انظر بحار الأنوار ٥١: ٩٩.

(٤) إذ ينزل عيسى والمهدي عليه السلام قد وصل بيت المقدس، «فيقول أميرهم المهدي: تعال صلّ بنا، فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمير» مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٣: ٣٤٥، و ٣٨٤، صحيح مسلم (ط دار الفكر) ١: ٩٥، المستدرک على الصحيحين (تحقيق المرعشي) ٤: ٤٧٨، الديباج على مسلم ١: ١٧٩ / ٢٤٧، المصنف ٨: ٦٥٠ / ٢٤، المنتقى من السنن المسندة: ٢٥٧ / ١٠٣١، صحيح ابن حبان ١٥: ٢٣١، وممن صرح بصلاة عيسى خلف المهدي عليه السلام: العيني في عمدة القاري ٦: ٨٧، والمناوي في فيض القدير ٥: ٣٨٣.

سبحانه، ولا غرابة في أن يختار الله بقاء شخص ألوف سنين، ولا بد من أن يكون بقاء الثلاثة لسبب اقتضاه حكمة الله، إذ لا يجري في أفعاله تعالى ما لا حكمة فيه.

فأما عيسى عليه السلام فالسبب في علمنا ببقائه ما ذكره الله تعالى في قوله: ﴿وَأَنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ﴾، ولن يؤمن به منذ نزلت إلى يومنا هذا أحدًا، فلا بد أن تكون في آخر الزمان.

وأما الدجال فقد أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله بآيات تخرج معه كجبال من خبز وغيرها^(١)، ولم تكن قطعاً، فلا بد أن تكون في آخر الزمان.

وأما الإمام المهدي عليه السلام فمنذ غيبته عن الأبصار إلى يومنا لم يملأ الأرض قسطاً وعدلاً، وقد أخبر الصادق الأمين عليه السلام بأنه يملؤها فلا بد أن يكون في آخر الزمان.

فهذه الأسباب لاستيفاء الأجل المعلوم اقتضت بقاء الثلاثة للجزم بما ذكرناه في وقت. فإذا ثبت بالصحاح بقاء الدجال وعيسى، فما المانع من بقاء المهدي مع كون بقاءه داخلاً تحت قدرة الله باختيار الله، وهو آية الرسول صلى الله عليه وآله، فهو أولى بالبقاء من الاثنين؛ لأنه إذا بقي المهدي كان إمام آخر الزمان يملؤها قسطاً وعدلاً. فبقاؤه مصلحة للمكلفين، ولطف لهم بخلاف الدجال؛ لأن بقاءه مفسدة؛ لادعائه الربوبية، وفتكه بالامة، ولكن في بقاءه ابتلاء من الله ليطمئن الخبيث من الطيب، وهو الحكمة في بقاءه.

وأما بقاء عيسى فهو سبب إيمان أهل الكتاب، وللتصديق بنبوة

(١) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٣: ٣٦٧، ٥: ٤٣٤، صحيح مسلم (ط دار الفكر)

٨: ٢٠٠، الديباج على مسلم ٦: ٢٥٧ / ١١٥.

محمد صلى الله عليه وآله، وتبيان لدعوى الإمام، وبرهان له؛ لصلاته خلفه، ودعائه إلى الملة المحمدية التي هو إمامها. فصار بقاء المهدي أصلاً، وبقاء الاثنين فرعاً، ولا يصح بقاء الفرع مع عدم الأصل، وإلا لصح وجود المسبب بلا سبب وهو محال.

وإنما قلنا: إن بقاء المهدي أصل الاثنين؛ لأنه لا يصح وجود عيسى بانفراد بدون أن يكون مصدقاً للإمام وناصرًا للإسلام؛ لما يلزم من انقلاب الدعوى لغير محمد صلى الله عليه وآله، وتبع الأمة لغير خاتم الرسل الذي حاله حلال إلى يوم القيامة، فلا بد أن يكون عيسى برهاناً ومصدقاً وعوناً، فإذا لم يكن المنصور المصدق لم يكن لوجود عيسى معنى؛ فثبت أن وجود المهدي أصل لوجود عيسى.

وكذا لا يصح وجود الدجال وليس للأمة إمام يرجعون إليه في الهداية، وإلا لم يزل الإسلام مقهوراً، دعوته باطلة؛ فوجود الإمام أصل لوجوده أيضاً.

والجواب عن إنكارهم بقاءه في السرداب من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه أنه مثل عيسى، فكما جاز بقاءه في السماء كذلك، فكذلك المهدي في السرداب.

فإن قيل: عيسى يغذيه رب العالمين من خزائنه غيبه.

قلت: لا تفنى خزائنه بانضمام المهدي إليه في غناه.

فإن قلت: عيسى خرج من طبيعته البشرية.

قلت: يرده قوله تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾ (١).

فإن قيل: اكتسب ذلك من العالم العلوي.
قلت: هذا يحتاج إلى توقيف ولا سبيل إليه.
وأيضاً بقاء الدجال في البئر على ما دلّت عليه الأخبار والآثار بأشدّ وثاق، مجموعة يده إلى عنقه ما بين ركبتيه إلى كعبيه بالحديد، وفي رواية: «في بئر موثوق»^(١) فإذا كان بقاءه كذلك من غير من يقوم به. فما المانع من بقاء المهدي ﷺ مكرّماً؟ والكل مقدور لله، فلا امتناع فيه عقلاً ولا شرعاً ولا عادةً^(٢).

هذا ملخص كلام الكنجي الشافعي، وحاصل مرامه، وإلا فهو كلام طويل مشتمل على أبحاث، وعلى خبر سطیح وإخباره بالمهدي وعدله وأنه يملأ الأرض قسطاً.

وقال الفاضل علي بن عيسى الإربلي - بعد أن نقل كلام الكنجي بصورته -: (هذه الأبحاث لا تثبت لنا بها حجة، ولا تقطع الخصم؛ لما يرد عليها من الإيرادات، وإكذا | تطويله في إثبات بقاء المسيح ﷺ وإيليس والدجال التي هي مثل الضروريات عند المسلمين فلا حاجة إلى التكلف لتقريرها.

والجواب المختصر أن النقل قد ورد به من طرق المؤلف والمخالف، والعقل لا يحيله؛ فوجب القطع به. فأما قوله: إن المهدي ﷺ في سرداب، وكيف يمكن بقاؤه من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، فهو قول عجيب وتصوير غريب؛ فإن الذين أنكروا وجوده لا يوردون هذا، والذين يقولون

(١) انظر ذلك كله في بحار الأنوار ٥١: ١٠١.

(٢) عنه في كشف الغمّة ٣: ٢٩١ - ٢٩٥.

بوجوده لا يقولون به بل يقولون: إنه حي موجود يحل ويرتحل، ويطوف في الأرض بيوت وخيم، وخدم وحشم، وإبل وخيل وغير ذلك^(١) انتهى. وأقول: كلامه عليه السلام في غاية الجودة، ولكن بعض من زاغ بصره عن الحق ورام ستر الشمس بالكف ممن أنكره يكذبون على مثبتي وجوده وغيبته أن بعضهم يزعم ذلك وهذا كافٍ في جوابه. وأجوبة الكنجي وإن كان ضعيفة جداً إلا إنها كافية في دفع شبه المعاند؛ فإنها دائرة على مجرد استبعاد الممكن عقلاً وشرعاً وعادة، بل مثله متكرر الوقوع في العالم كثيراً، مشاهد بالبصائر والأبصار، فقد حصل اليقين ببقاء إبليس (لعنه الله) وجنوده، والدجال إلى آخر الزمان من غير نكير بالأدلة المسلّمة. والخضر وإلياس وعيسى كذلك، ولا عبرة بمن أنكر الخضر من علماء الحنابلة الذين لم يستضيئوا بنور العلم كابن تيمية وأتباعه فقد أنكروا الأخبار المستفيضة، بل المعلوم من الملة بالضرورة في شأن الخضر.

وأيضاً قد ثبت بالضرورة وجود من عمر مئات وألفاً، وما يزيد على الألف والألفين، وما يزيد عليها من السنين من أولياء الله وأعدائه بالضرورة الاستفادة من المتواترات في كل عصر، ممّا هو ليس يخفى بأدنى ملاحظة كآدم وشيث ونوح وغيرهم من الأنبياء، وكنمرود وعاد وشدّاد وفرعون ذي الأوتاد والرّيان وأروى بن سلم وخلق كثير من أولياء الله وأعدائه، كما يعلم كلّ من وقف على أخبار الأولين وسيرهم، وأكثرهم عاش أكثر من عمر المهدي إلى يومنا هذا بكثير.

وأيضاً فقد وقعت من كثير من الأنبياء بل من جلّ مشاهيرهم غيبات

يغيب الرجل منهم عن قومه برهنةً من السنين مقللاً ومكثراً ثم يظهر، مع أنه يدعو إلى الله في الحالين؛ حتى يعبد الله كما أحب سراً وعلانيةً، ويؤمن بأوليائه سراً وعلانيةً، لتظهر آياته في كل مقام، ولا يكون في جنود الجهل ما ليس في جنود العقل نظيره على جهة التضاد. وتعدادهم وصفة غيباتهم ممّا يطول، من أرادها فليرجع إلى الكتب المعمولة في تواريخهم وأحوالهم، وهي قد ملأت الأصقاع، واستمرت على الأزمان، والله يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

ولم يبق لإنكار وجود المهدي وغيبته، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً إلا العناد، وليس له وجه إلا مجرد الاستبعاد لما ليس ببعيد، بل هو واقع في أولياء الله وأعدائه كما عرفت، وحكمته جرت بذلك. فمنكره راد على الله ورسوله، ومنكر لقدرة الله وحكمته، ولضروي الدين والعقل، وراذ على القضاء الإلهي، ساخط على القدر الرباني، مطيع لهواه كما هو غير خفي على من له أدنى لب؛ فقد أقرّ بوجود من يخرج من عترة المصطفى عليه السلام في آخر الزمان فيملؤها عدلاً بعد أن تملأ ظلماً جميع أهل الملل والأديان، وجميع فرق الأمة إلا شاذ لا عبرة به، وعليه إجماع أهل البيت العترة الطاهرة وأتباعهم طراً، ولكنها «لا تغمى الأبخصار» ولكن تغمى القلوب التي في الصدور^(١). وكم من منافقٍ معاند إذا ذكرت منقبةً ومكرمة في أهل البيت أنكراها واشماز منها قلبه، وإذا ذكر مثلها في سائر البشر بل في عدوهم أخلد إليها وفرح بها وصدقها من غير دليل، والسير شاهد.

رجم شيطان

قال العصامي في تاريخه: (لطيفة: قال ابن العربي: قال أصحابنا البصرية بالمسجد الأقصى: إن شيخنا أبا الفتح نصر بن إبراهيم المقدسي اجتمع برئيس من رؤساء الشيعة فشكا إليه فساد الخلق، وأن هذا الأمر لا يصلح إلا بخروج الإمام المنتظر، فقال له نصر بن إبراهيم: فهل لخروجه وقت معلوم أم لا؟ فقال الشيعي: نعم إذا فسد الخلق. فقال له نصر: فلم تحبسونه عن الخلق وقد فسد جميعهم إلا أنتم؟ فلو فسدتم لخرج، فأسرعوا به وأطلقوه من سجنه وعجلوا بالرجوع إلى مذهبنا لتفسدوا فيخرج. فبهت الشيعي. انتهى، كذا في (العواصم من القواصم)... إلى هنا كلام العصامي.

وأقول وبالله الاعتصام: قوله: (اجتمع برئيس من رؤساء الشيعة)، لهم أن يقولوا: إنما هو من أضعف المستضعفين، ولكن المقدسي جهل الرئاسة فلم يميز الرئيس من المستضعف.

قوله: (فشكا إليه فساد الخلق)، لهم أن يقولوا: هذه الشكاية منه إلى المقدسي من أوضح الدلالة على أنه من المستضعفين، ولعلّه مع ذلك أراد بفساد الخلق جور السلاطين والولاة وأتباعهم وظلمهم للخلق ولأنفسهم وفسادهم وإفسادهم. وهذا واقع بالضرورة، محسوس في عامة الأزمان والأصقاع، لا ينكره كما هو ظاهر حال المقدسي إلا معاند بين العناد، أو أحق بين الحمق.

وقوله: (إن هذا الأمر لا يصلح إلا بخروج الإمام المنتظر)، ثابت بالضرورة من الدين، وقد استفاضت الأخبار عن المصطفى المختار عليه السلام، بل

تواتر مضمونها في كل عصر من الأعصار بأن المهدي من ولد فاطمة الزهراء عليها السلام ^(١)، وأنه يملأ الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً ^(٢)، كما قد أوقفناك على بعضه، وهو نصٌ جليٌ في أنّ خروجه (عجل الله فرجه) لا يكون إلا بعد امتلاء الأرض من الظلم والجور. وتحت هذا سرّ يعرفه العارفون.

فغاية الجنوب اللبوب، وغاية اللين [...] وغاية الكلّ الدهن وغاية الدهن النور فإما أن يكون المقدسي جاهلاً بتلك الأخبار كلّها فيسقط اعتباره ويلحق بالجاهلين، أو ومنكراً لما علم هو باليقين من نص الرسول على ذلك وبيانه له وهو لا ينطق عن الهوى عليه السلام، بل كان كالضروري من ملته بل ضروري، وراداً له.

فرده إذاً ليس على الشيعي بل على الله ورسوله، فهو إنكار لحكمة الله في خلقه، وكل من يدرك بعض أصول المعقول يظهر عليه دليل ذلك ونظائره من الكتب الثلاثة، ويجدها مطابقة فيه، فصحّ قول الشيعي: إنّ

(١) سنن ابن ماجة ٢: ١٣٦٨ / ٤٠٨٦، سنن أبي داود ٢: ٢١٠ / ٤٢٨٤، المستدرک على الصحيحين (تحقیق المرعشلی) ٤: ٥٥٧، المعجم الكبير ٢٣: ٢٦٧، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٦: ٥٨، التاريخ الكبير ٣: ٣٤٦ / ١١٧١، والکل عن ام سلمة (رضي الله عنها)، و ٨: ٤٠٦ / ٧ عن سعيد بن المسيب.

(٢) مسند أحمد بن حنبل (ط دار صادر) ٣: ١٧، و ٢٧، سنن أبي داود ٢: ٣٠٩ / ٤٢٨٢، المستدرک على الصحيحين (تحقیق المرعشلی) ٤: ٤٦٥، و ٥١٤، و ٤٥٧، المصنف (الکوفي) ٨: ٦٧٩ / ١٩٩، صحيح ابن حبان ١٥: ٢٣٨، المعجم الأوسط (ط دار الحرمين) ١٢: ٥٥، ٩: ١٧٦، المعجم الصغير ٢: ١٤٨، المعجم الكبير ١٠: ١٣٣ / ١٠٢١٤، ١٣٤ / ١٠٢١٩ - ١٠٢٢٠، و ١٣٥ / ١٠٢٢٥، الدر المنثور (ط دار المعرفة) ٦: ٥٧، و ٥٨، عن ابن مسعود وأبي سعيد الخدري.

ميعاد خروجه امتلاء الأرض من الظلم والجور؛ لأنه ما أخبر به الصادق الأمين عليه السلام. فإنكاره كما هو ظاهر سياق حال المقدسي لا يكون إلا عناداً أو حمقاً جليلاً.

قوله: (فلم تحبسونه عن الخلق؟) جوابه أنه ليس محبوساً عن الخلق؛ فإن الله قد أوجده في باطن الخلق وظاهره، وغيبه وشهادته، ولكنه حجبه عن أبصار البشر لأمر هو بالغه، وحكمة هو أعلم بها، ولم يحجب هداه عن بصائر المستعدين لقبوله؛ فهإنها لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى القُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ، ولكن المقدسي جهل معنى قوله: (فلم تحبسونه عن الخلق؟) فإن معنى أن الشيء محبوس عن الخلق أنه لم يوجد بعد في الخلق ولم يخلق، وهل يقدر أحد أن يوجد ما لم يوجد في رتبة من رتب الوجود غير الله تعالى؟ فإذا كان المقدسي يفهم ما قال هو، فنسبته ذلك لغير الله وطلبه منه كفر صريح، وإن كان لا يفهم ما قال ولا ما تؤدّي إليه عبارته، فهو ملحق بأجمد الجمادات، فاللائق به حينئذ الصمت عن مطلق الكلام.

قوله: (فقد فسد جميع الخلق إلا أنتم) يعني: الشيعة، إن كان يعقل ما قال فاعتراف العقلاء على أنفسهم جائز^(١)، وهو اعترافٌ بفساده وفساد جميع من سوى الشيعة من البشر. فإذن هم الفرقة الناجية حقاً دون من سواهم وإن كان لا يفهم ما قال فليس بناطق.

قوله: (فلو فسدتم لخرج)... إلى آخره استهزاءً أمر منه بالفحشاء والمنكر، فهو مناقض لأمر الله ونهيه؛ فإن الله لا يأمر بالفحشاء وإنما يأمر

بالعدل والإحسان.

قوله: (فأسرعوا به وأطلقوه من سجنه) جهل محض وعناد بحت؛ إذ ليس ولي الله في سجن، ولا تستلزم الغيبة السجن، بل في فسحة وسرور وبهجة ونور، قائم بهداية الخلق، تنزل عليه الملائكة ليلة القدر بالسلام كما هي سنة الله فيمن سبقه من الأقطاب والأبدال. فكم من نبي غاب عن قومه ثم ظهر! وأكثر الأبدال لا يعرفون بأشخاصهم كما هو مقطوع به في كلام العلماء والحكماء، وليس الإذن له في الظهور إلا إلى الله، ولكن المقدسي ظن بجهله أن حكمة الله في خلقه دائرة مدار أهوية العموم تابعة لها، أو لا يدري ما يقول.

قوله: (فعبجّلوا بالرجوع إلى مذهبنا لتفسدوا فيخرج) اعتراف بفساد مذهبه، وأمر بالفحشاء والمنكر منه والبغي. وكأنه توهم بجهله كما هو ظاهر سياق عبارته أن سبب حكمة الله في إخفاء وليّه عن الأبصار هي صلاح الخلق وأن حكمته في الإذن له بالظهور هي فساد الخلق، فعلى هذا يكون تكليف الخلق هو الفساد والظلم حتى يستوجبوا من الله به إظهار العدل تعالى الحكيم العليم عما يقول الظالمون.

قوله: (فبهت الشيعي)، سكوته إمّا دليل على عدم عقله كما قدّمنا، أو أنه إشارة إلى أن المقدسي يجب أن تنزه الألسن عن مخاطبته؛ لظهور جهله وعناده، فمثله لا تصرف ساعة من العمر في جداله وردّ مقاله؛ لظهور فساده ووضوح جهله وعناده.

والعجب من العصامي مع إمامته كيف يستلطف عبارات السفلة، ويستطيب القاذورات، ورجوع كل شيء إلى أصله غير منكور، وبالله

الاعتصام^(١).

هذا ما أردنا إملأه في هذه الرسالة، ورقمه خلال هذه العجالة، (وصلني الله على محمد وآله الطاهرين علل الوجود وحجج المعبود). وكان ذلك في أوقات متفرقة آخرها عصر يوم (١٩ من شهر صفر سنة ١٢٣٥) الخامسة والثلاثين ومئتين وألف.

وكتب علي بن لطف الله بن عبدالله الجشي غفر الله له ولوالديه باليوم (٢٦ من شهر جمادى الآخرة سنة ١٢٣٥)، ونقلت من نسخة خط المصنّف، والحمد لله رب العالمين.

(١) ونقول: إن القاعدة المعتمدة عند العقلاء هي أن «درء المفسدة أولى من جلب المصلحة»، والأمر بالفساد كما ظهر من المقدسي ظاهر البطلان؛ لأن فيه جلباً للمفسدة التي ينبغي تقديم درئها على جلب مصلحة أخرى. وعليه فإن العاقل لا يمكن أن يأمر بفعل المعصية ثم يبررها بأنه إنما يريد بذلك مصلحة ما؛ فالله تعالى لا يطاع من حيث يعصى أبداً.

كما أن المراد من امتلاء الأرض ظلماً، امتلاء أغلبها لا كلها، لأنه لو كان كذلك وكان الناس كلهم فسدة ظالمين، فلمن يخرج المهدي عليه السلام؟ ومن سيكون ناصرًا له حينئذٍ؟ إن هذا لا يدل إلا على جهل المقدسي الذي يدعى له منقبة إفحام مناظره وقطع حجته، وهذا واضح بين.

ثم إن بقاء جملة من الناس على المذهب الحق والدين الصحيح هو أمر ثابت نقلًا بالروايات النبوية والآلية التي أشارت إلى الثلة الممهدة للمهدي عليه السلام، والتي تسلمت الراية له، وليس هم إلا الشيعة الناجين الذين يكون منهم من ينصر المهدي عليه السلام في ثورته التصحيحية التي يعلنها بأمر الله تعالى.

إذن فليس المراد: فساد جميع الأمة، بل أغلبها، وكذلك بينت أن الشيعة هم الفرقة الناجية.

الفهرس

من كتاب الشيرواني ٦٢	كلمة المؤسسة ٥
مادلت عليه المستفيضات ٦٨	ترجمة المؤلف ٧
تنبيه: في سبب تسمية الكتاب	مقدمة المؤلف ١٥
والعترة بالثقلين ٨١	المطلب الأول: في أنه تعالى
فائدة: في معنى تلازم الثقلين من	يظهر رجلاً في آخر الزمان ١٩
ورود الحوض ٨٣	البرهان النقلى ٢١
دلالة حديث السفينة ٨٩	دليل الاجماع ٤١
نقل كلام السهمودي ٩٣	البرهان العقلي ٤٣
تنبيهات ٩٦	تنبيه: في أنه يشبه الرسول ﷺ خُلُقاً
من جواهر السهمودي ٩٧	لا خلقاً ٤٤
من الصواعق المحرقة ١٠٠	المطلب الثاني: في أن الحجّة
دلالة حديث التزويج على وجود	المهدي عليه السلام موجود الآن ٤٧
إمام معصوم في كل زمان ١٠١	دليل الاجماع ٤٩
نقل كلام السهمودي وغيره ... ١٠٥	الدليل النقلى ٥١
حول دعاء السجادة عليه السلام عند قوله:	جل ما نقله السهمودي في الصواعق
«وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ» ١٠٧	المحرقة ٦١
نقل كلام السهمودي ١١١	وممن نقل هذا ابن بطريق ٦٢

- ١٨٣ في كونه عليه السلام مبتليّ ومبتليّ به
- ١٨٤ عصمته عليه السلام في كون المتمسك به عليه السلام لا يضل ١٨٥
- ما نقله ابن حجر من فضائله عليه السلام ١٩١
- حول حديث المنزلة ١٩٧
- حول حديث الراية ٢٠١
- حول آية المباهلة ٢٠٧
- حول حديث المؤاخاة ٢١٣
- حديث «مدينة العلم» ٢٢٣
- حديث «أنا وعلي من شجرة واحدة» ٢٢٦
- حديث «تقاتل علي تأويل القرآن» ٢٢٨
- حديث «علي مع القرآن» ٢٢٩
- حديث «خير إخواني علي» ٢٣٠
- حديث «السابقون ثلاثة» ٢٣٠
- حديث «الصديقون ثلاثة» ٢٣٢
- حديث «صحيفة المؤمن» ٢٣٢
- حديث «إمام البررة» ٢٣٥
- حديث «باب حطة» ٢٣٦
- ١١٣ الاعتبار العقلي
- المطلب الثالث: في كون الحجّة الباقي هو المهدي عليه السلام ١١٩
- دليل الأخبار ١٢١
- عدد الأئمة ١٢٧
- النص على إمامة الأئمة الاثني عشر عليهم السلام ١٣٣
- النص على إمامة أمير المؤمنين عليه السلام ١٣٥
- قول ابن بطريق في معنى: مولى ١٥٣
- حديث الثقلين ١٥٨
- واقعة التصدق بالخاتم ١٦٠
- في كونه عليه السلام الشاهد ١٦٨
- حديث اختيار الله علياً عليه السلام للولاية ١٧٣
- في أنه مخلوق قبل آدم عليه السلام ١٧٥
- حديث انقراض الكوكب ١٧٦
- حديث جزاء من ناصب علياً عليه السلام الخلافة ١٧٧
- تنبيه: على إيمان آباء النبي صلى الله عليه وآله وأبي طالب عليه السلام ١٧٨
- في أنه ولي كل مؤمن بعد الرسول صلى الله عليه وآله ١٧٨

حديث «علي مني كرأسي من بدني»..... ٢٣٦	٢٣٦
حديث «يعسوب المؤمنين» .. ٢٣٦	٢٣٦
حديث «كنفسي»..... ٢٤١	٢٤١
كلام الإمام السهودي..... ٢٥٨	٢٥٨
حديث الطائر المشوي..... ٢٦٦	٢٦٦
علي حجة على الأمة..... ٢٧٥	٢٧٥
تنبيه..... ٢٨٢	٢٨٢
تنبيه..... ٢٨٩	٢٨٩
في إمامة الحسين <small>عليه السلام</small> ٢٩٣	٢٩٣
في إمامة السجاد <small>عليه السلام</small> ٣٠٧	٣٠٧
في إمامة الباقر <small>عليه السلام</small> ٣١٩	٣١٩
فسي إمامة أبي عبد الله الصادق <small>عليه السلام</small> ٣٢٩	٣٢٩
في إمامة موسى الكاظم <small>عليه السلام</small> ... ٣٤١	٣٤١
في إمامة أبي الحسن الرضا <small>عليه السلام</small> ٣٥٥	٣٥٥
في إمامة الجواد <small>عليه السلام</small> ٣٧١	٣٧١
في إمامة الهادي <small>عليه السلام</small> ٣٧٧	٣٧٧
في إمامة الحسن العسكري <small>عليه السلام</small> ٣٨١	٣٨١
في إمامة الحجة بن الحسن (عج)..... ٣٨٧	٣٨٧
في أن الله تعالى أوجب معرفة العترة <small>عليهم السلام</small> ٣٩٢	٣٩٢
رجم شيطان..... ٤٢٥	٤٢٥
الفهرس..... ٤٣٠	٤٣٠

